

١٧
اقرار

اقر أنا خالد حمود عبدالله السعدون بأننى قد قمت بأجراء
التمحيبات التى اوصت بها لجنة المناقشة على جميع النسخ المطلوبة.

خالد حمود عبدالله السعدون

اصادق على ما جاء اعلاه

المشرف: الدكتور محمد سيد محمد

د. محمد سيد محمد

١٤٢/١١

تم اداء لعملي لطباعة النسخ
المكتوبة على غلاف اليد وكنز اعضاء
الترخيص بالطب ودراسة الاعانة المجلس

قائمة التصويبات

الصفحة	التصويب المطلوب
٧	وضع كلمة " المنصرين " بدل كلمة " المبشرين " ووضع كلمة " التنصيرية " بدل كلمة " التبشيرية " .
٢٧	اعتبار كتابي " غلوب " مصدرين لمرجعين .
٣٠	اعتبار جريدتي " الاوقات " و " العرب " وثائق منشورة .
٤٣- هامش ٢	حذف حرف S الرعد من كلمة Problems
٥٢	الترجيح بين التواريخ المختلفة لهجرة ال شبيب للعراق .
٥٩- هامش ٢	توضع كلمتا " المرجع نفسه " بدل " تاريخ العراق " .
١٠٢	شطب عبارة " هذا ومن جانب آخر " ووضع عبارة " هذا من جانب ومن جانب آخر " بدلها .
٣٤١ سطر ٩	وضع كلمة [العربي] بعد " الفارسي " .
٣٤٧	شطب كلمة " وليم " ووضع " فلهلم " بدلها .
٣٩٤	الرد على رأى ولسون حول " احتقار الترك للعرب " .
٣٩٦	اضافة جملة تبين أن " لو نفريك " لم يوضح ماهية " الشروط الخيالية " ، وانه انفرد وحده بتلك الرواية .
٤٦٥- ٤٧٢	اعادة صياغة الخاتمة .
٤٨٩	حذف كلمة " المؤلفات " في العناوين الفرعية لتكررها .
٤٩٠	

بسم الله الرحمن الرحيم
وزارة المعارف والعلوم
الجامعة الإسلامية

جامعة الزيتونة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
لدراسات العليا التاريخية



3010200000963

د. محمد الجواد
[Signature]

١٤٠٦ هـ

١٤٠٦ / ١١
[Signature]

الحمد لله الذي جعلنا من آل أبي بكر
[Signature]

١٣٢٦ - ١٣٣٧ هـ
١٩٠٨ - ١٩١٨ م

رسالة دكتوراه
١٤٠٦ هـ

٩٦٣



اعداد الطالب
خالد بن عبد الله السعدوني

واشراف الدكتور

محمد سعيد محمد

١٤٠٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
دفاعاً عن الحق والعدل

جامعة الزيتونة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

د. محمد
١٤٠٥ هـ

المجلد الثاني
الجزء الثاني
الكتاب الثاني
العدد الثاني

١٣٢٦ - ١٣٣٧ هـ
١٩٠٨ - ١٩١٨ م

رسالة دكتوراه

اعداد الطالب
خالد محمد السعد

واشراف الدكتور

محمد سيد محمد

١٤٠٥ هـ



ربنا
عليك
توكلنا وإليك
أُنبتنا وإليك
المصير

شكر وتقدير

يلزمني الواجب بداية أن اسجل عرفاني وامتناني لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى التي تكرمت بقبول انتمائي اليها ، ومكنتني من اكمال دراستي العليا ضمن صفوفها . وانتقل بعد ذلك الى تقديم اجـزـل الشكر وأصدق التقدير لأستاذي الفاضل الدكتور محمد سيد محمد ، لما بذله من جهد كبير في المتابعة والتوجيه خلال مراحل اعداد البحث المختلفة ، فجزاه الله عنى خير الجزاء .

لقد نلت أثناء جمع المادة العلمية مساعدة كبيرة من المسؤولين من المكتبة المركزية في جامعة أم القرى والمكتبة المركزية في جامعة الملك عبد العزيز والمكتبة الوطنية في بغداد ومكتبة المتحف العراقي في بغداد ومكتبة مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة ومكتبة كلية الآداب في جامعة الكويت ، فلكل اولئك المسؤولين شكرى وامتنانى ،

ولا بد من الاشارة هنا بالعون الذى نلته من المشرفين على دور الوثائق

Public Record Office, India Office Records البريطانية فى

National Archives and Record Service ودار الوثائق الأمريكية

اذ وجدت منهم استجابة سريعة مكنتنى من الحصول على كل ما احتجته من وثائق لازمة للبحث .

أن العون الصادق الذى بذله الأخ الأستاذ صلاح الدين شيرزاد فى البحث عن الوثائق العثمانية وتيسير سبيل الوصول اليها اولا ، ثم ترجمتها الى العربية مع ما تيسر من المراجع ثانيا ، جدير بأطيب الثناء وأصدق التقدير وجدير بمثل هذا أيضا الأخ المهندس مفضل شكاره لقيامه برسم الخرائط اللازمة للبحث .

كنت أود ، في الختام ، لو أتيت لي فرصة الاشارة باسم
كل من ساهم في اخراج هذا البحث بأي جهد مهما صغر. ولكن
ضيق المجال حال دون ذلك ، فلكل اولئك السادة الاكارم الشكر
والتقدير.

متمم

ملفوظات
بیت

تعريف بمصادر البحث
وأهم مراجع

يحتاج الباحث عند اعداد بحثه الى الاعتماد على ما يتميز به من مصادر ومراجع. وهي تختلف بالطبع اختلافا كبيرا من حيث أهميتها العلمية على أسس عديدة منها : معاصرتها للحدث ، ودقتها ، وحياد كتابها . ويستطيع الباحث نتيجة لتعامله الطويل معها أن يقدر أهمية أى منها لبحثه ، فيحدد على ضوء ذلك مقدار ما يأخذ منها وما يدع . وفيما يلي أقدم نبذة عن مصادر البحث وأهم مراجعها :

أولا - المصادر :

وقد اعتمد البحث على مجموعة متنوعة منها ، يمكن تقسيمها الى :-

أ - الوثائق :

تحتل الوثائق في بحوث التاريخ الحديث والمعاصر مكانا متميزا ، لدرجة أصبح معها من القواعد العلمية المقررة أن تكون الوثائق أساس أى بحث من تلك البحوث . ولقد وضعت هذه القاعدة نصب عيني منذ أن كان هذا البحث مجرد مشروع ذهني خالص ، فعزمت على توظيف أقصى ما أستطيع الوصول اليه من الوثائق لخدمة البحث المزيج وكانت المظان المتصورة ليغني هي الوثائق الحكومية العثمانية ، والوثائق الاجنبية التي تحسوى ماكتبه الدبلوماسيون الاجانب المعتمدون لدى الدولة العثمانية خلال فترة البحث . ويحسن تفصيل القول في كل واحدة منهما على حدة .

١ - الوثائق العثمانية :

تعكس هذه الوثائق وجهة نظر الحكومة العثمانية ، وهذا هو مكن أهميتها التي جعلتني أقرر منذ البداية الا أدخر وسعا في محاولة الرجوع اليها ، والبحث في ثناياها عما يعمق البحث ويغنيه . وكنت قد رسمت في خطتي أن تكون المقارنة بين ماتحويه تلك الوثائق وبين مايرد في الوثائق

الاجنبية محور للبحث ومداره . ولكن للخطة النظرية شي* والواقع العملي شي* آخر ، فقد فوجئت بعقبتين تعرقلان سيرى لتنفيذ تلك الخطة . اولاهما الصعوبات الموضوعة أمام من يريد الاطلاع على الوثائق العثمانية .

ولم تدفعني تلك الصعوبات الى اليأس ، بل راجعت دار محفوظات الباب العالي في استانبول والتي تسمى " باشباقانلق أرشيفى " Başbakanlık Arşivi فأصطدمت هناك بالعقبة الثانية والتمثلة في أن وثائق الحكومة العثمانية في الفترة الواقعة بعد سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، لازالت محفوظة في صناديق ورقية ، دون تهويب أو فهرسة تمكن الباحث من الرجوع اليها . فأضطرت ازاء ذلك الى الاكتفاء بالاطلاع على ما هو متاح من تلك الوثائق ، ووجدت في بعضه ما يغني البحث ،

وفي سعيي للوصول الى الوثائق العثمانية قصدت* المركز الوطني لحفظ الوثائق* في بغداد ووفقت في العثور هناك على مجموعة من اعداد جريدة " الزمراء " الناطقة رسميا باسم ولاية بغداد . تلك الجريدة التي صدرت أيام ولاية مدحت باشا في بغداد ١٢٨٦ - ١٢٨٩هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٢م ، وظلت توالي صدورها الى أواخر أيام الدولة العثمانية في العراق ، وبالرغم من أن تلك الجريدة كانت تقتصر في أغلب الأحيان على نشر القوانين والقرارات والاوامر الحكومية ، الا أنها كانت تنشر في احيان أخرى بعض التعليقات المعبرة عن الرأي الرسمي تجاه بعض الاحداث المهمة التي تقع في العراق ومنها الاحداث القبلية . كما أنها حرصت بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى على نشر بيانات القيادة العسكرية العثمانية عن فعاليات قواتها وقوات المجاهدين في ميادين القتال ، وكانت تقوم بالاضافة لذلك بتغطية اخبارية وان كانت محدودة للمعطيات الحربية . ولذلك كله فقد استفدت من معلوماتها فائدة كبيرة خدمت البحث في بعض المواضع - ولا يقلل من تلك الفائدة الطابع الاعلامي أو الدعائي الذي ربما يكسبون

أضفي على أخبارها ، لأن الدعاية في هذا الموضع تعكس سياسة الحكومة ، وكيفية تعاملها مع الرأي العام في ولاياتها ، والأطباع الذي كانت تريد فرضه في أذهان مواطنيها ، وفوق ذلك كله فإن الأخبار تلك حوت بلا شك قدرا من الحقيقة قل أو أكثر .

٢ - الوثائق الأجنبية :

تمتاز الوثائق الأجنبية التي يكتبها الدبلوماسيون بالدقة الكبيرة ، حتي يمكن القول انها تنقل عن الأحداث صورة قريبة جدا لما وقع بالفعل ان لم تكن مطابقة له تماما . فالدبلوماسي عادة حريص على تقصي الحقائق التي ينقلها لمراجعة العليا ، يدفعه لذلك إخلاصه لبلده ورضته في أظهر براعته ومهارته أمام رؤسائه ، فهو يتجنب قدر طاقته مواضع الزلل والخطأ التي قد تضعه موضع الحرج . ثم انه وهو يكتب تقاريره ، يكون واثقا تماما من سرية ما يكتب ، فلا يمكن أن نشك في كونه أخفى شيئا من الحقيقة بدافع الرهبة أو الرضا تجاه سلطات الدولة التي يقيم فيها ، أو بدافع تعلق الرأي العام هناك ، وهي المؤثرات التي تحد من حرية الكتاب المحليين عادة .

ولكن ذلك لا يجب أن يدفعنا نحو منزلق خطر وهو الايمان المطلق بصحة كل ما يجيء في أية وثيقة أجنبية . اذ أن أية وثيقة يمكن تقسيمها من حيث محتواها الى قسمين : اولهما وصف الحشد والثاني التعليقات عليه . ويحسن أن يكون الموقف متمايزا تجاه كل من القسمين ، اذ يمكن في أكثر الأحيان الاطمئنان الي صحة محتويات القسم الاول ، مع ضرورة الانتباه لأمريتين : اولهما أن ميل الدبلوماسي كاتب الوثيقة نحو الحدث رفضا أو قبولا يترك أثره بشكل ما على صياغته لخبره ، وثانيهما أن ذلك الدبلوماسي لا يكون في كثير من الحالات شاهد عيان للأحداث ، وانما ينقل أخبارها من

مصادره التي تختلف في مدى دقتها او صدقها - ولقد صادفت وثائق كتبها دبلوماسي واحد في فترات زمنية مختلفة أعطته معلومات متضاربة عن الحدث نفسه ، او وثائق كتبها دبلوماسيون متعددون مقيمون في منطقتهم مختلفة وصف فيها كل منهم الحدث بصورة مغايرة حسب ماسمعه من مصادره أما القسم الثاني من الوثيقة وهو تعليقات الدبلوماسي على الحدث فتعامل على أنها مجرد وجهة نظر تعكس رأى الكاتب او سياسة دولته . ومن الضروري التنبيه هنا الى صعوبة الفصل بين قسمي الوثيقة المشار إليهما ، اذ انهما يردان في اكثر الاحيان متداخلين .

وثمة ناحية أخرى يجدر منحها الاهتمام الكافي عند التعامل مع الوثيقة الاجنبية ، وهي أن كاتبها شخص غريب كلية عن المجتمع الذي يحل فيه ، خاصة وانّه يختلف عنه حضرة وثقافة - فلا يمكن والحالة هذه أن نتوقع منه فهم دقائق ما كان يجري في ذلك المجتمع مهما أوتي من براعة ومهارة ، بل لابد من التسليم بأن أشياء كثيرة سوف تفوت عند كتابته لتقريره ، خاصة حين يتصدى لتحليل وتفسير الأسباب الكامنة وراء الاحداث المتعلقة به . بهيئة قلبية ذات تقاليد ومبادئ يصعب فهمها أحيانا حتى على بعض أبناء المدن في البلد نفسه .

وضعت كل تلك الأمور نصب عيني وأنا أسمى جهد طاقتي من اجل أستقصاء ماجاء في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والامريكيين عن أحداث فترة البحث ، حتى تمكنت من جمع حصيله لا بأس بها من الوثائق التي كتبها دبلوماسيو الدولتين المذكورتين - وأرى من المناسب أن أضعها موضع المقارنة فيما بينها ، لبيان نقاط القوة والضعف في كل منها ، ثم لبيان اسهامها في تقديم معلومات البحث . وأول ما بلغت النظر لى تلك المقارنة هو أن الوثيقة البريطانية تتفوق عموما على مثيلتها الأمريكية من حيث الرصانة والعمق ، فهي حين تهتم بحدث ما تتحرى بدقة كبيرة

كل تفصيلاتهم فتصفيها وصفا دقيقا متأسكا . وترتب على هذا أن كانت الوثائق البريطانية تتصف عادة بالطول والاسباب ، بينما يغلب على الوثيقة الأمريكية أن تكون مختصرة قليلة الصفحات مما يسمها بسمه السطحيموالمعجالة . وإذا دققنا في التحليلات التي تحويها كل وثيقة وجدنا الدبلوماسيين البريطانيين يتعمقون كثيرا في تحليلاتهم للأسباب الكامنة خلف الحدث ، يستخدمون أسلوبا متشككا لا يعطي نتائج نهائية حاسمة ولكنه يضع أمام القارئ احتمالات متعددة - وهو أسلوب يناقض كثيرا أسلوب الدبلوماسيين الأمريكيين في التحليل الذي يعط غالبا لاعطاء نتائج سريعة ونهائية .

واعتقد أن من أسباب تلك الظاهرة تباين الخبرة والتجربة لسبب دبلوماسيي الدولتين العاملين في العراق ، إذ أملاك البريطانيين خبرة طويلة في الشؤون المحلية العراقية ، تراكت لديهم تدريجيا مع مرور الأيام منذ افتتاح أول وكالة تجارية لشركة الهند الشرقية في البصرة سنة ١٠٤٤هـ / ١٦٣٥م ، وهي الوكالة التي تعتبر بشكل ما أول مظلة بريطانية في العراق (١) . بينما لم يكن للدبلوماسيين الأمريكيين مثل تلك الخبرة ، حيث لم تفتح القنصلية الأمريكية في بغداد إلا في أواسط العقد الأول من هذا القرن الميلادي - وعلى هذا فليس من المنطقي أن نتوقع من الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في العراق حينئذ أن يكونوا مطلعين على خفايا الأوضاع فيه بنفس درجة اطلاع زملائهم البريطانيين .

وبالإضافة إلى تباين التجربة ، فلقد اختلف وضع ممثلات البلدين في العراق من ناحية الاستقرار الإداري . إذ كانت الممثلات البريطانية في العراق قد أستقرت منذ زمن طويل على شكل قنصلية عامة " ومقيمة سياسية Political Residency " في بغداد وقنصلية فسي

Tuson, P., The Records of the British Residency and Agencies in the Persian Gulf, London, 1979, p. 175. (١)

البصرة (١). كان يشغلها عادة دبلوماسيون متعصبون خدموا فترة طويلة في الهند والخليج وتزودوا بمعرفة واسعة عن الاحوال في العراق . في حين كانت القنصلية الامريكية في بغداد عرضة لتقلبات ادارية مستمرة، فمكاتبها تظهر أن القناصل اللذين تولوها كانوا غالبا من حديثي التعيين في السلك الدبلوماسي ، ولذلك فإنهم ما أن يصلوا لم بغداد حتى يبدأوا بالشكوى لمراجعهم من تسوء مناخ المدينة وتخليها، يأخذون بالمطالبة بنقلهم أو اعفائهم - وعلى هذا نجد القنصلية الامريكية تشغل في أحيان كثيرة من قبل نائب قنصل يتم اختياره من البريطانيين المقيمين في العراق والمتصلين بالمصالح التجارية الامريكية هناك ، أما الوكالة القنصلية الامريكية في البصرة فلقد كانت أسوأ حالا من هذه الناحية ، إذ كان يشغلها دائما وكيسيل قنصلي غير متفرغ ينشأ من إحدى الشركات التجارية الامريكية أو البريطانية العاملة في البصرة. لاهل أن أمورها اوكلت في إحدى العوات الى القنصل الروسي في تلك المدينة وكثيرا ما كانت تلك الوكالة تغلق مؤقتا لعدم وجود من يديرها . فليس غريبا لذلك كله أن نجد بعض السطحية والأضطراب في تقارير تلك الممثلات الامريكية، بل أن الامر تعدى ذلك الى ترسيم وحفظ الوثائق في مراسلات تلك الممثلات ، إذ كان لكل دبلوماسي جديد أسلوبه الخاص في الحفظ والترقيم.

وتتباين الوثائق البريطانية والامريكية في أمر مهم آخر، هو مصادر المعلومات التي تعتمد عليها كل منها . فقد كان لبريطانيا مركز سياسي مهم ونفوذ كبير في العراق ، جعل دبلوماسيتها هناك على اتصال مباشر بصناع الاحداث من كبار الموظفين الترك العاملين في العراق ، أو من وجهاء البلد وشخصياته المحلية، الذين كان بعضهم كثيرا ما يتطوع للاتصال بالبريطانيين وتزويدهم بالمعلومات. أما الدبلوماسيون الامريكيون لم يكونوا حينئذ

الا ممثلين لدولة اجنبية محدودة الأهمية من الناحية السياسية . وقد جعلهم هذا الواقع يعتمدون في الحصول على معلوماتهم على مصادر أقل رسمية وأقرب ما تكون لرأى العامة ، ولهذا نجد أن تقاريرهم تحوى في أحيان كثيرة معلومات لا نجد ها في التقارير البريطانية ، ولكنها في أخبار أخرى تكسبها تكون نسخه طبق الأصل من التقارير البريطانية ، وخاصة حين يتولى القنصلية نائب قنصل بريطاني ، أو حين يكون القنصل جديدا فيستعين بمعلومات زملائه من الدبلوماسيين البريطانيين .

هذا ومن ناحية أخرى ، فقد أمتاز الدبلوماسيون الأمريكيون على زملائهم البريطانيين بكونهم يحددون في أحيان كثيرة مصادر معلوماتهم . فنجدهم يذكرون في هذا المجال مترجم القنصلية ، وهو رجل أرمني الأصل يمارس النشاط التجارى والزراعي إضافة لعمله في القنصلية . وقد مكّنه هذا النشاط من الاتصال بكثيرين ممن يساهمون في صنع الاحداث وخاصة فن شيخوخ ورمما القبائل . كما ذكر الدبلوماسيون الأمريكيون أستفادتهم من الاوربيين المقيمين في العراق لممارسة النشاط التجارى . بل انهم ذكروا مرة أنهم أستمدوا معلوماتهم عن بعض الاحداث من ربابنة السفن الشراعية المحلية .

وتجدر الاشارة هنا الى مصدر مهم آخر طالما زود الدبلوماسيين الأمريكيين بكثير من المعلومات عن ولاية البصرة ومايجرى فيها من أحداث . إذ كان يقيم في مدينة البصرة بعض ^{البحريين} البحريين الأمريكيين في تلك الفترة (١) ، وثبتت الوثائق الامريكية الموجودة بين يدي أن أولئك ^{البحريين} البحريين كانوا يقومون بنشاط هدفه جمع المعلومات لصالح دولتهم ، وكانوا يقدّمون بين أونة وأخرى تقارير سرية الى الممثلين الدبلوماسيين الأمريكيين في العراق عن بعض الاحداث المهمة وخاصة على النطاق القبلي .

التفسير

(١) حول نشأة الحركة العشيرية الامريكية في البصرة ، راجع : رأفت فنيهمسى الشيخ ، المصالح البترولية الامريكية في البصرة في " مجلة الدار ، السنه التاسعة بالعدد الاول ، شوال ١٤٠٣ هـ / يولية ١٩٨٣ م ، ص ١٢٧ .

وتمتاز الوثائق الامريكية على المبريطانية بميزة هامة هي انها كانت اكثر ميلا للحياد تجاه السلطات الحكومية العثمانية ، ولا ريب أن تحليل تلك الظاهرة يكمن في أن الولايات المتحدة لم يكن لها حينئذ مطامع سياسية في العراق . ولذلك كان دبلوماسيوها هناك أقل عداء تجاه العثمانيين ، فسقلت بالنتيجة نغمة الانتقاد لهم فيما يكتبونه . أما بريطانيا فقد كانت اطماعها السياسية في العراق واضحة ومسالحةها الاقتصادية هناك وطيدة كما سنرى ، فجرها ذلك الى كثير من الاحتكاكات مع الحكومات العثمانية ، وقد انعكس ذلك في كتابات الدبلوماسيين البريطانيين التي يظهر فيها ميل واضمحسح لابرار أخطاء السلطات العثمانية واغفال نجاحاتها ، وخاصة في فترات التوتر في علاقات الدولتين . ورغم الطابع الحيادي في الوثائق الامريكية الا انها تكاد أن تكون معبرة عن وجهة نظر بريطانية صرفة حين تكسسون الممثلات الامريكية في العراق بمعاهدة وكلاء بريطانيين .

وبلاحظ على الوثائق الامريكية أيضا أنها توجه اهتمامها بشكل رئيسي للجوانب الاقتصادية ، اذ كان هدف الدبلوماسية الامريكية في تلك الفترة هو ايجاد اسواق للسلع الامريكية في العراق . ولهذا فان من بين كل مراسلات القنصلية الامريكية في بغداد بين سنتي ١٣٢٦-١٣٣٢هـ / ١٩٠٨-١٩١٤م والتي تضم اكثر من اثني عشر ألف صفحة ، لا نجد من التقارير والبرقيات التي تهتم بالاحداث السياسية الا ما يقرب من مائة وثيقة فقط . هذا بالرغم من كثرة توجيهات وزارة الخارجية الامريكية والسفارة الامريكية في استانبول للدبلوماسيين الامريكيين الحاملين في العراق ، والتي تحثهم على ضرورة ايلاء الاحداث السياسية في مناطق عظمهم مزيدا من الاهتمام عند كتابسة تقاريرهم .

ويظهر أن الرضة الامريكية في تنشيط التجارة وكسب اسواق جديدة في العراق ، قد اوجدت نوعا من المنافسة مع المصالح التجارية البريطانية

الضاربة للجنود هناك . ولذلك نجد في تقارير القنصلية الأمريكية في بغداد - حين يكتبها أميركيون لبريطانيون - شيئا من الحسد للمكانة البريطانية المتميزة في العراق . يظهر ذلك واضحا في حرص بعض تلك التقارير على متابعة أنشطة البريطانيين في العراق وحديثها عن مشاعر الغضب والاستياء ضد بريطانيا هناك . ولا يعني ذلك ان الدبلوماسيين الأمريكيين أظهروا عداوة صريحة نحو البريطانيين ، فقد كانوا رغم ذلك الحسد - يتعاونون معهم أداريا وحتى سياسيا أحيانا .

وأخيرا ، تمتاز الوثائق الأمريكية بميزة تسهيل عمل الباحث، فهي كونها مجمعة في دار محفوظات واحدة هي National Archives and Records Service-Washington في حين أن الوثائق البريطانية تتوزع بين محفوظات وزارة الخارجية في Public Record Office و محفوظات وزارة الهند في India Office Library and Records . وممسا زاد في صعوبة الأمر أن كثيرا من الوثائق الخاصة بهذا البحث توجد مكررة في داري الحفظ هاتين ، لأن نظام التمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق العثماني كان ثنائي التبعية ، فهو تابع لحكومة الهند من ناحية وتابع لوزارة الخارجية البريطانية من ناحية ثانية (١) . ولذلك فقد كان الممثلون الدبلوماسيون البريطانيون في العراق يبعثون نسخا من مراسلاتهم إلى وزارة الخارجية في لندن والسفارة البريطانية في استانبول وحكومة الهند التي تعيد بدورها إرسالها إلى وزارة الهند في لندن .

وقبل طي صفحة الحديث عن الوثائق الأجنبية تحسن الاشارة بالجهد الذي قام به الدكتور روبن بدول R. Bidwell ، حين جمّع بعض الوثائق الرسمية البريطانية الخاصة بتاريخ الكويت ونشرها في جزئين اثنين تحت عنوان The Affairs of Kuwait . ثم قام بعد ذلك بجمع

بعض الوثائق متلرخ شبه الجزيرة العربية ونجد خصوصا ، ونشرها في جزئين آخرين تحت عنوان *The Affairs of Arabia* . وقد وردت في تلك الاجزاء الاربعة بعض الوثائق التي تحوى معلومات مهمة عن الاحداث القبلية في ولاية البصرة في الفترة السابقة مباشرة لزمان هذا البحث ، فلستفدت منها واثبتها في مواضعها .

ب - الروايات الشفهية :

رغم وجود بعض المسنين من ابناء القبائل الذين عاصروا بعض الاحداث التي جرت في فترة هذا البحث ، فأنى لم اعتد على رواياتهم لعدم فائدتها في كتابة تاريخ علمي . ولكنني حرصت على الاطلاع عليها قدر الامكان لانها لاتخلو من فائدة جانبية مهمة بالنسبة لي . وهي التعرف على وجهة نظر الرجل القبلي العادي تجاه الاحداث التي عاصرها . وهي وجهة نظر لم تعرها المصادر والمراجع المكتوبة الا اقل الاهتمام .

ج - روايات الشهود المعاصرين المدونة :

توفرت لدى مجموعة من روايات بعض الاشخاص الذي عاصروا فتسيرة هذا البحث ، فرأوا بعض أحداثها عن قرب ، أما باعتبارهم مراقبين ففسدها ، أو لأنهم ، اتاحت لهم الفرصة للمساهمة في صنع تلك الاحداث بشكل من الاشكال . ويمكن تقسيم تلك الروايات الى مجموعتين هما : روايات العرب المعاصرين وروايات البريطانيين المعاصرين . ويحسن القاء نظرة على كل من هاتين المجموعتين على حده لاهداه ماقد يعنى من ملاحظات عليها .

١ - روايات العرب المعاصرين :

بقدر ما اطلعت ، فإن أحدا من ابناء العراق عموما وولاية البصرة خصوصا المعاصرين لفترة البحث لم يبق بتدوين مشاهداته او انطباعاته

عن الاحداث التي كانت جارية في أيامه بشكل منهجي منظم . ولكن روايات بعضهم في هذا المجال اقتصرت على مقالات نشرت في بعض المجلات الصادرة حينئذ ، وعلى ذكريات كتبت في مرحلة لاحقة ونشرت في كتب مستقلة ، أو وردت ضمن مؤلفات لكتاب آخرين . وهذه الروايات هي :

أ - رواية الشيخ محمد باقر الشبيبي :-

نشرت ضمن مؤلف الدكتور عبد الجليل الطاهر الموسوم بـ " العشائر العراقية " . وهو مؤلف ينقسم الى ثلاثة أقسام ، القسم الاول منها مقدمة كتبها المؤلف واحتلت الصفحات ٦ - ٥٨ وبث فيها آراءه السياسية ومعتقداته الفكرية ، فكتبت فيها عبارات " الصراع الطبقي " و " لوردات الارض الغائبين " و " صيد الارض " و " ثورات الفلاحين " . وعلى هذا فإن تلك المقدمة أقرب الى المقال السياسي منها الى البحث التاريخي العلمي . ولا يجب أن ننسى هنا الإشارة الى ان المؤلف احسن المختصين في علم الاجتماع لا التاريخ ، ولكل من العلمين - على قرب الصلة بينهما - أساليبه ومصطلحاته :

أما القسم الثاني ، فقد احتل الصفحات بين ٥٩ - ٣٤٠ من الكتاب . وهو عبارة من مجموعة من التقارير الرسمية البريطانية ، عن الاوضاع القبلية في جنوب العراق ، أعدت لفائدة القيادة العسكرية البريطانية في العراق أثناء الحرب العالمية الاولى . وقد أعدها فريق من رجال الاستخبارات البريطانية المختصين بشئون القبائل ترأسه المس جرتروود بل Miss Gertrude Bell وبالإضافة لذلك يحوى هذا القسم أيضا عددا من التقارير الادارية التي رفعت الى الحاكم الملكي العام في العراق من قبل الضباط السياسيين البريطانيين الذين كلّفوا بإدارة المناطق القبلية . ولم يكف المؤلف هنا بأيراد معلومات تلك التقارير فقط ، ولكنه علق عليها في الحواشي لتصحيح بعضها أو توضيحها

عن طريق الاستعانة بأراء بعض أئمة المنطقة أو المصلحين على أحوالهم بعد ، أو بالرجوع الى ماورد حولها في المؤلفات الأخرى . وهذا القسم هو الجزء الرئيسي من الكتاب ، ويتناول في اظهره قبال المنتفق ، اذ خصت بمخسة فصول من اصل سبعة ، بينما خصت قبال العمرة بالفصل السادس عشر ومشائر البصرة بالفصل السابع . وقد قام المؤلف في هذا القسم بجهد يشكر عليه ، فمجرد ترجمة تلك التقارير ونشرها مجموعة في كتاب واحد واضافة الحواشي اليها يقدم خدمة كبيرة للباحثين . رغم انه اقبل في بعض المواضع التعليق على ما جاء في تلك التقارير من آراء تعكس وجهة نظر بريطانيا صرفة ، تبعد كل البعد عن الواقع الاجتماعي السائد بين القبائل .

والقسم الأخير من مؤلف الدكتور الطاهر عبارة عن ملحق احتل الصفحات ٣٤٤-٣٨٣ ، وهو تاريخ مختصر كتبه الشيخ الشبيبي ، وتناول فيه الاحداث التي وقعت في مدينة الشطرة خصوصا ومنطقة الغراف عموما خلال مشيخة المنتفق مع تركيز خاص على ما حدث خلال الفترة التي تلت مفتتح هذا القرن الميلادي . والشيخ الشبيبي أديب شاعر ينتمي لبيت معروف من بهوات المنتفق . وقد عاصر اغلب الاحداث التي كتب عنها ، مما مكنه من الاطلاع على خفاياها . ولكن أربعين صفحة لا تكفي لتغطية تلك الاحداث الكثيرة والمعقدة تغطية وافية ، وفوق ذلك لا يبدو أن الشبيبي دون تلك الصفحات أثناء وقوع الاحداث أو بعدها مباشرة ، يدل على ذلك انه قال مايسرد الوقائع دون أن يحدد تاريخا معيناً لحدوثها ، واذا ما حاول التحديد في أحبان نادرة لم تسعفه ذاكرته . ولكن ذلك كله لا يقلل من قيمة ماكتبه ، لانه قد وجهة نظر محلية أفادتني كثيرا في مجال المقارنة مع ماورد في الوثائق الاجنبية ، اضافة الى انه ذكر بعض الاحداث والتفصيلات التي أغفلتها تلك الوثائق .

ب - رواية محمد بن خليفة النهباني :-

طاف النهباني في الامارات والمشيات في شبه جزيرة العرب، واتصل بالامراء والشيخ، فأخذ منهم ومن يحيط بهم المعلومات والاخبار عن تاريخ واحوال أماراتهم ومشياتهم، وجمع ذلك كله في كتابه " التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ". وقد استقر النهباني بعد رحلته تلك في البصرة حيث عمل مدرسا في احدى مدارسها، واتصل هناك عن قرب بمشايخ قبائل المنتفق، وخص تلك المشيخة بالجزء العاشر من كتابه المذكور. وينقسم ذلك الجزء من حيث اهميته العلمية الى قسمين : اكبرها الذي تناول فيه تاريخ المشيخة، قبل فترة اتصاله المباشر بها، وقد اعتمد فيه على ماكتبه سلفوه أضافة الى الروايات الشفهية التي سمعها من معاصريه، ولذلك فإن هذا القسم يعد مرجعا ثانويا لا يضيف شيئا جديدا ذا بال.

أما القسم الثاني فيتناول أحداث الفترة التي تلت اتصاله المباشر بمشايخ المنتفق. وقد حدد لنا تاريخ ذلك الاتصال فذكر انه تم في أيام الشيخين سعدون بن منصور السعدون وابنه عجمي. فأخذ منهما ومن المحيطين بهما روايات عن الاحداث التي وقعت في أيامهما. وعلى هذا فإن النهباني في هذا القسم معاصر للاحداث، ولكنه ليس شاهدا عيان لها على الأرجح، وانما دونها على السماع. وهو في ذلك القدر ومن لم يكن التدقيق والتحصيل، فلم يخل كتابه من روايات غريبة بعض الشيء كما أنه لا يحدد وقت أحداث كثيرة، أو يكتفي بتحديد سنة الاحداث دون أن يزيد، وحتى في هذا فإنه يجانب الدقة في بعض الأحيان. ولكن كتابه رغم كل ذلك لا يخلو من فائدة لانه يصور الاحداث من وجهة نظر قبلية بحتة.

ج - رواية يعقوب سرقيس :-

ينتمي المذكور لاسرة سيحية نزحت للعراق من حلب. وقد اتصل بسلفه ابو نعوم سرقيس بن ناصر باشا السعدون شيخ المنتفق، فعينه كاتباً له ونال

حظوة كبيرة لديه . وعند ما أنشأ ناصر مدينة الناصرية بنى كاتبة المذكور فيها الكثير من الدور والاسواق ، ثم تملك الكثير من الاراضي الزراعية في لواء المنتفق . وقد حافظ ولده يعقوب من بعده على صلات قوية مع مشايخ آل سعدون وقهائل المنتفق بحكم استمرار تملكه للأراضي والاطيان فسي أراضي المنتفق . واتاحت تلك العلاقة له أن يكتب عن أحداث المنتفق كتابة الخبير المتمكن ، حيث كان يعتمد في كتاباته على ما وجدته في خزانة أبيه من وثائق رسمية وأوراق قديمة ، وعلى مشاهداته الشخصية وما يسمعه من افواه المشايخ . ولكن يعقوب لم يستفد من تلك الامكانات المتاحة له فسي كتابة تاريخ دقيق لمشيخة المنتفق ، وخاصة في فترة معاصرتة لها . فاقترعت كتاباته على مقالات كان ينشرها في بعض المجلات الصادرة في بغداد حينئذ . ثم جمع تلك المقالات في كتاب من جزئين اسماء " مباحث مراقية " ، ولا يخص فترة بحثنا من مادته الا معلومات قليلة وتحليقات يسيرة ، لا يتعمق اكثرها في صميم الاحداث ، ولكنه يلقي الضوء على بعض جوانبها .

د - رواية سليمان فيضي :-

مواطن عراقي من اهالي الموصل ، رحل الى البصرة واتخذها مقسرا لسكناه ، واتصل هناك بزعيم البصرة السيد طالب النقيب ، فأصبح من المقربين اليه ، وانخرط تحت قيادته في العمل السياسي ، مما أوصله لمجلس المبعوثان العثماني نائباً عن البصرة في عدة دورات . وهكذا أتبع له أن يطلع عن قرب على ما جرى من أحداث فترة البحث ، بل وساهم في صنع بعضها . فتمتسك بروايته التي ساقها في كتاب اسماء " في فمرة الفضال " رواية شاهد عيان مطلع ، ولكن تلك الرواية لا تسلم من مأخذ يقلل من قيمتها العلمية بعض الشيء ، وهو أنها لم تدون وقت وقوع الاحداث ، حيث تكون الاحداث حية ماثلة أمام الراوي فلا يفوته شيء من تفاصيلها ، ولكنها دونت بعد مرور فترة تقرب من أربعين

سنة على وقوتها . . وعلى الرغم من قوة ذاكرة المؤلف التي مكنته من تذكر
تواريخ بعض الاحداث بدقة ملحوظة ، الا أن بعد الزمن ضيق عنه فلا ريب
بعض التفاصيل ، إضافة الى أن طول المدة جعل علاقاته مع أبطال الاحداث
تتغير من اتفاق الى اختلاف ومن بغض الى حب وبالعكس ، مما كان له أثره
على صياغة لروايته واختياره لأسلوبها وبنائها . ولا يجب أن أنسى هنا
الإشارة الى ما ذكره عن استعائته بأولاده في كتابة ذكرياته وتنقيحها .

هـ - رواية علي جودت الأيوبي :-

ضابط عراقي ، تخرج من الكلية الحربية في استانبول سنة ١٣٢٤هـ /
١٩٠٦م ، فالحق بشعبة الحركات العسكرية التابعة لدائرة أركان الفيلسفيق
السادس في بغداد . ثم تنقل بعد ذلك في الوحدات العسكرية المختلفة
في العراق ، الى أن قامت الحرب العالمية الاولى فسيقت فرقة الى ميدان
القتال في الشعبة قرب البصرة ، واذ علمت أهمية الحملات العسكرية التي
وجهتها الحكومة العثمانية لقمع تحركات القبائل خلال تلك الفترة ، حق
لي توقع أن يحرص ضابط مطلع على ذكر تفاصيل كثيرة حولها ، ولكن الأيوبي
في ذكرياته التي نشرها تحت عنوان " ذكريات علي جودت ١٩٠٠ - ١٩٥٨ " .
لم يحقق ذلك التوقع ، اذ اقتصر على ايراد أخبار قليلة عشت بعض أحداث
البحث مساهمات خفيفة ، وكانت أغلبها تدور حول مشاهداته عن معارك الحسب
العالمية الاولى ضد البريطانيين ودور القبائل خلالها . ولعل مرد امراضه
من ذكر تفاصيل تلك الاحداث عائد الى انه - كأغلب معاصريه - لم يكن يدون
ذكرياته أولا بأول ، وإنما رجع اليها بذاكرته بعد زمن طويل ، فغابت
عنه أكثر التفاصيل او اختلطت . فركز في ذكرياته بدلا من ذلك على الاحداث
الأقرب عهدا والتي وقعت أثناء تعاظمه العمل السياسي وزيرا ورئيسا للوزراء .

وهكذا يمكن القول أن ماتجمع لدى من روايات عربية معاصرة لفترة البحث لا تكفي بمجملها لايضاح صورة ما حدث . ولكنها تفيد رغم ذلك في القاء الضوء على بعض زوايا تلك الصورة ، والتي ستوضح أكثر بالاطلاع على ماكتبه الرواة البريطانيون المعاصرون .

٢ - روايات البريطانيين المعاصرين

قامت الحرب العالمية الاولى في أوروبا ، ولم تلبث الدولة العثمانية طويلا قبل أن تخوض غمارها ، ففتحت أبواب العراق لجيش بريطاني فصار ، احتلالا لجزء ولايتي البصرة وبغداد قبل اعلان الهدنة سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م . وقد سحب ذلك الجيش الغازي عدد من الضباط السياسيين والخبراء الاداريين والفنيين ، حيث أنيطت بهم مسئولية إدارة المناطق المحتلة . فحرص عدد منهم على كتابة ذكرياتهم ومشاهداتهم خلال فترات عملهم في العراق ، وخصصوا في كتاباتهم حيزا كبيرا لاجبار القبائل ، لانها المشكلة الرئيسية التي واجهتهم من ناحية ، ولأن المجتمع القبلي يختلف اختلافا كبيرا عن مجتمعهم ، فأستلقت عاداته وتقاليده واحداه انتباههم وشدتهم لمتابعتها . فلتلق نظرة على ماكتبه كل واحد منهم .

أ - رواية ديكسون H.R.P. Dickson

ضم للقوات الغازية للعراق لكونه يعرف العربية ، فساهم في العمليات الحربية التي أنتهت باحتلال ولاية البصرة . وانتدب في خريف سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م الى القسم السياسي ، فشارك تحت اشراف السيرسي كوكس Sir Percy Cox في انشاء الادارة المدنية في المناطق المحتلة . ثم اختير لتولي منصب معاون الضابط السياسي المكلف بإدارة قضاء سوق الشيوخ في لواء المنتفق ، ثم ضابطا سياسيا لادارة ذلك اللواء . وبعد أنتهاء الحرب

عين وكيلا سياسيا في البحرين وظل هناك الى أن أعيد سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م للعراق ضابطا سياسيا لمنطقة الفرات الاوسط ، ثم نقل الى الهند سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م ، وأعيد منها سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م وكيلا سياسيا في الكويت ، واستمر في هذا المنصب الى أن تقاعد سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، وفضل الإقامة في الكويت حتى توفي ودفن هناك حسب وصيته .

وقد تجمع لديكسون نتيجة هذه الخدمة الطويلة في المجتمعات العربية المختلفة الكثير من الملاحظات والمشاهدات ، جمعها في كتابين ، سمي الأول منهما *The Arab of the Desert* وخصص أغلبه للحديث عن العادات والتقاليد وأساليب العيش السائدة بين القبائل العربية التي أحثك بها وعرفها عن قرب وخاصة قبائل البادية . وسمى كتابه الثاني *Kuwait and her Neighbours* ، وخصصه لتناول بعض الأحداث التي وقعت في المناطق التي عمل فيها مثل جنوب العراق والكويت ، وفي المناطق المجاورة لها مثل نجد .

وقد تطرق ديكسون لأحداث فترة بحثنا في كتابه الثاني ، وركز على أوضاع قبائل المنتفق التي عاش بين ظهرانيتها وتولى إدارتها مدة طويلة . وتنقسم كتابته عنها قسمين ، يتصل أولهما بأحداث تاريخها خلال الفترة التي سبقت اتصاله بها . وهو يعتمد هنا على النقل عن غيره . ويبدو أنه استمد معلوماته مما ورد في تقارير رجال الاستخبارات البريطانيين التابعين لقيادة الحملة البريطانية الغازية للعراق ، والتي كان يقوم بتنسيقها أثناء عمله في القسم السياسي في البصرة قبل أن تتولى تلك العملية جبرترود بـلـ ولـ ذلك نجد تطابقا في معلوماته مع ما ورد في القسم الثاني من كتاب الدكتور الطاهر " العشائر العراقية " ، لانهما اعتمدا معا على مصدر واحد هو تلك التقارير الاستخبارية . والغريب أن بعض ما جاء في تلك التقارير من معلومات

أختلف اختلافا كبيرا مع ملجأ في تقرير الدبلوماسيين البريطانيين التي رفعوها لحكومتهم في حينه - ويدل ذلك على أن رجال الاستخبارات أخذوا معلوماتهم من افواه الرواة ، ولم يرجعوا الى تلك التقارير الدبلوماسية المحفوظة لمقارنتها وتمحيصها - ثم جاء ديكسون وسار على أثرهم دون أن يتلافى ذلك النقص.

أما القسم الثاني فيضم مشاهداته وتجارب الشخصية أثناء توليه لمهامه الادارية في سوق الشيوخ والناصرية. وقد أفرد فيه حيزا كبيرا لبيان كيفية تعامله مع القبائل ، حشد فيه الكثير من التفاصيل ، فأصبح كتابه بذلك مصدرا لمعلومات غنية لا يمكن العثور عليها بسهولة في المصادر الأخرى . ولكن يؤخذ عليه رغم ذلك ذكره لكثير من الحوادث دون أن يحدد زمن وقوعها . ثم أن القارئ يجد في كتابه ميلا واضحا لتضخيم الذات ، قد يجاوز أحيانا الحد المقبول الكامن في كل نفس بشرية.

ب - رواية السر أرنولد ولسن Sir Arnold T. Wilson :-

أختير ضابطا سياسيا ملحقا بالحملة البريطانية التي غزت العراق سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، وكانت معرفته للغة العربية أحد اسباب الاختيار. وعندما شكلت الادارة في المناطق المحتلة تحت رئاسة السربسي كوكس في البصرة أصبح ولسن نائبا له . ثم انفرد بالاشراف على ادارة المناطق المحتلة فسي ولاية البصرة بعد انتقال كوكس الى بغداد اثر احتلالها في جمادى الاولى ١٣٣٥هـ / مارس ١٩١٧م . ولم يلبث كوكس أن استدعى ولسن الى بغداد فسي اواخر السنة نفسها وعينه نائبا له . وبعد نقل كوكس الى طهران أنيطت مهامه في بغداد بالوكالة لولسن الذي ظل يتولاها حتى غادر العراق نهائيا سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م نتيجة لفشله في مواجهة الثورة العراقية الكبرى التي قامت ضد سلطات الاحتلال في السنة نفسها .

وقد ألف ولسن بعد ذلك كتابا من جزئين ضمنه تجاربه أثناء قيامه بأعماله تلك المهام الادارية في العراق ، واسمها " Loyalties , Mesopotamia 1914-1917, A Personal and Historical Records " وهو سجل دقيق حاول مؤلفه أن يتتبع فيه كل ما واجهته ادارة الاحتلال من مشاكل ، ولهذا خص ولسن الاحداث القبلية بنصيب كبير منه ، لانها كما قلت من اكثر المشاكل التي واجهت المحتلين حدة وتعقيدا . ولكنه نصيب خالطه رغبة واضحة في الحط من شأن القبائل والتقليل من دورها في الاحداث . ولا شك أن تلك الرغبة تعكس حقدا دفينا كان يعتل في نفس ولسن على تلك القبائل . وكان سبب ذلك الحقد الدور الكبير الذي قامت به القبائل في ثورة العشرين التي أدت الى سحب ولسن من منصبه الرفيع في العراق سحباً اقرب ما يكون الى الطرد . ويحسن القول هنا أنه ربما ألف كتابه ذاك من اجل الدفاع عن نفسه والنفصل من مسؤولية الأخطاء التي ارتكبتها سلطات الاحتلال تحت قيادته والتي أدت في النهاية الى أشغال نيران تلك الثورة العنيفة .

جـ - رواية سنت جون فلبى H. STJ. B. Philby :-

وصل فلبى الى العراق في محرم ١٣٣٤هـ / نوفمبر ١٩١٥ م . وكان سبب استدعائه هو الاعتناء به في ادارة بغداد بعد سقوطها المتوقع حينئذ . ولكن اخفاق الحملة البريطانية في زحفها على بغداد ، جعل سل ادارة الاحتلال تعين فلبى مساعداً لها لرئيس الضباط السياسيين في البصرة . ولم يطل مقامه في العراق بعدئذ ، فقد اختلف مع أرنولد ولسن نائب رئيس الضباط السياسيين ، فتم ابعاده عن العراق بأن أرسل في سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧ م في بعثة الى نجد للاتصال بالامير عبد العزيز آل سعود ، وارتبط منذ ذلك الحين بتلك البلاد .

وقد ألف قلبي كغيره من رجال ادارة الاحتلال سلسلة من الكتب من تجاربه العربية وخاصة في نجد . ولم يتطرق الى تجربته القصيرة فسي العراق الا في واحد من تلك الكتب وهو Arabian Days . ورغم أن ذلك الكتاب لم يفتش في الحديث عن المشكلة القبلية ، الا أن مؤلفه تطرق الى ما كان قد رآه اشارك فيه من أحداث ذات صلة بالوضع القبلي فأورد معلومات ذات قيمة كبيرة على قلتها . والملاحظ ان أسلوبه خلال ايراد تلك المعلومات كان أقل عداوة تجاه القبائل من أسلوب بعض زملائه البريطانيين ، ولعله التزم ذلك الموقف نكابة بولسن ومشايخه الذين ناصبتهم القبائل العداوة .

د - رواية السير جورج بوكانان Sir G. C. Buchanan :-

كان بوكانان يعمل رئيسا لمهندسي ميناء رانجون في بورما حتى سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م . وعند قيام الحرب العالمية الاولى وضع تحت تصرف حكومة الهند البريطانية . ولما احتلت القوات البريطانية ولاية البصرة ، واستعدت للزحف نحو بغداد عن طريق نهر دجلة ، ظهرت الحاجة الى تحسين الملاحة في ذلك النهر ، فانتدب بوكانان للقيام بالأشراف على تلك العملية ، حيث وصل البصرة في ربيع الاول ١٣٣٤هـ / يناير ١٩١٦م ، وظل يقوم بمهام عمله حتى غادر المبراق في شهر رجب ١٣٣٥هـ / مايو ١٩١٧م . وخلال تلك الفترة كان بوكانان دائم التنقل عبر أنهار العراق لمتابعة عمله . فأحتك بالقبائل المقيمة على ضفاف تلك الانهار ، وخبر بنفسه ما كانت تسببه للقوات البريطانية من متاعب جمّة - وبالإضافة لذلك كان بوكانان دائم الاتصال بحكم تنقله بالضباط السياسيين الذين يديرون المناطق القبلية ، ومقادة الوحدات العسكرية الزاحفة نحو بغداد ، فكان أولئك وهو لا يبتونه همومهم ، ويطلعونه على المشاكل التي يواجهونها من القبائل . وقد جمع

بوكانان كل ذلك في كتاب اسمه " The Tragedy of Mesopotamia " فأورد نماذج مشرفة للمقاومة القبلية ضد قوات الغزو، أبرزت شجاعة أفراد القبائل وبسالتهم . وذلك عكس مانجده في أغلب الروايات البريطانية المعاصرة من تقليل لشأن تلك المقاومة أو تجاهل لها .

ج - زواية المسجيرتروديل Miss G. Bell :-

كانت المسيريل تعمل في مطلع هذا القرن الميلادى في المكتب المصرى التابع لدائرة الاستخبارات البريطانية في القاهرة، ومن هناك قامت بجولات واسعة في بلاد الشام وشمال شبه الجزيرة العربية والعراق تحت شعار السياحة والبحث عن الآثار . وبعد قيام الحرب العالمية الاولى واحتلال القوات البريطانية للبصرة، التحقت المسيريل بقيادة تلك القوات سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م . ومن يومها أصبحت من أنشط معاوني السبرسي كوكس رئيس الضباط السياسيين المرافقين للحملة . واختصت بمهمة القيام بالاتصال مع شيوخ القبائل، واستلام التقارير عن شئون تلك القبائل من رجال الاستخبارات المنبئين في ديارها، فتقوم بتنسيقها ، وتستخرج منها ما يهم القيادة العسكرية أو السلطات الادارية . وبعد احتلال بغداد انتقلت المسيريل اليها مع السركوكس ، وظلت تمارس عملها " سكرتيرة شرقية " له ولمن خلفه حتى وفاتها في محرم ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م ،

ومن الموصف أن المسيريل لم تكتب كتيبة زملائها كتابا منفردا عن تجربتها في العراق أو لم يميلها العمر لتقوم بذلك . ولكنها كتبت بدلا من ذلك الكثير من الرسائل التي وجهتها لذويها واصدقائها في بريطانيا وضمتها الكثير من التعليقات والمعلومات عن الوضع في العراق . وقد ترجم الاستاذ جعفر الخياط تلك الرسائل ونشرها في كتاب اسمه " فصول من تاريخ العراق القريب " . ورغم أن تلك الرسائل تلقي الضوء من موقع المعرفة الدقيقة على كثير من الحوادث القبلية، الا أن القليل منها فقط يتصل بموضوع البحث اتصالا مباشرا .

ثانيا - المراجع المهمة

لابد لكل بحث تاريخي من الاعتماد - إضافة للمصادر - على مجموعة مساعدة من المؤلفات والبحوث والدراسات ، اصطلح على تسميتها بالمراجع ، والسمة الأساسية التي تميزها عن المصادر عادة هي كونها وضعت في فترة زمنية تالية لفترة البحث . وضرورة الرجوع لتلك المراجع تتضح من الاقرار بأن البحث التاريخي - كأي بحث علمي آخر - يكمل بعضه بعضا ، ويعتمد فيه اللاحقون على السابقين ، فاما أن يقرأوا لهم بصحة النتائج التي توصلوا اليها ، ويتخذونها أساسا يبنون عليه ، أو ينقضونها كلية ويضعون مكانها نتائج أخرى يرونها أقرب الى الصواب ، أو يعدلون بها من بعض الجوانب ويضيفون لها من جوانب أخرى ، وقد تكون مجرد قراءة المراجع قسرا مقارنة مدققة مجالا خصبا للاستنتاج والترجيح تقريبا للحقيقة قدر الامكان ولكل هذا فقد حرصت قدر طاقتي على استقصاء كل ما كتب من المراجع وتطرق للبحث من قريب أو بعيد ، ولقد تفاوتت تلك المراجع في أهمية ما قدمته للبحث ، ويحسن قبل أن أبين أهمية بعضها أن أقسمها قسمين :-

أ - المراجع العربية

وقد توفرت لي منها مجموعة تختلف في أهميتها ومدى صلاحيتها بموضوعنا ، ومن أهمها :

١ - مؤلف عباس الخزاعي :

مقام عراقي ، استهوته كتابة التاريخ ، وشغف بتتبع أنساب العشائر العراقية ، حتى أصبح نسابه العراقي . وقد وضع مؤلفين ، أولهما هو " تاريخ العراق بين احتلالين " ، ويقع في ثمانية اجزاء ، ما يهيم البحث منها بدرجسة مباشرة هو الجزء الأخير الذي يتناول أحداث الفترة الواقعة بين سنتي

١٢٨٩ - ١٣٣٥هـ / ١٨٧٢ - ١٩١٧م . ويتبع العزاوى في تاريخه طريقة ذكر الحوالب مرتبة حسب تتابعها الزمني ، فيسهب أحيانا ويختصراً اختصاراً شديداً في أحيان أخرى ، حتى لتجى " حوادث سنة كاملة في نصف صفحة فقط . ويتحكم في أسهابه واختصاره بلا ريب ما يتوفر له من أخبار . ومصدراه الاساسيان اللذان تكرر ذكرهما كثيراً هما جريدة " الجوائب " التي كانت تصدر في استانبول ، وجريدة " الزوراء " الناطقة باسم ولاية بغداد - ولكن قيام حركة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، وصدر عدد كبير من الصحف في بغداد زاداً من مصادره التي يعتمد عليها . ولا يكفي العزاوى بمجرد ذكر اخبار تلك الصحف ، ولكنه يعلق على تلك الاخبار تعليقات مهمة ، ربما كانت فائدتها للباحث اكثر من الاخبار نفسها . وتستمد تعليقاته أهميتها من كونه قريب الصلة زمنيا من الاحداث حتى ليكاد يكون من معاصريها ، اضافة الى انه التقى بالثاكد بمن معاصرها - وقد اهتم العزاوى في كتابه اهتماما كبيرا بذكر سني وفيات العلماء والادباء والاعيان ، الامر الذي لا يخلو من فائدة كبيرة للباحث تساعده في اثبات بعض الحقائق .

أما كتابه الثاني فهو " عشائر العراق " ، ويقع في أربعة أجزاء . واعتقد أن هذا الكتاب اكثر أهمية من كتابه الاول ، لانه اعتمد فيه على بحوثه الشخصية وما أخذه من افواه الرواة المطلعين . وهو يختص بأنساب العشائر العراقية فيعطى موجزا لنسب كل عشيرة ، ويحدد فروعها وافخاذها ، ويحدد شيوخها وروؤساءها ، وقد يورد في بعض الأحيان معلومات تاريخية عما وقع لتلك العشيرة من الاحداث . وبناءً على ذلك كله ، فإن اى باحث يتطرق لموضوع يتصل بالقبائل العراقية لا يمكن له أن يستغنى عن معاودة النظر في هذا المرجع المهم . وتحسن الاشارة هنا الى أن العزاوى في كتابه هذا يكتب بأسلوب يغمض أحيانا على القارى ، وخاصة حين تكون كتابته تعليقاتاً لاخباراً .

٤ - مؤلف حسين خلف الشيخ خزعل :-

هو أحد أحفاد الشيخ خزعل بن جابر العردلو حاكم عربستان السابق . وقد وضع مؤلفا من خمسة أجزاء عن تاريخ موطنه الجديد الكويت اسماء تاريخ الكويت السياسي ، ضمنه الكثير من الوثائق المحلية، مثل المراسلات التي جرت بين جده الشيخ خزعل وحكام الكويت من جهة، وبين أولئك الحكام والسلطات البريطانية والقوى السياسية المحلية المجاورة من جهة أخرى . وبالإضافة الى ذلك تناول خزعل في مؤلفه بعض الاحداث التي جرت في المناطق المجاورة للكويت مثل نجد والبصرة . وما يتعلق بموضوعنا من ذلك الكتاب هو جزؤه الثاني الذي وردت فيه بعض أخبار حوادث قبائل المنتفق . وقد كانت المصادر التي أمدت خزعل بتلك الاخبار - حسب ثبت المراجع الذي وضعه في آخر كتابه هي الجرائد والمجلات التي كانت تصدر في بغداد وبعض الكتب المؤلفة الاخرى . ولكنه أورد أخبارا لم أجدها في مصادر تلك ما يشير الى أنه اعتمد على بعض الروايات الشفهية أيضا . ويبدو أنه كان خلال ذلك كله لا يحرص على تمحيص الروايات قبل ادخالها في كتابه مما أوقعه في بعض الأخطاء .

٥ - رسالة محمد احمد محمود :-

أعد الباحث المذكور رسالة ماجستير عنوانها "أحوال العشائر العربية وعلاقتها بالحكومة ، ١٨٧٢ - ١٩١٨ م" . وكنت أوّل من أجدها في تلك الرسالة العلمية أضافات جديدة لما أوردته المراجع السابقة . ولكن الفصلين الأخيرين من تلك الرسالة - وهما اللذان يمسان موضوع البحث - لم يحققا ما توقعت ، الا في حالات نادرة أثبتتها في مواضعها من هذا البحث . وفيما عدا ذلك ، فقد جاءت الرسالة تراكما كميّا لمعلومات رددتها المراجع الأخرى والصحف الصادرة حينئذ . ولعل طول الفترة الزمنية التي تناولتها الرسالة

٢ - مؤلف عبد الكريم الندواني :-

هناك ظاهرة ملفته للنظر في تاريخ ولاية البصرة خلال الفترة التي نحن بصدد ها ، وهي أن الوثائق الاجنبية كانت مهتمة اهتماما بارزا بأحداث لواء العمارة ، حتى أنها تكاد تستقصى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالاضطرابات التي تقع بين قبائل ذلك اللواء ، في حين أنها لا تولي قبائل لواء المنتفق الدرجة نفسها من الاهتمام . واعتقد أن السبب عائد الى أن الطريق الذي تمر عبره التجارة الاجنبية في طريقها بين بغداد والبصرة هو نهر دجلة الذي تقسم قبائل العمارة على ضفتيه وتتحكم في مرور السفن عبره . ومقابل هذا ندر الاهتمام بأحداث لواء العمارة في المراجع المحلية ، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب الذي وضعه الندواني تحت عنوان " تاريخ العمارة وعشائرها " ، فهو يحوى وجهة نظر محلية ، جمعها أحد أبناء اللواء من افواه رواة القبائل ، ولعل هذا مرد ما يلاحظ عليه من هنات مثل المبالغات غير المنطقية ، وعدم دقة بعض التواريخ ، وتداخل بعض الاحداث ، اضافة لعدم استقصاء الكتاب لكل الحوادث القبلية التي مرت على لواء العمارة او اظهرها على الاقل كما يوحي بذلك عنوانه .

٣ - بحث الدكتور عبد الله فياض :-

أعد الدكتور فياض بحثا مهما عن ثورة العشرين اسماء* الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ . وقد وطأ لمحة مقدمة قيمة تناولت الاوضاع التي عاشتها القبائل العراقية منذ اوائل القرن الميلادي الحالي وحتى قيام تلك الثورة . ومن تلك المقدمة الزاخرة خست قبائل المنتفق بنصيب وافر ، وردت فيه بعض المعلومات التفصيلية الجديدة . وقد استمد المؤلف تلك المعلومات من الروايات الشفهية المتداولة بين القبائل ، واعانه على ذلك كونه ابنا لتلك المنطقة وعارفا تماما بقبائلها .

وشمولها كل مشاعر العراق العربية يشفعان للباحث ، ويفسران ما حدث .

وبالإضافة الى المراجع المذكورة اعلاه هنالك مراجع أخرى مهمة تستحق التنويه . ولكني لم أفرد لها حيزاً مستقلاً هنا . إذ أن بعضها تختص بالفترة السابقة لهذا البحث مثل مؤلفات الدكتور عبد العزيز سليمان نوار . وبعضها الآخر مؤلفات حديثة منشورة ، يستطيع من أراد أن يعود إليها في مطالعها ، ومنها الدراسة السياسية التي أعدها الدكتور وميض جمال عمر نظمي وجماعة من زملائه تحت عنوان " التطور السياسي المعاصر في العراق " ومنها أيضاً الوثائق البريطانية التي ترجمها الدكتور مكي شبيكه ونشرها بنصوصها بعد حذف أرقامها وعناوينها في جزئين تحت عنوان " العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى " . ومنها كذلك الدراسة العسكرية الجيدة التي أعدها العميد شكرى محمود نديم عن الغزو البريطاني للعراق ونشرها تحت عنوان " حرب العراق ، ١٩١٤ - ١٩١٨ م " . ومنها أخيراً المحاضرات التي ألقاها الدكتور عبد الرحمن الهزاز على طلبة معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة ونشرها في كتاب أسماه " العراق من الاحتلال حتى الاستقلال " وهو مرجع عام جيد لمن أراد أن يطلع على أهم ملامح التاريخ العراقي في الفترة الواقعة بين سنتي ١٢٣٢ - ١٣٥١ هـ / ١٩١٤ - ١٩٣٢ م .

ب - المراجع البريطانية :

وبجانب المراجع العربية التي مر ذكرها ، فقد استعنت بمجموعة

أخرى من المراجع البريطانية ، من أهمها :-

١ - مؤلفات جون باغوت غلوب J. B. Glubb :-

وصل غلوب للعراق سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م ليحمل ضابطاً في قوات

الاحتلال العسكرية في الرمادي غرب العراق . ولم يلبث أن نقل الى لواء

المنتفق سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م ، ليعمل ضابطا لاستخبارات القوة الجوية البريطانية لمتابعة تحركات " الاخوان " النجديين حول الحدود العراقية . وقد تغلغل من اجل أداء مهمته بين قبائل البادية ، وظل مقيما في المنطقة الجنوبية . من العراق حتى سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م . فأعانه ذلك على فهم العقلية القبلية وتشرب تقاليد وعادات القبائل ، حتى استعرب أو " تبدى " بمعنى أدق . وسيرة حياته بعد انتقاله للاردن معروفة .

وقد وضع غلوب عددا من المؤلفات عن تجربته العربية ، تطرق في اثنين منها للفترة التي قضاها في العراق وهما : " War in the Desert " و " Arabian Adventures " . والحق أن ماورد في كتابيه هذين من ملاحظات عن أحداث فترة البحث تبدو أكثر عمقا مما كتبه كل البريطانيين المعاصرين الذين مر ذكرهم . ولعل هذا كان نتيجة لـ " تربيته " وفيه لدقائق الحياة اليومية القبلية . وعلى أن توضح رواياته في مصاف المصادر المعاصرة ، رغم انه لا ينطبق عليها بالمعنى الحرفي للمصدر المعاصر من الناحية الزمنية ، اذ أن احتكاك غلوب بقبائل المنتفق وقبائل البادية جاء بعد فترة البحث بأربع سنين . وقد كانت مصادر غلوب في كتابيه المذكورين هي ملاحظاته الشخصية وما أخذه من أفواه رجال القبائل . ويبدو انه رجع أيضا الى تقارير رجال الاستخبارات البريطانيين الذي رافقوا الحملة البريطانية عند احتلالها للعراق ، اذ وجدت معلوماته تتطابق أحيانا مع ماجاء في القسم الثاني من كتاب الدكتور عبد الجليل الطاهر ، ومع ماجاء في الكتابين اللذين وضعهما ديكسون .

٢ - بحث ستيوارت كوهين S.A. Cohen :-

أعد المذكور بحثا عميقا عنوانه "British Policy in Mesopotamia, 1903-1914."

ويتمحور ذلك البحث حول موقف بريطانيا في العراق أثناء الصراع الدبلوماسي

الذى نشب بينها من ناحية وبين ألمانيا والدولة العثمانية من ناحية أخرى حول مشروع سكة حديد برلين - بغداد - ورفض أن ذلك الصراع بعيد الصلة عن موضوع هذا البحث إلا أن الباحث المذكور حرص على تعميق بحثه وأثراته، فطرق لبعض الموثرات المحلية التي ساهمت في صوغ السياسة البريطانية أثناء ذلك الصراع ومن أهم تلك الموثرات بلاريب الاوضاع الداخلية التي كانت سائدة في ولايات العراق الثلاث. ولذلك حوى البحث المذكور معلومات مفيدة عن نظرة السلطات البريطانية للأحداث القبلية في ولاية البصرة، كما حوى حصرا للمصالح البريطانية في العراق وتطورها خلال تلك الفترة. وقد اعتمد الباحث عند حصوله على معلوماته اعتمادا رئيسا على الوثائق البريطانية الحكومية وعلى ما كتبه بعض رجال المال والرحالة والصحفيون.

٣ - مؤلف باركر A. J. Barker - !

ألف المذكور كتابا عن الحملة البريطانية على العراق خلال الحرب العالمية الأولى اسمها "The Neglected War, Mesopotamia 1914-1918"، تتبع فيه المراحل التي مرت فيها تلك الحملة، وبين ما واجهته من مقاومة خلال زحفها نحو الشمال. ولقد أبرز الكتاب الدور الذي قامت به قبائل ولاية البصرة خلال تلك المقاومة. وبالرغم مما شاب لهجة ذلك الكتاب من تحامل واضح ضد القبائل بسبب ما كبدته للقوات البريطانية من خسائر في الأرواح والأموال إلا أنه يعد أكثر أنصافا لتلك القبائل من بقية المؤلفات البريطانية.

واضافة لتلك المراجع، يجب التنويه هنا بمؤلف مهم لا فني عنده لمن يبحث في تاريخ الخليج العربي والمناطق المحيطة به، الا وهو الكتاب الضخم الذى أعده لوريمر J.G. Lorimer تحت عنوان "Gazetter of the Persian Gulf" وتتمت ترجمته في ديوان حاكم قطر تحت عنوان "دليل

الخليج" ، وهو يتكون من قسمين : قسم تاريخي وقسم جغرافي . يقع كسل منهما في سبعة أجزاء . وتأتي أهمية هذا الدليل من شخصية مؤلفه ، فهو أحد رجال الإدارة البريطانية لمدة طويلة ، تنقل خلالها بين مختلف المناصب ومنها منصب القنصل العام والمقيم السياسي في بغداد ، الذي تولاه عدة سنوات خلال فترة البحث . ونتيجة لهذه الخبرة الطويلة فقد أوكل له رسمياً إعداد دليل خاص باستعمال الجهات الرسمية ، فأعد المؤلف هذا الدليل الضخم مستمداً مادته بدرجة رئيسة من الوثائق الرسمية الموضوعه تحت تصرفه . يردم أن الفترة التي يتناولها الدليل تنتهي قبل فترة البحث ، إلا أن بسبب حوى من المعلومات القيمة الوفيرة ماساعدنى على تكوين فكرة واضحة عن الأوضاع السائدة في البصرة قبل فترة بحثنا ، ومن المراجع التي يحسن التنويه بها هنا أيضاً ماكتبه ستيفن هسلي لونغريك S.H. Longrigg في كتابه " Iraq, 1900 - 1950 " . فعلى الرغم من أن الاختصار هو السمة الغالبة على ذلك الكتاب وخاصة فيما يتعلق بموضوع البحث إلا أن ماحواه من معلومات وتطبيقات على قلتها كانت مفيدة لحذ كبير ، سيما وأن لونغريك عمل فترة طويلة في العراق ، فتعرف جيداً على أحواله من الداخل .

ثالثاً - الصحف والمجلات المعاصرة :-

صدرت في العراق بعد قيام حركة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م مجموعة من الصحف والمجلات مستفيدة من جو الحرية النسبية التي أتاحت لها . وقد فقدت أغلب أعداد بعض تلك الصحف ، ولكن بعضها الآخر حفظ بصورة تكاد تكون كاملة . ولقد اهتمت أغلب تلك الصحف اهتماماً كبيراً بمتابعة أخبار الأحداث القبلية في العراق ، وفي جعلتها أحداث فترة البحث ، لأن تلك الأحداث كانت هي الشغل الشاغل للحكومة والناس في حينه . وبالرغم من الكم الكبير المتوفر من تلك الأخبار الصحفية إلا أنى تحفظت تجاهها تحفظاً شديداً ، نظراً للطبيعة

الخاصة التي تعد منها للصحف عادة أخبارها ، وخاصة في تلك الفترة الممكورة
التي كانت فيها المواصلات صعبة ، ولم تعتمد الصحف خلالها أسلوب إرسال
مندوبين معتمدين لموافاتها بالأخبار الدقيقة كما تفعل صحف هذا الزمان .
ولهذا لم أستعن بتلك الأخبار الصحفية إلا في أضيق مجال ، وفي حالات
محددة فقط ، مثل اقتباس تعليق صحفي على حدث ما باعتبار ذلك التعليق
مؤشرا يفيد في التعرف على موقف قطاع معين من الرأي العام ، أو حين تشترك
عدة صحف في إيراد خبر لا مجال فيه للمبالغة والاختلاق مثل وصول شخص
أو مفادته أو موته ، أو عند ما يوثق مصدر آخر خبرا أوردته الصحيفة .

وتتميز عن تلك الصحف الخاصة صحيفتان ترقيان إلى مصاف
الوثائق الرسمية المنشورة ، وهما الصحيفتان اللتان أصدرتهما سلطات الاحتلال
البريطاني في العراق ، إذ أصدرت تلك السلطات جريدة في البصرة تحت اسم
" الاوقات " ، وجريدة في بغداد تحت اسم " العرب " . وقد درجت كل منهما
على نشر الاوامر والقرارات التي تصدر عن سلطات الاحتلال ، إضافة إلى
التعليقات التي حكمت وجهات نظر تلك السلطات ، ويمكن استبصارها تين الصحيفتين
وثائق منشورة مثلما اشتهرت جريدة " الزوراء " رغم ان الأخيرة كانت تثبت على
صدر كل عدد من أعدادها عبارة تشير إلى انها جريدة رسمية ، في حين تعدت
سلطات الاحتلال افعال الإشارة إلى أن الصحيفتين المذكورتين تنطقان
باسمها ، ربما حرصا على عدم تنفير القراء منهما .

ويتصل بالصحف مجلة أصدرها في بغداد ، العلامة اللغوي الأب انستاس
ماري الكرمل تحت اسم " لغة العرب " . وهي مجلة علمية بمفهوم عصرها تعنى
بنشر البحوث اللغوية والتاريخية والاجتماعية . وقد أفردت تلك المجلة للاحداث
القبلية حيزا . من صفحاتها باهتمامها أبرز الأحداث الجارية في العراق

حينئذ . وقد اعتبرت تلك المجلة مرجعا مشوقا لطالعيها العلمي الرزين
 أولا ، ولأن كتابها في الشؤون القبلية كانوا من المختصين ، الثقة مشـ
 محمد باقر الشبيبي ويحيى سركيس وسليمان الدخيل وغيرهم .

مجلس
العلماء
بمكة
المدنية
المنورة

سياسة الدولة العثمانية تجاه القبائل العراقية قبل فترة البحث

للامسح تلك السياسة خلال الفترة بين ٩٤١ - ١٣٢٦هـ / ١٥٣٤ - ١٩٠٨ م :

حدد اللغويون العرب القبيلة بأنها جمع من الناس ينتمون لأب واحد ، وهي أصغر من الشعب ، وتليها في الصغر " العماراة " ثم " البطن " ثم " الفخذ " (١) ، أما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الا دنون (٢) ، ولكن القبيلة عند العراقيين المعاصرين تنقسم الى " عشائر " وهذه تنقسم بدورها الى " أفخاذ " يتألف كل فخذ منها من مجموعة " أسر " (٣) . وقد يستخدم تعبير " الفرع " او " الفرقة " أو " البطن " بدلا من تعبير " الفخذ " ، بينما تطلق كلمة " الحملة " على بيت الرئاسة في القبيلة أو البيت ذي المكانة الاجتماعية المتميزة . (٤)

ولقد كانت شبه الجزيرة العربية هي المصدر الذي يعد العراق منذ القدم بالقبائل ، اذ كانت لقبائلها صلات بالعراق منذ الالف الثالث قبل الميلاد (٥) وقد تطورت هذه الصلات مع مرور الزمن حتى أستقرت بعض تلك القبائل على تخومه ، بل وأصبح لبعض رؤسائها إقطاعات زراعية في المنطقة الجنوبية منه في الفترة التي سبقت بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم . (٦)

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، ١٩٥٦، المجلد الحادي عشر، ص ٥٤١.

(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، المجلد الرابع، ص ٥٧٤.

(٣) عبد الجليل الطاهر، البدو والعشائر في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٠.

(٤) عباس المزاي، عشائر العراق، بغداد، ١٩٥٦، ج ٤، ص ٢٦٣، وقد ترد تلك التقسيمات على الوجه التالي : (القبيلة فالعشيرة فالفرقة فالفخذ فالحمولة وأخيرا الاسرة).

راجع:- Harris, G.L., and others, Iraq, New Haven, 1958, P.68.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت، ١٩٦٨، ج ١، ص ٥٧٣ - ٦٠٦.

(٦) أكستر، م. ج.، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، بغداد، ١٩٧٦، ص ٥ - ٣٩.

غلما جاءت حركة الفتح الاسلامي بعد ذلك تدفقت على العراق جميع القبائل في شبه الجزيرة واستوطنت مصرية الجديدين الكوفة والبصرة وانتشرت منهما في اغلب ربوع فجهلتها عربية اللسان والتنظيم الاجتماعي (١).

ولم يتوقف سيل الهجرة القبلية بعد ذلك عن التدفق ، بل استمرت تدفد الى العراق بين آونة واخرى موجات يتلو بعضها بعضا ، خاصة فسي فترات الفوضى والحروب ، وحين تكون حكومة البلاد ضعيفة مهتلة (٢) . ولسي هذا استمرت قبائل شبه الجزيرة تتوافد على البلاد خلال القرنين الميلاديين الماضيين (٣) . بل ان آخر الهجرات الكبيرة جاءتها في اوائل المقد الرابع الهجري الماضي / اوائل المقد الثاني من هذا القرن الميلادي (٤) . ونتيجة لذلك كله اصبح الوجود القبلي في العراق كثيفا جدا ، ويمكن ان تقدر تلك الكثافة اذا عرفنا ان اكثر من ثلاثة ارباع سكانه كانوا في سنة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧م من القبائل المستوطنة او المرحلة . (٥)

وكان من الطبيعي ان تصل تلك الهجرات على شكل مجموعات بدوية متنقلة ثم تمر بفترة طويلة من التحول التدريجي الى حياة الاستقرار الزراعي (٦) ، وحتى بعد وصولها لتلك المرحلة تظل متمسكة بنظامها القبلي لان الممسسل

(١) راجع مثلا كشف القبائل التي استوطنت الكوفة في : حسين بن احمد البراق ،

تاريخ الكوفة ، النجف ، ١٩٦٠ ، ط ٢ ، ص ١٩٧ .

(٢) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٦٩ ،

ج ١ ، ص ١٧ .

(٣) عبدالمزيب سليمان نوار ، داو باشا والي بغداد ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٩٨ .

(٤) India Office Records, R/15/5/25, No. 2306, High Commissioner, Bagdad, to Political Agent, Kuwait, Sept. 16, 1921.

(٥) وميض نظمي واخرون ، التطور السياسي المعاصر في العراق ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ١٩ .

(٦) نوار ، مرجع مر ذكره ، ص ٩١ .

الزراعى يتطلب قدرا من التنظيم لم يكن من المتيسر وجوده حينئذ الا من خلال التنظيم القبلى ، (١) الذى يوفر لعضائه ايضا قدرا من الحماية والا من عجزت الحكومات المركزية المتعاقبة عن توفيره (٢) ، فأصبحت القبيلة نتيجة لذلك كله تنظيما اقتصاديا واجتماعيا يتكفل الافراد داخله ويحمضونه ولا هم ولا خلاصهم دون سواه (٣) . وذلك أمر طبيعي اذ أن المطلبين الاساسيين اللذين يتقدمان على كل ماعداها فى تفكير الانسان منذ وجد هما لثمة عيشه وأمنه . ووضعنا اياهما نصب أعيننا دائما سيسهل علينا فهم خلفية كثير من الاحداث التى ستمر بنا فيها بعد .

دخل السلطان العثمانى سليمان القانونى بغداد سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م وببداية تفهم الوضع القبلى السائد فى العراق اذ ترك لشيخ القبائل حكم ديارهم القبلية (٤) ، وما شجعه على اتخاذ تلك الخطوة ان القبائل - نتيجة لعوامل متعددة - لم تبد مقاومة لهذا الحكم الجديد (٥) ، بل قدمت له خضوعها رغم أن ذلك تأخر بعض الشيء فى اجزاء معينة من العراق (٦) ، ولا يسعنا هنا أن نتعمق فى تفاصيل احداث التطور الاول من اطوار الحكم العثمانى فى العراق ((٩٤١ - ١١٦٢ هـ / ١٥٣٤ - ١٧٤٩ م)) ، بل نكتفى

(١) د. ورنر ورنر ، الارض والفقر فى الشرق الاوسط ، ترجمة جعفر الخياط ، مقال منشور فى مجلة الزمامة العراقية ، بغداد ، المجلد الرابع ، ج ٣ ، تموز وآب وابلول ١٩٤٩ ، ص ٢٤٤ .

(٢) كارلتون كون ، القافلة ، ترجمة برهان دجانى ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٧٢ .

(٣) عبد الجليل الطاهر ، المشائر العراقية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٤) نوار ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢ .

(٥) نظامى واخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٣١ .

(٦) محمد بن خليفة النبهانى ، التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .

بالقول ان فترة الوطام التي سادت في بدايته كانت قصيرة ، ثار بعدها الخصام بين القبائل التي تكره بطبيعتها الخضوع لاية حكومة مهما كانت (١) ، والحكومة العثمانية التي كانت تريد مطوسة حكمها المباشر على رعاياها . وقد أدى هذا التناقض الى صدامات دموية بين الطرفين ، لم تستطع الحكومة خلالها فرض سلطتها واضطرت الى التسليم بالامر الواقع فتخلصت من المأزق عن طريق منح شيخ القبائل الصفة القانونية لادارة مناطقهم القبلية من خلال " نظام الالتزام (٢) " . وهو نظام تمسّد الدولة بموجبه - بعد اجراءات معينة - الى شخص فن ذوى النفوذ والثراء جباية الضرائب المقررة على الاراضي الزراعية في منطقة ما لعدة زمنية محددة . ويطلق على هذا الشخص اسم " الملتزم " كان عليه قبل ممارسة عمله أن يدفع مبلغا من المال يعادل مجموع ضرائب سنة واحدة مما هو مقرر على " دائرة التزامه " (٣) . وينال مقابل تلك الخدمة التي يؤديها للدولة ثمن واردات الارض الخراجيه (٤) ،

وقد أدى اعتماد ذلك الترتيب الى تقوية النظام القبلي فوق قوتـــــــــــــــــــــــــه السابقة (٥) ، حتى اصبحت أغلب مناطق العراق تحت السيطرة الفعلية لاتحادات قبلية وتحول النفوذ الحكومي خارج حدود المدن الى نفوذ أسمي

(١) عبدالرحمن البراز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط ٣ ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٣٩

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٨ .

(٣) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ج ١ ، ص ص ١٤٦ - ١٦٣ .

(٤) ليث الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز في العراق ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣٠ .

(٥) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٨

تقريباً (١) . وربما كانت العوامل الكامنة وراء تقبل الدولة لذلك الوضع هي شعور بعض الاوساط الحاكمة بأن الاراضي العراقية لا تمثل اغراضاً كبرى للدولة (٢) ، الا باعتبارها منطقة عازلة بينها ، وبين فارس (٣) ، اذ أن العراق بعيد عن مركز الدولة وتربطه به طرق رديئة (٤) . ولا يجب ان ننسى قبل ذلك كله انشغال الدولة بحروبها الاوروبية (٥) . وبذلك لم تتح لها فرصة للاهتمام الكافي بهذه البلاد - وهي هذا خلا هذا الطور الاول من اطور الحكم العثماني في العراق من أية محاولة ايجابية لمعالجة المشكلة القبلية باستثناء استحداث منصب " باب العرب " خلال ولاية حسن باشا " ١١١٦ - ١١٣٥ هـ / ١٧٠٤ - ١٧٢٣ م " ، وكان يناط عادة بأحد الوجهاء العرب ليكون صلة بين الوالي وبين القبائل العربية (٦)

جاء بعد ذلك حكم المالكي في العراق " ١١٦٢ - ١٢٤٢ هـ / ١٧٤٩ - ١٨٣١ م " فتمتع في اوله بقوة ظاهرة تجاه القبائل ، ولكنه أخذ يضعف تدريجياً حتى أصبح شغله هواخداد الثورات القبلية المتواصلة (٨) ، التي كان سببها الاساسي هو اصرار الحكم على استيفاء الضرائب (٩) ، في مجتمع يمتنع كل من فيه (١) مهدي الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ط٢، بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٥.

(٢) Cohen, S., British Policy in Mesopotamia, 1903-1914, London, 1967, P. 12.

(٣) نظمي وآخرون ، مرجع مذكور ، ص ٩

(٤) فياض ، مرجع مذكور ، ص ٤٥

(٥) Glubb, J.B., Arabian Adventures, London, 1978, p.34.

(٦) عباس الحزاني ، تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد : ١٩٥٥ ، ج ٨ ، ص ٢٨٤

(٧) نوار ، مرجع مذكور ، ص ٩٥

(٨) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٨

(٩) الطاهر ، البدو والعشائر ، ص ٣٧

عن دفعها اذا وافته الفرصة، يدفعهم لذلك ثقل الضرائب المفروضة عليهم ،
 فرغم أن اسم الضريبة على الانتاج الزراعى هو " العشر " الا انها ترتفع حتى
 حتى تصل الخمس بالنسبة للأراضى الحسنة الاروا^(٢) ، وقد تتعدى ذلك
 حتى تقاسم الدولة الزراع انتاجهم مناصفة وربما أخذت الثلثين أحيانا ، وهى
 لا تكفى بذلك كله ، بل انها كلما رأت نقصا فى الواردات عوضته عن طريق
 زيادة تخمين مقادير الحاصلات^(٣) ، وهو الاجزاء الذى يتم اللجوء له أحيانا
 لتعيين مبلغ الضريبة الزراعية ، وكان يلجأ فى احيان أخرى الى احصائها
 الاشجار ووسائل الري وفلاحى المقاطعة لتقدير تلك الضريبة ، او يتم التقدير
 على اساس المساومة على مبالغ مقطوعة ، وفى كل تلك الاحيان يتم الاعتماد على
 موظفين ليسوا فوق مستوى الشبهات فى الاغلب^(٤) . وازافة الى الضريبة
 الزراعية كانت الدولة تتقاضى من القبائل ضرائب أخرى منها ضريبة " البيئية "
 التى يستوفى بموجبها خطرون قرشا ذهبيا^(٥) سنويا عن كل بيت أو كسوخ
 تسكنه أسرة واحدة ويتضاعف ذلك المبلغ حين يسكن البيت باسرتين اثنتين .
 كما تستوفى ضريبة على الفواشى مقدارها نصف مجيدى فى السنة عن كل رأس^(٦)
 من الجمال والخيول والبقر والجاموس واثنا عشر قرشا عن كل رأس من الغنم

GLUBB, op.cit., P. 36

(١)

(٢) لوريمر، ج. ج. ، دليل الخليج ، القسم الجغرافى ، ترجمة ديوان حاكم
 قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٢٥ .

(٣) العزاوى ، مرجع مر ذكره ، ج ٨ ، ص ٢٤٩ .

(٤) لونغريك ، س . ه . ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة
 جعفر الخياط ، ط ٥ ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٣٨٥ .

(٥) يعادل القرش واحد بالمائة من الليرة الذهبية العثمانية ، راجع : يعقوب
 سرکيس ، صا حث عراقية ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٦) المجيدى علة ذهبية تعادل عشرين قرشا ، راجع : حامد البازى ،
 البصرة فى الفترة المظلمة ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٦٨ .

أو المعاز أو الحمير. (١)

وازاء تلك الاضطرابات القبلية المستمرة لجأ المالِك الى اتباع اسلوب الاستعانة ببعض القبائل لضرب قبائل أخرى وتأجيج الصراعات الداخلية بين الشيوخ المتنافسين ضمن كل قبيلة (٢). كما أن الرعاه المالِك المتصارعين فيما بينهم على الحكم لجأوا ايضا للاستعانة بالقوة القبلية ضد بعضهم البعض الامر الذى اعطى للقبائل في هذا الدور أهمية سياسية متزايدة بلغت اوجها بدخول الشيخ حمود الثامر السعدون زعيم المنتفق بغداد على رأس قواته سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م (٣). كما زاد من أهمية القبائل في هذه الفترة ايضا حاجة المالِك للاستعانة بها في صد الاخطار الخارجية المدققة بالعراق مثل الخطر الفارسي بين سنتي ١١٩٠ - ١١٩٣هـ / ١٧٧٦ - ١٧٧٩م، ونشاط الامارة السعودية الفتية اوائل القرن الثالث عشر الهجرى / واخر القرن الثامن عشر الميلادى (٤). وقد لجأت القبائل في هذه الفترة ايضا الى عقد محالفات عامة فيما بينها لتحقيق غايات محددة مما زاد في قوة موقفها تجاه المالِك (٥).

انتهى حكم المالِك في العراق في ربيع الاخر ١٢٤٧هـ / سبتمبر

(١) لويس، مرجع مر ذكره، ج ٣، ص ١٣٢٤

(٢) نوار، مرجع مر ذكره، ص ص ١٠٠ - ١١٢

(٣) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

(٤) الطاهر، العشائر العراقية، ص ص ٧٠ - ٧٢.

(٥) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٤٦٨.

١٨٣١م حين دخل الجيش العثماني بغداد بقيادة علي رضا باشا اللاز . وقد اتبع الباشا الجديد خلال حكمه منهجا جديدا في التعامل مع القبائل هو ابتعاد القوات الحكومية عن الصدام المباشر معها عن طريق اتاحة الفرصة لشيوخها المتنافسين لتصفية خلافاتهم فيما بينهم فاذا ماسقط في الصراع احدهم استبدله بآخر موال للدولة (٢) . وقد سار خلفاؤه على نفس المنهج في التعامل مع القبائل العربية في وسط وجنوب العراق في الوقت الذي كرسوا فيه جهودهم للقضاء على الامارات الكردية شبه المستقلة في المنطقة الشمالية من العراق (٣) ، اذ لم يكن يوسعهم فرض الحكم المباشر على القبائل العربية والكردية في آن واحد (٤) .

وفي الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري / منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بدأ في الدولة العثمانية عهد جديد ، اذ سيطرت على اذهان قادتها فكرة تحديث الدولة ، فأخذوا يبحثون ولاية بغداد على اتخاذ موقف فعال تجاه القبائل (٥) . ولكن تلك الفعالية لم تظهر الا على شكل عمليات حربية ضد القبائل المناوئة (٦) اضافة الى اتباع الوسائل غير المباشرة المعهودة من ضرب القبائل ببعضها وتاجيع نار الخصومات بين الشيوخ ، وفوق ذلك كله المبالاة في رفع بدلات التزام الاراضي (٧) ، حتى لقد زيد خراج

(١) الحزاوي ، مشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١١٣

(٢) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٣٦

(٣) الحزاوي ، مشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١١٣

(٤) نوار ، تاريخ العراق ، الحديث ، ص ١٧١

(٥) Glubb, op.cit., P. 39

(٦) فاضل حسين وآخرون ، تاريخ العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣

(٧) الحزاوي ، مشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٧

أراضي المنتفق مثلاً من مائتي ألف عامي^(١) سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م إلى ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م. هذه
ثلاثمائة وعشرة ألف عامي سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م^(٢). ويمكن تحليل هذه
المفارقة بحاجة الدولة العاتية إلى المال لتنفيذ مشاريع التحديث والإصلاح
التي اعتمدتها، أغلفة إلى الرضا في قصم ظهور الشيوخ الذين يتقدمون
لمزايدات الالتزام لأضعاف سيطرتهم على قبائلهم.

ورغم أن ذلك الميل للشدة مع القبائل لم يود إلى نتيجة حاسمة مما جعل
بعض الولايات يميلون للتساهل معها أحياناً^(٣)، إلا أنه ظل يشكل السمة الأساسية
لسياسة الدولة في هذه الفترة، حتى لقد حفلت السنوات الأولى من حكم
السلطان عبد العزيز " ١٢٧٨ - ١٢٩٣هـ / ١٨٦١ - ١٨٧٦م " بالعشكلات
القبلية الخطيرة الناتجة عن محاولات الحكومة بمواردها غير الكافية احكام
قبضتها على القبائل وسط سيطرتهم على مناطقهم بطرقها الحكم العثماني المباشر
من قبل^(٤). وكانت أبرز تلك المحاولات ماجرى في أيام الوالي ناصح باشا
" ١٢٧٩ - ١٢٨٥هـ / ١٨٦٣ - ١٨٦٨م " الذي سعى إلى تحويل المشيخة
القبلية في بعض المناطق إلى وظيفة أدارية ولكن سعى تعثر^(٥)، لا صطدام
بالتقاليد العربية في المشيخة التي تمتد جذورها إلى عصور موفلة فبسي
القدم^(٦).

(١) الشامي عطة عثمانية تعادل تسعة قروش وثلاثين باره أي ما يقل عن عشر
الليرة العثمانية - راجع : العزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ٣١.

(٢) Dickson, H.R.P., The Arab of the Desert, 3rd imp., London, 1959, P.554.

(٣) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٨٠.

(٤) لوريير، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٠٩٩.

(٥) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٣ - ٧٤.

(٦) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ١٨١.

وازاء فشل كل الاساليب السابقة في التعامل مع المشكلة القبلية، برز اسلوب جديد نادى به الوالى المصلح مدحت باشا^١ ١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٢ م، اذ أدرك أن المعالجات العنيفة على القموحدة لا تؤدى الى حل تلك المشكلة ، فأستقر رأيه على اتخاذ اجراءات ايجابية تهدف الى تحويل افراد القبائل الى مواطنين منتجين^(١) ، وذلك عن طريق تطوير نظام ملكية الاراضى الزراعية فى العراق . وهو النظام الذى مر قبل ذلك بعدة مراحل ، فبعد أن طبقت الدولة العثمانية اول الامر احكام الشريعة الاسلامية على اراضي الاراضى وخلصتها ان تظل رقبة الارض ملكاً للدولة بينما يحتفل شافلوها بحق الانتفاع والتصرف بها لقاء الخراج الذى يؤدونه ، عادت بتأثير نهضة العسكرية وحروبها المستمرة . فأستبدلت ذلك النظام بآخر قسمت بموجبية الاراضى الى اقطاعات وزمت على القادة والامراء لقاء تقديهم عدداً محدداً من الفرسان المسلحين عند الطلب^(٢) ، وقد طبق هذا النظام فى العراق جنباً الى جنب مع نظام الالتزام الذى أشرنا اليه والذى حاولت الدولة العثمانية انشاءه بقانون صدر سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٣٩ م ولكن تطبيقه لم ينجح^(٣) ، فنلست الحال على ما هو عليه الى ان صدر قانون الاراضى سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ م ، والذى قسمت اراضي الدولة بموجبية الى خمسة اصناف : مملوكة وموقوفة وأميرية ومتروكة وموات^(٤) فأصبحت نتيجة لذلك اغلب الاراضى القبلية فى العراق من الصنف الثالث، وهو الامر الذى واجهته القبائل بانكار شديد^(٥) ، فهي لا تقرباً أن أرضها ملك للدولة ولا حتى لشيخ القبيلة

(١) الطاهر ، البدو والعشائر ، ص ٣٧ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعى فى الوطن العربى ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٩ - ٢٤ .

(٣) الشناوى ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٤) محمد توفيق حسين ، نهاية الاقطاع فى العراق . بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ٩٥ .

(٥) نظفى وآخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٢١ .

نفسه (١) ، بل هي في نظرها ملكية مشتركة لجميع افرادها ، قد يخصص جزء منها للشيخ كي يصرف من عائداته على اغراض القبيلة المشتركة (٢) .

لقد أدرك مدحت باشا كل تلك التعقيدات ، فاقترح على الباب العالي ان يسمح له بفتح بعض ملكية الاراضي الاميرية في العراق للمزارعين بسندات الطابو فقبل اقتراحه (٣) . وبدأ تنفيذ المشروع الذي كان يهدف الى توطين القبائل شبه البدوية ، والقضاء على اصدات القبائل حول ملكية الاراضي ، وتوجيه ضربة للنظام القبلي من خلال الغاء الملكية الجماعية للارض واستبدالها بالملكية الفردية الصغيرة التي يصبح المزارع بموجبها مسئولاً أمام الحكومة مباشرة دون وساطة شيخ القبيلة (٤) . ولكن أغلب اولئك المزارعين من ابناء القبائل لم يقبلوا على الاستفادة من ذلك الترتيب نظراً للحاجز النفسي الذي يفصلهم عن الحكومة ، فقد اعتادوا على اعتبارها عدواً لهم فلا يمسكسل - بنظرهم - أن تقدم على اجراء يستهدف منفعتهم (٥) . ثم ان حق تملك الارض مستمد في عرفهم من السيطرة عليها بحد السيف ولا معنى لملكيتها

(١) محمد علي قطان ، دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر ، القاهرة ،

١٩٧٩ ، ص ٩٤ .

(٢) Haider, Saleh, Land Problems of Iraq, in "The Economic History of Middle East", edited by Issawi, Charles, Chicago, 1966, P. 163.

(٣) الطاهر ، البدو والمشائر ، ص ٣٨ - والطابو كلمة تركية مشتقة من الفعل

تاب - ماك وهو فعل العباد والبطاعة والخضوع الهلالي ، قصة الارض ،

ص ١٤١ - وذكر القنصل الاميركي في بغداد انها مشتقة من الكلمة

التركية tapook التي تعني الطاعة والاذعان ، راجع :

National Archives and Records Service, Washington Record Group 84, " How Taxes are collected from Land and other sources in Bagdad", Dec. 9, 1909.

(٤) نظمي وآخرون ، مرجع مذكور ، ص ٢٣

(٥) الوردى ، مرجع مذكور ، ج ٢ ، ص ٢٥٠

مستندة الى ورقة اسمها سند الطابو. (١) وعلى هذا فحين ظلت عملية التفويض من للاضطرابات القبلية في بعض المناطق الى حد كبير (٢) كان الامر عكس ذلك في اغلب المناطق التي استغل فيها الشيخ وبعض وجهاء المدن عزوف أفراد القبائل ف سجلوا أراضي واسعة باسمائهم (٣) ، متواطئين في بعض الحالات مع الموظفين المرتشين الذين أشرفوا على عملية التسجيل (٤) . وهكذا نال بعض الوجهاء حقوقاً قانونية لا يمكن القوة اللازمة لممارستها بالفعل ، في حين دمر الشيخ الذين تحولوا الى مالكين أفضل عناصر العلاقة التي تربطهم بأفراد قبائلهم (٥) ، اذ اتسع الصدام بين الطرفين وانتشرت الفوضى لدرجة لم يعد معها بالامكان اتمام عملية التفويض فأوقفتها الحكومة بعد أن تم تفويض خمس الأراضي العراقية فقط (٦) .

ولم تقتصر اعمال مدحت باشا في المراق على هذا الجانب فقط بل كانت له نشاطات واسعة في مجالات عدة ، ليس يهملنا هنا التعرف عليها كلها ، بل نكتفي بالاشارة الى مارواه البعض عن محاولة "تتريك" القبائل العراقية (٧) ، وهي رواية يكفي لدحضها مجرد تصور الصعاب العظيمة التي

Pool, D. From Eltie to class: The Transformation of (١)
Iraqi Political Leadership, in " The Integration of
Modern Iraq" , edited by Kelider, Abbas, London
1979, P. 78.

(٢) فاضل حسين ، مرجع مر ذكره ، ص ٤

(٣) Haider, op. cit. , pp. 163 - 64.

(٤) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٣٨ .

(٥) Longrigg, S.H., Iraq 1900 To 1950, 3rd impr., Beirut, (٥)
1968, p. 37.

(٦) ورنر ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٤٩ .

(٧) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٧٤ .

تكتنفها وتجعل تنفيذها ضرباً من المحال . ولكن ربما كان المقصود به —
 " التتريك " الذى ذكر هو محاولة " عثمانه " القبائل ، أى جعلها تخضع
 للأنظمة والقوانين العثمانية أسوة ببقية المواطنين فى الدولة ، وهى المحاولة
 التى وضعها مدحت باشا نصب عينيه طيلة أيام ولايته فى العراق (١) .

وبعد انقضاء ولاية مدحت باشا تلتها فترة كانت ابرز سماتها هى عدم
 الاستقرار الادارى يكفى للتدليل عليها القول ان عشرة ولايات تعاقبوا على ولاية
 بغداد خلال الفترة الواقعة بين سنتى ١٢٩٦ - ١٣٢٨هـ / ١٨٧٩ - ١٩١٠م
 بينما تعاقب على حكم ولاية البصرة خلالها سبعة عشر والياً (٢) وقد جعل
 ذلك من الصعب على أى منهم بلاشك مباشرة خطة جادة لمعالجة مشاكل
 ولايته وفى مقدمتها المشكلة القبلية المعقدة . وكانت السمة الثانية لتلك
 الفترة هى ظهور شخصية السلطان عبد الحميد " ١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦ -
 ١٩٠٩م " على كل ماعدا ما من شخصيات الدولة سوا فى العاصمة أو الولايات
 ويبدو أن المشكلة القبلية كانت تحتل حيزاً من اهتماماته فلمس ذلك من
 تأكيده فى فرمانات تعيين الولاة على ضرورة معالجة تلك المشكلة (٣) ، كما
 لمس ذلك أيضاً فى تعليقات جريدة ولاية بغداد الرسمية التى كانت تكرر
 القول عن اهتمام السلطان بأمر القبائل (٤)

ولكن لا يبدو ان ذلك الاهتمام تجسد فى وضع خطة ما لمعالجة تلك
 المشكلة معالجة جذرية ، فالاجراء الوحيد ذو الطابع الايجابى الذى أوسر
 السلطان عبد الحميد باتخاذها هو قراره فتح مدرسة فى استانبول توضع تحت

(١) Glubb, op.cit. p. 40.

(٢) نظمى ، وآخرون ، مرجع مر ذكره ص ٩

(٣) العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٣٧ و ص ٤٣ .

(٤) الزوراء ، الجريدة الرسمية لولاية بغداد ، السنة ٣٢ ، العدد ١٨٦٨ ،

الصادر فى ١٧ صفر ١٣١٨ .

أشرافه الشخصي ويتم اختيار تلاميذها من بين أبناء القبائل في الولايات العربية المختلفة حيث يتلقون تعليمهم فيها على نفقة الدولة، وتقرر أن تفتتح تلك المدرسة التي سميت "مكتب العشيرة" في ١٢ ربيع الأول ١٣١٠ هـ. (١) وقد سافر بالفعل إلى استانبول عدد من أبناء شيخ القبائل العراقية للالتحاق بتلك المدرسة (٢). ولعل الهدف الذي قصده السلطان من ذلك الإجراء هو تربية أولئك الفتيان على الولاء وال إخلاص للدولة أملا في أن يتولوا زعامة قبائلهم يوما ما، أو ربما أراد أن يكون الأبناء من خلال وجودهم في استانبول وسيلة لضمان حسن سلوك الآباء، ويشير البعض إلى أن تلك المحاولة هدفت إلى "عثنة" أبناء الشيوخ من خلال تربيتهم على الذوق العثماني وهي محاولة كان نصيبها الفشل إلا في حالات قليلة جدا. (٣)

وفيما عدا ذلك عجزت الدولة في هذه الفترة عن تقديم حل ناجح لاهم أسباب المشكلة القبلية في العراق، فقد ظلت ملكية الأرض محسورة للصدام ولم ينفذ القانونان اللذان أصدرتهما الدولة في عامي ١٢٩٦ هـ / ١٨٨٠ م و ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م في إيجاد حل لها، بل بالعكس فأنهما كرسا الأمر الواقع فأعتبروا أربعة أخماس الأراضي العراقية أراضي أميرية تعود للدولة ملكيتها "رقيتها" وحق الانتفاع بها "الثصرف"، بينما يكون شاغلو الأرض الفعليون مجرد مستأجرين يمكن للدولة طردهم في أي وقت كما يحق لها أن تطلب منهم أي إيجار تقرره (٤)، ومن جانب آخر كانت سلطات العهد الحميدي حريصة على جمع أكبر قدر من الضرائب

(١) الزوراء، السنة ٢٤، العدد ١٥١٦، الصادر في ٢١ ذي الحجة ١٣٠٩ هـ.

(٢) العزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ١١٩.

(٣) Pool, op.cit., p. 78.

(٤) Haider, op.cit., p. 164.

من السكان الباشيين في اقصر وقت ممكن ، وقد أدى ذلك الى تهرب القبائل وانتقالها من مكان لآخر بدلا من الاستقرار في أرض معينة وتوجيه جهودها لزراعتها . وحتى حين تستطيع احداها الاستقرار في أرض معينة لبعض الوقت فإنها سرعان ماتتهمك فيما بينها في صراعات سببها مكائد الباشوات (١) . ولم يكتف الباشوات بذلك بل كانوا عند بداية كل موسم من مواسم الجباية يجرون حملات حربية ضد القبائل لحملها على دفع ما هو مقرر عليها . ورغم ذلك فأنهم لا ينجحون اغلب الاحيان في الوصول الى تلك الغاية ، اذ لم يبلغ ما كانت الدولة تحصل عليه اكثر من واحد بالمائة من الضرائب المقررة على بعض المناطق (٢) .

وقد جرد القبائل على وقوفها في مواجهة الدولة في هذه الفترة شعورها بالانهك الذي أصاب قوى الدولة نتيجة حروبها في اوربا (٣) ، بحيث لم يعد لديها المزيد من القوات لتوجيهها نحو القبائل . فاستعاضت عن ذلك باللجوء الى الوسيلة المعهودة غير المباشرة وهي ضرب القبائل ببعضها البعض والشيوخ فيما بينهم (٤) مستعينة على ذلك بنزوع الشخصية القبلية العربية الى كره المنافسين كرها لاتحده حدود (٥) . وقد لاحظ القنصل الامريكى

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 329, American Consular Agent, Basra, to American Consul, Bagdad, May 13, 1910.

(٢) فياض ، مرجع مذكور ، ص ٤٦

(٣) لوريمر ، مرجع مذكور ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢١٩٦

(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٠ و ص ٢٧٢ .

(٥) Glubb, J.B., War in the Desert, London, 1960, P.72.

العام في بيروت تلك الظاهرة فكتب يقول :- " ان السلطات العثمانية لا تستطيع السيطرة على العراق شهرا واحدا اذا ما اتحدت القبائل العربية تحسنت قيادة رعيم واحد ، ولذلك لجأت الى المكائد لاحداث انشقاق ليس بين القبائل الكبيرة فقط بل ودخل فروع القبيلة الواحدة ونادرا ما كانت تفشل في تلك المكائد التي تدبرها من خلال مبعوثيها السريين المختارين بعناية ومن خلال الاشخاص غير الواعين من اننا القبائل نفسها " (١) - والغريب ان المذكرات المنسوبة الى السلطان عبد الحميد تشير لكثرة الحوادث القبلية في العراق وتنزوها الى الثغرات الموجودة في الادارة والى اهمال الموظفين (٢) ، دون ان يبادر السلطان الذي كان يجمع بيده كل السلطات الى اتخاذ اجراءات فعالة لسد تلك الثغرات واستئصال ذلك الاهمال .

أما وقد وصلنا لهذه المرحلة ونحرفنا بشكل سريع على ملامح السياسة العثمانية تجاه القبائل العراقية بشكل عام ، فيجدر بنا أن نلم المأساة مماثلة بخصوصية العلاقة بين قبائل ولاية البصرة والسلطات العثمانية قبل الفترة المحددة لبحثنا ، كي نتمكن من تتبع جذور القضايا التي سنتعامل معها فيما بعد . وأول ما يجب الوقوف عنده هو التعرف على الاطوار المكانية لبحثنا ، ألا وهو ولاية البصرة ، فقد اجمعت أغلب المراجع على أن " ناصر باشا السعدون " هو الذي سمى في فصلها عن ولاية بغداد ، وتشكيل ولاية مستقلة فيها ، انيطت له نفسه مقاليدها سنسبها

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 146, American Consul General, Beirut, to American Ambassador, Constantinople, Apr. 30, 1908.

(٢) السلطان عبد الحميد ، مذكراتي السياسية ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٢٩ ،

١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م. (١) وربما ساعده في مسعاة ذلك شعور السلطات العثمانية بأن لتلك المنطقة وضعها الخاص المتميز (٢) ، ولكن أمر هذه الولاية الجديدة لم يستقر اذا دمجت ثانية في ولاية بغداد سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م ثم أعيد لها استقلالها سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م (٣) ، ثم ما لبثت أن انبثت ولايتها وكالة لوالى بغداد (٤) ، الى ان أعيد لها استقلالها التام سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م (٥) واستقر الامر هكذا حتى قيام الحرب العالمية الاولى ودخول القوات البريطانية اليها كما سنعرف.

(١) ابن الخملاس ، ولاية البصرة وتسلموها ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٨٠ ، وأنظر أيضا : المزاولى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٧ وأيضاً الطاهر ، المشائر العراقية ، ص ٧٥ وأيضاً لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم التاريخى ، ج ٤ ، ص ٢١٣١ وقد اضاف ان ناصرا بذل من اجل تلك الفايضة سبعين الف جنيه من ماله الخاص . ولكن مؤلفى " تاريخ العسراق المعاصر ، ص ١١٥ ، انفردوا بالقول ان انفصال تلك الولاية تم أيام مدحت باشا ،

(٢) نوار ، داود باشا ، ص ١٦

(٣) ابن الخملاس ، مرجع مر ذكره ، ص ٨١

(٤) المزاولى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٧١ .

(٥) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخى ، ج ٤ ،

ص ٢٢٠٠ .

ويبدو ان الولاية شملت اول الامر الوية البصرة والمنتفق ونجد (١) ، ثم الحق بها لواء العمارة فيما بعد (٢) . وقد ذكر لوريمر ان الولاية تألفت عند تشكيلها من مديرية الفاو (٣) وقائمقامية القرنة (٤) ومتصرفيات الحل (٥) .

(١) درج العثمانيون على تسمية الاحساء والقطيف وقطر باسم لواء نجد وقسموه الى عدة اقصية هي : القطيف وقطر والقطيف وبريد والرياض . راجع : لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .

(٢) المزاي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٧ .

(٣) مدينة صغيرة عند مصب شط العرب في الخليج ، وكانت نقطة التقاء خطوط البرق العثمانية بخطوط البرق الهندية الاربية ، ولا هميشها بنت الدولة فيها قلعة سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م راجع : لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٢ ، ص ٨٣ - ٨٤١ . ويقول النبهاني في " التحفة " ج ٩ ، ص ١٤٣ " ان سبب تسميتها " الفاو " راجع لفرق سفينة من سفن الديلم كان اسمها " فاو " في ذلك الموضع .

(٤) مدينة تقع شمال البصرة عند الملتقى القديم لنهرى دجلة والفرات ، ورد ذكرها لأول مرة في كتابات الرحالة باعتبارها قلعة صغيرة حوالى منتصف القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى . راجع : عبد الحسين جواد السريحى ، الاقليم الوظيفى لمدينة القرنة ، بغداد ، ١٩٧٧ ص ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(٥) مدينة على الفرات جنوب بغداد ، أنشئت أيام الامارة الزيدية سنة ٤٩٥ هـ وهى وحدة ادارية تابعة لواء بغداد ، راجع :

يوسف كركش الحلى ، تاريخ الحل ، النجف ، ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ص ٢٢ - ٢٣ .

(وتشمل كربلاء (١) والنجف (٢) حتى العماره) والمنتفق والاحساء (٣). وذلك خلط واضح لا يتطلب، ادراكه اكثر من نظرة واحدة الى الخريطة ندرك منها على الفور ان العمارة لا يمكن أن تكون جزءا اداريا من الحلة. وسوف نقتصر فى بحثنا على اجزاء الولاية الواقعة ضمن الحدود الحالية للعراق. أى الوية البصرة والمنتفق والعمارة منعالتشيت الجهد وتجنبنا للاطالة وادراكا للتماثل الموجود بين قبائل تلك الالوية الثلاثة. اذ أن اغلبية قبائل هذه الالوية الثلاثة توطنت منذ أمد بعيد واشتغلت بالزراعة. بينما ظلت قبائل لواء نجد بادية مترصلة، فأصبحت اوضاعها متميزة فى أوضاع القبائل العراقية سالفة الذكر بشكل يحسن معه عدم تناولها جميعا فى بحث واحد. قبائل المنتفق والحكم العثماني :

المنتفق كما عرفنا آنفا لواء "سنجق" تابع لولاية البصرة. وقد أخذ اسمه من قبائل المنتفق التى تقطنه، والتى يختلف فى سبب تسميتها بذلك الاسم. ففى حين يقول البعض انه تحريف للكلمة "المنتفق" التى اطلقت على تلك القبائل اثر اتفاقها على تكوين حلف فيما بينها (٤)، يقول البعض الاخر انه نسبة لـ "المنتفق بن عامر بن عقيل" الذى هو الجد الاعلى فأطلق اسمه عليها وعلى من انضم لها قرابة او حلفا من باب اطلاق الجزء على الكل. (٥) وفى لفظ تلك الكلمة خمس لغات هى "المنتفق" بالقاف

(١) مدينة تقع على بعد خمسة وخمسين ميلا جنوب غرب بغداد، فيها ضريح الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنهما، وقد بنى ذلك الضريح سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م ونمت حوله المدينة.

راجع لوريمر مرجع مر ذكره، القسم الجغرافى، ج ٣، ص ١٥٣٦-١٥٤٣. (٢) موضع قرب الكوفة معروف قبل الفتح الاسلامى، دفن فيه الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه سنة ٤هـ، وبدأ الناس يبنون حول ضريحه منذ سنة ١٧٠هـ قسمت المدينة.

راجع : سعاد ماهر، مشهد الامام على فى النجف، القاهرة، ١٣٨٨هـ ص ٨٧ - ١١٠.

(٣) لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم التاريخى، ج ٤، ص ٢١٩٩.

(٤) العزاوى، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٦، انظر أيضا، نوار، داود باشا، ص ٩٤ وأيضا الطاهر، العشائر العراقية ص ٦٠.

(٥) مجلة لغة العرب، السنة الاولى، ج ٢، شعبان ١٣٢٩هـ / آب ١٩١١، ص ٤٥ وأنظر أيضا العزاوى، عشائر العراق، ج ٤، ص ٢٨.

و "المنتفك" بالكاف و "المنتفج" بالجيم و "المنتفك" بالكاف الفارسية و "المنتفج" بالجيم الفارسية وأولاهما أفصحها . (١)

ويبدو أن استقرار تلك القبائل في القسم الجنوبي من العراق قديماً يتزامن مع حركة الفتوح الإسلامية، ولكن ذكرها في أحداث المنطقة لم يبرز إلا في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (٢)، كما تكرر ثانية في أواخر القرن الخامس الهجري / أوائل القرن الثاني عشر الميلادي (٣). ولكن تاريخها لا يحدث يرتبط، وأوثق ارتباط بتاريخ "ال سعدون" وأسلافهم "ال شبيب" الذين أصبح الاعتراف بزعامتهم القاسم المشترك بين قبائل "المنتفك" (٤). وهم أسرة علوية نزحت من الحجاز إلى العراق (٥)، في وقت تختلف المراجع في تحديده، فهو في غضون القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي (٦)، أو القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (٧)، أو التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي (٨)، أو العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي (٩)، أو الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي (١٠). ورغم أنه ليس لدى أدلة قاطعة تدفع إلى ترجيح إحدى هذه الروايات إلا أنني أستطيع استبعاد الروايات الثلاث الأخيرة. فقد كانت البصرة عند دخول العثمانيين العراق سنة ٩٤١ هـ تحت حكم أحد أفراد هذه العائلة وهو "راشد بن مغاس". ويبدل ذلك على أن هجرة هذه العائلة للمنطقة قد تمت قبل ذلك بزمان طويل.

(١) لغة العرب، السنة الأولى ج ٢، شعبان ١٣٢٩ هـ / آب ١٩١١، ص ٤٢

(٢) النبهاني، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ٤٢ - ٤٦.

(٣) عبد الجبار ناجي، الامارة الميزبية، بغداد، ١٩٧٠، ص ٤٧

(٤) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٦٠ وأيضاً العزاوي، عشائر العراق، ج ٤،

ص ٢٧، وأيضاً نوار، داود باشا، ص ٩٤. وانظر أيضاً Dickson, op. cit. p. 549.

(٥) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٩، وأيضاً الطاهر، العشائر العراقية

ص ٦٠ وانظر أيضاً Glubb, Arabian Adventures, p. 37.

(٦) النبهاني، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ٤٨.

(٧) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٧ - ١٩.

(٨) لوريير، مرجع مر ذكره، القسم الجغرافي، ج ٤، ص ١٦١٤.

(٩) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٦٠، وانظر أيضاً Dickson, op. cit. p. 549.

(١٠) سركيس، مرجع مر ذكره، ج ٢، ص ٣٩٢.

ولقد نجح أحد اسلاف تلك الاسرة في استقطاب ولاء القبائل القاطنة في المنطقة الجنوبية من العراق ووحدها في مشيخة تحت رآسته تتكون من ثلاثة أثلاث هي : بنو مالك والاجود وبنو سعيد (١) ، وكل منها مجموعة قبلية تضم الكثير من الوحدات العشائرية الاصغر (٢) . ولقد توارث أولاد واحفاد ذلك الرجل رعاية هذا الاتحاد القبلي الكبير حيث حمل كل واحد منهم لقب " شيخ مشايخ " المنتفق . (٣) وفدوا نفوذهم في مساحة من الارض تقرب من عشرة الاف ميل مربع (٤) .

كان شيخ المنتفق " راشد بن مفاس " يحكم البصرة هند دخول العثمانيين العراق سنة ١٥٤١هـ / ١٥٣٤م فأعلن خضوعه الطوعي لهم وكافأوه على ذلك باقراره على حكمه (٥) ولكن الدولة الجديدة لم تلبث ان عزلته سنة ١٥٥٣هـ / ١٥٤٦م (٦) . وكان ذلك ايذانا بهدء صراع طويل بين قبائل المنتفق التي تعودت ان تدبر شئونها بنفسها والدولة التي تريد أن تفرض سلطاتها وتطبق قوانينها في جزء مهم من اراضيها . وقد جر ذلك الصراع الى صدامات دموية بين الطرفين خلال الفترة الواقعة بين سنتي ٩٥٣-١١٢٠هـ / ١٥٤٦-١٧٠٧م ، تداول الطرفان مدينة البصرة بينهما أشنأها عدة مرات (٧) . وبما كان

(١) الطاهر ، المشائر العراقية ، ص ٦٢-٦٣ وأيضاً نوار ، داود باشا ، ص ٩٤ ، وانظر أيضاً :

Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, 2nd imp., London, 1958, pp. 160-61.

Dickson, The Arab of the Desert, P. 550.

(٢)

(٣) سركيس ، موجع مر ذكره ، ج ١ ص ٧٢ . وانظر أيضاً Glubb, Arabian Adventures, p. 37.

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٥ .

(٥) سليمان فائق ، تاريخ المنتفق ، ترجمة محمد خلوصي الناصري ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١٢ . وانظر أيضاً نوار ، داود باشا ، ص ١٢ .

(٦) المزاولي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(٧) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ٥٢ - ٥٥ .

قبائل المنتفق من الوقوف بوجه الدولة تلك للمدة الطويلة براعتها الحربية وولاؤها لمشايخها الذين اتصفوا بالحزم والقوة (١) .

وفي عهد المماليك * ١١٦٢-١٢٤٧ هـ / ١٧٤٩-١٨٣١ م "أوشكت منطقة المنتفق أن تصبح إمارة متمتعة باستقلال ذاتي كبير (٢) ، حتى أن أحمد شيوخها لقب نفسه بـ "سلطان البر" (٣) . ويلاحظ على تاريخ المشيخة في هذه الفترة شدة التطاحن الداخلي بين مشايخ البيت الحاكم (٤) ، وكثرة الصدامات الدموية مع الدولة (٥) ، التي اضطرت رغم ذلك إلى الاستفادة من قوة تلك القبائل في صد الاخطار الفارسية التي هددت الجزء الجنوبي من العراق ، وفي التصدي لنشاط الإمارة السعودية الفتية على تخومها (٦) .

وبعد سقوط المماليك عاد الحكم العثماني المباشر لعراق وصحسب عودته تصميم كبير على تدوير تلك المشيخة شبه المستقلة ، وبرز هذا التصميم بصورة واضحة منذ سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م عندما تولى نجيب باشا الولاية ولكن جهود وجهود الواليين اللذين خلفاه في هذا السبيل لم تسفر عن شيء ذي بال (٧) ، ولذلك فما كاد رشيد باشا الكوزلكلي يستلم مقاليد الولاية

(١) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٣ - ٢٨ .

(٢) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العرب المعاصر - مصر والعراق، بيروت ، ١٩٧٣، ص ٣٤٧ .

(٣) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١١٣ ، وتعني كلمة "البر" في اللهجة المحلية "الصحراء" فكان المقصود بذلك اللقب هو أن حامله سلطان لكان البادية مقارنة بالسلطان العثماني الذي هو سلطان الحاضرة . ويبدو أن السلطات الرسمية تفاضت عن حمل ذلك اللقب ذي الدلالات الخطيرة ، راجع : نوار، داود باشا، ص ١١٢ .

(٤) النبهاني، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ٦٤ وأيضاً العزاوي، عشائر العراق ، ج ٤، ص ١١١ - ١١٢ .

(٥) النبهاني ، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ٦١ وأيضاً نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٤٦٧ وما بعدها .

(٦) العزاوي، عشائر العراق ، ج ٤، ص ١١٣ وأيضاً الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٠ - ٧٢ .

(٧) لغة العرب ، السنة الخامسة، ج ١، يناير ١٩٢٧ ، ص ٢٦ .

سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م حتى اتبع خطة ذكية وهي الاشتراط على من يرسو عليه مزاد التزام المشيخه ان يتنازل عن ادارة بعض اراضي المنتفق للسلطات الرسمية (١)، وهدف الخطة واضح تماما وهو التقليل التدريجي للمشيخة عن طريق استغلال تهالك المتنافسين على توليها .

ولم تغيب مخاطر الخطة عن ادراك بعض زعماء تلك القبائل فجابهاها بمعارضة شديدة ، اضطرت الدولة ازاها الى سوق قواتها لقتالهم فتمكنت من دهرهم ودخول مركز مشيختهم في "سوق الشيخ" (٢) سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م حيث نصب هنالك قائمقام عثماني لأول مرة (٣) . ولكن ذلك لم يستمر طويلا اذا ما كاد عمر باشا السردار يلى الولاية في السنة نفسها حتى أمر بسحب كل مظاهر الوجود الحكومي في سوق الشيخ واستبدله بأجرا "شكلي" هو منح شيخ المنتفق لقب قائمقام ، ولعله كان مدفوعا لذلك بانشغال الدولة في الميادين الخارجية وضائقها المالية الشديدة (٤) . ورغم أن حمل الشيخ للقب القائمقام أمر شكلي تماما الا انه اوجد بين قبائل المنتفق حالة من الاستياء الشديد (٥) ، لم تنفع في تفسير الامر الواقع أذ ظل الشيخ يحمل ذلك اللقب خلال ولاية نامق باشا "١٢٧٩-١٢٨٥هـ / ١٨٦٣ - ١٨٦٨م" الذي واصل ايضا سياسة الزام الشيخ الملتزم بالتنازل عن بعض

(١) سرگيس ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٥ .

(٢) كان شيخ المنتفق غير مستقرين في مكان واحد بل ينتقلون على مساحة البدو من موضع لاخر . وكانت تنتقل معهم قبائل كثيرة وكان التجار ينقلون معهم بضائعهم في سوق متحرك لتموين تلك الجموع واستمر ذلك الى سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م حيث قرر التجار الاقامة في مكان ثابت فأختاروا مسواضا على ضفة نهر الفرات اليمنى وعلى بعد ٤٠ كلم جنوب الناصرية وبنا فيه سوقا سمي سوق الشيخ ، راجع : لغة العرب

السنة الثانية ، ج ٦ ، محرم ١٣٣١ / كانون اول ١٩١٢ ، ص ٢٤٦ .

(٣) العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١١٤ وايضا نوار ، تاريخ العراق الحديث

ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٥) سرگيس ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ٧٥ .

الأراضي للدولة، كما شجع المناقشة بين الشيوخ على الالتزام لزيادة مدله
وتوسيع نطاق الأراضي التي يعد كل منهم بالتنازل عنها (١). وقد أدت تلك
الاجراءات الى ابقاء المنتفق في ثورة معلنة تارة وكامنة تارة أخرى حتى سنة
١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م (٢).

لقد كانت تلك السنة مؤذنة ببداية اتجاه الدولة لمعالجة مشكلة
المنتفق ايجابيا، فقد تولى خلالها مدحت باشا امور العراق، وصادف وصوله
أن كانت مشيخة المنتفق تعاني من ضعف سببته عوامل مختلفة (٣) فأهتبل
الفرصة وقرر ان يحول المشيخة الى متصرفية فعلية بدلا من قائمية اسمية،
واستطاع أن يقنع ملتزم المشيخة حينئذ " ناصر باشا السعدون " بقبول هذا
الاجراء (٤)، فعين الأخير متصرفا للواء الجديد وياشر على الفور بناء مدينة
" الناصرية " لتكون مقر له. (٥) وقد اعثر البعض تأسيس ذلك المركز الحكومي
وسط ديرة المنتفق عاملا اساسيا في القضاء على تلك المشيخة (٦).
ولم يمر قبول ناصر السعدون لتلك الخطوة دون معارضة من بعض قبائل

(١) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٣ وايضا العزاوي، عشائر العراق، ج ٤،

ص ص ١١٥ - ١١٦ وايضا نوار، تاريخ العراق، ص ١٨١.

(٢) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١١٦ وايضا الطاهر، العشائر العراقية،
ص ٧٤.

(٣) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٣٧٣.

(٤) سرگيس، مرجع مر ذكره، ج ١، ص ١٧٩ وايضا الطاهر، العشائر العراقية،
ص ٧٤، وايضا نوار، تاريخ العراق بالحديث، ص ٣٧٤، وقد ذكر العزاوي
أن ناصر السعدون هو الذي سمى لاقناع مدحت باشا بالامر واستعسان
على ذلك بما بذله لمعاون الوالي من مال، وقد كان غرضه هو تفسياد
تنفيذ ما اشترطه مدحت باشا من ضرورة تنازله عن اراضي جديدة من ديرة
المنتفق بعد ان يمنح التزام مشيختها بنفس البدل المالي السابق،
انظر: عشائر العراق، ج ٤، ص ص ١١٧ - ١١٨.

(٥) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١١٩ وايضا نوار، تاريخ العراق الحديث،
ص ٣٧٤.

(٦) الوردى، مرجع مر ذكره، ج ٢، ص ٢٥٣ وايضا العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١١٩.

المنتفق التي صدعت لزوية " شيخ مشايخها " وقد تحول الى موظف حكومى بعد أن كانت قد تعودت لاجيال طويلة أن تتكفل خلف لسلافه الذين يصدون عنها تدخلات الحكومة (١) . وقد قاد " منصور باشا " الأخ الاكبر لناصر هذا التيار المعارض فأنقسمت القبائل بين الأخوين او التيارين (٢) . ولكن يبدو ان شخصية ناصر القوية قد حالت دون وقوع الصدام بين التيارين .

ولم يقف الامر بين مدحت باشا وناصر السعدون عند هذا الحد ، ولكن تعداه الى اتمام عطية تسجيل اراضى لواء المنتفق بالطابو، وهى العملية التى أدت الى تسجيل أغلب اراضى اللواء باسم أفراد من آل سعدون نتيجة لعزوف القبائل عن تسجيل الاراضى باسمائها رغم الجهد الكبير الذى بذله ناصر لاقتناصها بالاقدام على ذلك (٣) . ومع أن الربح المادى الذى جناه آل سعدون من تلك العطية كان كبيرا (٤) ، الا أنها عادت عليهم فى المدى البعيد بخسران كبير، اذ فككت التلاحم بينهم وبين القبائل المنضوية تحت لوائهم بعد أن أصبحت علاقتهم بها علاقة مالك بمتأجر لا يقر له بحق الملكية (٥) ، فقددوا بذلك السلاح الرئيسى الذى مكنهم من السوقوف بوجه الدولة زمنا طويلا . (٦)

(١) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٤ وأنظر ايضا Glubb, Arabian Adventures, P.40.

(٢) Longrigg, op.cit, p.25.

(٣) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٥٨، وأيضاً الوردى، مرجع مر ذكره، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٤) بلغت قيمة واردات ثلاث سنين من بعض اراضى احدهم مبلغاً وقدره ١١١٦١٠ ليرة ذهبية. راجع: مصطفى المدافعة، نصوص من الوثائق العشمانية، البصرة، ١٩٨١، ص ١٢٤.

(٥) فياض، مرجع مر ذكره، ص ٤٨ - ٤٩ وأيضاً الطاهر، العشائر العراقية، ص ٥٠ - ٥٤.

(٦) المزوى، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٤٠.

ولا يحسن بنا أن نتوهم أن تلك النتائج السلبية كانت ذات أثر محسوس على الفور، إذ منع من ملاحظتها ما لناصر باشا السعدون من شخصية قوية عززتها الاجراءات الجديدة التي جمعت له السلطتين القبلية والحكومية، ثم لم يلبث أن أصبح أول وال للبصرة سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٥م^(١)، في نفس الوقت الذي أوكل لابنه الأكبر فالح باشا المتصرفية والشيخه في المنتفق^(٢)، في حين كان ابنه الثاني مزيد باشا متصرفا في الاحساء^(٣)، ويقول البعض أن تلك المكانة التي حققها أخوته بمحاولة فصل الولاية عن الدولة مما حدا بالحكومة المركزية لاستدعائه الى استانبول سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م^(٤)، حيث ظل هناك تحت الإقامة الجبرية الى وفاته سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م^(٥)،

حاولت الدولة بعد نفي ناصر السعدون أن تدير لواء المنتفق ادارة مباشرة ولكن المحاولة باءت بالفشل فأسندت المتصرفية ثانية لابنه فالسج باشا^(٦)، في حين ظل أخوه منصور باشا يعارض سياسة الدولة هناك، فأضطرت السلطات لنفيه الى استانبول فمكث هناك فترة من الوقت ثم أعيد لبغداد حيث وضع تحت الإقامة الجبرية ثم انه انتهر فرصة مكنته من الهرب للمنتفق وأخذ على الفور يثير القبائل ضد السلطات، وقد أستجاب الكثير

(١) لوريير، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢١٣١ وأيضاً الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٥.

(٢) النبهاني، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ١٠٣.

(٣) لغة العرب، السنة الثالثة، ج ١، رجب وشعبان ١٣٣١هـ / تموز ١٩١٣م، ص ٣٩.

(٤) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٥ وأيضاً البازي، مرجع مر ذكره، ص ٥١.

(٥) العزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ٧٧.

(٦) عبد الله الناصر، تاريخ السعدون، النجف، ١٩٤١، ص ٥٨ - ٥٩ وأيضاً النبهاني، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ١١٠.

منها لتحريضاته . وازدادت خطورة الامر حين أقنع منصور باشا ابن أخيه
فالح باشا بالانضمام اليه (١) ، مما أقض مضجع المملكات العثمانية ، التي
ترددت في اتخاذ الاجراءات الحاسمة حياله لولا الحملة الصحفية التي اثارها
بعض خصوم آل سعدون في استانبول والتي أدت الى ان تحزم الدولة أمرها (٢) .
فأمرت بسوق قواتها التي اصطدمت مع المتعمردين سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م فسي
معركة حامية أحرزت فيها نصرا كبيرا (٣) ، ساعدها على تحقيقه وقوف بعض القبائل
الى جانبها . (٤)

وقد مثلت تلك المعركة الخطوة الاخيرة في سياسة الدولة لتحطيم مشيخة
المنتفق والتي سهل اتمامها توفر الظروف الموضوعية لذلك (٥) ، والمتمثلة في
تحلل الروابط القبلية بين المنتفق وزعمائهم نتيجة للتطورات المتعلقة بملكية
الارض ومارافقها من التزامات مالية مرهقة اشتدت وطأتها على القبائل من جراء
المزايدات على التزام المشيخة (٦) ، فضلا عما أظهره بعض زعماء الاتحاد من
قسوة بالغة في معاملة افراد قبائلهم (٧) ، هذا بالإضافة الى التمايز الاجتماعي
بين آل سعدون وقبائل المنتفق ، ففي حين احتفظ الاولون ببدونتهم وترفعهم
من العمل الزراعي البدوي هجرت القبائل البدوة ومارست الزراعة منذ أجيال (٨)
وفي حين اعتنقت اظنية القبائل المذهب الشيعي نتيجة لاسباب متعددة (٩) ،

(١) العزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ٤٠٤-٤٠٥ وأيضاً الطاهر، العشائر

العراقية، ص ٢٥١.

(٢) العزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ٥٤ - ٥٧.

(٣) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٤) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٠ والعزاوي، تاريخ العراق، ج ٨، ص ٥٨.

(٥) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٦) العزاوي، عشائر العراق، ج ٤، ص ١٢٠.

(٧) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٧.

(٨) Glubb, Arabian Adventures, p.37; also Dickson, The Arab of the Desert, p.552.

وأيضاً الطاهر، العشائر العراقية، ص ٦٨ - ٦٩.

(٩) عبد الله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بيروت، ١٩٧٣، ص ٧٢.

حتى بلغت نسبة اتباع ذلك المذهب اكثر من ثمانية وتسعين بالمائة من سكان ولاية البصرة (١) ، ظل آل سعدون سنيين على مذهب الامام مالك (٢) . ولذلك كانت عوامل للضعف قد نخرت جسم الشيخه من الداخل فأصبح مهبطا للانهار حالما يلقى الضربة النهائية .

وقد فر آل سعدون واتباعهم امام الجيش العثماني المنتصر نحو "الشامية" (٣) ومن هناك عبروا شط العرب الى "المحمرة" (٤) ، حيث حلوا بضيافة شيخهسا "خزعل بن جابر المرداو" (٥) ومكثوا لديه سنتين الى ان أصدرت الدولة

(١) لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٠٨ ، ولم يبين لوريمر الاسس التي قام عليها ذلك الاحصاء ،

(٢) Dickson, The Arab of the Desert, p.552; also Longrigg, op. cit. p.22.

وأيا لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٠٨ . ويلاحظ ان الكتاب البريطانيين - لاسباب معروفة - يحلون الى تضخيم العامل الطائفي وتأثيراته بين قبائل المنتفق ، ورغم اننا لم نجد فيما بين يدينا من مراجع اثرا ماديا ملموسا لتلك التأثيرات ، الا انه لا يسعنا اهمسول الاشارة الى ذلك العامل من باب الاحتراز باعتباره عاملا مفترضا من الناحية النظرية على الاقل .

(٣) يطلق العراقيون على كل الاراضي الواقعة قرب الفرات والممتدة باتجاه الشام تعبير " الشامية " انظر لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٦ ، ص ٣٢٥ .

(٤) حاضرة امارة عربستان ، تقع على الضفة اليسرى لشط العرب جنوب البصرة اسست سنة ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م ، راجع : مصطفى على العتوم ، عربستان ، عمان ، بدون تاريخ ، ص ٧٦ . ويعارض آخرون في تجديد بنائها فسي هذا التاريخ ويوردون اراء أخرى ، راجع : عبد العزيز سليمان نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٥٣ وأيا منذر عبد الكريم البكر ، الجذور التاريخية لعروبة الاهواز قبل الاسلام ، البصرة ، ١٩٨١ ، ص ٢ .

(٥) عن خزعل بن جابر المرداو وامارة عربستان عموما ، راجع : مصطفى عبيد القادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ، القاهرة ،

العثمانية العفونهم وسمحت لهم بالعودة ثانية مشرطة أن تكون اقامتهم في صحراء الشامية والا يعيدوا تشكيل مشيختهم السابقة (١) . وفي خلال ذلك كانت الدولة تدير لواء المنتفاد ارة مباشرة بعد أن قسمته الى أقضية ونواح وبدأت تجبى بصورة مباشرة الضرائب المقررة من قبائله مستخدم مسنة في ذلك ضروبا من الغلظة والشدة (٢) ، ولكن تلك القبضة الحديدية أخذت تتراخى تدريجيا لاستشراء انفساد في الادارة وامتناع القبائل عن دفع الضرائب (٣) ، سيما وقد ساد بينها التشرذم فأصبح لكل عشيرة مسن عشائرها رئيس مستقل بعد أن رحل زعماء الاتحاد وانقرض برحيلهم العقيد الذي ينظم تلك القبائل ويحفظ بين صفوفها درجة من التماسك والنظام (٤) ، وقد ترتب على ذلك ايضا كثرة المعارك بين عشائر الاتحاد المختلفة (٥) .

(١) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١١٢ راجع ايضا حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢٥ - ويذكر عبد الكريم الندواني في " تاريخ العمارة وعشائرها ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١١١ " أن اقامتهم لم تكن في المحمرة وإنما لدى أبناء عمومته المشعشعين العلويين في منطقة الطينة ، بينما ذكر الطاهر في " العشائر العراقية ، ص ١٦٤ " أن اقامتهم في المحمرة استمرت عشر سنين . وكلا القولين يخالف المعروف المتواتر .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦١ وأيضا المزاي ، تاريخ العراق ، ص ص ٦٢ - ٦٥ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٥ ، و ص ١٦٤ .

(٤) المزاي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٤ وأيضا Glubb, War in the Desert, p. 235.

(٥) لوريم ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٠ ، وأيضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٣٦٢ - ٣٦٥ .

ويبدو ان التسليم بالامر الواقع الذي فرضته الهزيمة لم يشمل السعدون جميعا ، بل برز من بينهم تيار رافض لذلك الواقع يقوده سعدون باشا بن منصور باشا (١) ، الذي اتجه حال عودته من المنفى في المحمرة الى عبور نهــــر الفرات والاستقرار في " شط الكار" (٢) ، واستطاع هناك فرض هيمنته على العشائر المحيطة به ، وهو الامر الذي قابلته السلطات الحكومية بالرضا أول الامر . اذ استغلته في اجبار العشائر على دفع الضرائب المستحقة عليها . ولكن علاقة سعدون باشا بتلك السلطات لم تلبث ان توترت فأثر العودة ثانية الى الشامية ، حيث مارس نشاطا واسعا لفرض نفوذه وسطوته (٣) ، مماجره الى الاحتكاك بأمر حائل " عبد العزيز بن مقبب الرشيد (٤) . وقد جرت بينهما وقائع عديدة من اشهرها اشتراك سعدون مع شيخ الكويت مبارك الصباح والأمير عبد الرحمن الفيصل السعود (٥) في معركة " الصريف" التي أسفرت عن هزيمتهم على يد ابن رشيد في سنة ١٣٢٨هـ / ١٩٠١م . (٦) .

(١) للكشف على شخصية سعدون باشا" راجع : لغة العرب، السنة الثانية ،

ج ١١ ، جمادى الآخرة ١٣٣١ ، ص ص ٥٠٤ - ٥٠٩ .

(٢) ناحية ادارية تابعة لقضاء الشرطة في لواء المنفق ، راجع : لوريير ، مرجع مر

ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٦ ، ص ٣٣٨ وقد استمدت اسمها من " شط

الكار" وهو احد الانهار المتفرعة من الفرات ، والشط لدى العراقيين هو النهر الكبير الذي يكون ماؤه عرضة للزيادة والنقص ، راجع : لغة العرب بالسنة الثانية

ج ٥ ، ذي القعدة وذى الحجة ١٣٣٠هـ ، ص ٢١٣ .

(٣) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ص ١١٤ - ١١٧ .

(٤) تولى الامارة بعد وفاة عمه محمد بن عبد الله الرشيد سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م

وقتل في معركة روضة مهنا بينه وبين الامير عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٢٤هـ /

١٩٠٦م . راجع : صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية

بيروت ، ١٩٥٧ ، ج ٢ ، ص ١٧ و ٨٠ .

(٥) أصغر ابنا الامام فيصل بن تركي آل سعود حاكم نجد . تولى اماره الرياض

قبل أن يستولى عليها محمد بن عبد الله الرشيد سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ،

فاخذ عبد الرحمن يتنقل اثر ذلك بين البادية وقطر حتى استقر اخر الامر

لاجئا في الكويت . راجع : خير الدين الزركلي ، الوجيز في سيرة الملك عبد

العزيز ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ص ١٤ - ٢٠ .

(٦) خالد السعدون ، العلاقات بين نجد - الكويت ، الرياض ١٤٠٣ ، ص ص ٤٨ - ٥٦ .

ويبدو أن الهزيمة القاسية التي تعرض لها آل سعدون عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م لم تعلمهم التكلل فيما بينهم، إذ نشاهد في هذه الفترة تكرر ما شاهدناه من خلاف الأخوان منصور وناصر، فقد انتقل خلافهما بالوراثية إلى ولديهما سعدون وفالح، ففي حين مال الأخير للتفاهم مع السلطات الحكومية، فحظي بتعاطفها. (١)، واستقطب ولا* قسم من قبائل المنتفق (٢)، ظل الثاني أقرب، إلى معارضة تلك السلطات واستقطب ولا* القسم الآخر من القبائل باعتباره رمزا للوقوف بوجه الحكومة. (٣) ويشير ذلك الاستقطاب إلى أن هزيمة آل سعدون ومسبقها ولحقها من تطورات لم تستطع أن تقضي نهائيا على مكانتهم في نفوس القبائل، تلك المكانة التي توارثوها لأجيال طويلة وظلت قائمة لفترة متأخرة (٤).

ولقد نجر هذا الانقسام إلى صدامات بين الطرفين كانت يهدايشها في سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م، حين عبر سعدون نهر الفرات إلى "الجزيرة" (٥)، رغم اعتراض وإلى البصرة على تلك الخطوة (٦)، التي كان هدفها مضايقة العشائر الموالية لابن عمه فالح باشا (٧). وقد رفعت تلك العشائر الأمر للسلطات

(١) Longrigg, op.cit., p. 56

(٢) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٦ وأيضاً Dickson, The Arab of the Desert, p. 555.

(٣) Glubb, Arabian Adventures, P. 42.

(٤) Ibd., p. 43.

(٥) اسم يطلقه العراقيون على الاراضي الواقعة شرق الفرات والمحصورة بينه وبين نهر دجلة، راجع Dickson, Kuwait etc. p. 162

(٦) Consul Crow (British Consul at Basra) to Sir N.O'Connor (British Ambassador at Constantinople), Nov. 21, 1903, in "The Affairs of Kuwait", edited by Bidwell, R. London 1971, Vol, II, Part VI P.1.

ويرغم آخرون أن خطوة سعدون تلك حظيت بموافقة السلطات الرسمية، راجع: النبهاني، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ١٢٠ وأيضاً الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٣.

(٧) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٧ وأيضاً Dickson, The Arab of the Desert, P. 555.

الرسمية فأمدتها بقوة من الجيش النظامي لتعزيز موقفها تجاه سعدون . ولكنه استطاع الفتك بتلك القوة الحكومية وتشيت شمل العشائر الطتفة حولها ففى معركة جرت قرب مدينة الشطرة (١) ، فأضطرت الحكومة الى اسوق قوة كبيرة ضدة ولكنه تجنب الاشتباك معها وعبر الفرات ثانية الى الشامية (٢) . وقد سببست تلك الحادثة قلقا عظيما فى المنطقة (٣) حتى ليقال انها كانت بداية المصائب التى أدت الى اذلال العثمانيين وتقلص نفوذهم من منطقة المنتفق (٤) .

ولم يرکن سعدون بعد ذلك للهدوء بل انه اتجه الى الكويت ووفر هناك قاعدة أمنية لحافظته واتباعه ثم عاد يشن الغارات على اطراف ولاية البصرة (٥) ، حتى وصل فى بعض غاراته الى جوار مدينة البصرة ذاتها مما اضطر السلطات لارسال قوة لمطاردة (٦) ، وقد ضمت تلك القوة اتباع ابن عمه فالح باشا (٧) ، ولكنها فشلت فى تحقيق غايتها فأضطرت الحكومة لحشد تعزيزات جديدة فى البصرة (٨) ، كما استنفرت قبائل شمر وعنز القاطنة فى اطراف ولاية بغداد

(١) وكانت تسمى شطرة المنتفق تمييزا لها عن شطرة العمارة . وهى مدينة تقع على الشاطئ الايمن للفرع الغربى من نهر الخراف ، وكانت مركز قضاء تابع لسنجق المنتفق . راجع : لوريير ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٦ ، ص ٣٣٣٧ .

(٢) النبهانى ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٢٠-١٢١ وأنظر ايضا الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٣ وايضا لوريير ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخى ،

ج ٤ ، ص ٢٢٢٢-٢٢٢٣ وايضا Glubb, Arabian Adventures, p.42
(٣) Consul Crow to Sir N. O'Conor, Nov. 21, 1903, in "The Affairs of Kuwait, Vol. II, Part VI, P.2.

(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٤ .

(٥) النبهانى ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٢١ .

(٦) Sir N.O'conor to the Marquess of Lansdowne (British Foreign Secretary), Dece. 17, 1903, in "The Affairs of Kuwait", Vol. II, part VI, p. 2.

(٧) النبهانى ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٢٢ .

(٨) Consul Crow to Sir N. O'conor, Dece. 28, 1903, in "The Affairs of Kuwait", Vol. II, Part VI, P.4.

لسوقها نحو سعدون (١)، ونتيجة لذلك يبدو أنه مال الى التفاهم فأمكن
التوصل الى هدنة بينه وبين والى البصرة فى ربيع الاول ١٣٢٢هـ / تمسوز
١٩٠٤م (٢)، قدم بعدها طاعته وخضوعه للسلطان (٣).

استقر سعدون بعد ذلك فى مقاطعة "الصخرية" غرب الفرات التسمى
منحها له السلطان، ولم يخل مقامه هناك من احتكاكات نشأت بينه وبين
العشائر المجاورة (٤)، وقد جرت هذه الاحتكاكات الى اختلافه مع السلطات
الرسمية، اذ نجده يرسل فى صفر ١٣٢٣هـ / ابريل ١٩٠٥م برقية الى والى
البصرة يطلب منه ايقاف الحملات الحكومية ضد العشائر الموالية له، وكف عشيرة
"البدور" (٥) عن التعدى على اراضيها والا فسيضطر الى استعمال القوة ضدها
وقد تخوف متصرف المنتفق من النتائج المترتبة على تلك البرقية فطلب النجدات
من مقر الولاية كما انه عرض المشائر المعادية لسعدون على التحرك ضده (٦).

Diary of the Political Resident in Turkish Arabia
for the fortnight ending Jan. 14, 1904, in "The Affairs
of Kuwait", Vol. II, Part VI, p. 19. (١)

Sir N. O'Connor to the Marquess of Lansdowne, July
30, 1904, in "The Affairs of Kuwait", Vol. II, p. 57. (٢)

Mr. Townley (British Charge d'affaires at Constantinople) to the Marquess of Lansdowne, Nov. 8, 1904,
in "The Affairs of Kuwait," Vol. II Part VI, p.
83. (٣)

(٤) النبهاني، مرجع مذكور، ج ١٠، ص ١٢٣.

(٥) عشيرة تنتسب أصلا الى عنزه ولكنها استقرت فى المنتفق ودخلت ضمن
ثلاث الأجود من اتحاد قبائل المنتفق، وهى تقيم فى مقاطعتى "القطيعة"
و"المائعة" على نهر الفرات شمال مدينة الناصرية. راجع: الصزاوى،
عشائر العراق، ج ٤، ص ٩٣.

Consul Crow to Sir N. O'Connor, April 14, 1905, in (٦)
"The Affairs of Arabia", edited by Bidwell, R., London,
1971, Vol. II, Part VIII, p. 24

وذلك هو ما حدث بالفعل وادى الى صدامات بين الجانبين ، انسحب سعدون على اثرها نحو الصحراء متفاديا الصدام مع القوات الحكومية التي ساقها الوالى للقبض عليه (١) . وأكفى الوالى عند ذاك بالغاء المخصصات المالية المقررة لسعدون وصادر مقاطعة الصخرية وهدم قلاعه المقامة فيها ، واقام هناك عشيرة البدور . (٢)

وفي الوقت الذى كان فيه سعدون يناوش القوات الحكومية والعشائر المعادية له ، كان ابنه عمه يرمون بثقلهم ضده ، ففي حين أقرض فالح باشا صندوق ولاية البصرة مبلغ ستة آلاف ليرة لتمكين القوات الحكومية من التوجه للمنتفق (٣) ، وضع اخوه مهمل باشا نفسه ، رهن إشارة متصرف المنتفق لقمع الاضطرابات في اللواء (٤) . تلك الاضطرابات التي ظلت متأججه حتى دخول سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، وكانت السلطات الرسمية أعجز . فمن أن تسلط عليها بعد أن اتسع نطاقها وتعددت اشكالها فهي بين سعدون ومعارضيه من جانب ، وبين بعض العشائر والحكومة من جانب ثان ، وبين رؤساء العشائر الذين أخذ كل منهم يتصرف على هواه ويحاول التوسيع على حساب مجاوريه في جانب آخر .

(١) Consul Crow to Sir N. O'Conor, oct. 14, 1905, in " The Affairs of Arabia", Vol. II, Part V, p. 79.

(٢) Consul Crow to Sir N. O'Conor, Nov. 11, 1905, in " The Affairs of Arabia", Vol II part V, p. 77.

(٣) جريدة " صدى بابل " السنة الثانية ، العدد ٢٠٥٤ ، ٢٠ شعبان ١٣٢٨ ، ص ١ .

(٤) Consul Crow to Sir N. O'Conor, April 14, 1905, in " The Affairs of Arabia", Vol. II , part VIII, p. 24.

وضع قبائل لواء العمارة قبل فترة البحث :

وقع خلاف حول سبب تسمية هذا اللواء ، فرده بعضهم لاسم قائد عباسي هو "عمارة بن الوليد" ، بينما اعتقد البعض الآخر ان تلك التسمية مشتقة من اختلاط العشائر واجتماعها فيه اذ تستعمل كلمة "عمرة" في اللهجة المحلية لوصف مثل ذلك الاجتماع. (١) ولكن الاربع ان تلك التسمية مستمدة من كون اول وجود للحكومة العثمانية في تلك الاعيان تمثل في انشاء "عمارة" لسكنى الجند ولحصنهم ، فأخذ الناس يستوطنون حولها تدريجيا حتى ظهرت الى الوجود مدينة صغيرة سميت بـ "العمارة" ثم أطلق على الاسم على اللواء باجمعه بعد استحداثه. (٢) . وكان انشاء تلك العمارة في حدود سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م. (٣) وقد اعتبرت العمارة في البدايات من الناحية الادارية قضاءا ملحقا بسنجق "لواء" البصرة ، وظلت كذلك حتى سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م حيث جعلت لواء قائما بذاته يرتبط بولاية بغداد مباشرة (٤) وقد قسم ذلك اللواء الى ثلاثة أقضية هي العمارقو "الدويرج" (٥)

(١) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٧ .

(٢) لغة العرب ، السنة الثالثة ، ج ٣ ، آذر ، ١٩٣٠ ، ص ١٦٨ .

(٣) لوريير ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٩٢ .

(٤) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٠ .

(٥) كانت في مطلع هذا القرن الميلادي مجرد حصن طيني يقع على بعد حوالي ٣٠ ميلا شمال شرق مدينة العمارة ، في منطقة تعتبر المقر الرئيسي لقبيلة بني لام . راجع لوريير ، القسم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ٥٧٢ .

و " شطرة العمارة " (١) ، ثم ضم ذلك اللوا لولاية البصرة بعد استحداثها على النحو الذى مر بنا ،

وهذا اللوا موطن لوجود قبلى كثيف يمثل فى اتحادين قبليين كبيرين هما " بنو لام " و " ابو محمد " إضافة الى حوالى سبع عشائر اقل عدد (٢) . ويمتاز ذلك الوجود القبلى عن مثيله فى لوا المنتفق بأنه اكثر تماسكا فطلى الرغم من ان اللوا الاخير يضم اتحادا قليا واحدا الا أن ذلك الاتحاد فى واقعه يشبه قطعة من القسيقنساء تتكون من اجزاء عشائرية تكاد لا تعد (٣) . ويختلف افراد قبائل لوا العمارة عن مائليهم فى لوا المنتفق أيضا بكونهم اكثر طاعة وخضوعا لروسائهم تبعاً لطبيعة انتاجهم الزراعى المكون فى اقله من الارز (٤) ، الذى تتطلب زراعته قدرا كبيرا من التنظيم ، كما أن مستوى الوعى المتدنى فى اوساطهم (٥) ، ساهم فى ابراز تلك الظاهرة بلاريب .

ولا يختلف لوا العمارة عن لوا المنتفق فى تلك النواحي فقط ، ولكنه يختلف فى أمر مهم آخر ، وهو أن كل أراضيه - عدا استثناءات قليلة - كانت أراضى ، " سنه " أى ملك للسلطان شخصا ، ولذلك فلم يكن فيها ملتزمون او مزارعون ثابتون ، وانما تقسم الى مقاطعات كبيرة تظم مقابل مبالغ نقدية

(١) لوريهر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٣ ، ص ١٢٩٣ . وشطرة العمارة مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة على بعد ٢٨ ميلا جنوب مدينة العمارة ، وتسمى أيضا قلعة صالح وهو أول من انشأ فيها قلعة بعد بناء العمارة بخمس سنين ، راجع : لغة العرب ، السنة الثامنة ، ج ٣ ، آذار ١٩٣٠ ، ص ١٧١ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧٢ وأيضا الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧١ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٦١ .

(٥) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢ .

الى الشيوخ او المضاربين لمدة خمس سنين . ومن المفهوم أن مقاطعات معينة يجب ان تلزم عادة لقبائل معينة ، ولكن يبدو ان السلطات العثمانية لم تكن تأخذ الحدود القبلية بنظر الاعتبار دائما عند توزيعها للالتزامات باستثناء إقليم بني لام الذي لم يلزم قط لغير شيوخهم . ويجلب كل ملتزم جديد للمقاطعة جهازا جديدا من الملتزمين الثانويين والزراع ، حيث تنظم بينه وبين الملتزمين الثانويين عقود نقدية لنفس مدة الالتزام الاصلى ، بينما تكون الاتفاقيات بين الملتزمين الثانويين والزراع سنة واحدة فقط . (١)

وكانت عطية التلزم تتم عادة من خلال اشتراك الراضين بالالتزام فى مزايا على يرسى على صاحب العرض الاعلى (٢) . وكان شيخ القبيلة التمسى تقطن فى مقاطعة ما مضطرا حفاظا على هيئته بين افراد قبيلته الى التزام تلك المقاطعة مهما ارتفع بدل التزامها فكان ذلك يوجب نار المنافسة حتى يبلغ البدل أحيانا ما يفوق قيمة الارض نفسها . (٣) وبالإضافة الى ذلك كان الملتزم يتحمل بموجب الشرطانمة "أوصك الالتزام أمه" اخرى مثل استصلاح اراضى المقاطعة وصيانة انهرها والمحافظة على أمن من يمر فيها وعدم الاعتداء على المجاورين وعدم ايواء الهاربين من وجه الحكومة والحفاظ على سلامة خطوط البرق المارة فى المقاطعة (٤) .

IOR, L/p+s/10/458, No. 26 - C, Mr. Dobbs, Commissioner (١)
of Revenue, to the General Staff, Intelli-
- gence, Basra, July 2, 1915.

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧٧

(٣) جبرترود ل. ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ت. جعفر الخياط ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٧ .

(٤) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧٣ .

ولا يخفى ما فى ذلك النظام من نواقص ظاهرة كعدم تشجيعه القبائل على الاستقرار فى منطقة واحدة، والقائم "العيب" المالى القادح على الفرد القبلى قبل غيره، مع ما يرافق عملية التنظيم الدورية من مظاهر الفساد الادارى التى تتجلى فى محاباة طرف قبلى على حساب طرف آخر وهو الامر الذى يؤدى الى صدامات دموية بين الاطراف المتنافسة وبينها وبين القسرات الحكومية (١) . ويتفرع عن عملية التنظيم شكل آخر وهو ان المقاطعات لم تكن محددة بصورة دقيقة وانما تعين تلك المقاطعات بالنهر والجسد اول فالملتزم يلتزم النهر وما يقع عليه من الاراضى (٢) . فسبب كل ذلك قلقا عاما فى اللوا وصدامات بين قبائله التى يجدر بنا ان نتعرف عليها عن قرب،

وأهم تلك القبائل هى قبيلة بنى لام التى تنتسب فى اصولها الى السبيلى، وقد استقر مواسمها او جدها الاعلى فى منطقة الدويرج عاملا لامارة "المشعشين" (٣) فى اوائل القرن الماشر الهجرى / السادس عشر الميلادى فوطد نفوذه هناك بعد صراع طويل مع قبيلة "ربيعه المجاورة" (٤)

(١) Longrigg, op.cit., pp. 25-26.

(٢) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٦٥ و ص ٢٧٤ .

(٣) اماره عربيه قامت فى الاهواز والحويزه واكثر اقليم خوزستان فى اسيران الحالية ، وقد استمر وجودها بين سنتى ٨٠٤ - ١٠٢٥ هـ . راجع : محمد هليل الجابري، اماره المشعشين ، رساله ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ص ٢٠ .

(٤) الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ٣٦ - ٣٩، وربيعة قبيلة عربيه قديمه حافظت على اسمها الاصلى ونزعت للعراق قبل الفتح الاسلامى ، وفى اثنائه، تقطن بصورة رئيسيه فى لوا الكوث ولها امتدادات فى الالهيه الاخرى . راجع العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤، ص ١٦٣ .

وقد اتسع ذلك النفوذ من بعده على أيدي خلفائه الذين تكاثروا ومسدوا سيطرتهم على منطقة شاسعة تمتد من الشاطي* الشرقى لنهر ديالى فى الشمال حتى ملتقى نهري دجلة والفرات فى القرنه جنوبا (١) . ولكن هذه المنطقة انحصرت فى الفترة التى نحن بصددها فى سهل واسع تحده التلال الفارسية من الشرق وشاطي* نهر دجلة من الغرب من نقطة مواجهة لقرية الشيخ سعد (٢) فى الشمال حتى مدينة العمارة فى الجنوب ، وتخضع كل هذه المنطقة لنفوذ شيخ القبيلة من مركزه فى قرية* الشمرية* فى قضاء الدويرج (٣) ، ونتيجة لهذا الامتداد الجغرافى فقد دخلت فى القبيلة فروع من قبائل أخرى عربية وفارسية حتى يمكن القول ان فرعاً واحداً فقط ينتمى الى بنى لام فعلاً (٤) . وقد أدى ذلك الى زيادة عدد افراد القبيلة حتى بلغوا خمسة وأربعين ألف نسمة يقسم منهم حوالى عشرة آلاف رجل مسلح فى العراق (٥) . كما ان خصوصية أراضي القبيلة جعلها تساهم بنسبة تتراوح من عشر الى خمس انتاج العراق الكلى من محصولى الحنطة والشعير ، إضافة الى مزاولتها حرفة الرعى ، واعتمادها على مورد آخر هو " الغزو " (٦) الذى تقوم به ضد القبائل الاخرى فى العراق

(١) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٤٩ وأيضاً الندوانى ، مرجع مر ذكره ،

ص ٢٧ .

(٢) قرية تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة وعلى مسافة ٦٠ ميلاً جنوب مدينة الكوت وتحيط بها عشيرة البودراج وقبيلة ربيعة . راجع : لوريمر مرجع

مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٦ ، ص ٢٠٤٣

(٣) لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٤ ، ص ١٣٥٠ .

(٤) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٢٩٢ .

(٥) لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٤ ، ص ١٣٥٣ .

(٦) عن موضوع الغزوين القبائل ، راجع ، اسوعبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، مع نصوص العزاي عن الحرب والسلم ، مقال منشور فى مجلة " الدارة " السنة التاسعة ، العدد الثانى ، محرم ١٤٠٤ هـ ، ص ٤١ - ٦٣ .

وفارس وتقدم خمس غنائم الى شيوخها^(١)، الذين كانوا يدفعون للخزانة الحكومية ضرائب سنوية مقدارها ثمانمائة الف قرش^(٢) .

وكما اصطدم بنو لام بقبيلة ربيعة فقد اصطدموا أيضا مع قبائل المنتفق صدامات كثيرة تكررت مرارا خلال القرن الثاني عشر الهجرى / الثاني عشر الميلادى . (٣) أما على صعيد علاقتهم بالحكومة ، فيبدو أن السلطات الرسمية رحبت أول الأمر بأزدياد نفوذهم فى المنطقة ، واستفادت من هذا النفوذ فى التأثير على القبائل الأخرى ودفعها للتفاهم معها . (٤) ولكن الموقف انقلب حين أخذ شيوخ بنى لام يثيرون العاصب للحكومة ، وهى متاعبب تكرر حدوثها خلال القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، مما جعل آخر الولاة المماليك داود باشا ١٢٣٢ - ١٢٤٧ هـ / ١٨١٧ - ١٨٣١ م يسعى لاضفاف تلك القبيلة عن طريق شقها الى قسمين متنافسين . (٥) وهو أسلوب كانت السلطات العثمانية تلجأ له كثيرا ، ولكنها كانت تضطرب أحيانا لاتباع أساليب مباشرة أكثر فعالية ، فتلجأ للحزم فى تعاملها مع بنى لام . فقد ضيقت الخناق سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م على شيخهم " بنى العزبان " (٦) حتى

(١) لوريير، مرجع مر ذكره، القسم الجغرافى، ج ٤، ص ١٣٥٣ - ١٣٥٤ .

(٢) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ١٥٤ .

(٣) الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ٤٨ .

(٤) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٥٥ وأيضا الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٤٩ .

(٥) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٤٩ .

(٦) تجمع أغلب المراجع على ضبط اسمه كما جاء فى المتن، وهو تصغير لظه بنت . ولعله سمي بذلك اتباعا لعادة بعض العامة حين يطلقون على المولود الذكر اسما " غريبه لتجنبيه الحسد . ولكن الندوانى فى " تاريخ العمارة، ص ١٢٥ " يسميه " بنيان " وحرف معرب لوريير الاسم فجعله " بنياح " . راجع القسم التاريخى، ج ٤، ص ٢٢١٧ .

أضطرته للهرب عبر الحدود الى فارس (١) ، الا أن هذا الحزم لم يطل أمده ،
اذ لم تلبث السلطات الحكومية أن استرضت الشيخ المذكور في السنة التالية ،
بل زادت على ذلك فضحته نيشان تشریف (٢) .

ومن ناحية أخرى ، لم تشذ قبيلة بني لام عن غيرها من القبائل في
ظاهرة النزاع داخل بيت المشيخة . فقد ثار النزاع مثلا بين الشيخ
"مزيان بن مذكور" وأخوته خلال سنتي ١٢٩٥ - ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ - ١٨٧٩ م (٣)
ولكن يمكن القول - رغم ذلك - أن مشيخة تلك القبيلة كانت أكثر استقرارا منها
في مشيقاتها من القبائل . اذ بعد وفاة شيخها "مزيان" خلفه أبوه "بني" وظلت
المشيخة بين يديه حتى وفاته سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م (٤) . فخلفه ابنه
"فضبان" ، وهو فتى "يافع" مما أفرى بعض العشائر بالخروج على طاعته
ولكنه واجه الأمر بالشدة وبذل المال حتى دانت له ليس قبيلته فقط بسبل
أغلب عشائر اللوا (٥) . وقد دفعه ذلك الى مد نشاطه الى نواحي قضا
الكويت التابع لولاية بغداد (٦) ، معتمدا في ذلك على قوته وثرائه ، اذ كانت
وارداته السنوية خمسين ألف ليرة ذهبية ، ولديه حاشية خاصة تقوم على خدمته
مكونه من ثمانمائة رجل مسلح (٧) .

(١) داخلية Basbakanlik Arsivi, Istanbul, 1308, No. 95263.

(٢) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 99070.

(٣) لوريير، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٢١٧.

(٤) لغة العرب، السنة الثالثة، ج ٨، ربيع الاول ١٣٣٢ هـ / شباط ١٩١٤ م،
ص ٤٢٩.

(٥) الندواني، مرجع مر ذكره، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٦) الزورا، السنة الحادية والثلاثين، العدد ١٧، ربيع الآخر ١٣١٧ هـ.
والكويت مدينة على نهر دجلة جنوب بغداد : نشأت في حدود منتصف
القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي . والمرجح أن أصل
كلمة "كويت" هندی ويعني "القلعة" . راجع :

عادل البكري، تاريخ الكويت، بغداد، ١٩٦٧، ص ٧٣ - ٨٥.

(٧) Public Record Office, Fo 424/219, No. 50/492, Consul-
General Ramsay (Political Resident in Turkish Arabia and
His Britannic Majesty's Consul-General, Bagdad) to Sir G.
Lowther (British Ambassador at Constantinople), May 18,
1909.

والقبيلة الثانية التي تشارك بنى لام في الاهمية في لواء العمارة هي " ابو محمد ". ويفترض أن أصل الكلمة هو " آل أبي محمد " ، ولكن العامة عند نطقهم لها أستسهلوا رفع " أبي " بدل خفضها فقالوا " آل أبو محمد " ، ثم أدغموا " أبو " فيما قبلها بعد حذف ألفها . وقد نزح الجد الاعلى لهذه القبيلة (١) الى أطراف العمارة حوالي منتصف القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى والتجأ لحمى قبيلة بنى مالك المتفقية . (٢) ثم تكاثرت سلالة هذا الرجل بمن انضم لها من فروع العشائر الاخرى . (٣) وتكونت من جميع قبيلة مستقلة برزت اهميتها خلال القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى نتيجة لاستفادة شيوخها من الصراع بين المنتفق وبنى لام فى تلك الانحاء (٤) . حيث استطاعوا مد سيطرتهم على المنطقة المستدة على ضفتى نهر دجلة بين مدينتى العمارة و " العزيز " (٥) ، والانتشار فى " الأهوار " (٦) الواسعة الممتدة من سوق الشيوخ غربا الى " الحويزة " (٧) شرقا .

(١) نسبه الطاهر فى " العشائر العراقية ، ص ٢٧٦ " الى قبيلة زبيد ، بينما نسبة الندوانى فى " تاريخ العمارة ، ص ٤٥ " الى قبيلة العزة .

(٢) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٥ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٧٦ .

(٤) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٥) مدينة صغيرة على الشاطئ الايمن لنهر دجلة فى منتصف المسافة بين القرنة وقلعة صالح . فيها ضريح يقال انه للنبي عزيز عليه السلام ، لذلك كان يستوطنها بعض اليهود فى مطلع هذا القرن الميلادى . أما المنطقة المحيطة بها فيقيم فيها ابو محمد . راجع : لوريير ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ج ١ ، ص ٢٦١ .

(٦) سور بالفتح البحيرة تفيض فيها المياه فتتسع ويكثر ماؤها ، وجمعها أهوار ، راجع : محمد مرتضى الزبيدى ، تاج العرس فى جواهر القاموس ، ط ١ القاهرة ، ١٣٠٦ هـ ، المجلد الثالث ، ص ٦٢٤ . وعن حياة سكان الأهواز ،

راجع : Thesiger, W., The Marsh Arabs, 2nd imp., London, 1964.

(٧) مدينة صغيرة تقع داخل الاراضى الايرانية على نهر الكرخا . وتبعد عن مدينة العزيز العراقية بحوالى خمسة وعشرين ميلا تقريبا . وهى موطن قبائل بنى طرف العربية . راجع : النجار ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٨ .

وقد أصبحت تلك القبيلة مرهوبة الجانب في محيطها نظرا لطبيعة أرضها وتسليحها الجيد (١) إذ كانت قوتها تقدر بعشرة آلاف بندقية من مختلف الأنواع . (٢)

وقد أغرت هذه القوة البو محمد بإعلان العصيان على الحكومة كلفها لحقت بهم مظلمة ، فتكررت حركات العصيان في صفوفهم خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وكانت من أبرز تلك الحركات ما جرى سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م حين ثار البو محمد ضد الضرائب القادحة التي فرضت عليهم ، فأضطرت السلطات الرسمية لانتهاج سبيل التهدة لمعالجة الامر (٣). وحين تكرر الاضطراب سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م مالت السلطات الى الحزم هذه المرة فسأقت القوات الحكومية نحو التمردين ونجحت في توطيد أركان النظام في تلك الانحاء (٤) . وقد استتب الهدوء أثر ذلك الى سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م حين قام " صيهود المنشد " شيخ البو محمد بعصيان واسع سببه نزاع على التزام الاراضي بينه وبين بعض أقاربه ، أجهه الدور المشين الذي قسام به متصرف اللواء عند ماثقاضي الرشاوى من الجانبين معا (٥) . واستمر ذلك العصيان طيلة ثلاث سنين الى أن تمكنت القوات الحكومية من الوصول الى قلعة صيهود وتهديمها بمساعدة أخية " وادي المنشد " (٦) . وكانت

(١) لوريير، مرجع مر ذكره، القسم الجغرافي، ج ٤، ص ١٥٨٩ - ١٥٩٠ .

(٢) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٨٣ .

(٣) الطاهر، المرجع نفسه، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) الندواني ، مرجع مر ذكره، ص ٢٨ .

(٥) P.R.O., Fo 424/216, No. 55, Cons. - Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay (British Charge . d'affaires, Const.) June 9, 1908.

(٦) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

النتيجة الرئيسية لاضطراب الاوضاع على ذلك المنوال هي عجز السلطات عن تحصيل
 الأموال الحكومية حتى لقد بلغت البقايا المتراكمة منها في ذمة الملتزمين
 في لواء العمارة سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م اثني عشر مليوناً وتسعمائة ألف
 قرش . (١)

ولأن عملية تلزيم الاراضي كانت تتجدد تلقائيا، فإن النزاع الداخلي بين
شيوخ قبيلة البو محمد على التزام المقاطعات كان يتكرر بين فترة واخرى
أيضا (٢) ولم تكن السلطات الرسمية بعيدة عن تأجيج نيران ذلك النزاع
في الخفاء والعلن من اجل تفتيت الوحدة الداخلية لتلك القبيلة (٣).
فحين تنازع صيهود المنشد مع ابن أخيه عربي الوادي سنة ١٣٠٩هـ /
١٨٩٢م تدخل والي بغداد في النزاع ومنح تأييده لمنافس ثالث من شيوخ
القبيلة هويسر الفصيل (٤). وقد أدى ذلك الى حدوث صدامات دموية طاحنة
بين مؤيدي صيهود ومؤيدي يسر (٥) تبعها قيام صيهود بقطع خطوط
البرق الممتدة بين بغداد والبصرة واعاقة الملاحة في نهر دجلة احتجاجا
على انحياز الحكومة لخصمه وضغطا عليها لتلبية مطالبه (٦).

وقد أطلق تطور الوضع بهذا الشكل السلطات المحلية في الولايات،
فرفعت الأمر إلى السلطات العليا في استانبول لدراسته واتخاذ القرار

(۱) العزازی، تاریخ الحبراق، ج ۸، ص ۵۹ - ۶۰.

(٢) النبدوانى، مرجع مر ذكره، صص ١١٢ - ١٢٢.

(٣) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٢٧٦.

(٤) النبدوانى، مجمع مر ذكره، ص ١٢٣.

Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 97512, (b) داخلية

(٦) لوريير، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٢٢٠.

الملائم لمعالجته (١). وعلى هذا قرر الباب العالي في صفر ١٣٠٩ هـ ضرورة سوق القوات الحكومية لاقرار الأمن في تلك المنطقة ووضع حد للنزاع القائم بين صيهود ويسر. (٢) ولم يؤد تنفيذ ذلك القرار الى انتهاء تلك المشكلة، اذ ظل صيهود يحيق الملاحة في نهر دجلة بشنه الغارات على السفن المارة، وكان من بينها سفن تجارية بريطانية. فأخذ القنصل البريطاني في البصرة يلح على سلطات الولاية لاتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان سلامة تلك السفن. (٣) ونتيجة لكل هذا حزم الباب العالي أمره وقرر في رمضان ١٣٠٩ هـ سوق قوة كافية من الجند لتعقب صيهود واخماد عصيانه نهائيا (٤). وقد انضم لتلك القوة اتباع يسر الفصيل، فرجحت الكفة لصالحها وتمكنت من دحر العصاة، ولم يجد صيهود امامه سوى الهرب الى اعماق الهور. بينما القست القوات الحكومية المنتصرة القبض على ابنه فالح وجاتم وابن أخيه عريبي الوادي، فنقلوا الى استانبول، ومكثوا هناك مدة من الزمن، صدر بعد هذا العفو عنهم وأعيدوا للعمارة (٥). هذا ولم تنس الحكومة بالمقابل ان تكرم حليفها يسر الفصيل، فمنحته رتبة شرفيه تقديرا لوقوفه معها ضد صيهود (٦).

ولم يكن الصراع على التزام المقاطعات حكرا على الشيوخ داخل قبيلة الهو محمد فقط، ولكنه كان يشور أحيانا بينهم وبين شيوخ العشائر المجاورة

(١) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 97593,

(٢) مجلس مخصوصي Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 5348,

(٣) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 100156,

(٤) مجلس مخصوصي Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 5551,

(٥) الندواني، مرجع مر ذكره، ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٦) داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 98736,

فحين عجز بعض شيوخ البو محمد عن الوفاء بتعهداتهم المالية الناشئة عن التزامهم لبعض المقاطعات سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣ م قررت السلطات الحكومية تحويل الالتزام الى عشيرة "الزبرق" (١) . ولكن البو محمد رفضوا الانصياع لذلك القرار وتمسكوا بالبقاء في تلك الاراضي ، الأمر الذي جعل متصرف العمارة يسوق نحوهم قوة حكومية استخدمت في اجلائهم ضروبا في القسوة الزائدة من الحد (٢) . حتى أن والي البصرة اضطر للتدخل من الأمر فعزل متصرف لواء العمارة واعد المقاطعة الى ملتزميها السابقين . (٣)

ومن هذا القبيل أيضا الصراع الذي أخذ يتصاعد منذ أواسط القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي بين البو محمد وبنى لام ، وقد اعتقد القنصل الأمريكي في بغداد أن سبب هذا الصراع عرقي Racial لان بنى لام

(١) عشيرة ترجع في الاصل الى عشيرة الزبرق المنتفكية . وقد نزح اجدادها الى منطقة الجسر الصغير في العمارة بأمر من أحد شيوخ المنتفق حين وضعهم هناك طليعة أمامية لصد أية أخطار تتعرض لها أراضي المنتفق من هذه الناحية . وكان ذلك في حوالي سنة ١١٥٥هـ . راجع : الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ١٧٠ و ص ٢٨١ .

(٢) لوريير ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٢١ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٨١ . وروى لوريير " القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٢١ " أن الذي تدخل في الأمر هو والي بغداد ، ولكن ماورد في المتن هو الاصح ، "يو" بد ذلك ماجا في :

Sir N. O'Connor to the Marquess of Lansdowne, July 30, 1904, in " The Affairs of Kuwait ", Vol. II, Part VI, P. 57.

بدو والهو محمد "معدان" (١). ولكن كل الشواهد تشير الى خطأ ذلك الاعتقاد اذ ان الفارق بين البدو والمعدان اجتماعي وليس عرقيا، وهو مع ذلك لا يشكل الا سببا ثانويا للصراع الذي يمكن سببه في التنافس على الارض والنفوذ (٢). ذلك التنافس الذي اشتد اواره مجددا في سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م بين صيهور المنشد وفضبان البنية واخذ يتصاعد حتى تحول الى صدامات دموية عنيفة بلغت اوجها سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م (٣). ويبدو أن الدولة كانت خلال ذلك تسند فضبان او ثغاطف معه على الأقل لانها كانت تريد تقويته وجعله السيد الذي تسيطر عن طريقه على كل الاقليم الممتد بين نهر دجلة والحدود الفارسية. (٤) ولذلك قصرت تدخلها في تلك الاضطرابات الدامية على ايفاد اللجان للتحقيق في اسباب النزاع ومحاولة التوسط بين المتنازعين، فعلت ذلك سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م (٥)، وكررت في السنة التالية. (٦)

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 23, American Consul at Bagded, to American Ambassador at Constantinople, Apr. 10, 1908.

والمعدان جمع مصيدى وهو اسم يطلق على من يربى الجاموس في سكنة الاهوار، ويختلف في سبب التسمية فيعدها بعضهم اسم صنعة ويرى اخرون انها جمع للمنتمين الى "معد بن عدنان" كما تقول عرب وهرهان، راجع، الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) الطاهر، العشائر المراقية، ص ٣٤٩ وأيضاً الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ٢٨.

(٣) الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ١٢٦ - ١٣٠.

(٤) N.A.R.S. RG 84, No. 23, American Consul, Bagded, to American Ambassador at Constantinople, Apr. 10, 1908.

(٥) Consul Crow to Sir N. O'Connor, April 14, 1905, in "The Affairs of Arabia", Vol. II Part VIII, P. 24.

(٦) Consul Crow to Sir N. O'Connor, July 9, 1906, in "The Affairs of Arabia", Vol. II Part VIII, P. 23.

وبلاحظ هنا أن قبائل لواء العمارة اعتادت أن تلجأ خلال اضطراباتهما إلى اعتراض سبيل السفن المارة في نهر دجلة ، وهو أمر يبدو أنها ألفتته منذ فترة بعيدة (١) ، وكانت دوافعها لذلك العمل متعددة كالرغبة في الحصول على الفنائم أو أن يكون الأمر محض صدفة كأن تمر السفينة بين طرفين يتبادلان إطلاق النار من النهر فيتخذانها سائرا متحركا (٢) ، والأهم من ذلك كله هو اتخاذ ذلك العمل وسيلة للفت نظر الحكومة إلى القضية التي تحركت من أجلها (٣) ، وقد ازداد لجوءها إلى ذلك الاجراء زيادة خطيرة منذ سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م فقامت بهشن هجمات على السفن المارة وخاصة البريطانية منها توقعا لقيام الحكومة البريطانية بالضغط على الحكومة العثمانية للاستجابة لمطالبها ، وظلت القبائل تمارس تلك اللعبة الخطرة في السنوات الأولى من القرن الحالي (٤) ، وكانت آخر الامثلة على ذلك هو قيام حاتم بن صيهور سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م باعاقة الملاحة في نهر دجلة لمدة ثمانية شهور كاملة لم تملك السلطات الرسمية خلالها سوى استرضاءه واصطـﻻن العفو عنه (٥) . ولقد كانت كل تلك الحوادث سببا لحرص كبير يلحق بالدولة العثمانية لما يجره من ضغوط وتدخلات دولية في شئونها الداخلية ، وهو الأمر الذي سنرى صورا منه عند تناولنا لاحداث في فترة بحثنا ، ولكن يجدر بنا قبل ذلك أن نلمح بما طرأ على الاوضاع القبلية من تطورات اقتصادية واجتماعية .

(١١) جيمس بكنغهام ، رحلتى الى العراق ، ترجمة سليم التكريتي ، ج ٢ ، بغداد ،

١٩٦٩ ، ص ٢٩٦ .

(٢) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢١٧ و ص ٢٢٥٦ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٨٠ .

(٤) P.R.O. , FO. 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay June 9, 1908.

(٥) N.A.R.S. RG 84, No. 23, Am. Cons., Bag., to Am. Amb., Const., Apr. 10, 1908.

التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي اثرت على الاوضاع القبلية قبل فترة البحث :

ان وقوفنا طويلا امام الجوانب السياسية والحربية من معالجات السلطات العثمانية للمشكلة القبلية لايعنى ان الاوضاع القبلية ظلت - طيلة مايقارب الاربعة قرون - راكدة لم تطرأ عليها عوامل ايجابية زحزحتها قليلا الى الامام . ولا أن كانت تلك العوامل بطبيعتها غير ذات أثر يمكن ملاحظته لاول وهلة وخاصة في القرون الثلاثة الاولى ، الا انها اصبحت أكثر بروزا في القرن الأخير ، فقد تسارعت وتلاحقت نتيجة لاسباب عديدة ، منها الاتجاه العام الذى سيطر على أذهان رجال الدولة والداعى الى تجديد شبابها وتحديث مختلف مرافقها من طريق اتباع النمط الذى كان سائدا حينئذ في الدول الأوروبية وهو اتجاه تجددت سماته في الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجرى / النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى .

واذا كان ذلك الاتجاه قد نال استحسان واطراء الكثيرين وخاصة من الغربيين ، الا انه كان يتناقض - الى حد ما - مع العقلية القبلية التى كانت أكثر انسجاما مع مناهج الدولة الادارية القديمة المستمدة فى اظهرها من الجذور القبلية التركية (١) . ولا ريب أن ذلك التناقض قد القى بظلاله على العلاقة بين الدولة والقبائل ، فقد كثرت فى هذه الفترة الصدامات بين الطرفين وازدادت حدة ووحشية ، وهو الامر الذى اعاق الى حد ما خطط اصلاح الحكومية فى العراق ، ولكنه لم يستطع ان يمنعها كلية ، اذ نجح الولاة المتعاقبون فى تحقيق قدر معين من التطور تمثل فى كبح جماح بعض القبائل النزاعة للحرب وتوفير الامن فى الطرقات العامة لحد معقول وتشجيع الزراعة . (٢)

(١) Lloyd, S., Twin Rivers, Bombay, 1961, P. 169.

(٢) لوريير، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخى ، ج ٤ ، ص ٢١٩٧ .

وبالإضافة إلى تلك الجهود المباشرة التي بذلتها السلطات الرسمية استجذبت عوامل غير مباشرة ساهمت في دفع عملية التطور، منها ازدياد الطلب الأوربي على المنتجات الزراعية والحيوانية العراقية، والذي دفع إلى استغلال الفائض في الطاقة الانتاجية للأرض والفلاح في العراق (١). وكان ذلك مؤدنا بآنتهاء مرحلة الاقتصاد المعيشي المحض الذي يكتسبون هدف الإنتاج فيه إشباع الحاجات المحلية، وبدء مرحلة الإنتاج التجاري التي كانت من أبرز سماتها ازدياد صادرات الحبوب العراقية إلى الخارج، إذ قفزت من ستة وخمسين ألف طن في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / أوائل التسعينيات من القرن الميلادي الماضي إلى مائة وعشرين ألف طن في أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري / العقد الأول من القرن الميلادي الحالي (٢).

وكان هذا التطور الانتاجي ذا آثار مباشرة على الكيان القبلي، إذ أن الأرباح الكبيرة التي أخذت تدرها تجارة الحبوب أفرت الشيوخ في بعض المناطق بوضع أيديهم على الأراضي الزراعية القبلية واعتبارها ملكاً شخصياً لهم (٣). فتحول أفراد القبائل نتيجة لذلك من شركاء في الأرض إلى مجرد فلاحين أجراً مما ساعد على تحلل الروابط القبلية

(١) Hasan, M.S., The Role of Foreign Trade in the Economic Development of Iraq, 1864-1964, in " Studies in the Economic History of the Middle East," edited by Cook, M.A., London 1970, P. 349.

(٢) ورنو، مرجع مر ذكره، ص ٢٤٦.

(٣) Hasan, op.cit, P. 350.

وتفسخ النظام القبلى (١). أما فى المناطق الأخرى التى تأخر فيها - بسبب
أولاً - تحول الشيخ إلى ملاك للأرض فقد تقدم بعض وجهاء المدن
وكبار الموظفين للقيام بذلك الدور، مما جعل رد الفعل معاكساً لما حصل
فى الحالة الأولى، إذ ازداد النظام القبلى تماسكاً وشن الشيخ وأفراد
قبائلهم نضالاً مريراً ضد الملاك الجدد الغرباء (٢).

ومن المقارقات أن تبنك الحاليتين معاً قد عادتاً على السلطات
الرسمية بمتاعب كبيرة، ففى حين كان على تلك السلطات فى الحالة الأولى
أن تجرد الحملات الخيرية لتأييد الشيخ المالكين ضد أفراد قبائلهم الذين
كانوا يعبرون عن رفضهم لنظام الملكية الجديد برفع راية العصيان تحت
قيادة "سراكلهم" (٣)، كان عليها فى الحالة الثانية أن تؤيد بالقوة الحقوق
القانونية للملاك الغرباء ضد معارضة الشيخ وأفراد قبائلهم لتلك الحقوق (٤).
أى أن السلطات حين كسبت تأييد المالكين فى الحاليتين المشار إليهما
لسياستها وخططها (٥)، خسرت تأييد أغلبية أفراد القبائل. وحيث
ساعدتها الظروف على تحقيق مايتها التى سعت من أجلها طويلاً وهى
تحطيم التلاحم القبلى لم يعد عليها ذلك ينفع سريع.

(١) الطاهر، البدو والعشائر، ص ٢٠.

(٢) نظمي وآخرون، مرجع مر ذكره، ص ٢٦.

(٣) Glubb, War in the Desert, P.72. والسراكل جمع سركال وهى
معرفة من الكلمة الفارسية "سر-كار" أى رئيس العمل، راجع: لفظة
العرب، السنة الثالثة، ج ٨، ربيع الأول ١٣٣٢، ص ٤٢. وتطلق الكلمة
عادة على رؤساء أفخاذ العشيرة الذى يتولون زراعة جزء من المقاطعة،
وقد يكون السكال فى بعض الأحيان مجرد مدير زراعى لا يمت إلى القبيلة
بصلة. راجع:

ورنر، مرجع مر ذكره، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٤) Haider, op.cit., P.164.

(٥) فياض، مرجع مر ذكره، ص ٦٠. وأيضاً الطاهر، العشائر العراقية، ص ٦٥.

ومن العوامل التي سهلت تحول الزراعة في العراق الى زراعة تجارية سهولة المواصلات التي نتجت عن انشاء الملاحة البخارية في نهر دجلة وفتح قناة السويس (١). فقد أصبحت المنتجات الزراعية تصل بيسر وسرعة الى ميناء التصدير في مدينة البصرة ومنها الى اوروبا عبر القناة ، مما أدى الى زيادة كبيرة في صادرات العراق . اذ ارتفعت قيمتها من مائة وسبعة واربعين الف جنية استرليني سنويا خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١٢٨١-١٢٨٨ هـ / ١٨٦٤ - ١٨٧١ م الى مليونين وتسعمائة وستين ألف جنية خلال سنة ١٣٣٠-١٣٣١ هـ / ١٩١٢ - ١٩١٣ م. (٢)

وكما كان للملاحة في نهر دجلة تأثيرات اقتصادية ، كان لها تأثيرات حضارية موازية اذ رافقها انشاء محطات الفحم وخانات المسافرين ومرافق أخرى على ضفاف النهر ، وفرت لها الحكومة الحماية العسكرية المطلوبة فتطورت تدريجيا الى مدن صغيرة وسط المناطق القبلية ، التي اخذ وكلاء تجار الحبوب والمنتجات الحيوانية يجوبونها لشراء ما يحتاجون من المنتجات ويحملون معهم في نفس الوقت أفكارا جديدة الى الوسط القبلي المفسلق ، ويهشون فيه طرفا من اخبار العالم الخارجى . كما لم تعد بغداد والبصرة مدنا بعيدة ذهنيا او واقعا عن افراد القبائل بل اصبح سفر بعضهم

(١) Haider, op.cit., P. 163. وقد بدأت الملاحة المنتظمة في نهر دجلة سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦٢ م عن طريق الرحلات التي كانت تسيرها بين البصرة وبغداد شركة Lynch البريطانية. ولمزيد من المعلومات عن هذه الشركة راجع: الشناوى ، مرجع مر ذكره، ج ٢، ص ٧٦٩-٨٠٠. ويشبه البعض الدور الذي لعبته تلك الشركة في تاريخ العراق بدور شركة الهند الشرقية البريطانية في تاريخ الهند، راجع: البزاز، مرجع مر ذكره، ص ٥٥. وقد اعتاد العراقيون على تسميتها - في لفظهم وكتاباتهم - بشركة لنج وسنلتزم بهذه التسمية عند كتابتنا لاسمها فيما بعد .

اليهما متيسرا ، اضافة الى ان المضاع المصنعة وجدت طريقها اليهم ، فأثر كل ذلك فى تحريك الركود الذى يخيم على حياتهم (١) . كما كان للملاحة تأثير مهم آخر اذ سهلت على الدولة تحريك قواشها للمناطق القبلية بسرعة اكبر ، حتى لقد لوحظ ان القبائل المقيمة على ضفاف نهر دجلة قد تم ترويضها قبل تلك المقيمة على ضفاف نهر الفرات بعدة طويلة ، لان نهر دجلة كان خط سير البواخر النهرية المنتظمة بين بغداد والبصرة . (٢)

ويتصل بما مر التأثيرات التى تركها مد اسلاك البرق فى العراق ، وهو الامر الذى تم فى اواخر ايام السلطان عبد المجيد * ١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١ م* (٣) ومارافقه من انشاء محطات البرق فى كثير من المناطق النائية ، التى اخذت اخبارها تصل لمراكز الولايات بسرعة تمكن السلطات من التحرك لمواجهة اى طارىء فى الوقت المناسب . كما أتاحت تلك المحطات للقبائل فرصة اتصال ارائها للسلطات العليا فى بعض الاحيان (٤) . ولا ريب أن تلك التطورات التى استجذت على اوضاع العراق كانت تبسـد و واضحة لأعين المراقبين الاجانب ، ومنهم القنصل الأمريكى فى بغداد الذى يظهر انه كان متحسسا لها مما جره الى الصالفة بعض الشئ* حين قسـال ان ما حدث منها خلال السنوات الخمس الواقعة بين سنتي ١٣٢٣ - ١٣٢٨ / ١٩٠٥ - ١٩١٠ م يعد اكثر مما حدث خلال القرون الخمسة الاخيرة (٥) .

(١) Longrigg, Op.Cit., PP.23-24.

(٢) تنظيمى وآخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦ .

(٣) محمد رشيد بن السيد داود سعدى ، قرة العين فى تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين ، بومبي ، ١٣٢٥ هـ ، ص ١٢٥ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٥١ .

(٥) N.A.R.S., RG84, No.136, Am.Cons. at Bag. to Western Electric Co., July 22, 1910.

وهكذا وبعد ان تصرفنا على ملامح السياسة العثمانية تجاه القبائل العراقية بوجه عام ، وعلى تعاملها مع قبائل ولاية البصرة بوجه خاص ، وبمسند أن المصائب بهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على الوضع القبلي ، يمكن ان أجمل خلاصة ما مررنا في نقاط محددة فيما يلي :-

- (١) كانت العلاقة بين الدولة والقبائل علاقة قلقة يسودها الشك المتبادل الذي تكمن جذوره في عجز الموظفين الترك عن فهم العقليّة القبليّة وما انبنى عليها من تقاليد اجتماعية (١) يقابل ذلك ما هو معروف من حساسية القبلي المفرطة تجاه الغريب (٢)
- (٢) كان محور الصراع بين الدولة والقبائل يدور حول أمرين هما ملكيّة الارض الزراعيّة والضرائب اذ لم تراعى الدولة في أنظمتها المتعلقة بالارض خصوصية الاعراف القبليّة المتوارثة ، مما اوجد هوة بين القوانين المكتوبة على الورق والممارسات المطبقة في الواقع . كما عجزت السلطات الرسميّة عن وضع نظام محدد لاستيفاء الضرائب يتسم بالعدل والمرونة ويتفهم حساسية القبائل بحيث يشجعها على الانتظام في الدفع حتى يصبح الامر مالوفا لديها بالتدريج - ولدينا نموذج يدل على ما يمكن ان تكون عليه الحال لو راعت الدولة ظروف القبائل الخاصّة ، هو ما حدث ففسى قضية التجنيد الالزامي ، اذ أدركت السلطات نفور القبائل من التجنيد فتذرعت بحجة قانونية لاعفائها من ذلك الواجب ، اذ اعتبرتّها " غير محررة " أي غير مسجلة في سجلات النفوس التي يتم التجنيّد على اساسها . وحتى من اعتبرت محررة فقد مكنتها الدولة من دفع

(١) Foster, H.A., The Making of Modern Iraq, 2nd. imp., New York, 1972, P.55.

(٢) محيي الدين صابر ولويس مليكة ، البدو والبدوّة ، سرس اللبان ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٩ .

(٣) الطاهر ، العشائر العراقيّة ، ص ٣٤ .

البذل النقدي بدلا من الخدمة الفعلية (١) ، فتقلدت بذلك صدامات محتمة لانهاية لها مع القبائل .

(٣) كانت الوسيلة التي تلجأ اليها الدولة لأغلب الاحيان في تعاملها مع القبائل هي القوة ولم تحاول الا نادرا ان تجرب وسائل ايجابية بديلة تهيب* من خلالها تدريجيا لابناء القبائل وسائل لتطويع حياتهم يكون في امكانهم قبولها بدلا من ان تنزل بهم ضربات موجعة بين حين وآخر . (٢)

وهنا ، ينبغي ان أشير الى نقطتين أولهما ما دعه البعض من ان الثمرات المذهبية ساهمت في بلورة مواقف السلطات العثمانية تجاه القبائل العراقية (٣) ، أى ان تلك المواقف تأثرت بكون الدولة سنية وكون اغلبيّة قبائل وسط وجنوب العراق شيعية . ورغم ما في هذا القول من منطق ظاهري قد يفهم المتأمل بقبوله ، الا انني لم أجد في كل ما اطلعت عليه مما دونه الكاتبون من تاريخ الدولة العثمانية في العراق ما يشير الى واقعة عملية واحدة ترجع وقوعه . فالقوانين والانظمة التي طبقتها الدولة هي نفسها بالنسبة الى القبائل الشيعية والسنية على السواء ، وسجل حملاتها الحربية ضد القبائل السنية العربية والكروية لا يقل بحال من الاحوال عن مثيلة ضد القبائل الشيعية بما ينفي عن الدولة العثمانية تهمة التحيز ضد الشيعة .

(١) لونغريك ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٧٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤٨ .

(٣) حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانجليز ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٧ .

وأیضا البزاز ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٩ .

أما الثانية فهي تصوير الاضطرابات القبلية على اعتبار أنها حركة قومية عربية هدفها التحرر من الحكم العثماني أو المشاركة في حكم البلاد على الأقل، (١) وفي ذلك للتصوير بالأريب ظل ظاهر يحمل أحداث الماضي من المضامين المعاصرة أكثر مما تحتفل، إذ لم تبدأ بواكير الحركة القومية العربية إلا في آخريات القرن الميلادي وأوائل القرن الحالي، واقتصرت حتى بعد ظهورها على بعض المتعلمين من أبناء المدن، بينما ظل الفسرد القبلي واليهودية متأخرة جداً لا يشعر بالانتماء إلا إلى نيان واحد هو قبيلته (٢). ثم أن شيوخ القبائل لم يكونوا يترددون وهم في قمة عصيانهم عن إعلان ولائهم الكامل وإخلاصهم للسلطان (٣).

تلك كانت الأوضاع القبلية حين دخلت سنة ١٢٢٦هـ / ١٩٠٨م التي وصل الاتحاديون خلالها للحكم وتسلموا الأثر الذي تركته لهم المهجود السابئة ومن جملة المشكلة القبلية المعقدة في العراق.

(١) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٤٦٣ - ٤٧٠.

(٢) بحوث الندوة العلمية العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج العربي، الكتاب الثاني: الإنسان والمجتمع في الخليج العربي، البصرة، ١٩٧٩، ص ٧٩.

(٣) Glubb, Arabian Adventures, P. 36.

الفصل الأول

الوضع القبلي في لواء العامرة بين سنتي

١٣٢٦-١٣٣٢هـ / ١٩٠١-١٩١٤م

اضطرابات سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م :

لاحظ القنصل الامريكى العلم فى بيروت بحق أن بداية السنة المالية العثمانية فى الخامس عشر من شهر مارس من كل عام تكون دائما موعدا لبداية الاضطرابات القبلية السنوية لانها موعد ثورة الخلافات على قضايا الضرائب الزراعية (١) ولم تكن سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م استثناء لتلك القاعدة ، فما ان حل شهر مارس/ صفر حتى كان الاضطراب منتشرا بين قبائل لواء العمارة بصورة واسعة بسبب التزام المقاطعات الزراعية والبدلات المقررة على الالتزام .

ولقد كانت ثورة النزاع هذه المرة مقاطعة تسمى "المجر الصغير" (٢) كانت تلزم عادة الى عشيرة الازريق ولكنها لم تلتزم ابتداء من سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م الى غضبان البنيه شيخ بنى لام (٣) ، الذى أقام فيها أخاه فالحا (٤) ، وحين أوشكت مدة الالتزام على الانتهاء ، رغب غضبان فى إعادة التزامهم وفى ترتيب أمر التزام المقاطعات الاخرى بالصورة التى تناسبه ، فأوفد فى شهر فبراير ١٩٠٨م (محرم ١٣٢٦ هـ) كاتبه الى مدينة البصرة حاملا الفين وخمسائة ليرة تركية كى تدفع " مكافأة " للوالى اذا منح غضبان التزامات ملائمة للسنوات

(١) N.A.R.S., RG84, No. 146, Am. Cons. Gen. at Beirut to Am. Amb at Cont., April 30, 1908.

(٢) مقاطعة تقع على بعد ١٤ ميلا غرب مدينة العمارة على غفاف جدول المجر الصغير المتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة ، وبها قرية بنفس الاسم انشأها رئيس عشيرة الازريق عام ١٢٩٥هـ ، راجع : لفظة العسرب ، السنة ٨ ، ج ٣ ، اذار ١٩٣٠ ، ص ١٧١ .

(٣) PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

(٤) PRO, FO 424/215, No. 30, Cons. Crow To Mr. G. Barclay, April, 15, 1908.

الثلاث القادمة . (١)

وكادت الامور أن تجري حسب مايشتهى غضبان لولا أن وصلت السي
بفداد في هذه الاثناء لجنة من استانبول برئاسة مصطفى ناظم باشا غرضها
التحقيق في أوضاع ولايات العراق الثلاث والسعى لاصلاح أمورها . (٢) فسمع
رئيسها في بفداد أخبارا عن تلك الصفقة التي توشك أن تتم في البصرة
فأهرق الى سلطات تلك المدينة طالبا عدم تلزيم اية مقاطعات لحين وصوله ،
ثم سافر الى البصرة على عجل ، ولم يمكث هناك طويلا بل توجه الى العمارة
حيث طالب هناك كلا من غضبان وشيخ ابو محمد صهيود المنشد بدفع
ما بذمتها من متأخرات مالية عن بدل التزامهم الحالي لمقاطعتهم قبيل
مناقشة أمر الالتزامات الجديدة . (٣) اذ كان بذمة الاول للدولة مبلغ ثمانية
عشر ألف ليرة بينما كان بذمة الثاني ستة عشر ألف ليرة ، وقد عرض الشيخان
ان يدفعوا نصف المبلغ المطلوب منهما في الحال ويوقعا سند اقرار بالمقبض
ولكن ناظم باشا رفض الاقتراح (٤) .

ويبدو ان رفض ناظم باشا لذلك الحل الوسط كان نتيجة لاقتناعه
بخطا لمعالجة الوضع في لواء العمارة ، خلاصتها الاضعاف التدريجية
للشيخ الكبار عن طريق تقسيم المقاطعات الكبيرة الملزمة لهم الى قطع
صغيرة وتوزيعها على أفراد القبائل الذين سيصبحون عند ذلك على علاقة

(١) PRO, Fo 424/216, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey (1)
(Foreign Secretary), Enclosure No. 1 June 13 1908.

N.A.R.S. RG84, No. 146 Am. Cons. Gen. at Beirut to Am. Amb. at (٢)
Const., Apr. 30, 1908.

PRO, Fo 424/216, No. 17 Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey, (٣)
Encl. No. 1, June 13, 1908.

N.A.R.S., RG 84, No. 146, Am. Cons. Gen. at Beirut to (٤)
Am. Amb. at Const., Apr. 30, 1908.

مباشرة مع السلطات الحكومية التي كانت تأمل أن يودي بها هذا السبيل إلى تفكك النظام الزراعي السائد والقائم على أساس المقاطعات الكبيرة ونيل سيطرة أكبر تدريجياً على سكان لواء العمارة القبليين من خلال اضماف القوة الشخصية للشيخ (١) . ونظرة سريعة على هذه الخطة تدل على أنها عودة لسياسة مدحت باشا التي مر الحديث عنها ، ولكن في حين أن مدحت باشا اعتمد سبيل الاقناع لتنفيذ سياسته فإن ناظم باشا يبدو انه قد مال للاعتماد على القوة في سبيل تطبيق خطته ، فلجأ إلى حشد القوات الحكومية في لواء العمارة حتى بلغت في أواخر مارس ١٩٠٨م (صفر ١٣٢٦هـ) ألفاً ومائتي جندي عززوا فيما بعد بمائتي جندي آخرين (٢) . ثم انه حين رفض فالح الصبيود الاستجابة لطلبه بالحضور إلى العمارة أقنع ابنه فالحاً بالحضور بدلاً عنه ولكنه ما أن وصل للعمارة حتى احتجزة هناك وأعلن عزم الحكومة على القاء القبض على كل الشيخ ذوى النفوذ ونفيهم إلى استانبول (٣) . ولعل هذا هو السبب الذي جعل فضبان يرفض الحضور إلى مركز اللواء (٤)

وتنفيذا لخطته تلك عمد ناظم باشا إلى منح التزام مقاطعة المجرر الصغير إلى شخص اسمه " ابن نفيسة " وهو نجدى الاصل ولكنه ولد ونشأ في كنف عشيرة الازيرق في العمارة (٥) : وهو اجراء وصفه القنصل البريطاني في البصرة بأنه اجراء متعجل لم يول الاعتبار الكافي لحساسية السكان المحليين

PRO,FO 424/215, No. 30 Cons. Crow to Mr. G. Barclay, Apr. 15, 1908. (١)

N.A.R.S., RG84, No. 146, Am Cons. Gen at Beirut to Am. Amb. at Const., Apr. 30, 1908. (٢)

N.A.R.S. RG 84, No 370, Am. Cons. at Bag. to Am Amb at Const., Apr. 28, 1908 (٣)

N.A.R.S., RG84, No. 23, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 10, 1908. (٤)

PRO,FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908. (٥)

الذين عارضوه وليس بالامكان تطبيقه الا عن طريق القوة، وذلك ما حدث بالفعل
اذ لجأت السلطات الحكومية الى ارسال سفينة شراعية محملة بالجند لتثبيت
ابن نفيسه في مقاطعته الملتزمة. (١)

وقد عادت اجراءات ناظم باشا تلكا بردود فعل مماثلة لما انشواها،
فبعد ان كان الصراع محتدما بين فضبان وصهيود في السنين الماضية
كما رأينا، فقد اتجها الآن بناء على نصيحة من والي البصرة (٢) لتسوية
خلافاتهما والتعاون معا لتعزيز موقفهما تجاه ناظم باشا، وذلك ف والوالي من
تلك النصيحة هو اظهار ناظم باشا أمام السلطات العليا في استانبول مظهر
العاجز عن مواجهة المشكلة، أملا في ان تدعوه تلك السلطات لتولي حلها (٣).
ولم تغف مكائد الوالي عند هذا الحد بل أنه أرسل برقية للسلطات المحلية
في استانبول يتهم فيها ناظم باشا باثارة الهياج عن طريق سعيه لا يصف
نفوذ الشيوخ المحليين لصالح غرباء من نجد، وقد علق القنصل البريطاني
العام في بغداد على هذا الاتهام بقوله: "ان ذلك غير صحيح، فقلت رأيت
ناظم باشا وفهمت أن هدفه هو كبح القوة المتنامية لصهيود وفضبان، ليس
لمصلحة الغرباء من نجد ولكن لمصلحة الشيوخ الصغار الذين تنزع الرضا
بواسطة عشا ثرهم أو افخاذهم. والفرق مهم جدا لان تأثر جلب الغرباء
من نجد سيكون توحيد كل العرب المحليين ضد الترك، وهما مستجيبان
لسياسة ناظم باشا - اذا طبقت باعتدال - عددا كبيرا منهم اصدقاء للترك (٤).

(١) PRO, FO 424/215, No. 30, Cons. Crow to Mr. G. Barclay, Apr. 15, 1908.

(٢) تذكره بعض الوثائق البريطانية بأسم حسين بك تارة وحسن بك تارة أخرى
ولكن اسمه الصحيح هو عبد الرحمن حسن بك وقد تولى ولاية البصرة
بين سنتي ١٣٢٤ و ١٣٢٦ هـ، راجع:
ابن الخملاس، مرجع مذكره، ص ٨٣.

(٣) PRO, FO 424/215, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir Grey, June 13, 1908.

(٤) PRO, FO 424/215, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

وقد صعد الشيوخ المعارضون لسياسة ناظم باشا من حدة الازمة حين لجأوا الى وسيلتهم المعهودة وهي عرق الملاحه في نهر دجلة من اجل لفت نظر السلطات فقاموا في الثاني من ابريل ١٩٠٨م (آخر صفر ١٣٢٦هـ) بإطلاق النار على السفينة البريطانية بلر من لنج Blossie Lynch (١)، وكان مرتكبو الحادث "حوشية" (٢) قضبان الذين أقتنوا زور السفينة في طريقها من العمارة الى البصرة، فصبوا عليها نيران اسلحتهم لمدة ثلاث ساعات متواصلة (٣) مما ادى الى قتل وجرح عدد من كانوا على ظهرها (٤)، ولكنها استطاعت الاغلات منهم والعودة الى العمارة لابلغ السلطات المحلية بالحادث، فزودتها تلك السلطات بقارب مدفعية لمرافقتها في طريقها للبصرة ولكن وجوده لم يحميها من اطلاق النار عليها ثانية لمدة نصف ساعة، الى ان تمكنت من الخروج من منطقة الخطر. (٥)

IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, April 1908, P.25.

(١)

(٢) لعلها تحريف لكلمة "الحاشية". وهم رجال اشد مسلحون يقومون بحراسة الشيخ وتنفيذ اوامره والمحافظة على الامن داخل حدود القبيلة راجع: الطاهر، البدو والعشائر، ص ١٨.

PRO, Fo 424/215, No. 30, Cons. Crow to Mr. G. Barclay, Apr. 15 1908; also N.A.R.S., RG 84, No. 146, Am. Cons. Gen at Beirut to Am. Amb. at Const., Apr. 30, 1908.

(٣)

(٤) اختلفت المصادر في عدد ضحايا الحادث اذ قال القنصل البريطاني العام في بغداد انهم كانوا ثلاثة جرحى وقتيل واحد انظر: "Fo 424/216, No. 17" وايداه في ذلك الاحصاء القنصل الامريكى في بغداد، انظر: "RG 84, No. 25"، بينما ذكر القنصل البريطاني في البصرة انهم كانوا قتيلين وجريحين، انظر: "Fo 424/215, No. 30." وايداه في ذلك القنصل الامريكى العام في بيروت، انظر: "RG 14, No. 146".

N.A.R.S., RG 84, No. 23, Am. Cons. at Nag. to Am. Amb. at Const., Apr. 10, 1908.

(٥)

أرسل ناظم باشا على اثر ذلك الحادث تقريراً مفصلاً الى استانبول عن
 الوضع برمته وطلب فيه ايضاح السياسة التي يجب أن تتبع لمعالجته ، كما
 اقترح عزل قائد القوات في لواء العمارة اسماعيل بك الذي كان متجهاً عن
 طريق النهر نحو المجر الصغير حين اطلقت النار على الباخرة البريطانية
 التي لم تحذر اثناء وقوفها في العمارة من خطر هجوم قد يقع عليها نتيجة
 لأن اسماعيل بك كان قد سبقها بالانحدار في النهر (١) . وبعد ارسال
 هذا التقرير غادر ناظم باشا العمارة متوجهاً الى بغداد فوصلها في التاسع
 من ابريل ١٩٠٨م (السابع من ربيع الاول ١٣٢٦هـ) وقد اختلفت المصادر
 في سبب مفادته ، ففي حين روى القنصل الامريكي في بغداد ان التدهور
 الامني قد وصل الى مدينة العمارة نفسها حتى أن نيران البنادق اطلقت
 على كل نوافذ المنزل الذي كان يقيم فيه ناظم باشا هناك مما اضطره لمفادرة
 المدينة (٢) ، عزا القنصل البريطاني العام في بغداد سبب وصول ناظم باشا
 بغداد لانتظار وصول الرد من استانبول على تقريره الذي ارسله ، اذ أن
 الاتصالات البرقية بين بغداد واستانبول أفضل مما هي بين الاخيرة والعمارة (٣)
 ولكن ذلك القنصل عاد وتشكك في الامر في وقت لاحق حين ظا اذا كسان
 ذهاب ناظم باشا الى بغداد قد تم بناء على اوامر من استانبول فيبد وأن خطط
 والى البصرة قد نجحت نجاحاً متازاً . (٤) .

ولكن ناظم باشا حاول قبل ان يغادر العمارة التوصل الى تسوية
 مع فضاء فالتقى مع كاتبه ورض عليه الشروط التي يجب أن يتفق بها فضاء

PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. Barclay, (١)
 June 9, 1908.

N.A.R.S., RG 84, No. 23, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at (٢)
 Const., April, 10, 1908.

PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. (٣)
 Barclay, June 9, 1908.

PRO, FO 424/216, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E. (٤)
 Grey, June 13, 1908.

وهي :-

- ١ - تسليم كل من يطلق النار من رجاله على السفن النهرية مستقبلاً إلى السلطات الحكومية.
 - ٢ - إعادة كل الأموال التي نهبها رجاله من السفن الشراعية.
 - ٣ - دفع ما عليه من متأخرات الأموال الحكومية.
 - ٤ - عند نهاية أمد التزامه القائم للمقاطعات يجب عليه ان يقبل بأخلاق وأوامر السلطات الرسمية والا يلجأ الى تصرف غير قانوني لغرض الوصول الى رغباته (١)، ومقابل شروطه تلك قدم ناظم باشا على مايبذ وتنازلاً تمثل في الغاء التزام ابن نفسه لمقاطعة المجر الصغير وهو الالتزام الذي كان سبب الخلاف مسع غضبان ، وقد أدى ذلك الى تهدئة الوضع هودة السفن الى الملاحة في نهسر دجلة ابتداءً من اليوم الثالث عشر من ابريل (الحادى عشر من ربيع الاول) ، مع وضع السلطات لبعض الجند على ظهر كل منها لحمايتها ؛ (٢)
- ويبدو أن تلك التسوية لم تكن نهائية في نظر غضبان وحليفه صيهود اذ ماكاد ناظم باشا يغادر العمارة حتى أرسل كاتبيهما الى مدينة البصرة للاتصال بصديقيهما الوالى عبدالرحمن حسن بك ، وكان كاتب صيهود يحمل له "هدية" تتمثل فى الفى ليرة ذهبية ، وقد بادر الوالى اثر ذلك الى التوجه للعمارة حيث اوشك بعد وصوله هناك على الاستجابة لكل مطالب غضبان لقاء ما كان قد دفعه له والذي قيل انه بلغ حتى ذلك الوقت أربعة الاف ليرة (٣). ولكن الخبر نالناظم باشا فى بغداد فأهرق الى استانبول قائلاً أن بالامكان

(١) PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908.

(٢) PRO, FO 424/215, No. 30, Cons. Crow to Mr. G. Barclay, Apr. 15, 1908.

(٣) PRO, FO 424/216, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey, June 13, 1908.

اتباع لأحدى سياستين أما سياسته أو سياسة وإلى البصرة وبالتالي فإن أحدهما يجب أن يعفى من كل مسئولية . وأبرق في نفس الوقت إلى "دفتردار" (١) ولاية البصرة يطلب منه عدم الموافقة على أية تلزيمات جديدة للأراضي التي أن تصله إلا وأمر من استانبول (٢) .

وفي نفس الوقت لاقى مسلك وإلى البصرة معارضة شديدة من أهالي مدينة العمارة الذين حاصروا المنزل الذي كان يقيم فيه هناك واتهموه بأنه باعهم إلى القبائل التي لن يكون هنالك شكل من أشكال السيطرة عليها في المستقبل وأبرقوا رأيهم هذا في برقيات إلى الباب العالي وإلى ناظم باشا في بغداد . وقد رأى الوالي نتيجة لذلك أنه دفع إلى وضع غير ملائم فحاول تدارك الأمر بأن أرسل شخصا يدعى الشيخ لطيف لمقابلة غضبان وإخباره بأن عليهنسبه أن يرتب أمر إعادة كسب الأموال التي نهبت من أهالي مدينة العمارة وصيانة القانون والنظام في تخوم تلك المدينة إضافة إلى دفع ما عليه من الأموال الحكومية (٣) .

وبعد ومن هذا الموقف إن وإلى البصرة لم يكن مستسلما أستسلاما مطلقا لرفعات غضبان كما تحاول الوثائق البريطانية أن تصوره والتي يلاحظ عليها شدة التحامل على ذلك الوالي . كما أنه لم يكن مستسلما أيضا لرفعات الشيخ الثاني وهو صيهود فحين أقدم حاتم بن صيهود في أوائل يولية (أو آخر ربيع) الثاني على مهاجمة بعض السفن الشراعية المارة في نهر دجلة جلبه الوالي إلى العمارة عن طريق الخدعه ووضع في السجن (٤) ، ويظهر أن ذلك الحزم الذي

أبداه الوالي ، مع ما سبق أن أرسلته الحكومة من تعزيزات حربية إلى العمارة (٥)

(١) هو موظف يقابل ما يسمى الآن "مدير الشؤون المالية" ، راجع : -

الشناوى ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ١٤٨ و ص ٣٨٤ وما بعدها .

PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908. (٢)

PRO, FO 424/216, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey, June 13, 1908. (٣)

Ibid. (٤)

N.A.R.S., RG 84, No. 24, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. May 20, 1908. (٥)

قد أدى الى الوصول لهدنه عطية بين الحكومة والشيخين المعارضين جنبت الطرفين الدخول في صراع دام في هذا الوقت ، وان كانت لم تحل المشكلة فالمصادر التي بين يدي لا تشير الى التوصل الى شيء من هذا القبيل .

وإذا كان الصراع بين الحكومة والقبائل قد امكن تجنبه فإن باب الصراع بين القبائل نفسها قد فتح على مصراعيه ، اذ قامت القوات التابعة لغضبان وصهيود في جننادى الاولى / وأخر يونيو بالهجوم على عريبي الوادى أحد مشايخ البر محمد وجررت بين الطرفين معركة عنيفة بين مدينتي العزيز وقلعة صالح . وقد وصلت للقنصل البريطاني العام في بغداد روايتان من سبب تلك المعركة اولاهما ان والى البصرة أراة اعطاء مقاطعة الكحلاء (١) الطزمة لعريبي لكل من غضبان وصهيود ، والثانية ان الاخيرين أرادوا معاقبة عريبي لانهما سمعا بأستعداداه لمعاونة السلطات الحكومية ضد هما ، (٢)

وفي تلك الاثناء حدثت تطورات خطيرة في عاصمة الدولة استانبول اذ تحركت القوات الموالية لجمعية الاتحاد والترقي في الثالث والعشرين من جنادى الثانية ١٣٢٦ هـ / الثالث والعشرين من يوليو ١٩٠٨ م وفرضت على السلطان عبد الحميد الثاني إعادة العمل بالدستور . ولم تكن تلك الجمعية ملتزمة بنظرية سياسية محددة ولا تسير على هدى مبادئ مقرر سلفا (٣) . ويهـرى البعض ان هدفها العام الذى لا شك فيه كان هو الحرص على بقاء ودوام الدولة

(١) جدول كبير يتفرع من الضفة اليسرى لنهر دجلة في مدينة العمارة نفسها ويجرى نحو الشرق ويتفرغ بدوره الى عدة فروع أخرى . راجع :

لغة العرب ، السنة ٨ ، ج ٣ ، اذار ١٩٣٠ ، ص ١٧٣ .

(٢) IOR, R/15/5/7 Turkish Arabia, July 1908, P. 30.

(٣) Penrose, E., Iraq: International Relations and National Development , London, 1978, P. 31.

العثمانية (١) وكانت الوسيلة التي وضعتها لتحقيق ذلك الهدف هي التصميم العنيد على تحديث الدولة (٢) ، والاصرار على ان يخضع رعايها كافة لانظمة موحدة تشبه الانظمة المطبقة في الدول الاوروبية دون الاصغاء لما نادى به بعض المصلحين العثمانيين من رأى خلاصته ان يطبق على كل شعب الانظمة التي تتفق وأوضاعه الخاصة وتناسب شخصيته واعتباره الذاتي (٣) ، وفيما عسدا تلك المبادئ العامة فلا يبدوان الجمعية كانت قد افردت للمشكلة القبلية المعقدة التي تعاني منها الدولة في عدة ولايات أي حيز من تفكيرها سواء في الفترة التي سبقت الانقلاب في الشهور التي تلت ، ولذلك فإن حتى بسك وزير داخلية النظام الجديد ، حين جرى الحديث بينه وبين السفير البريطاني في شهر نوفمبر ١٩٠٨م (شوال سنة ١٣٢٦هـ) عن المشكلة القبلية في ولاية البصرة ، لم يجد ما يقوله سوى ان حكومته تنوى زيادة القوات المحلية فسي بغداد حتى تتمكن من مكافحة الاضطرابات القبلية بصورة ناجحة (٤) . وهكذا موشر مبكر يدل على أن النظام الجديد ورت عن سابقه الاتجاه الى اعتماد القوة وسيلة لمعالجة تلك المشكلة .

وفي الجانب الآخر فإن القبائل لم تمر ذلك الحدث الكبير اهتماما واضحا وقد تنبه القنصل الامريكى المام في بيروت لذلك فقال أن معنسى

(١) Lewis, B., The Emergence of Modern Turkey, 2nd edit., London, 1968, P. 212

(٢) Ahmad, F., The Young Turks, The C.U.P. in Turkish Politics, London, 1969, P. 156.

(٣) توفيق بروج، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٢١ .

(٤) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Dec. 1908, P. 37.

النعم" الدستورية التي جاء بها النظام الجديد لم يستوعبها ادراك الرجل القلبي بصورة صحيحة ، وتوقع ان تستمر القبائل في حروبها وغزواتها لمسدة سنين قادمة على الاقل (١) . وليس ذلك بالأمر المستغرب اذا عرفنا أن أمر الدستور كان بعيدا عن اهتمامات العراقيين عموما ، حتى ليلفت احد الكتاب النظر الى ان احدا من العراقيين لم يشترك في النشاط المطالب بحسوة الدستور والذي قامت به المعارضة في ايام السلطان عبدالحميد . (٢)

ورغم كل ذلك قال البعض أن تأثيرات الانقلاب امتدت الى القبائل التي فهمت شعار " الحرية " على انه انعدام الحكومة ومكانية التعرض للطرق العامة والتجاوز على الآخرين دون حساب . (٣) ولا يسعني هنا التسليم بصحة ذلك القول دون تحفظ اذ انه ورد بشكل تعميم غير مبني على ذكر حوادث محددة ولو على سبيل المثال ، ولعل قائله استنتجوه قياسا على ما حدث في بعض المدن المراقية بعد الانقلاب اذ فهم سكانها شعارات الحركة فهما خاطئا لم يسلم منه حتى بعض المتعلمين . (٤)

ومهما يكن الحال فقد صادف وقوع الانقلاب استتباب الهدوء في لواء العمارة ، ولكن لبعض الوقت فقط ، اذ لم يلبث ان نشب في شهر أغسطس

(١) N.A.R.S, RG84, No. 199, Am. Cons. Gen at Beirut to Am. Amb. at Const., Nov. 13, 1908.

(٢) حسين جميل ، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ - ١٩٤٦ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ١٦ .

(٣) Longrigg, Op.Cit. , P. 43. وانظر ايضا محمداحمد محمود ، احوال المشائر العراقية العربية ولاقتها بالحكومة ، ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، ص ١٩٢ .

(٤) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، صص ١٦٠ - ١٦١ وانظر ايضا حميد احمد التميمي ، البصرة في ظل الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١ ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٣٣ وايضا ناجي شوكت ، مسيرة وذكريات ثمانين عاما ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٠ .

١٩٠٨ م (رجب ١٣٢٦ هـ) قتال فى نواحي " على الغربى " (١) أعاق حركة السفن فى نهر دجلة عدة أيام وأضطرب السلطات الحكومية الى إرسال سبعمائة جندي الى تلك المنطقة (٢) . ولعل لذلك القتال صلة بالصراع بين غضبان وخصومه الذى اشار له احد الكتاب (٣) ، وهو قتال هدأت حدته بسرعة اذ لاحظ القنصل الامريكى فى بغداد ان الاوضاع كانت هادئة فى لواء العمارة خلال شهر سبتمبر (شعبان) هدوا واضحا . (٤) ولكنه هدو يمكن تشبيهه بهدنة هشة تحرق بين حين وآخر وتستعد فيها الاطراف المختلفة لغزو المعركة الفاصلة .

أما على الصعيد الحكومى ، فقد أستمर الخلاف بين والى البصرة وناظم باشا الذى اصبح ابتداءً من الثالث عشر من يولييه ١٩٠٨ م (الثالث عشر من جمادى الثانية ١٣٢٦ هـ) وكلا لوالى بغداد الذى نقل من منصبه (٥) . وقد ثابر ناظم باشا على ارسال شكاواه الى استانبول ضد خصمه ، وبهـدو ان حكومة الانقلاب أصغت لتلك الشكاوى فأصدرت فى شهر سبتمبر التالى (شعبان) قرارا بطرد عبدالرحمن حسن بك من ولاية البصرة ولكنها تراجعست من هذا القرار سريعا واكتفت بأخطار الوالى المذكور بأن احتفاظه بمنصبه مشروط بنجاحه فى الحيلولة دىن وقوع هجمات قبلية على الملاحة فى نهـر

(١) مدينة تقع على ضفة نهر دجلة اليمنى وتبعد ٧٢ ميلا الى الشمال من مدينة العمارة وبها ضريح السيد على احد أحفاد موسى الكاظم ، وقد اسسها احد مشايخ بنى لام عام ١٢٨١ هـ ، راجع :

لغة العرب ، السنة ٨ ، ج ٣ ، اذار ١٩٣٠ ، ص ١٧٢ .

(٢) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, P.33. (٢)

(٣) الندوانى ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٤) N.A.R.S., RG 84, No.478, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Beirut, Sept. 26, 1908. (٤)

(٥) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Aug. 1908, P. 32. (٥)

دجلة ضمن حدود ولايته (١) . ولم يطل مقام عبدالرحمن حسن بك في ولايته بعد ذلك كثيرا اذ ما أن قاربت سنة ١٣٢٦ هـ على الانتهاء حتى عـُـزل من منصبه ومن محرم بك بدله (٢)

هذا ومن جانب آخر لم يمر حادث اطلاق النار على السفينة "بلوس لنج" بسهولة في الاوساط الرسمية البريطانية ، فما كاد وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد غراي Sir E. Grey يعلم بالحادث بعد وقوعه ببـيـوم واحد أي في الثالث من ابريل ١٩٠٨ م (أول ربيع الاول ١٣٢٦ هـ) حتى أمر على الفور القائم بالاعمال البريطاني في استانبول المستر باركلي Barclay بأن يوجه انظار الباب العالي نحو الحادث ويضغط عليه من أجل معاقبة مرتكبيه ، فأجتمع القائم بالاعمال الى الصدر الأعظم الذي أكد له ان كل الاجراءات الممكنة قد اتخذت لصون سلامة الملاحة في نهر دجلة ، وان القوات أرسلت الى مسرح الحادث الذي سيجرى التحقيق اللازم لمعرفة ومعاينة مرتكبيه (٣) .

ولم ينته الامر عند ذلك الحد ، اذ بادر القنصل البريطاني في البصرة المستر كرو Crow الى ارسال تقرير الى القائم بالاعمال البريطاني في استانبول في الخامس عشر من ابريل (الثالث عشر من ربيع الاول) شرح فيه ملامسات الحادث ، وبين ان السلطات العثمانية فسرت به بتصور افراد القبائل خطأ ان ابن نفسه ملتزم مقاطعة المجر الصغير الجديد كان على ظهر تلك السفينة مما دعا هم لاطلاق النار عليها ، وعلق القنصل على ذلك التفسير

(١) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, P. 33.

(٢) ابن الفلاس ، ولاية البصرة ومسلموها ، ص ٨٣ .

(٣) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, April 1908, P. 25.

بقوله انه يبدو عذرا مقبولا ظاهريا لولا ان السفينة نفسها هوجمت مرة ثانية حينما كانت بعيدة عن مسرح النزاع . وأشار الى الغاء السلطات الحكومية لالتزام ابن نفسه للمقاطعة المذكورة وتخوف من ان يجرى هذا التنازل القبائل على اللجوء لطرق مماثلة في المستقبل من اجل تحقيق غاياتها ، فتصيح السفن البريطانية بذلك كالحصان الذى يختبئ وراءه الصياد من اجل قنص طريده ، وشدد القنصل على ضرورة انزال عقاب صارم بمرتكبي الحادث يتمثل بالتعويض المالى لشركة لنج عن الاضرار التى لحقت بسفينتها واجبار فضبان على تسليم رجلين من اتباعه يتم اعدامهما فى مدينة العمارة نفسها ثارا للقتيلين اللذين لقيا حتفهما على ظهر تلك السفينة اثناء الهجوم او ان يفرض عليه اداء مبلغ كبير من المال دية للقتيلين . وذكر القنصل فى ختام تقريره بالعدد الكبير من المسافرين الذين تنظم شركة لنج عبـر نهر دجلة سنويا وهو الامر الذى يجب أن يكون موضع اهتمام جدى من قبل الحكومة البريطانية . (١)

وقد علق القائم بالاعمال البريطانى فى استانبول فى رسالة بعثها الى وزير الخارجية السير فراى فى ١٩ مايو ١٩٠٨م (١٧ ربيع الثانى ١٣٢٦هـ) على مقترحات القنصل كرو فذكر ان الصدر الاعظم اكد له مقتل ستة من العرب المتورطين فى الحادث على يد القوة التأديبية التى أرسلت لمعاقبتهم و اضاف ان أية محاولة من جانب الحكومة العثمانية لانتزاع تعويض مالى من القبائل ستقود على الاغلب فى رأيه - الى تجديد الاضطرابات التى ستعيق الملاحة النهرية . وخلص من ذلك الى القول بانه لن يتقدم للحكومة العثمانية بأى طلب للتعويض مالم يتلق تعليمات صريحة بذلك . (٢)

PRO, FO 424/215, No. 30, Cons. Crow to Mr. G. Barclay, (١) Apr. 15, 1908.

PRO, FO 424/215, No. 83, Mr. G. Barclay to Sir E. Grey, (٢) May 19, 1908.

ومن المناسب أن أشير هنا إلى أن مذكره الصدر الأعظم عن تلك القوة التأديبية أمر أشك في صحته ، فالوثائق البريطانية التي كانت تتابع تسلسل الأحداث أولا بأول لم تشر إلى صدام تلك القوة مع القبائل ، كما أن القنصل الأمريكي في بغداد الذي أهتم أيضا بمتابعة تطورات الوضع ذكر في الثامن والعشرين من أبريل (السادس والعشرين من ربيع الأول) أن غضبان كسان متحصنا في قلعة الواقعة على بعد أربع ساعات من مدينة على الغربي حيث تحول الجداول الكبيرة الطيبة بالماء في هذا الفصل من السنة بين القوات الحكومية بأثقالها ومدفعيتها وبين الوصول إليه ، وذلك ما جعل السلطات الحكومية تكفى بحشد قواتها في مدينة العمارة أنتظارا لانخفاض منسوب المياه بعد شهرين لتتقدم نحو قلعة غضبان . (١) وقد كرر القنصل نفسه تلك الرواية في العشرين من مايو (الثامن عشر من ربيع الثاني) أي بعد مقابلة الصدر الأعظم للقائم بالأعمال البريطاني بيوم واحد (٢) ، وأشار في موضع آخر إلى صعوبة أخرى تكثف اية محاولة حكومية لمعاينة غضبان الا وهي الوضع المتوتر على الحدود العثمانية الفارسية (٣) التي اعتاد غضبان على اجتيازها إلى الجانب الفارسي كلما ضايقته القوات الحكومية خاصة وأن أبرز الرماة الفرس في تلك المنطقة وهو شيخ " لورستان " (٤) ، قد أصبح قريبا

(١) N.A.R.S., RG84, No. 370, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Beirut, Apr. 28, 1908.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 24, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. , May 20, 1908.

(٣) عن أسباب التوتر على الحدود العثمانية الفارسية في هذه الفترة ، راجع: Abdalghafour Baghdadi, Muhammed Ali Sah Devrinde Osmanli-Iran Siyasi iliskileri Ve Iran'Daki Ic Olaylar (1907 - 1909), Doktora Tezi, Istanbul University , Ocak 1982, p. 39.

(٤) مقاطعة في الجنوب الغربي من فارس تجاور لواء العمارة ومنطقة عربستان ، وهي موطن قبيلة اللور الفارسية شبه البدوية الكبيرة ، راجع : لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ١٣٩٠ .

لفضبان عن طريق المصاهرة وهو الامر الذى اثار انزعاج السلطات العثمانية .^(١)

واذا كانت لم ترسل قوة تأديبية لمعاقبة مرتكبى الحادث كما ادعى الصدر الاعظم فيبدو أن التفكير بأرسالها كان جديا مما جعل القنصل البريطانى العام فى بغداد يكتب الى السفارة البريطانية فى استانبول فى التاسع والعشرين من ابريل ١٩٠٨م (السابع والعشرين من ربيع الاول ١٣٢٦هـ) عن مخاوف شركة لنج من تكرار الحادث اذا ما أزعجت السلطات المحلية اتخاذ اجراءات تأديبية ضد القبائل ، واشترط فى حالة تفكير الباب العالى باتخاذ تلك الاجراءات فعلا ، ان يصدر تعليمات صارمة لوالى بغداد والبصرة للقيام بعمل مشترك للحيلولة دون توقف حركة الملاحة النهرية وضمان سلامة كل السفن العاملة فى نهر دجلة^(٢) . والغريب أن هذا القنصل نفسه عاد فغير كلية موقفه المتحفظ بعد فترة قصيرة ، فبعث لسفارته فى استانبول فى الثامن من يونية (الثامن من جمادى الاولى) برقية يقترح فيها أن يطرد والى البصرة عبدالرحمن حسن بك وأن يحل ناظم باشا محله فورا وأن تضغط الحكومة البريطانية بصورة جدية على الحكومة العثمانية من اجل معاقبة فضبان .^(٣)

وقد عزز ذلك القنصل برقيته فى اليوم التالى برسالة ضمنها سردا تاريخيا لحوادث مهاجمة السفن البريطانية وبعض المعلومات عن الحادث الاخير ، وبعدها على ذكر مقابلة مطولة تمت بينه وبين ناظم باشا ، اخبره الاخير خلالها بأنه لا يظن ان أجبار فضبان على الخضوع سيكون مشكلة كبيرة جدا

N.A.R.S., RG 84, No. 146, Am. Cons. Gen. at Beirut to Am. (1) Amb. at Const. , Apr. 30, 1908.

IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, May, 1908, P.26. (2)

PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen Ramsay to Mr. Barclay, (3) June 9, 1908.

شرط أن يتوفر القائد المناسب للقوات الحكومية وأن يتوحد هدف الموظفين المدنيين . ولحق القنصل العام على تلك المقابلة بالقول :- " ان الأنطباع العام الذى تولد فى ذهنى بعد المقابلة مع ناظم باشا هو انه يرفض بروهية غضبان وقد عاد لصوابه ، ولكن تفكيره فى جمع متأخرات الضرائب والحصول على ضمانات حول المستقبل اكثر من تفكيره بمعاقة غضبان على ما فعله سابقا " ومن دافع الهجوم الاخير على السفينة البريطانية قال :- " فى الحقيقة فأننا نستخدم كجرس انذار يمكن قرعه فى اى وقت دون خطورة تترتب على القارع المتأكد من ان القسطنطينية ستوجه الموظفين المحليين لتهديفة الضجة التى نشأت عن القرع ، اذ ليس للعرب بين بغداد والبصرة - ولم يدعوا قط ان لهم - أية مظلمة تجاهنا ، ولذلك فهم يهاجموننا فقط باعتبار ذلك قضية سياسية . واذا ما أصررنا الآن على معاقبتهم فأنهم سيذكون ان تلك السياسة لا يجب ان تتبع وسيتركونا لحالنا فى المستقبل " (١)

ولم يكف المقيم السياسى البريطانى فى بغداد بكل ذلك بل عاد وارسل فى الثالث عشر من يونية (الثالث عشر من جمادى الاولى) مذكرة مطولسة الى وزير الخارجية البريطانى أوضح فى بدايتها أن القائم بأعمال السفارة فى استانبول قد تحفظ على ما جاء فى رسالته السابقة بالقول أن الشركة صاحبة العلاقة - أى شركة لنج - تطالب فقط بتمويضها عما لحق بسفينتها من اضرار وان ما حوته تلك الرسالة من مقترحات حول معاقبة غضبان ربما تؤدى الى اعاقة الملاحة فى نهر دجلة . وقد رد المقيم على ذلك التحفظين بمعارضة مطالبة الشركة بالتمويضات لأن ذلك يحول الموضوع الى قضية مالية لاسياسية ، ووزر معارضته بالقول ان الجالية البريطانية فى بغداد تشاركه رأيه القائل بالاصرار على معاقبة غضبان ولو أدى الامر الى توقف مؤقت للملاحة فى نهر دجلة ، و اضاف :- " يظهر تاريخ المشاكل السابقة فى دجلة انها نتجت

عن جشع الموظفين الترك وغيرتهم من بعضهم البعض، وأن كل هجوم حدث كان نداءً متوحشاً من أجل العدالة التي يعتقد العرب بأنهم لا يستطيعون الحصول عليها بالوسائل القانونية . أنها حالة مؤسفة ، وأنا متعاطف كلية مع العرب ، ولكن كونهم محكومين بصورة سيئة لا يعنى أن هنالك سبباً يوجب السماح لهم بجعل المصالح البريطانية عرضة للهجوم المباشر . انسى أخشى أن يكون تأمين العدالة للعرب مستحيلاً في ظل النظام التركي القائم ، وإذا كان الامر كذلك فإن العلاج الوحيد المتيسراً ما منا هو أن نفرض على العرب أن يفهموا أن احتجاجاتهم لا يجب أن تأخذ صيغة الهجوم علينا . وبدوا أن لدى العرب نوعاً من الثقة بالعدالة البريطانية وهم يظنون بأننا إذا ما اجبرنا على التدخل فسنساند الجانب المحق ، وقد أخبرني بعض الناس أيضاً بأن لدى العرب فكرة مسوآها أنه إذا كان هنالك قدر كاف من الاضطراب فأننا سنتدخل تدخلاً مباشراً ونضع الامر في نصابها عن طريق القوة " . (١)

وانتقل المقيم بعد ذلك لوصف مقابلة خاصة وسرية تمت بينه وبين القائد العام للقوات العثمانية صدقي باشا الذي وجدة يقف الى جانب فكرة معاقبة غضبان التي يمكن ان تتم حين أستلام الامر من استانبول بعدد قليل جدا من القوات اذا توفر لها قائد ملائم وإذا جرد غضبان من الحصول على دعم الموظفين الترك ، اذ لا شيء يمكن عطاؤه - برأى القائد المذكور - طالما ظل عبدالرحمن حسن بك والياً للبصرة وبعد غضبان منه الدعم دائماً . وخلق المقيم على آراء القائد بقوله أن قتل غضبان او اعتقاله يحتمل أن يكونا خارج قدرة الحكومة العثمانية ، ولكن جعله يدفع ثمننا باهظاً مسن

هيئته وماله ليس أمرا صعبا ، ومن العوامل التي تساعد الحكومة على ذلك وجود البواخر تحت تصرفها مما يسهل تحريك قواتها ، وإمكانية استفادتها من اعداء فضيان سواء في داخل قهبلته ، أو في خارجها كأثارة النزاع اليراثي بين بني لام واليهو محمد ، ودفع أولئك الاعداء لمضايقته عن طريق شن الغارات المستمرة عليه .

وخلص المقدم الى القول بوجود ثلاثة سبل يجب على الحكومة البريطانية ان تختار سلوك احدها ، وهي :

- ١ - الاكتفاء بتأكيدات كتابية غير ذات قيمة يقدمها الباب العالي .
- ٢ - الضغط الثقل على الباب العالي لمعاينة فضيان .
- ٣ - التسليم بما حدث سابقا ، والاتصال بالعرب مباشرة وأخبارهم بأن هجومهم على السفن البريطانية مستقبلا سيجعل البريطانيين يتحدون مع التسرك ضدّهم ويبدلون كل تأثيرهم من اجل معاقتهم .

وانتقل المقدم بعد ذلك للمفاضلة بين تلك الخيارات فقال عن الخيار الاول أن قبوله امر مستحيل الا اذا كان البريطانيين مستعدين للاستسلام لعدد غير محدود من الهجمات المشابهة في المستقبل ، خاصة وأن العرب يحصلون على اسلحة اكثر جودة كل يوم ، واذا ما دفعهم فوزهم لتجاوز نقطة معينة فربما سيصبحون اقوياء لدرجة يمكن معها ان يكونوا خطرين حقا على الحكومة العثمانية ، و اضاف : " هنالك أناس حمقى يقولون بأننا نوجب ناسار تلك الثروات العربية لكي نتدخل في النهاية ، ولقد سمعت ايضا بالقول أننا سمعنا بمهاجمة السفن البريطانية حتى نخفي حقيقة مساعدتنا للعرب فحسب - ومهما كانت الحكاية وهمية فربما جادل البعض بأنه ليس هنالك تبرير آخر لسكوتنا تجاه العدو وان المتكرر ، ويجب أن اعترف بأنني لا أستطيع أن أقدم تبرير كاف لذلك - واذا ما أنتشرت تلك الافكار فتضرنا في القسطنطينية اكثر من الضرر الناشئ عن الضغط الذي سنقوم به على الباب العالي من اجل

ممارسة سلطته". (١) وأضاف سببا آخر يدعو لاستبعاد ذلك الخيار الاول وهو أن طرائق الباب العالي ملتوية وربما كانت تلك الهجمات على السفن البريطانية قد نالت استحسان الرسميين العثمانيين الذين يرفضون بابعاد السفن البريطانية من نهر دجلة. وذكر بالاتصال المستمر بين العراق والهندس والضرر الذى سيلحق بالمصالح البريطانية فى الهند حين ينشر العائدون من العراق القصص عن عدم قدرة السلطات البريطانية على حماية رعاياها ومصالحها هناك.

وناقش المقيم بعد ذلك الخيار الثانى ، وهو الوحيد برأيه الذى يمكن قبوله ، وأعرب عن استعداده لحشد التأييد المعنوى فى العراق لحسب الباب العالي اذا ما عزم على معاقبة غضبان ، ويمكن للسلطات البريطانية الاخرى فى نفس الوقت أن ثقفن شيوخ الكهنة والمحبرة والشيوخ الفرس المجاورين للعمارة بالضغط اديها على غضبان ، وأضاف :- " اننى أدرك أن سفارة جلالتهم ربما وجدت صعوبة فى دفع الباب العالي نحو القيام بعمل جدى ، واعتقد ان الدافع الاكثر احتمالا لتحريكه فى الاتجاه الذى نريده هو الرغبة بعدم اعطافى مبرا للدخول فى أية علاقات رسمية او اجتماعية مع الشيوخ العرب. ولقد حاولت - دون أن أروط نفسى بأى شكل - أن أزيد الخسوف من تلك الامكانية". وأختتم المقيم مذكرته باستبعاد الخيار الثالث كليا لانه ان نجح فسيسبب حساسية الترك وان فشل فسيضع المصالح البريطانية فى موقف غير ملائم على نحو مضاعف. (٢)

وقد رد وزير الخارجية السير أ. د. وارد غراى على مذكرة المقيم فى السادس عشر من يونية (١٦ جمادى الاولى) بالاستفسار عما اذا كان يمكن انزال العقاب بغضبان فى هذا الفصل من السنة دون صعوبة كبيرة جدا ، ومسما

Ibid. (١)

Ibid. (٢)

إذا كانت هنالك أية عواقب أخرى ذات طبيعة مرغوب فيها ربما تفتح عن إرسال قوات عثمانية كبيرة الى المنطقة المعنية (١) . فأجاب المقيم السياسى البريطانى والقنصل العام فى بغداد على ذلك الاستفسار فى الخامس والعشرين من يونية (٢٥ جمادى الاولى) بالقول ان الطقس غير مثالى للعمليات الحربية فى هذه البلاد ، ولكن القوات العاطة هنا ستبقى طوال السنة اما من الحر او من البرد ، وهون من شأن العواقب التى قد تترتب على توجيه القسوات ضد فضبان مثل اتساع نطاق القتال بين القبائل والحكومة او اثاره الاحتكاكات على الحدود العثمانية الفارسية او انقطاع الملاحة فى نهر دجلة لمدة طويلة . ولم ينس ان يحرز جوابه بقائمة باسماء الشيوخ المناوئين لفضبان داخل قبيلة بنى لام . (٢)

ولم ينفع حماس المقيم ذاك فى اقناع القائم بالاعمال البريطانى فى استانبول بوجهة نظره ، اذ كتب الى وزير الخارجية فى السادس عشر من يوليه (السادس عشر من جمادى الثانية) معبرا عن قناعته بأن اية اجراءات تأديبية تتخذ بحق فضبان سوف تؤدى بالضرورة الى نشوب قتال خطير فى المنطقة مما يؤدى الى توقف الملاحة فى نهر دجلة لمد طويل ، و اضاف بأنه لذلك السبب لعدم اقناعه بأن الهجمات السابقة كانت موجهة ضد السفن البريطانية بصورة خاصة - اذ هوجمت سفن محلية ايضا - فسوف لن يقوم بالضغط على الباب العالى للسير بالاتجاه الذى يفضل المقيم الا اذا زوده وزير الخارجية بتعليمات تقضى بذلك . (٣)

(١) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, August 1908, P. 31.

(٢) PRO, FO 424/216, No. 61, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 25, 1908.

(٣) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, P. 33.

ويبدو أن عوامل جديدة طرأت وجعلت المقيم نفسه يكف عن الحاحه على معاقبة غضبان منها قيام الانقلاب في استانبول في شهر جمادى الثانية/يوليه ، وما لاحظته هو شخصيا في أواخر ذلك الشهر من استتاب الهدوء في نهــــر دجله ، إضافة الى الازمة المالية الخانقة في العراق والتي أضطرت والى بغداد لمحاولة الاقتراض من التجار لمواجهة المتطلبات الحكومية العاجلة وهو الأمر الذى يجعل الحديث عن قيام السلطات الحكومية بتوجيه حملة لمعاقبة غضبان مجرد هراء . ولذلك كله كتب المقيم في العاشر من أغسطس ١٩٠٨ م (الثانى عشر من شهر رجب ١٣٢٦ هـ) قاطلا أن وجود الحالة الواهنة في استانبول جعلته يشعر أن من غير المحتمل أن يوجه اهتمام جدى لقضية غضبان فسعى لتدبير مقابلة مع وكيل سرى لغضبان في بغداد اخبره خلالها ان السياسة البريطانية تقضى بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ، ولكن اذا ما اجبر العرب الحكومة البريطانية على التزام جانب دون آخر فانها ستقف بالتأكد ضد الجانب الذى يهاجمها . وأعرب المقيم عن ثقته بأن تلك الرسالة ستصل الى غضبان ومن امله فى ان يكون لها بعض التأثير (١)

هذا ومن ناحية أخرى ، لاحظ السفير البريطانى فى استانبول السرجيرارد لوثر Sir G. Lowther أن شركة لنج لازالت مستمرة فى مطالبتها للحكومة العثمانية بالتعويض عن الاضرار التى نتجت عن الحادث فكسب الى وزير الخارجية السير غراى ومنها الى أن قيام النظام الجديد فى استانبول سيجعل من الممكن الاعتماد اكثر من قبل على حماسة السلطات العثمانية واستقامتها فى التعامل مع قضايا من ذلك النوع ، وأشار الى أن التفويض

فى النظام رافقه فى نفس الوقت انبعث كمبر للمشاعر الوطنية التركىة مع ما يترتب على ذلك من نوعة لتقييد المركز المتميز للا جانب ، وبين أن بواخر الشركة تذر جبة وذاها با مياها داخلية عثمانية وهى ترفع علما اجنبيا فليس من المناسب فى الظروف الراهنة - أن تعرض القضية فتعتبر خرقا لحقوق السيادة العثمانية خاصة وأن الخمران الذى تستند له حقوق الشركة اعطاها حق الملاحة فى نهر الفرات وليس فى نهر دجلة ، واقترح السفير بناء على ذلك كله أن تقصر الشركة دعواها على الاضرار الفعلية التى لحقت بالسفينة ، وان الاخرى بها أن تحاول كسب ود الحكومة العثمانية الجديدة بدلا من ان تطلب تدخل السفارة فى الأمر . (١)

ويبدو أن وزير الخارجية قد اقتنع بذلك فكتب الى ادارة شركة لنج فى لندن معربا عن اتفاقه مع ما أبداه السفير من ملاحظات ، ومن اعتقاده بأن من الأفضل لمصالح الشركة الا تصر على ملاحقة السفير لدعواها لدى الباب العالى رسميا ولكن ان يحميد التذكير بها بصورة ودية - اذا ما ظلت الشركة ترفض فى ذلك - وان يقترح - اذا ملاحته له الفرصة المناسبة - وجوب تحذير والى بغداد والبصرة من العواقب الجديدة التى ربما ستعقب حادثنة أخرى مثل حادثنة الهجوم على السفينة " بلوس لنج " ، واعرب الوزير عن اعتقاده فى انه سيكون لمثل هذا التحذير - فى الظروف الراهنة - تأثير اكبر مما لو كان قد قدم قبل زمن قصير مضى . (٢)

وقد اخذت الشركة - على ما يبدو - برأى وزير الخارجية فى الرابع عشر من نوفمبر ١٩٠٨ (الثامن عشر من شوال ١٣٢٦ هـ) أخبر السفير

IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Oct. 1908, P. 35.

(١)

Ibid., P. 35. (٢)

البريطاني في استانبول وزير الخارجية السير غراي بأنه اجتمع مع وزير الداخلية العثماني وابلغة أن شركة لنج تنازلت عن دعواها على أساس ان السلطات المحلية في بغداد والبصرة ستتخذ الخطوات لمنع تكرار حوادث مشابهة في المستقبل فرد عليه وزير الداخلية بأن والى بغداد الحالي موظف مخلص ونشط وسوف لا يثير - مثل سلفه - الاضطراب القبلي الذي نتج عنه الهجوم على السفينة و اضاف ان النية تتجه لزيادة القوات المحلية في بغداد كي تتمكن من مكافحة الاضطرابات القبلية بنجاح (١) . وقد . هذا الحد طويت صفحة الهجوم الذي تعرضت له تلك السفينة البريطانية ، ولكن لتفتح صفحة جديدة أخرى .

اضطرابات سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م :

دخلت هذه السنة والطقى منتشر بين قبائل لواء العمارة بسبب سوء انتاج محاصيل الحبوب في ذلك الموسم ، (٢) وهو الامر الذي دفع السلطات الحكومية لمنع تصدير الحبوب عبر ميناء البصرة في شهر يناير ١٩٠٩ (٣) ، (محرم ١٣٢٧هـ) ولا ريب أن ذلك القلق أضاف عابدا للاضطرابات في بيئة مهيأة له أصلا ، ولذلك فما ، أن حل شهر صفر / مارس وهو الموعد السنوي لتزيم المقاطعات وحماية الاموال الحكومية من الملتزمين متى اندلعت موجه جديدة من الاضطرابات الخطيرة ، تزامنت مع اتجاه الحكم الجديد

(١) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Dec.-1908, P.37.

(٢) حسين محمد القهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥٢ .

(٣) N.A.R.S., RG 83, No.36, Am.Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Jan. 30, 1909.

اتجاهها مفايراً فما كان سائداً في العهد السابق، فبعد أن كانت سياسة ذلك العهد هي اللجوء إلى ترتيب تسويات مؤقتة لانهايا الاضطرابات القبلية، اتجهت الحكومة الجديدة إلى استخدام القوة في قمع مثل تلك الاضطرابات وهو الأمر الذي يتطلب توفر قوة حربية كبيرة وإدارة ماهرة كما لاحظ نائب سب القنصل الأمريكي في بغداد . (١)

ويبدو أن السلطات الحكومية مالت - انسجاً - مع ذلك الاتجاه - للتشدد مع شيوخ القبائل وولت على عدم تجديد التزامهم لبعض المقاطعات ، ففي الاراضي الواقعة جنوب مدينة العمارة كان صهيود المنشد شيخ البومحمد ملتزماً لمقاطعة " المجر الكبير " (٢) لمدة ثلاث سنوات تنتهي في سنة ١٩١٠ م (١٣٢٨ هـ) ولكنه توفي في غضون هذا الوقت (٣) ، فكتب ابنه عبدالكريم إلى والي البصرة محرم بك عارضا أن يدفع ما بذمة ابيه من متأخرات الاموال الحكومية عن السنة الاولى من سنوات الالتزام والبالغة حوالي ثمانية آلاف ليرة مقابل أن يحتفظ بالمقاطعة حتى نهاية أمد الالتزام ، فأقر الوالي طلبه رسمياً أول الامر ، ولكن أحد مشايخ البومحمد المنافسين وهو " زبون اليسر " قابل الوالي بعيد ذلك وتمكن من جعله يغير رأيه ويعلن عن نيته الغشائية

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 614, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Beirut, May, 13, 1909.

(٢) مقاطعة تقع على ضفاف جدول المجر الكبير الذي يتفرغ من ضفة دجلة اليمنى على بعد تسعة عشر ميلاً من مدينة العمارة ، راجع: لفة العرب، السنة ٨ ، ج ٣ ، آذار ١٩٣٠ ، ص ١٧١ .

(٣) تختلف المراجع في تاريخ وفاته ففي حين يقول الندواني " مرجع مر ذكره ، ص ١٣٠ " أنها حدثت سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م وهو خطأ واضح إذ مر علينا اشتراك صهيود في أحداث سنة ١٣٢٦ هـ ، ١٩٠٨ م ، يقول الطاهر " الحشائر العراقية ، ص ٢٩٥ " أنها حدثت في نهاية سنة ١٩٠٨ م ، ولكن الحزاوي " تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ١٨٧ " قال أنها تمت في ١١ صفر ١٣٢٧ هـ / ٤ مارس ١٩٠٩ م وروايته هي الأرجح لما فيها من تحديد أولا ولانها تبدو منسجمة مع سياق الاحداث التي نحن بصدد ها ثانيا .

عقد الالتزام القائم . كما رفض الوالى نفسه من جانب آخر طلبا تقدم به فالسح الابن الاخر لصهيود لتجديد عقدي مقاطعتين آخرين كان التزامهما يفتهى فى هذه السنة اى سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م ، وقد سببت مواقف الوالى استياء الاخوين ومن يؤيدها من قبيلة البو محمد (١) .

أما فى شمال مدينة العمارة فقد انتهى بنهاية سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م أمد التزام مقاطعة " كمت " (٢) ، وهو سجل رسميا باسم كاتب غضبان بن بنى واحد اتباعه ، بينما كان المتصرف الفعلى فيه هو أخاه " بلاسم بن بنى " فتقدم لالتمام تلك المقاطعة احد شيخ بنى لام المنشقين على غضبان وهو " فهد الغضبان " يسنده فى ذلك الشيخ خزعل . شيخ المحمرة الذى وضع بساكنين نخيله فى " السراجى " قرب البصرة ضمانا لتسديد فهد ما قد يترتب عليه من أموال للحكومة نتيجة لذلك الالتزام . وكان هدف الشيخ خزعل من ذلك أمرين الأول هو أن يثار لنفسه من غضبان الذى ساعد فى العام السابق عشائر الحويزة فى ثورة قامت بها ضد خزعل ، والثانى هو أن يخلق المتاعب للسلطات الرسمية فى ولاية البصرة التى رفضت مؤخرا أن تسجل باسمه اراضى زراعية اشتراها قرب البصرة ، كما عرقلت عمليات بناء عقارات كثيرة يقوم بها

PRO, FO 424/219, No. 20, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (1) March 31, 1909.

(٢) مقاطعة تقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة على بعد حوالى ثلاثين ميلا شمال مدينة العمارة وبها قرية بنفس الاسم وهى سوق للقبائل المحيطة بها . راجع :

لوريمر مرجع مذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٣ ، ص ١٢٨٩

في مدينة البصرة متذرة بمخالفة ذلك لقوانين البلدية . (١)

أدى كل ذلك الى لجوء بنى لام واليو محمد للضغط على الحكومة من خلال وسيلتهم المعهودة وهي التعرض للسفن المارة في نهر دجلة ، ففي ليلة السابع عشر من مارس ١٩٠٩ (الرابع والعشرين من صفر ١٣٢٧ هـ) وحين وصلت " خليفة " سفينة شركة لنسج الى " كميت " وهي منحدر في طريقها من بغداد للبصرة اطلق عليها اتباع غضبان النار ، ويبدو أنهم كانوا يقصدونها بالذات اذ انهم لم يتعرضوا لسفينة تركية مرت قبلها بثلاث ساعات (٢) . وحين عادت السفينة نفسها قافلة من البصرة الى بغداد هوجمت أربع مرات في المنطقة الواقعة بين قلعة صالح والعمارة على أيدي اليو محمد هذه المرة (٣) . وقد ذكر القنصل العام والمقيم السياسي البريطاني في بغداد والذي كان على ظهرها قادما لمقر عمله ان الحامية العثمانية الموجودة على السفينة والتي تضم اثني عشر جنديا تصرفت بكفاءة في صد تلك الهجمات الاربع بالرد على مصادر النيران مما مكن السفينة من اجتياز منطقة الخطر بسلام رغم اصابتها بثلاث وعشرين طلقة . (٤)

PRO, FO 424/219, No. 20, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
March 31, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٢)
March 20, 1909.

N.A.R.S., RG. 84, No. 42, Am. Vice Cons. at Bag. to (٣)
Am. Amb. at Const. March 31, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir (٤)
G. Lothar, March 31, 1909.

تصاعدت بعد ذلك حوادث مهاجمة السفن فلم تسلم منها أية سفينة
مرت في المنطقة المضطربة ، وكان أكبر تلك الحوادث من نصيب الباخرة
العثمانية " بغداد " حين أطلقت عليها النار في الثالث والعشرين من مارس
(الاول من ربيع الاول) فقتل اثنان من ركبها وجرح سبعة آخرون وفُهم
الجهود التي بذلت لصد ذلك الهجوم من قبل الحامية العسكرية التي كانت
على ظهرها والمزودة بمدفع صغير سريع الطلقات (١) . وحين غادرت السفينة
نفسها البصرة في طريق عودتها لبغداد في السادس من ربيع الاول / الثامن
والعشرين من مارس وكان من بين ركبها خبير الري البريطاني المشهور
السير وليم ولكوكس W. Willcocks أنقطعت أخبارها نتيجة لقلع
القبائل لخطوط البرق بين البصرة والعمارة فلم يعرف شيء عن مصيرها
الا في الخامس من أبريل (الرابع عشر من ربيع الاول) اذ علم انها وصلت
الى مدينة العمارة وانضمت الى ثلاث سفن أخرى بريطانية وثمانية محتجزة
هناك لعدم تمكنها من مواصلة رحلاتها سواء نحو بغداد او نحو البصرة
التي ظل فيها عدد آخر من السفن في وضع مماثل . (٢)

ولم تمر تلك الحوادث دون رد فعل بريطاني ، فحالما سمع
القنصل البريطاني في البصرة بحادث إطلاق النار الاول على السفينة
" خليفة " اجتمع بهوالي البصرة وشكا له من خطورة الوضع ، وقد اجابه الوالي
بأنه وضع القارب الحربي " آلس " تحت تصرف متصرف لواء العمارة لاستخدامه
في حماية الملاحة النهرية ، كما اعلن له استعداداه لان يضع على ظهر كل

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 42, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 31, 1909.

(٢) PRO, FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, April 15, 1909.

سفينة بريطانية بعض الدرك بأمر ضابط لحمايتها خلال رحلاتها (١) ، وعلق
القنصل على ذلك العرض بقوله ان تلك القوات القليلة هي كل ما يستطيع الوالى
الاستغناء عنه الآن نتيجة لاضطراب الامن حول مدينة البصرة نفسها
بسبب الهجمات التي يشنها اعصار الشيخ حول على معارضيه فى تلك الانحاء (٢)
فيبدو ان سلامة الملاحة قد أثارت قلق نائب القنصل الامريكى فىستنسلى
بغداد أيضا ، فقد كتب لسفارة بلاده فى استانبول فى السادس والعشرين من
مارس (الرابع من ربيع الاول) معترفا بأن السلطات المحلية اتخذت كـل
ما بباطقتها من وسائل لحماية الملاحة ولكن ذلك لم يمنعه من القول بأنه
اذا لم تتخذ تلك السلطات خطوات ايجابية على الفور فإن الوضع ربما يصبح
خطيرا جدا ، و اضاف بأنه بقدر ما فى توقف الملاحة النهرية من تأثير على
المصالح التجارية الامريكية فانه يطالب السفير بتقديم احتجاجات قوية الى
الباب العالى . (٣) فرد عليه السفير الامريكى بعد أربعة أيام واعلمه
بأن السفارة البريطانية قد قامت بالفعل بالتحرك الضرورى لدى الباب
العالى ، و اضاف قائلا : طالما ان المصالح الامريكية لا تبدو معرضة
للمخطر بصورة مباشرة فانه لا يعتقد بأن من الضرورى للسفارة الامريكية ان تتخذ
حذو زميلتها البريطانية . (٤)

PRO, FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
March 20, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 20, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٢)
March 31, 1909.

N.A.R.S. , RG 84, No. 42, Am. Vice. Cons. at Bag . to (٣)
Am. Amb. at Const., March 31, 1909.

N.A.R.S., RG 84, No. 1052, Am. Amb. to ~~Am.~~ Am. Vice (٤)
Cons. at Bag. , March 30, 1909.

وقد شغل الرسميون البريطانيون بموضوع اخر وهو سلامة الرعايا الاجانب المسافرين على ظهور السفن المحتجزة في مدينة العمارة والذين بلغ عددهم اكثر من الفى مسافر ، فرغم ان المقيم السياسى البريطانى في بغداد كان يعتقد أن مدينة العمارة كانت آمنة ، الا انه اقترح على السفارة البريطانية فى استانبول أن يسمح له بمحاولة الحصول لنفسه من القبائل على حق المرور الآمن بسفينة المقيمة " كوميت " ليذهب الى العمارة ويخرج الرعايا البريطانيين منها ، ولكن السفير البريطانى رأى فى ذلك الاقتراح مخاطرة غير ممكنة التطبيق عمليا ، ولجأ بدلا عنه الى الاتصال بالسلطات العثمانية العليا حول الموضوع حيث أخبره الصدر الاعظم حسين حلمى بأن المعلومات التى وصلتته تدل على عدم وجود خطر يهدد حياة المسافرين المحتجزين فى العمارة . (١)

وفى غضون ذلك كانت السلطات المحلية فى العراق تتخذ الاجراءات اللازمة لحشد قواتها لمواجهة الوضع المتردى فى لواء العمارة ، ويبدو أن أول خطوات ذلك الحشد قد تمت قبل حوادث اطلاق النار على السفن ، اذ أرسلت بعض الوحدات العسكرية من البصرة للعمارة فى الرابع عشر من مارس ١٩٠٩م (٢) (الحادى والعشرين من شهر صفر ١٣٢٧هـ) أما بعد وقوع تلك الحوادث فقد بادرت قيادة الفليق السادس الى استدعاء الاحتياط للالتحاق بالخدمة فى ولاية البصرة ، وامرت عشر كتائب من الجند بالاستعداد للحركة من بغداد للعمارة . ويبدو ان ما أخر تلك الحركة هو عدم توفر وسيلة النقل

PRO, FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey April, 15, 1909. (١)

PRO, FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 20, 1909. (٢)

اللازمة ، ولذلك فكر والى بغداد بأستغلال السفينة الوحيدة المتبقية فى بغداد حينئذ وهى السفينة البريطانية " بلوس لنج " فأتصل بالمقيم البريطانى وطلب اعارته تلك السفينة لنقل القوات والذخيرة الى العمارة . وقد أبدى المقيم استعدادا له لتلبية الطلب شريطة حصوله على ضمان من السلطات العثمانية ضد ما قد تتعرض له السفينة من اضرار ولكن والى رفض تقديم الضمان المطلوب . ويبدو ان ذلك الشرط كان حجة تذرع بها المقيم لرفض طلب والى حرصا منه على التزام جانب الحياد بين الطرفين المتصارعين . (١)

ورغم تلك الاستعدادات فلم تبادر القوات الحكومية بعدها على الفور لحسم الموقف فى لواء العمارة ، وقد أدى ذلك لانتشار أشاعات فى بغداد تفيد بأن محمد فاضل باشا الداغستانى قائد الفيلق السادس المرابط فى العراق قد تقاضى رشوة مقدارها الف ليرة ذهبية من غضبان وذلك من أجل ان يبالغ فى تقاريره التى يرفعها للحكومة المركزية فى قوة ذلك التنظيم القبلى ويشير الى ضرورة سوق قوة مؤلفة من عشرين الف رجل اذا اعتزمت الحكومة سحقه . (٢) ولكن تلك الاشاعات تناقض ما يمتاز به ذلك القائد من سمعة طيبة وما يحظى به من احترام عام ، وهذا ما يجنبني أتردد فى قبولها ، وأميل الى الاعتقاد بأن السبب فى تردد القيادة العسكرية فى مباشرة العمليات ضد القبائل هو مارواه نائب القنصل الأمريكى فى بغداد من ان الصدر

PRO,FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, (١)
April, 15, 1909.

PRO,FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٢)
March 20, 1909.

PRO,FO 424/ 216 , No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. (٣)
Barclay, June 9, 1908.

الاعظم هو الذى شل حركتها حين القى على عاتقها مسئولية أى صدام يقع بين القوات الحكومية والقبائل ، ولذلك ظلت القيادة تنتظر وصول تعليمات جديدة من استانبول . (١)

ويجدر هنا التعرف على السبب الذى جعل السلطات العليا فى استانبول تتردد فى اصدار الاوامر لقيادة الفيلق فى بغداد ، فالسفير الأمريكى هناك علل ذلك بنفور الباب العالي من اللجوء للعنف ، وامتدح ذلك الاتجاه بقوله انه لأمر منطقي لا يدعو للشجب كليا تجربة سياسة ميالة للاسترضاء تحقق نفس الاهداف المتوخاة . (٢) ولكن ما لدى من شواهد تدعوني للحفاظ ازاى وجهة النظر تلك ، اذ لم يكن الباب العالي ميالا للاسترضاء فى البداية ، بل كان اتجاهه الحقيقى هو التشدد مع القبائل وهذا ما أدى - ضمن عوامل أخرى - الى وجود الحالة الراهنة . وأحيل الى تفسير موقف الباب العالي بانشغاله فى غضون ذلك الوقت بالهياج السياسى فى العاصمة نفسها (٣) وهو الهياج الذى ارتبط بمحاولة الانقلاب على الحكومة الدستورية الاتحادية وانتهى بعزل السلطان عبد الحميد الثانى وتنصيب السلطان محمد رشاد محله . (٤)

N.A.R.S., RG 84, No. 42, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 31, 1909. (١)

N.A.R.S., RG 84, No. 1052, Am Amb. at Const. to Am. Vice Cons. at Bag., March 30, 1909. (٢)

PRO, FO 424/214, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, April 15, 1909. (٣)

Sina AKsin , 31 Mart Vakasi Uzerinde bir Inceleme (١٣ -٤) 27 Nisan 1909,) , Doktora Tezi, Istanbul University, P. 286.

ولم يطل انتظار القيادة العسكرية في بغداد لا وأمر استانبول كثيراً ،
 إذ وصلت تلك الأوامر فتحركت القوات ، ولدينا عن ذلك التحرك شهادة
 من ثلاثة بريطانيين أحدهم السير وليم كلوكس راقبوا وقوع الأحداث فسي
 مسرحها بأعينهم إذ كانوا على ظهر السفن التي تحركت من مدينة العمارة
 في الساعة التاسعة من صباح الرابع من إبريل ١٩٠٩ (الثالث عشر من ربيع
 الأول ١٣٢٧ هـ) وهي السفينة "بغداد" وتقل ثلاثمائة وخمسين جندياً ،
 و"بصرة" وتقل مائة وخمسين جندياً ومنعهما قارب المدفعية "أوس". وكان
 هدف تلك القوة هو الالتقاء في موقع "أبي سدره" على الجانب الأيسر من
 نهر دجلة جنوب العمارة مع قوات عربية باشا الوادي أحد مشايخ البو
 محمد المؤيدين للحكومة (١) . وأُصِّل إلى الظن بأن تحرك تلك القوة
 بذلك العدد كان استجابة لزمع كان يردده عربي وأدلى به لربان إحدى
 السفن البريطانية العاملة في دجلة وفحواه أنه قادر على سحق التمرد بقوته
 الخاصة إذا ما عززت بخمسمائة جندي نظامي فقط . (٢)

وفي الساعة العاشرة من صباح نفس اليوم بدأ الصدام بين الطرفين
 حين أطلق حوالي مائتي رجل من البو محمد نيران بنادقهم على السفن
 الثلاث من خنادق أقاموها على طول الجانب الأيمن لنهر دجلة عند المنطقة
 التي يتفرع فيها جدول المجر الصغير ، فردت السفن على إطلاق النار
 بالمثل وأخذت تتحرك في المنطقة جيئة وذهاباً لمدة ساعة للتأكد من إخماد
 مصادر النيران ، ورغم ذلك كله لم تحدث إصابات بين المقاتلين لأن أفراد

PRO, FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen Ramsay to Sir (١)
 G. Lowther , May 18, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 18, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٢)
 March 20, 1909.

القبائل المهاجرة وا قطع على رفع رءوسهم خارج الخنادق ، بل كانوا يطلقون النار في الهواء وكذلك كان الجند يرددون عليهم بنفس الطريقة ، ومع ذلك فقد هرب قارب المدفعية " ألوس " عائدا للعمارة . (١) ولعل هذا هو السبب الذي جعل احدى الصحف المحلية تصب جام غضبها على رايته متهمة أيماه بالجبن بل وبالتواطؤ مع القبائل . (٢)

وقد وصلت السفينتان الباقيتان في حدود الساعة الواحدة ظهرا الى المكان المحدد للقاء عربيى وقواته التى ظهر انها لا تزيد على ثمانمائة رجل وذلك عكس ما كان شائعا من قدرته على حشد اثنى عشر الف رجل ، وبعد وصولهما توقفتا هناك حيث التحق بهما مرة ثانية القارب " ألوس " تصحبه السفينسة " حميدية " على ظهرهما تمزيقات مكونة من مائة وخمسين جنديا ، وباتت كلها هناك ليلة تخللها بعض القنص . وفى حوالى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى قامت السفن بنقل عربيى ورجاله الى الضفة اليمنى من نهر دجلة ، وبعد ما اخذت سبعة مدافع مركزة على ظهور السفن تقصف قلعة واقعة على جدول المجر الكبير على بعد ثلاثة الاف وثمانمائة ياردة من النهر ، ولقد كان القصف مركزا والتصويب جيدا حتى لقد شوهد افراد القبائل يهربون من القلعة ومن الخنادق نحو الخلف ، وظل القصف مستمرا طوال النهار وحتى الساعة الخامسة مساء ، حيث حولت المدافع وجهتها صوب قرية وجسر يمتد فوق جدول المجر الكبير على بعد حوالى ميلين ونصف من نهر دجلة الى ان جاءت الساعة السادسة والنصف مساء فتوقف القصف ، ولكن القنص ظل شديدا من جانب القبائل المتمركزة على الجانب الايمن للنهر

PRO,FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir G. (i) Lowther , May 18, 1909.

(٢) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ١٩ ، ٨ جمادى الاولى ١٣٢٧ / ٢٦ مارس ١٩٠٩ م ، ص ٢٠٢

دجلة فأمر القارب "آلوس" بالتوجه لاحتها . (١)

وفى حدود الساعة السابعة والنصف من صباح السادس من ابريل (الخاص عشر من ربيع الاول) كانت القبائل هي البادية بأطلاق النار من بساتين النخيل القريبة فردت السفينة " بصرة " بقصف البساتين فأضطرم كان مختبئا فيها الى الانسحاب ولكنهم أصطدموا مع بعض رجال عريبي الذين غنموا بعض الخيول والاغنام ، ونجحوا فى احراق قريتين كبيرتين جدا من الاكواخ التى وجودها مليئة بالقتلى والجرحى حسب اقوالهم . وقد تبع كل ذلك انزال الجنود من السفينة " بغداد " لمهاجمة خنادق البومحمد ، وحين وصلوا الى بعد ٢٥٠٠ ياردة منها بدأوا يطلقون النار وهم يتقدمون الى ان وصلوا الى مسافة خصمافة ياردة من هدفهم فأنبطحوا أرضا لانهم اصبحوا ضمن مرمى بنادق العدو . وندما انزل الجنود من السفينة "بصرة" لتصليز المهاجمين بينما صدر الامر "آلوس" بالانحدار فى جدول المجر الكبير لكن ربانه رفض الوصول به الى نقطة معينة تمثل مفتاح الموقف . (٢)

وفى خلال ذلك كله أستمر اطلاق النار كيفا جدا الى ان انتصف النهار فشن هجوم على الجناح الايمن للقوات الحكومية ولكن الجند استطاعوا صدّه وظل الموقف لصالح القوات الحكومية عموما الى ان جاءت الساعة الثالثة والنصف ظهرا فهب فجأة ثمانمائة رجل اغلبهم من بنى لام من خنادقهم وكررو الهجوم على الجناح الايمن للقوات الحكومية ، لقد بدأوا وهم عراة تماما الا مما يستر عوراتهم بالزحف كالقطط الحذرة لمسافة خصمافة ياردة ، ثم

PRO, FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir (1)
G.Lowther, May 18, 1909.

Ibid. (٢)

اطلقوا صيحة مدوية واحدة وهبوا واقفين ونشروا راياتهم المطوية ليستظل كل واحد منها خمسة وحشرون رجلا منهم رافعين بنادقهم فوق رؤوسهم ، ثم انسبوا على الجند الذين ولوا الادبار على الفور ، وألقى خمسة وحشرون منهم بنادقهم ، ولكن بعضهم اظهروا قدرا من الشجاعة حين استداروا الى الخلف وهم هاربون نحو السفن واطلقوا النار على المهاجمين ، وقد تحسّر نتيجة لذلك الانكسار موقف السفينة "بغداد" اذ لم يكن على ظهرها فى تلك اللحظة الا خمسة وحشرون جنديا ولكن المهاجمين اتجهوا - لحسن الحظ - نحو السفينة الثانية "بصرة" التى كان على ظهرها عدد كبير من الجند مما مكّنها من صد الهجوم واتاحة الفرصة للسفن بالانسحاب متراجعة لمدينة العمارة فى الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم ، وكانت خسائر القوات الحكومية خلال كل تلك المعارك طفيفة اذ لم تزد عن قتل واحد وحشرين جريحا وستة مفقودين اعادت القبايل خمسة منهم الى العمارة فى اليوم التالى بعد أن كسّتهم ملابس نظيفة . (١) وقد برز قائد تلك القوة مظهر بك انسحابه على تلك الصورة فى برقية بعثها الى قيادة الفليق فى بغداد ففزعاه الى نفاذ فحم البواخر وذخيرة الجند وطالب بزيادة القوات العاطة فى لواء العمارة الى أربعة الاف جندي لتتمكن من انجاز المهمة المنوطة بها . (٢)

وقد علق المقيم السياسى البريطانى فى بغداد على هزيمة القوات الحكومية بقوله :- " اخشى الا يجد أصدقاء الحكومة التركية شيئا مشجعا فى تلك الاحداث اذ ان قوة من اربع سفن وستة مدافع جبلية ومدفعا أصليا واحدا

(١) Ibid.

(٢) الرقيب، السنة ١، العدد ١٣، ٢٤، ربيع الاول ١٣٢٧هـ / ١٥ نيسان

من نوع كروب Krupp يطلق من جانب السفينة بصورة رائعة ، وستائسة وخمسين جنديا هاجموا موقعا للعرب يومين متتاليين ، اطلق خلالها مساملة المشاة المسلحون ببنادق ماوزر Mauser كل ذخيرتهم تقريبا على مسافة تتراوح بين الفين وخمسمائة والـ ألف يارده حيث كانوا خارج مرمى المسد و الصلح ببنادق مارتيني Martinis ثم هربوا في ذعر على ظهور سفنهم ولم تخسر تلك القوة في النهاية الا قتلا واحدا وشرين جريحا وستة مفقودين وحين هرب الجند كان في حزام كل منهم خمس طلقات على الاقل . وبهدو أن الضباط لم يظهروا رغبة في الاستبسال كما اظهروا قلة في الكفاءة ، بينما كان الجند غير مدربين اطلاقا ، اذ أمر الضباط المسئولون عدة مرات بأيقاف اطلاق النار ولكن الرجال لم يصفوا لهم ، ولهذا يبدو أن كل الذخيرة تقريبا استهلكت على عدو غير مرئي خارج المرمى ، وحين شن العرب هجومهم عبر أرض مكشوفة كانت مع الجند طلقات قليلة باقية فهربوا ولقد قيل أن العرب كان معهم في مخيمهم جنود فارون من الخدمة العسكرية فأخبروهم ان النفخ في الابواق يعنى طلبا لجلب الذخيرة وهذا هو السبب في اختيارهم اللحظة المناسبة لشن هجومهم - وحين شن الهجوم كان هنالك ذعر على ظهور السفن كما هو الحال بين الجنود ، فقد انطلقت السفينة " بصره " من ضفة النهر بينما كان بعض الجنديهم بالصعود اليها فتركوا يتخبطون في الماء بينما ابتعدت السفينة . وفي السفينة " بغداد " كان افراد الطاقم مصابين بالرعب أيضا ، فسمع الكابتن دن Denne لنفسه بالنزول الى الضفة وفك الحبال ، وبعد أن قام بذلك ذهب الى قمرة الريان لقيادة السفينة تاركا احد الضباط ليخبره حين يصعد الجميع الى السطح ، ولأن القمرة كانت مغلقة فلم يكن باستطاعته رؤيته مايجرى ، فرمى الضابط المكلف بالمراقبة خشبة المعبر وأخبره بأن الجميع قد صعدوا . ولحسن الحظ رأى السير ولیم ولكوكس بعض الرجال الجرحى

وكل المشتتين- وهم من اتباع عريبي بصورة رئيسية - لا زالوا يتدفعون فسي طريقهم نحو السفينة ، فأخبر الكابتن دن فالتقطت السفينة كل الجرحى والمشتتين أضافه الى أولئك الذين تركتهم " بصره " حين انطلقت بصورة فير نظامية . ولقد كان الحرس الموجودون على ظهر " بغداد " مخبولين تماما من الرعب اذ كانوا يطلقون النار بصورة متواصلة على الارض الممتدة امامهم حيث لم يكن هنالك عدو ، وترتب على ذلك فقد انهم لتماسكهم كلية لانهم توهموا ان التراب المتطاير من جراة وقوع رصاص بنادقهم على الارض هو دخان بنادق العدو ، ورفم انهم اعترفوا بخطأهم حين اوضح لهم الامر الا انهم لم يكفوا من اطلاق النار لان الضجة - كما قالوا - ترعب العدو (١) .

ولم تتوقف قيادة الفيلق السادس في بغداد خلال ذلك كله عن ارسال التعزيزات الحربية الى العمارة ففي السابع من أبريل (السادس عشر من ربيع الاول) غادرت بغداد قوة تتكون من حوالي ستمائة رجل وأربعة مدافع (٢) ، ويبدو أن الخطة الحربية الجديدة كانت تهدف الى تأمين المنطقة الواقعة شمال مدينة العمارة من خلال توجيه تلك القوة من بغداد وقوة أخرى تتجه من العمارة شمالا فتلتقي القوتان في منتصف الطريق بين بغداد والعمارة ، وعلى هذا تحركت في الثالث عشر من أبريل (الثاني والعشرين من ربيع الاول) السفينتان " بصره " و " بغداد " من العمارة نحو الشمال وهما تفلان خصماتة جندي ، فوصلتا الى " كميث " ووجدتاها مهجورة من سكانها

PRO, FO 424/219, No. 507492, Cons. Gen. Ramsay to Sir, G, Lowther, May 18, 1909. (١)

PRO, FO 424/219, No. 272/Sir G. Lowther to Sir E. Grey April, 15, 1909. (٢)

وأُنزلت هناك ملتزمها الجديد " فهد الغضبان " ورجاله ولكنهم عادوا سراعاً الى ظهر السفينة " بغداد " لخوفهم من هجوم قد يشنه عليهم " بلا سـمـ البنية " اخو غضبان من حصن قريب يسيطر على المنطقة . فتحركت السفينتان نحو الشمال والتقتا قرب الكوت بالسفينة " رصافه " التي كانت تقل القسوة القادمة من بغداد بقيادة يوسف باشا ، ومن هناك عادت السفينة " بصـرة " تقل الجند مع " رصافه " بينما واصلت " بغداد " طريقها تحمل المسافرين الى بغداد . (١)

ولى الجانب الاخر فان النصر المبدئى الذى حققته القبائل لم يقدمها عن مواصلة التحرك ، اذ انها بادرت لشن هجوم على عريبي ومن يومئذ من ابو محمد فى مقاطعة الكحلا* لمعاقبته على وقوفه مع القوات الحكومية فى المعركة السابقة فجرت بين الطرفين معركة خرج منها عريبي مهزوماً (٢) . ثم التفتت بعد ذلك لتحركات القوات الحكومية فى شمال مدينة العمارة فحركت جزءاً من قواتها نحو الشمال لمواجهة (٣) ، ولكنها لم تستطع الصمود بوجه يوسف باشا وقواته التى استولت على " كميـت " فى العشرين من أبريل (التاسع والعشرين من ربيع الاول) وأقامت فيها " فهد الغضبان " ورجاله (٤) ، ثم واصل

PRO,FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir G. (١)
Lowther , May 18, 1909.

Ibid. (٢)

PRO,FO 424/219, No. 272, Sir. G. Lowther to Sir E. Grey, (٣)
April 15 1909.

PRO,FO 424/219, No. 27, Cons. Crow to Sir Lowther, May (٤)
7, 1909.

يوسف باشا طريقه فوصل العمارة وبهذا تأمن الطريق بينها وبين بغداد
 وند ذاك رأى الرعاء المعارضون وهم غضبان البنيه وقالج وهبدالكريم الصيهدود
 ان تيار الاحداث بدأ يتجه ضد هم فتقدموا الى ولاية البصرة بعروض سلام
 لم تلق القبل نظرا لسير العطيات الحربية لصالح القوات الحكومية ، وتركست
 الولاية ليوسف باشا أمر اتخاذ قرار بشأنها . (١)

وفى حين كانت قوات يوسف باشا تتقدم باتجاه العمارة غادرت تلك المدينة
 فى العشرين من ابريل (التاسع والعشرين من ربيع الاول) ثلاث سفن متجهة
 نحو الجنوب وهى تقل ستمائة جندي وكان هدفها هو المجر الكبير حيث
 انضم لها هناك عربى واتباعه ، بينما تأهب المعارضون لطلاقها يقودهم
 عبدالكريم الصيهدود ، وقد بدأت الصدامات بين الطرفين بقصف مدفعى
 من جانب القوات الحكومية استمر طيلة أربعة أيام ، قام بعده عبدالكريم
 بأخذ زمام المبادرة فى شن الهجوم فى الاول من مايو ١٩٠٩ (العاشر
 من ربيع الاخر ١٣٢٧هـ) وكان هجومه مركزا على عربى ومن معه حيث التحم
 الجانبان فى قتال عنيف خسر عربى خلاله ثلاثمائة قتيل من رجاله ، فى حين
 انسحبت القوات الحكومية الى السفن واقتصرت مساعدتها لعربى على اطلاق
 نيران اسلحتها من بعد ولهذا لم تتكد اية اصابات بين صفوفها . ورغم
 ما حققه عبدالكريم بخصمه من خسائر فادحة الا ان القوات التى كانت معه لم
 تكن على ما يبدو - كافية للسيطرة على الموقف ولذلك طلب النجدة من أخيه
 فالح الذى كان فى اثناء المعركة فى قرية "الحفيرة" ، وقد بادرفالح السى

PRO, FO 424/219, No. 23, Cons. Crow to Sir. G. Lowther, (١)
 April 29, 1909.

انجاد أخيه على الفور على رأس عدد كبير من اتباعه بعد أن أحرق الأكسوخ التي تتكون منها تلك القرية. (١) وهدفه من تلك الخطوة على ما اعتقد هو بث الحماس في نفوس رجاله وأشعارهم بالا ملجأ لهم إذا لم ينتصروا في المعركة ولكن ذلك لم ينفع في الحيلولة دون ترجع كافة القوات الحكومية والقوى القبلية المؤيدة لها فاستطاعت تحقيق نصر بارز نقلت أخباره لولاية البصرة برقيات من يوسف باشا ومتصرف العمارة ووكيل قائمقام شطرة العمارة أفادت بأن غضبان البنية قد قتل بينما فر أخواه فالح وبلاسم ومعهما عبد الكريم وفالح الصيهدود إلى الأهوار الواقعة قرب الحويضة في الأراضي الفارسية، وأن أتباعهم أخذوا يسلمون أنفسهم بأعداد كبيرة حيث يجري عقاب من يثبت تورطه منهم في الأحداث الماضية، كما أشارت تلك البرقيات إلى أن النهر أصبح آمناً وفتوحاً للملاحاة وأن الإصلاحات جارية في أسلاك البرق، كما تتخذ الإجراءات اللازمة لتعزيز "الشبانة". (٢)

ولم تصدق تلك البرقيات فيما وصته من مقتل غضبان، إذ أنه عبر مع عدد كبير من اتباعه الحدود الدولية بين العراق وفارس وسرعان ما انهطك هناك في صراع مع خصمه الشيخ خوجل على اكتساب ولاء القبائل القاطنة هناك (٣)، بينما لجأ حليفاه فالح وعبد الكريم الصيهدود إلى حمى الشيخ خوجل الذي سمح

(١) PRO, FO 424/219, No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 7, 1909.

(٢) Ibid. ، والشبانة كلمة فارسية تعني في الأصل الحراس الليليين ، راجع: Wilson, A.T., Loyalties, Mesopotamia 1914-1917, New York, 1969, p. 66.

ولكن الكلمة استعملت في العراق بما يدل على قوات حفظ النظام
الراجلة أو المحمولة بالقوارب ، راجع: Dickson, Kuwait., p. 168.

(٣) الندواني، مرجع مر ذكره، ص ١٣١.

لها بالاقامة في نواحي الحويزة. (١) ولا شك أن مفادرة أولئك الرعاه المعارضين للواء العمارة كان نصرا واضحا للقوات الحكومية ساعدتها فيه عدة عوامل منها التفوق في التسليح وخاصة في المدفعية ، وما وفرت لها السفن من سرعة الحركة وتوفير الامدادات من مؤن وذخيرة ، اذ كانت السفينة " كاظمي " تواصل خلال العمليات التردد بين البصرة والعمارة محطة بالامدادات رغم ما كانت تتعرض له من اطلاق نار مما سبب خسائر كثيرة بين صفوف الجند من ركا بها . (٢) ومن الطريف الاشارة هنا الى ان السفن لجأت الى وسيلة مبتكرة للمقاومة من الرصاص وهي ربط حزم كثيفة من الصوف على جوانب السفينة لكي تكون جنة لها من الرصاص المنهمر تحول دون وصوله لركابها . (٣)

وهناك عامل آخر شديد الاهمية ساهم في انتصار القوات الحكومية الا وهو وقوف بعض الشيوخ المواليين الى جانبها ، فبالاضافة الى دور عربي الذي مر بنا تفصيلا وقفت عشيرة الازريق الى جانب القوات الحكومية نتيجة لعدائهم السابق لفضبان (٤) وقد جعل الدور الكبير الذي قامت به القبائل المؤيدة القنصل البريطاني في البصرة يقول : أن أغلب العمل انجز على ايدي العرب المواليين بينما لم تشارك القوات الحكومية في القتال

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٨٢ .

(٢) PRO, FO 424/219, No. 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

(٣) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ١٦ ، ١٥ ، ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ / ٦ مايو ١٩٠٩ ، ص ٢

(٤) PRO, FO 424/219, No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 7, 1909.

الا فى موقعين اثنين فقط. (١) وقد علق المقيم السياسى البريطانى فى بغداد على الاداء المنخفض للقوات الحكومية خلال العمليات الاخيرة فقال أن تلك العمليات كشفت عن عدم وجود انضباط ولا مقدرة ادارية بين صفوف الرتب العليا فى الفيلق السادس ، فى حين لم تكن للجنود ثقة فى ضباطهم الذين كانوا اما مرتشين - كما يتهمون بصراحة فى بعض الحالات - وليسوا واثقين فى قواتهم ، وفى نهاية العمليات حين عبر المعارضون من الضفة اليمنى لنهر دجلة الى الضفة المقابلة فى طريقهم للهرب كانت السفن تستطيع مهاجمتهم ومنعهم بسهولة ولكنها لم تتحرك الى ان عبروا وابتمدوا . وختم المقيم تعليقه بالقول :- " أن الفيلق السادس فى الحقيقة يعاني من نقص فى نواحى الانضباط والتنظيم والتدريب والروح المعنوية لدرجة انه ليس أفضل الا قليلا من غولاه مسلحين ، وما افضليته تلك الا لكونه يمتلك بنادق حديثة وذخيرة مع عدد من المدافع الجيدة " . (٢)

ومن المفيد أن أذكر هنا أن السلطات الرسمية العثمانية كانت تتعرض فى أثناء العمليات الحربية لضغط متواصل من عدة جوانب ، وفى حين كان اهالى مدينة العمارة ساخطين ويصبون جام غضبهم ضد محمد باشا قائد الفيلق السادس لأنه - حسب زعمهم - قد خانهم من اجل الرشاوى (٣) ، كان التجار فى مدينة البصرة متذمرين حتى أن " الدفتردار " الذى كان يتولّى شؤون الولاية بالوكالة بعد سفر واليها السابق محرم بك أبرق - بناء على

Ibid. (١)

PRO, FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir G. Lowther, May 18, 1909. (٢)

Ibid. (٣)

طلب المجلس الادارى فى الولاية - الى الصدر الاعظم فى السادس والعشرين من أبريل ١٩٠٩ م (الخامس من ربيع الثانى ١٣٢٧ هـ) مطالبا بعزل يوسف باشا عن قيادة القوات العاملة فى العمارة لأن عدم فعاليته شجعت العرب كثيرا ، ومشيئا الى التوقف التام للتجارة فى البصرة والى ان القنصل البريطانى قدم لـه شكوى متكررة بسبب توقف الملاحة النهرية . (١) .

وقد انتهت تلك الازمة بانتهاء العطيات فى العمارة وتأمين الملاحة فى نهر دجلة اذ عادت السفن التجارية الى حركتها المعتادة ووصلت اول سفينة قادمة من البصرة الى بغداد فى الحادى عشر من مايو (العشرين من ربيع الاخر) بعد توقف دام قرابة الشهر والنصف ، (٢) اُرتفعت خلالها الأسعار فى بغداد واصيب النشاط التجارى فيها بالشلل (٣) ، وبعودة الملاحة فى نهر دجلة الى سابق عهدها زال آخر مظهر من مظاهر الاضطراب فى لوا العمارة ، ولكن لا يمكن القول - رغم ذلك - أن جذور الاضطراب قد استوفت نهائيا ، فلا يعدو ما تحقق ان يكون استعادة للمظهر الخارجى للنظام هناك من خلال وجود أعداد كبيرة من القوات على حد قول نائب القنصل الامريكى فى بغداد (٤) اذ بلغت القوات العاملة هناك فى الثالث عشر من ابريل (الثانى والعشرين من ربيع الاول) الفين وخمسمائة رجل وستة عشر

PRO,FO 424/219, No. 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther , (١)
April 29, 1909.

N.A.R.S., RG 84, No. 610, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. (٢)
Cons. at Colombo, May 11, 1909.

N.A.R.S., RG 84, " Breif Resume of Bagdad's Trade in (٣)
1909", p.1.

N.A.R.S., RG 84, No. 47, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. (٤)
Amb. at Const., May 13, 1909.

مدفعا (١) ثم ما لبثت ان وصلت الى ثلاثة الاف ومائتي جندي بعد إرسال تعزيزات جديدة من بغداد بعد أربعة أيام من ذلك التاريخ. (٢)

وتجدر الإشارة هنا الى أن الاوضاع الامنية كانت قد تدهورت في مدينة البصرة وضواحيها خلال فترة الاضطرابات في العمارة ، حتى لقد تفاقم الأمر في أوائل ابريل (أواسط شهر ربيع الاول) مما أضر القنصل البريطاني في البصرة لأن يطلب من حكومته إرسال سفينة حربية بريطانية كي توفر الحماية اللازمة للرعايا الاجانب في المدينة. (٣) وقد استجابت حكومته للطلب وأرسلت السفينة سفنكس Sphinx فأدى وصولها الى طمأنة خواطر أولئك الرعايا ، كما أن الوضع في المدينة تحسن في اواخر ابريل (أوائل ربيع الثاني) نتيجة لتقدم العمليات الحربية في منطقة العمارة حتى لم يعد يقع في ضواحي البصرة حوادث ذات اهمية تذكر كذلك التي وقعت سابقا (٤) . وما ساعد على استتباب الهدوء في البصرة . وصول واليها الجديد عارف بك المارديني الذي مكنته عودة الملاحة في نهر دجلة من مغادرة بغداد الى مقر عمله في الرابع من مايو (الثالث عشر من ربيع الاخر) (٥) .

PRO, FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey (١)
April 15, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 50/492, Cons. Gen. Ramsay to Sir G. Lowther (٢)
Lowther , May 18, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 272, Sir G. Lowther to Sir E. Grey (٣)
April 15, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٤)
April 29, 1909.

PRO, FO 424/219, No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٥)
May 7, 1909.

ويبدو أن أزمة اعقبت وصول ذلك الوالى ونشأت بينه وبين السلطات العسكرية فى لواء العمارة مشكلة فى الفريق يوسف باشا ، اذ لفت انتباهه فى ماجاء فى احدى الجرائد المحلية من دعوة لذلك الوالى للتعاون مع القادة العسكريين وتذكير له بأنه ماكان يستطيع الوصول الى مقر عمله لولا جهودهم فى تأمين طريق الملاحة ، (١) وفى العدد التالى انتقلت الجريدة نفسها من التلميح للتصريح فأشارت الى وجود خلاف بين المدنيين والعسكريين ودعت والى البصرة والفريق يوسف باشا الى الاتحاد والتعاون فيما بينهما لمحقق المتمردين . (٢) والغريب ان تلك الجريدة لم تشر الى أسباب ذلك الخلاف ، كما أن ما بين يدي من الوثائق الاجنبية سكنت عن ذلك الامر كلية ، ولم يبق الا مارواه احد الباحثين من ان سبب ذلك الخلاف هو ميل الوالى لنزع سلاح القبائل ومعارضة يوسف باشا لذلك الاتجاه خشية من ان يؤدى الى ثورة واسعة بين القبائل ، وقد ترجحت وجهة نظر القائد اخر الامر فلم تجرأية محاولة من ذلك القبيل . (٣)

هذا ومن جانب آخر قامت سلطات الولاية بوضع يدها على المقاطعات التى كانت ملزمة للشيخ المعارضين الفارين ، ولكنها اعادت منحها لشيوخ آخرين من اقربائهم الموالين ، فقد منحت التزام المقاطعات التى كانت بحسبة فضاء الى عمه " شبيب بن مزيان " وابن عمه " جوى بن لازم " (٤) ، كما منحت

(١) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ١٧ ، ٢٢٠ ربيع الاخر ١٣٢٧ هـ / ١٣ مارس

١٩٠٩ م ، ص ٢

(٢) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ١٨ ، ٢٩٠ ربيع الاخر ١٣٢٧ هـ / ٢٠ مارس ١٩٠٩ م ،

ص ٤٠

(٣) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤١ .

(٤) IOR, L/p+s/10/212 , No. P. 1953/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of March (٤)

١٩١٣ ، p. 7 . وجوى تعنى قوى اذ اعتاد العراقيون فى

لهجتهم العامة قلب القاف جيما فى بعض الاحيان فيقولون مثلا جاسم بدلا من قاسم وجليل بدلا من قليل .

راجع :

لغة العرب ، السنة ٤ ، ج ٣ ، ايلول ١٩٢٦ ، ص ١٤١ .

١ التزام الاراضى التى صادرتها من آل صيهود الى ابن عمهم عريبي باشا الوادى وشيخ صفار آخرين من البو محمد (١) وقد عارضت احدى الصحف المحلية ذلك الاجراء وانتقدته انتقادا مرا ، واوضحت ان سلطات الولاية تجاهلت عروض التزام مغرية قدمها منافسون آخرون من اهالى اللواء ومن المزارعين — وفصلت ان تمنع تلك المقاطعات للشيخ الموالين لقاء بدلات هزيلة. (٢)

ويمكن القول عند هذا الحد أن اضطرابات سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩ م قد انتهت بعد أن استطاعت الحكومة ان تفرض بقوة السلاح الأمن والنظام فى ربوع لواء العمارة لفترة مؤقتة استمرت الى نهاية تلك السنة ، ولكن حتى خلال هذه الفترة القصيرة فإن عوامل الاضطرابات كانت كامنة ، وتبرز فوق السطح أحيانا مسببة بعض الحوادث مثل اقدام بعض القبائل على قطع الخط البرقى الذى يربط بغداد بالبصرة ، مما أثر على الاعمال التجارية حتى اضطرت التجار الوطنيين والاجانب المقيمون فى البصرة للتقدم بشكاوى الى الوالى الذى أخبر الوكيل القنصلى الأمريكى هناك فى التاسع عشر من نوفمبر ١٩٠٩ م (السادس من ذى القعدة ١٣٢٧هـ) بأنه سيرسل خلال أيام حملة عسكرية لاصلاح الخط ومعاينة الذين خرجوا اذا كان ممكنا. (٣)

الوضع فى لواء العمارة خلال سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠ م :

دخلت تلك السنة والانتاج الزراعى فى لواء العمارة على حالة من السوء كالسنة السابقة ، الامر الذى جعل السلطات الحكومية تمد اجل قرارها

(١) PRO, FO 424/226, No. 43, Act. Cons. Mathews to Sir G. Lowther, Aug. 10, 1911.

(٢) الرقيب، السنة ١، العدد ٢٠، ١٤ جمادى الاولى ١٣٢٧هـ / ٤ حزيران ١٩٠٩ م، ص ٣٠.

(٣) N.A.R.S., RG 84, "Privet Letter", Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Nov. 20, 1909.

القاضي بحظر تصدير الحبوب حتى شهر جمادى الآخرة / يونية من السنة نفسها (١). ولا ريب ان ذلك أوجد في صفوف القبائل بعض القلق ، والذي زاد في تصاعده سبب آخر يتصل بمشروع ضم ملكية بواخر الاداره النهرية الحكومية الى شركة لنج ، والذي كان مدار نقاش حاد في استانبول وبغداد خلال شهر ذى الحجة ١٣٢٧هـ / ديسمبر ١٩٠٩م (٢). فقد وصلت الى قبائل الصدارة اخبار محرقة عن المشروع فبعت منها أن كل الاراضى الواقعة على نهر دجلة ستنقل ملكيتها مع البواخر الحكومية الى البريطانيين مما دفع ببعض العشائر الصغيرة لان ترفع راياتها و " تهوس " (٣) معارضة لمثل ذلك الاجراء ، وهو الامر الذي جعل العاطلين في شركة لنج يعبرون خلال شهر يناير ١٩١٠م (محرم ١٣٢٨هـ) عن مخاوفهم من احتمال تجدد الاضطرابات في نهر دجلة خلال الشهرين التاليين ، فلجأوا من اجل مواجهة ذلك الاحتمال الى تصفيح سفنهم بالواح من الحديد وقاية لها من النسيان المتوقعة. (٤)

ولقد صدق ذلك التوقع الى حد ما ، ففي الثاني من فبراير ١٩١٠م (العشرين من محرم ١٣٢٨هـ) وحينما كانت السفينة " حميديه " تمر جنوب الكوت رأت أربعة جموع ضخمة من أفراد القبائل يزحفون تحت راياتهم ملوحين ببنادقهم قادمين من جهة الحدود الفارسية (٥) ، ولم تك تلك الجموع

(١) القهواتي ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٥٢ .

(٢) برو ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٨ - ١٨٧ .

(٣) هوس يهوس فعل مستعمل في اللهجة العامية المراقية للدلالة على القيام بحركات مخصوصة يصحبها تروم بالفاظ حماسية وذلك عند الهياج المصاحب للغضب والفرح والحزن ، وقد وردت بمعنى قريب من هذا في المعاجم ، راجع : فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Jan. 21, 1910.

(٥) N.A.R.S., RG 84, No. 12, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 8, 1910.

سوى جموع غضبان البنيه التي كانت متجهة لمهاجمة المنشقين على وعاءه من بني لام
 فى قرية تقع الى الشرق من الكوت. ويبدو ان انباء الهجوم قد وصلت لتلك
 القرية قبل فترة كافية فاستعدت لمواجهة باستقدام عدة مئات من بني
 لام المقيمين قرب العمارة لشد أزرها ، ووضع خطة للمعركة المنتظرة على اساس
 انقسام القوات المدافعة عن القرية الى قسمين ، يذهب اصغرهما للقضاء
 غضبان ، بينما يختبئ الباقيون فى كمائن تعد على الطريق . وقد نفذت
 الخطة بنجاح اذ اصطدم القسم الاول بالفعل بقوات غضبان فى ليلة السادس
 من فبراير (الرابع والعشرين من محرم) ثم انسحب مسرعا متظاهرا بالهزيمة ،
 وانطلقت الخدعة على غضبان ورجاله فطاردا وخصومهم المندجرين حتى وصلوا
 فى اعقابهم الى موضع الكمائن ، فثار عليهم المختبئون فيها وجرت معركة
 عنيفة أسفرت عن مقتل ثلاثمائة من رجال غضبان ، مما أضطره للتراجع
 الى قواعده خلف الحدود الفارسية متخليا عما كان قد أزمعه من مهاجمة
 السفن البريطانية المارة فى نهر دجلة كما فعل فى العام السابق - ونتيجة
 لتلك الهزيمة ساد الاعتقاد فى بغداد أن تلك السفن ستكون آمنة
 لبعض الوقت على الاقل . (١)

ولم تقف السلطات الحكومية ازاء تلك الاحداث مكتوفة الايدي ، بل
 بادرت ولاية بغداد - من اجل تجنب أى احتمال بالتعرض للملاحقة -
 الى تعزيز الحراسة فى المدن الواقعة على نهر دجلة الاسفل ، والاحتفاظ
 بقوة حربية فى تلك المنطقة استعدادا لمواجهة ما قد ينشأ من مفاجآت ، كما
 اتخذت الاستعدادات لوضع قارب صغير مزود بمدفع سريع الطلقات ليقتوم

N.A.R.S., RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (١)
 at Const. , Feb., 24, 1910.

بالدورية بصورة مستمرة في تلك المنطقة. (١) وقد طمأنت كل تلك الاجراءات
الواسط المهتمة بالسلامة في نهر دجلة ونشرت بينها قناعة بأن حوادث اطلاق
النار على السفن لن تتكرر خلال تلك السنة. (٢)

وقد ساهم وصول حسين ناظم باشا الى منصبه الجديد في ولاية بغداد
يوم الخامس من مايو ١٩١٠ م (الخامس والعشرين من ربيع الثاني ١٣٢٨ هـ)
في زيادة الاستقرار في لواء العمارة ، ويحسن لما لذلك الحدث من أهمية
كبيرة ان نلم هنا بتفاصيله ، اذ تعددت الآراء حول سبب تعيينه في ذلك
المنصب فقد اعتقد المستر مارلنج Marling القائم بالاعمال البريطانية في استانبول
ان الامر كان مكيدة مدبرة من قبل جمعية الاتحاد والترقي ، هدفها التخلص
من خطر وجوده في العاصمة حيث كان يتمتع بحب جنود وضباط حاميتهم
من ناحية ، ولتدمير سمعته وطرده من مركزه فيما بعد حين يفشل في معالجة
مشاكل المراق المعقدة من ناحية أخرى (٣) . بينما اعربت السفارة الامريكية
هناك عن اعتقادها بأن اسناد ذلك المنصب اليه عائد الى الرغبة في تنظيم
القوات الحكومية في ولايات البصرة وبغداد والموصل . (٤) ويرى البعض

N.A.R.S., RG 84, No. 12, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (١)
at Const., Feb. 8, 1910.

N.A.R.S., RG 84, No. 79, Am. Cons. at Bag. to Am. (٢)
Cons. Gen. at Beirut, Feb. 25, 1910.

IOR, L/p+s/10/188, No. 43/62, Mr. Marling to Sir E. (٣)
Grey, Nov. 23, 1910.

N.A.R.S., RG 84, No. 12, Am. Emb. at Const. to Am. Cons. (٤)
at Bag., July 7, 1910.

أن تعيينه كان تنفيذاً لخطة الحزم التي قررت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها اتباعها في الولايات. (١) ومهما يكن سبب تعيينه فقد وصل ناظم باشا لمقر عمله مزوداً بصلاحيات واسعة لإدارة ولايته ، كما منح أيضاً حق الاشراف على ولايتي البصرة والموصل وخاصة فيما يتعلق بالأمن العام باعتباره قائداً للفيلق السادس المرابط في الولايات الثلاث. (٢) وبمسدود أن ناظم باشا قد درس قبل توجهه لمقر عمله الجديد مشكلات العراق الرئيسية ، ووضع الخطوط العامة لخطة عمله هناك ، وكانت المشكلة القبلية من أهم تلك المشاكل التي أفرد لها حيزاً واسعاً من تفكيره ، فإلى أين قاده ذلك التفكير؟

ذلك ما دللنا عليه المقيم السياسي البريطاني في بغداد حين وصف الحال في بغداد بعد حوالي شهرين من وصول ناظم باشا بقوله : - " أن مقدرة ناظم باشا ورجاله منذ وصولهم هنا استثنائية ، ويبدو أن لديهم الآن المباشرة والهدف الراسخ معا . أن تقدم سياستهم في مجال التنظيم العسكري وتطويع القبائل - وهما مشكلتان مترابطتان جداً - سيكون أمراً جديراً بالمراقبة . والخطوط الرئيسية لتلك السياسة واضحة ، فهي تنص بصورة جلية على أن يظل القسم الأعظم من القوة العسكرية في المستقبل متمركزاً في بغداد . حيث ينال أعلى درجة من التدريب ، وأن يعتمد حفظ النظام في الألوية في الأحوال الاعتيادية على قوة مطبوعة من الدرك . أن السياسة الصالمة المتسامحة تجاه القبائل املتها - دون ريب - الرغبة في كسب الوقت

(١) برو ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٠٣ .

(٢) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ص ١٩٠ - ١٩١ وأنظر أيضاً برو ، مرجع

مر ذكره ، ص ٢٠٤ وأنظر أيضاً Longrigg, Op.cit., P. 5

اللازم للتطوير الضرورى للجيش والدرك . . . وفى نفس الوقت - وكما لم يفعل
اسلافهم قط - فأنهم أدركوا أن المحاولة وبذل الجهد الفورى مع كـل
المشاكل القائمة سيؤدى فقط الى اطالة أمد الوضع المتأزم فى كل مكان - وإذا
ما أردت القبائل اتجاه الامور وهيات أنفسها للاستفادة منه فأن اللعينة
المنتظرة التى رسمتها الحكومة ستتطلب اعصاها قوية وسيطرة كبيرة على النفس
من أجل انجازها ويمكن أن يقال لصالح سياسة ناظم باشا أنها - بصراحة -
قوية وجديّة وأنها الوحيدة التى تعد بمخرج من هذا الطريق المسدود " . (١)

وإذا كانت تلك هى السياسة المقررة فى شقها النظرى ، فأن اولى
الخطوات العملية التى أثبتت لتنفيذها كانت استفتاء علماء الدين حول شرعية
القتال بين القبائل . (٢) وقد صيغ الاستفتاء على شكل سؤالين وجهتهما
ناظم باشا الى أولئك العلماء وهما :-

- ١ - هل تعتبر أعمال السلب والنهب التى تقوم بها القبائل " فزوا " ؟
 - ٢ - هل يحق للحكومة معاقبتها على تلك الاعمال ؟
- وفى حين كان رد علماء السنة نفيا على السؤال الاول وإيجابا على السؤال
الثانى ، كانت اجابات علماء الشيعة مختلفة نوعا ما ، " فمن بين علماء الشيعة
الذين استفتوا فأن السيد محمد اسماعيل (الصدر) المجتهد الاكبر فى

(١) IOR, L/P+S/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq during the month of June 1910, P.9.

(٢) الاسدى ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٦ .

كربلاء والسيد محمد باقر (طباطبائي) والشيخ محمد (مازندراني) من كربلاء أيضا ، ردوا بأن القتل والسلب ليسا غزواً وأن من يستطيع من أعمال كهذه ملزم بفعل ذلك . ورد محمد (القزويني) بأنه في حالة ارتكاب قبيلة عربية لاعتداءات ضد قبيلة أخرى فيلزم نصحتها ثم تهديدها ثم يلجأ

للقوة باعتبارها السبيل الوحيد المتبقي . وكانت فتوى الملا كاظم (الخراساني) والشيخ عبد الله (المازندراني) ذات مضمون يقول ان القتل والنهب ليسا غزواً وان قتل المسلمين على ايدي المسلمين جريمة شنيعة . . . أرسلت الفتاوى المقتبسة آنفاً الى كل المرحامات القبلية في الولاية مرفقة برسائل نصح وتحذير من الوالي . . . ربما غاب عن ناظم باشا ان الفتاوى الشيعية التي روج الدعاية لها كانت مراوغة بشكل ما في عبارتها خاصة تلك التي استحصلت من النجف والتي يمكن تفسيرها بأنها تعني أن قتل العرب على يد الجنود التسيرك جريمة شنيعة" . (١) ورغم ذلك فقد عادت تلك الفتاوى بالفائدة المرجوة اذ أنها أدت الى تهدئة القبائل . (٢)

وكانت الخطوة العظمى الاخرى التي أقدم عليها ناظم باشا هي محاولة استرضاء شيخ القبائل وكسب ثقتهم اذ اطلق سراح بعضهم الذين وجدهم محتجزين في بغداد بمجرد اعطائهم كلمة شرف بأن يظلوا مطيعين للحكومة في المستقبل ، كما استدعى الشيخ من كل صوب الى بغداد لتقديم احتراماتهم للوالي وتلقى أوامره الخاصة بضرورة حفظ النظام ففى

(١) IOR, L/P+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq during the Months of April and May 1910, pp 7-8.

(٢) الفتاوى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠

ديارهم. (١) وكانت السلطات تحرص خلال وجود أولئك الشيخ على اطلاعهم على قوة الوحدات العسكرية الموجودة في بغداد فدعواهم الى حضرة التدريبات والاستعراضات العسكرية التي تجريها تلك الوحدات (٢) التي كانت كل الجهود تنصب حينئذ على تحديثها وتنظيمها واخضاعها لمزيد من التدريب، (٣)

ويبدو أن سياسة ناظم باشا القبلية تلك لم تصادف هوى في نفوس والى البصرة حينئذ سليمان نظيف بك ، الذي أستدعى الى بغداد بحال وصول ناظم باشا اليها ومكث فيها المدة الواقعة بين الحادى عشر الى الثلاثين من مايو ١٩١٠ (الاول الى العشرين من جمادى الاولى ١٣٢٨ هـ) وقد علق المقيم السياسى البريطانى فى بغداد على ما دار بين الواليين خلال تلك المدة فقال :- " ان انطباعا منتشرا هنا مفاده ان العلاقات بين الواليين كانت أقل ودا الى حد كبير عند فراقهما مما كان عليه الحال عند لقاءهما أولا ويعزى ذلك لخلافات بينهما فى رأى حول السياسة التى يجب أن تتبع فى ولاية البصرة. واذا لم اكن مخطئا فأن سياسة الاسترضاء التى يعتزم ناظم باشا بصورة جلية أن يتبناها للوهلة الاولى مع القبائل العربية لا بد انها كانت بالضرورة بفيضة له. " (٤) أى لسليمان

IOR, L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910, (١)
P. 8.

N.A.R.S., RG 84, No. 172, Am. Cons. at Bag. to Am. (٢)
Emb. at Const., Sept 8, 1910.

(٣) على جودت ، ذكريات على جودت ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨ .

IOR, L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910, p.7. (٤)

نظيف ، ويبدو لى ذلك منسجما مع ما صرح به المذكور لجريدة محلية عقـبـب
أحدى مقابلاته مع ناظم باشا ، وحين سئل عن الحالة الأمنية فى ولايته
فأجاب بأنه يعمل على استكمال الفيلق السادس لاستعداداته قريبا وندها
تستطيع الدولة ان تفرض سطوتها هناك . (١) وهذا يدل بوضوح على أنه
كان عكس صاحبه يميل لاعتماد القوة لا التراضى وسيلة للتعامل مع القبائل :

ويبدو أن اعتراضات والى البصرة وتحفظاته لم تحل بين ناظم باشا
وبين مواصلة سياسته التى وضع انها صادفت نجاحا ملحوظا فى فترة قصيرة
مما لفت انظار المراقبين الدبلوماسيين فى بغداد ، حتى لقد قال عنها
المقيم السياسى البريطانى فى العراق انها سياسة واعدة بالخير ، (٢) بينما
علق القنصل الأمريكى فى بغداد على ما حدث خلال الاشهر الاربعه
التى مضت بعد وصول ناظم باشا الى بغداد بقوله :- اذا كان هدف الحكومة
المركزية من تعيين ناظم باشا فى منصبه هو تركيز جهوده على تنظيم القوات
وقمع الاضطرابات القبلية فإنه قد حقق تقدما جديرا بالثناء فى هذا المجال
مما جعل الامتداد السائد عموما فى بغداد بأن القبائل لن تقوم بأية
اضطرابات فى المستقبل القريب نتيجة للاخبار التى تصلها عن تنظيم القوات
الحكومية وتسليحها . (٣) وإذا انتقلنا من الأسس العامة لسياسة ناظم باشا
الى تطبيقاتها فى لواء العمارة فنجد أن ناظم باشا يستدعى ابرز شيوخ
القبائل فى لواء العمارة لزيارته فى بغداد (٤) ، ويأمر بسحب أغـلـبـ

(١) صدى بابل ، السنة ١ ، العدد ٤١ ، ١٨ جمادى الاولى ١٣٢٨ هـ ، ص ٢

(٢) IOR, L/p+s/10/188, No. 736/37, Cons. Gen. Lorimer to Sir G. Lowther, Aug. 22, 1910.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 172, Am. Cons. at Bag. to Am. Emb. at Const., Sep. 8, 1910.

(٤) الرقيب ، السنة ٢ ، العدد ١٣٢ ، ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٢٨ هـ / ٣ تموز

القوات الحكومية الموجودة في ذلك الوقت . (١) وقد أدى كل ذلك إلى هدوء الوضع هناك فلم يرد خبر عن وقوع أي اضطراب ذي نال خلال مدة ولايته القصيرة التي استمرت طوال سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ولا شهر الأولى من السنة التالية .

تطورات الأحداث بين سنتي ١٣٢٩ - ١٣٣٢هـ / ١٩١١ - ١٩١٤م

لم يكد. ناظم باشا يفادر مقر ولايته في التاسع عشر من ربيع الأول ١٣٢٩هـ / الحادي والعشرين من مارس ١٩١١م (٢) ، حتى كانت عوامل القلق الكامنة قد بدأت تفعل فعلها بين قبائل لواء العمارة ، فما أن حل الشهر التالي حتى كان التوتر هناك واضحا للعيان . (٣) وذلك مؤشرا بـ كما لاحظ مراقب مطلع - على أن سياسة التهدة لا يمكن أن تنفع حين تكون أسباب عدم الاستقرار عميقة لدرجة يصعب استئصالها . (٤) ولم يتحول ذلك التوتر إلى شيء ملموس إلا في شهر شعبان / أغسطس من نفس السنة حين غادر "عبد الكريم الصبيح" أحد مشايخ البو محمد صفاء في الحويزة على رأس حوالي ألف رجل ، أغلبهم من قبيلته مع عدة مئات انضموا لهم من قبيلة "بن نسي طرف" العربية المتوطنة في الحويزة ، وكان أولئك الرجال جيدي التسليح إذ يحمل كل واحد منهم بندقية من نوع مارتيني عدا أربعائة منهم كانوا

(١) IOR, L/p+s/10/188, Summary.... June 1910, p.6.

(٢) المزاري ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ وأنظر أيضا Longrigg, op.cit., p.51.

(٣) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢٨٢ .

(٤) Longrigg, op.cit., p.55.

يحملون بنادق ماوزر من طراز حديث، وتتوفر لدى الجميع كمية كبيرة من الذخيرة تتجاوز مائة وخمسة وسبعين ألف طلقة. (١)

اتجه عبد الكريم على رأس تلك القوة الكبيرة عبر الحدود الدولية، ومن خلال الأهوار الى المنطقة الواقعة على نهر دجلة جنوب العزيز، ويبدو أن هدفه كان تهديدا لا هجوما، فخلال الايام الواقعة بين الثالث الى الثامن من أغسطس (السابع الى الثاني عشر من شعبان) لم تقم قواته بأكثر من نهب عدة سفن شراعية محملة بالحبوب وأحراق اثنتين منها قدرت اثمان حملتهما بخمسائة ليرة عثمانية، وقد رجع وكيل القنصل البريطاني في البصرة أن تلك الاعمال تمت بدون معرفة عبد الكريم، ومال الى تصديق ما اعلنه المذكور من انه لا يستهدف قطع الطريق. (٢) ولكن تلك العمليات أدت على أية حال الى توقف السفن القادمة من بغداد الى البصرة في مدينة قلعة صالح (٣) بعد أن أرسلت لها برقية تحذير من البصرة. (٤)

لقد وصلت أخبار تحركات عبد الكريم تلك الى والى البصرة جلال بسك في اليوم الاول لوقوعها، حيث تصادف أن كان وكيل القنصل البريطاني في البصرة مجتمعا به، فأخبره والى بأن ستمائة من قطاع الطرق الفرس عبروا الحدود الدولية وتوغلوا في الاراضي العثمانية حتى نهر دجلة قُرب

PRO,FO 424/226, No. 43, Acting Cons. Mathews to Sir G. (١)
Lowther, Aug. 10, 1911.

Ibid. (٢)

N.A.R.S., RG84, No. 367, Am. Cons. Agent at Basra to (٣)
Am. Vice Cons. at Bag., Aug. 14, 1911.

PRO,FO 424/226, No. 43, Acting Cons. Mathews to Sir G. (٤)
Lowther, Aug. 10, 1911.

العزير ولم يصف لذلك أية معلومات أخرى . وفي اليوم التالي عاد وكيل القنصل للاجتماع به مره أخرى وحثه على اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية الارواح والممتلكات في نهر دجلة ، واقترح عليه أن تقوم إحدى سفن شركة الهند البريطانية الموجودة في البصرة بنقل قوة استطلاع حكومية الى العزير لتبين حقيقة الموقف ، وقد قبل الوالي الاقتراح بعد تردد . (١)

وفادرت فعلا في الخامس من أغسطس (التاسع من شعبان) السفينة "بلبول" البصرة ، وعلى ظهرها حوالي ستين جنديا بأمر ضابط برتبة عقيد ، وحين وصلت السفينة الى منتصف المصافة بين القرنة والعزير استعان القائد بأحد الشيوخ المحليين لايصال رسالة الى عبد الكريم الصيهد تخبره بأن جميع مطالبه ستلبى اذا لم يتعرض للطلاحة في نهر دجلة . وبسبب ان تأثر تلك الرسالة كان سريعا ، اذ وصلت السفينة ببلول بعدها طريقها الى العزير دون تعرضها لاي حادث وابتعدت بعد وصولها هناك الى قلعة صالح بأن الطلاحة قد تأمنت في النهر ، فأطلقت اثر ذلك السفن المتوقفة هناك ووصلت الى البصرة في الثامن من أغسطس (الثاني من شعبان) وقبل ذلك بيوم واحد بيد وأن الوالي أراد تعزيز القوة الاستطلاعية فأرسل في أثرها السفينة الحربية "مرميس" ولكنها لم تستطع التقدم ابعد من القرنة نظرا لضحالة المياه في نهر دجلة في تلك الفترة . (٢)

وكانت القضية التي حركت عبد الكريم هي المطالبة باستمادة مقاطع الكحلاء التي اعتادت عائلته التزامها باستمرار منذ ما يقرب من خمسين سنة

Ibid. (١)

Ibid. (٢)

ولكن سياسة النظام الدستوري الجديد الهادفة الى اضعاف قوة الزعماء القبليين الكبار، وماتبعها من احداث سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩ م التي أدت الى اعتبار ال صيهود خارجين على القانون ، جعلت السلطات الحكومية في الولاية تمنح التزام تلك المقاطعة لابن عمهم الموالي لها عربي باشا الوادي ولشيوخ صفار آخرين بالرغم من أن آل صيهود تركوا لدى متصرف الصمارة وديعة مالية مقدارها الفين وسبعمائة وخمسين ليرة عثمانية بعد التفاهم معه على ان تلزم تلك المقاطعة لهم دون سواهم. (١)

وتنفيذا لوجد قائد القوة الاستطلاعية لعبد الكريم ، فقد حمل معه عند عودته للبصرة في الثامن من أغسطس (الثاني عشر من شعبان) كاتب عبد الكريم ، الذي قابل الوالي وعرض عليه مطلب سيده ، فوجهه الوالي بأنفسه سيسعى الى تقسيم مقاطعة الكحلاء بين ملتزمها الحالي عربي وائل سيده صيهود . وقد اعتبر وكيل القنصل البريطاني في البصرة ذلك الحل أمسرا ملائما وسيؤدي اذا ما نفذ الى اعادة الموقف في نهر دجلة الى طبيعته. (٢)

ولكن الامر لم يسر حسبا أراد الوالي ، اذ وصلت الاخبار الى البصرة فسي الماشر من أغسطس (الرابع من شعبان) بأن الاوامر قد صدرت بطرده

(١) Ibid. ، ولم يوضح وكيل القنصل البريطاني أمر تلك الوديعة ، فلا أدري كيف يكون ال صيهود خارجين على القانون ومنفيين ويتعاملون مع المتصرف ، ولا كيف وهم المتصرف بمنحهم التزام تلك المقاطعة وهو يعرف وضعهم تجاه الدولة ، اللهم الا أن تكون تلك الوديعة قد قدمت قبيل وقوع أحداث سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩ م ، او أن تكون "الوديعة" رشوة قدمت سرا للمتصرف من اجل أن يسمى لاصدار الصفو عنهم ثم يرتب بعد ذلك أمر الالتزام.

من منصبه ، ورجع الوكيل القنصلى الأمريكى فى البصرة أن ذلك الطرد كان نتيجة للمعارضة القوية التى أبدتها السلطات العليا فى استانبول لطريقته فى معالجة المشكلة ، وأضاف ان كل شىء الآن غير مؤكد وربما انفجرت الاضطرابات فى اية لحظة اذا لم يكن بأماكن الحكومة ارسال قوة كافية لارهاب عبدالكريم. (١) ولكن وكيل القنصل البريطانى تشكك فى جدوى إرسال مثل تلك القوة لأن اية عمليات حربية ضد عبدالكريم ستكون صعبة نظراً لان المنطقة الممتدة بين المزير والحويزة منطقة أهوار تناسب طرائق العرب فى القتال. (٢) ولا يبدو أن طرد ذلك الوالى قد أدى الى بأس عبدالكريم من امكانية التفاهم مع الحكومة ، إذ أرسل للسلطات فى الولاية عارضا أن يقوم بدفع متأخرات بدلات الالتزام السابقة المتبقية فى ذمته للحكومة اذا أعيدت لـه مقاطعة الكحلاء التى سيدفع الفى ليرة زيادة فى بدل التزامها على المبلغ الذى يدفعه ملتزمها الحالى ، ولكن عرضه هذا لم يلق رداً شاعياً بانتظار وصول والى البصرة الجديد. (٣) وربما كان من العوامل التى جعلت السلطات لا تتجارب مع ميل عبدالكريم للتفاهم معها هو وصول والى بغداد الجديد جمال بك الى مقر عمله فى رمضان ١٣٢٩هـ / سبتمبر ١٩١١م مغولاً بالاشراف على ولايات العراق الثلاث. (٤) فقد كان اتجاه جمال بك هو التشدد مع

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 367, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice. Cons. at Bag., Aug 14, 1911

(٢) PRO, FO 424/226, No. 43, Acting Cons. Mathews to Sir G. Lowther , Aug. 10, 1911.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 371, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., Sept. 10, 1911.

(٤) المزوى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢١٠ .

القبائل والسمى لتحصيل ما بذمتها من متأخرات الاموال الحكومية ، وقد تخوف نائب القنصل الامريكى فى بغداد من أن يؤدى ذلك الاتجاه الى زيادة اضطرابات القبائل واطلاق الامن العام فى البلاد ، وأشار الى أن الحكومة المركزية وعدت فى فرمان تعيين الوالى الذى قرئ فى بغداد بأنها ستزوده فور طلبه بمقدد من الزوارق الآلية الضرورية لتأمين الملاحة فى نهري دجلة والفرات واحكام السيطرة على القبائل ، وتشكك نائب القنصل فى أن يؤدى ذلك الجهد الى ارباب القبائل الى حد يجعلها تتجنب المشاكل . (١)

وفى غضون ذلك عمد عبدالكريم الى الضغط على السلطات فى ولايته البصرة لاقناعها بالاستجابة لمطالبه فقد أرسل فى الرابع عشر من أكتوبر ١٩١٠ م (الحادى والعشرين من شوال ١٣٢٩ هـ) مهديدا بأنه سيوقف الملاحة فى دجلة فى المنطقة الواقعة بين العزير والقرنة اذا لم يلب طلبه . ولقد كان رد السلطات - كدأبها فى الاسابيع الماضية - هو تطلقه محاولا لاسترضائه ، كسبا للوقت بانتظار وصول زوارق الدورية الجديدة والتي وصل اثنان منها بالفعل ، وهذا ما جعل الوكيل القنصلى الامريكى فى البصرة يعلق قائلا :- " اذا صدق ظنى فستكون لنا عودة للاضطرابات القديمة . واذا أستعمل الترك زوارقهم الجديدة بأعتدال فستكون النتيجة مفيدة ولكن الخطر على اية حال يتمثل فى انهم ، ربما اثاروا القبائل الاخرى حين يستغلون تحسن مركزهم فى النهر للتنقيب عن النزاعات القديمة والاستفساد على الشيخ " . (٢)

N.A.R.S., RG 84, No. 501, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. (١)
Cons. Agent at Basra, Sep. 2, 1911.

N.A.R.S., RG 84, No. 376, Am. Cons. Agent at Basra to (٢)
Am. Vice Cons. at Bag., Oct. 15, 1911.

هذا وبينما كانت سلطات ولاية البصرة مشغولة بمشكلة عبد الكريم الصيهود تجدد في محرم ١٣٣٠هـ / يناير ١٩١٢ م نشاط غضبان في المنطقة الواقعة الى الشمال من مدينة العمارة ، اذ انطلق من مقره الآمن أسفل التلال الفارسية وشن غارة على قطمان الماشية العائدة لابن عمه الموالى للحكومة " جوى بن لازم " فاستاقها وكرعائدا ، ولكن جوى قام بمطاردة المغيرين واستصعاد الماشية المنهوبة . وهكذا فإن المقيم السياسى البريطانى في بغداد الذى كان يقوم بجولة فى تلك المنطقة وجد الضفة اليسرى لنهر دجلة بين العمارة والكوت تموج بالحركة من جراء تحرك جماعات مسلحة عديدة من المدافعين العائدين الى قراهم او المحتفلين بانتصارهم عن طريق اداء " الهوسات " او رقصات الحرب . وقد اضطرت السلطات فى لواء العمارة اثر ذلك الى اقامة مفرزة صغيرة من القوات الحكومية فى كميت لحمايتها والمنطقة المجاورة لها من أية غارات مشابهة . وكان متصرف العمارة الذى استلم مهام منصبه مؤخراً مكتئبا كثيرا للحالة المضطربة فى اللواء على حد قوله للمقيم ، ولكنه عاد وكتب لذلك المقيم فى الرابع والعشرين من يناير (الرابع من صفر) بأن ارسال المفرزة الى كميت كان ذا تأثير جيد حيث أخذت الحال تتحسن يوما بعد يوم . (١)

ولكن الحال جنوب العمارة لم تتحسن بل أخذت تزداد سوءا قريبا من هذا الوقت ، اذ اقدم عبد الكريم الصيهود على تنفيذ تهديداته السابقة ، فأهز لانصاره فى الاسبوع الاول من فبراير (أواسط شهر صفر) بعرقلة الملاحة فى نهر دجلة ، فقاموا بسلب حمولة ثلاث سفن شراعية قرب المزير

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 1093/1912, Summary of Events (1) in Turkish Iraq for the month of Jan. 1912, p.1.

والحاق أضرار بسفینتین اخریین . وازاء ذلك أضرت السلطات فی ولاية البصرة للتحرك علی الفور لمواجهة الوضع وذلك بإرسال السفينة الحربية " مرمیس " بحلبها زورق آلی سلاح للقیام بحراسة النهر فی المنطقة الواقعة بین القرنة والعزیر ، كما لجأت لوضع مفرزة من الجند علی ظهر السفن لحمايتها خلال مرورها فی تلك المنطقة - وقد أدت تلك الاجراءات الی السيطرة علی الوضع ، رغم انه روى بعدها أن النار اطلقت فی تلك المنطقة علی سفینتین تجاریتین عائدتین للادارة النهریة الحکومیة . (١) ویدو أن ذلك الحادث كان منفصلا عن تحركات عبدالکریم فقد أغاد القنصل الامریکی فی بغداد بأن بدايته كانت إرسال قوة من الدرك لجباية الضرائب المستحقة علی بعض القبائل عنوة فواجهتها تلك القبائل بنار حامية أدت الی مقتل عدد من أفرادها ، وعلق القنصل علی ذلك بقوله أن أحداثا من هذا القبیل تعد مألوفة تماما فی هذا الوقت من السنة وهو موعد تلزیم المقاطعات الزراعیة . (٢)

ویدو ان استمرار مشكلة عبدالکریم کل هذه المدة وتعاقد حدتها فی الالونة الاخيرة جعل سلطات ولاية البصرة تمیل الی الحزم وتقرر حسم المشكلة عن طریق القوة فأرسلت فی أوائل مارس (الاسبوع الثاني من ربیع الاول) حملة حربية لمحاولة اخماد حركته . وكانت الحملة تتألف من السفينة " مرمیس " وزورقی مدفعیة صغیرین ، تواكبها قوة قبلية تسیر فی

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. 1575/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of Feb. 1912, p.1.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 63, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Feb. 8, 1912.

الطريق البرى المحاذى للنهر، ووافقها قائمقام القرنة باعتباره ضابطا سياسيا. ولكن تلك الحملة أخفقت فى تحقيق هدفها على ما يبدو وهادت دون ان تشتبك مع عبدالكريم، وهذا ما حمل المقيم السياسى البريطانى فى بغداد على القول بأنها لم تكن الا نسخة معدله فقط من الدوريات التى اعتادت السلطات تسيرها فى النهر. (١)

ولقد دفع ذلك الاخفاق والى البصرة لمحاولة الوصول الى حل للمشكلة من طريق التفاهم، فمنح الأمان لـاحد المقربين من عبدالكريم واستقدمه للبصرة ليكون واسطة بينه وبين عبدالكريم على ما يبدو، كما أرسل الى الحكومة المركزية فى استانبول ينصحها بأصدار المفوعين عبدالكريم وانصاره. ولكن جهات نافذه فى الولاية سعت لمرقلة خطة الوالى فقد اقت السلطات القضائية فى البصرة القبض على الشخص الذى منحه الوالى الامان ووضعت رهن الاعتقال وذلك مادفع الوالى حسن رضا باشا الى رفع استقالته الى السلطات العليا فى استانبول ومغادرة البصرة الى العمارة فى السادس من مايو ١٩١٢م، (التاسع عشر من جمادى الاولى ١٣٣٠هـ) حيث ظل هناك ينتظر الرد على استقالته. وقد وصله الرد برقبيا من وزير الداخلية ويقضى بقبول نصيحته بالمفوعين عبدالكريم وانصاره وايضا أية ملاحقات قانونية ضد هم، وبناء عليه اطلق سراح الشخص المعتقل فى البصرة وعدل الوالى عن استقالته. (٢)

IOR, L/p+s/10/212, No. 2325 A, Summary of Events in Turkish Iraq for the months of March and April 1912, P.1. (١)

IOR, L/p+s/10/212, No. 2840/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of May 1912, P.4. (٢)

أدت تسوية مشكلة عبدالكريم الصيهد على تلك الصورة الى هدوء الاحوال في لواء العمارة خلال الفترة المتبقية من سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م، ولكن هـدوء موقت كالعادة . اذ ماكادت السنة الجديدة تبدأ ويقترب موسم القيام بتلزيـم المقاطعات الزراعية واستيفاء بدلاتها المالية حتى بدأت عوامل القلق والاضطراب تطفو على السطح مجددا . وقد سرع في ذلك قيام السلطات الرسمية في ولاية البصرة بارسال قوة حكومية على ظهر السفينة "برهانية" في الثلاثين من يناير ١٩١٣م (العشرين من صفر ١٣٣١هـ) الى العمارة . وكان هدفها إجبار ملتزمى المقاطعات من شيخ القبائل على دفع ما بذمتهم من متأخرات مالية مستحقة للحكومة بعد أن أظهروا ميلا لعدم الاذعان طوعا لطلبات السلطات المختصة بهذا الشأن . (١) وقد روى المقيم السياسى البريطانى في بغداد خبرا عن وجود "تواطؤ" بين القبائل المختلفة في الفرات الاوسط والمنتفق والعمارة على عدم دفع الضرائب المستحقة للحكومة . (٢) واذا صدق ذلك الخبر فهو يدل على حدوث تطور خطير يـتمثل في اتجاه القبائل للتكتل ضمن حركة منسقة هدفها مطاوعة الحكومة والوقوف بوجهها . ولكنى أشك في صحة هذا الخبر ، اذ لو كان صحيحا لاشبعته الوثائق البريطانية والامريكية الموجودة بين يدي بحثا لاهمية الكبيرة ، ولترتبت عليه نتائج واسعة النطاق ، وهى نتائج لم أر لها أشرا أبدا ، ثم أن ممارسات القبائل طوال تاريخها تظهر انها تميل غالبا الى الفردية في كل تعاملاتها مع السلطات الحكومية ، رغم أن تلك القبائل

IOR, L/p+s/10/212, No. P-1213/1913, Summary of Events in (١)
Turkish Iraq for Jan. 1913, P. 5.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2358/1913, Summary of Events (٢)
in Turkish Iraq for the month of April 1913, P. 1.

جميعا تشترك فى النفور من دفع الضرائب للحكومة كما مر بنا .

وفى غضون ذلك عاد غضبان البنية شيخ بنى لام المنفى الى التحرك ، اذا خبر متصرف العمارة بضرورة تلزيم بعض المقاطعات له ، ورضى مقابل ذلك استعدادا له لدفع مائة ألف ليرة من اجمالي المتأخرات المالية المتراكمه بذمته للحكومة والبالغة مائة واثنين وستين ألف ليرة ، واعلن أن رفض طلبه سيؤدى به الى القيام بثورة تنهب خلالها مدينة العمارة ومدنا أخرى ، ويستولى على مدينة البصرة ويطلق نهر دجلة بوجه الملاحة . (١) ولم تحدد الوثيقة البريطانية التى روت تلك الواقعة وقت حدوها بالضبط ولا وسيلة الاتصال بين غضبان والمتصرف ولا الرد الذى قدمه الاخير ، وان كان يظهر انه الرفض أو التجاهل لذلك الطلب ومارافقه من تهديدات مبالغ فيها بصورة فاضحة ، يدل على ذلك التحرك التالى الذى أقدم عليه غضبان .

وكان ذلك التحرك هو محاولة الاستعانة ببريطانيا للضغط على الحكومة العثمانية وحملها على الاستجابة لمطالبه . فقد حضر سرا الى القنصلية البريطانية فى البصرة فالح البنية أخو غضبان ، فقابل القنصل ورضى عليه مطالبه وأخيه وهى الحصول على عقود التزام بعض المقاطعات لمدة خمس عشرة سنة ، واعاد عليه ماسبق تقديمه للمتصرف من عروض وتهديدات . (٢) ولا شك ان اشارة ذلك المؤيد الى امكانية اللجوء الى ايقاف الملاحة النهرية فى دجلة كانت تحذيرا مبطنا الى السلطات البريطانية ان هى لم تبادر الى الضغط

PRO, FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
March 15, 1913.

PRO, FO 424/237, No. 137, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, (٢)
March 14, 1913.

على سلطات الولاية لاجابة طلباتهم ، وان كان قد تجنب بلباقة أن يقول ذلك صراحة واكتفى بالقول أن الايقاف سينصب على السفن الحكومية فقط . وقد فهم القنصل تلك الاشارة وهذا ما جعله يهتم بنقل رأى ريان احدى سفن شركة لنج وهو أن فضبان وأخاه يمكن أن يسببا ارتاجا للسفن المارة فى نهــــر دجله من خلال اطلاق النار عليها ولكن لا يبدو من المحتمل أنهما يستطيعان اعاقا الطلاحة بشكل خطير. (١)

وقد حاول القنصل أن ينقذ فالحا باللجوء الى التفاوض المباشر مع السلطات الحكومية العثمانية لحل المشكلة ، ولكن فالحا أستبعد ذلك اذ ليس لديهم من يدافع عن مصالحهم فى استانبول ، فى حين ان التفاوض مع السلطات المحلية لا طائل من ورائه اذ جرب سابقا دون جدوى ، ولذلك فأنهم سوف يلجأون للقوة لتحقيق مطالبهم اذ كان ذلك ضروريا ، (٢) وقد تخوف القنصل من تنفيذ ذلك التهديد لأن فضبان وأخاه لديهما قوة كبيرة فهما يمثلان اربعمائة وستين شيخا فرعيا من شيخو قبيلة بنى لام . ومن الطريف ان نذكر هنا ان فالحا لجأ من اجل اقناع القنصل بقضيته الى تضخيم قوتها هو واخيه ، فزعم انهما احتلا بالفعل تسع مقاطعات من الاراضى الحكومية الواقعة على نهر دجلية ، وانهما نجحا فى قتل عمهما شبيب بن ميزان الذى نصبته الحكومة شيخا لبنى لام بعد هرب فضبان سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م . (٣) ولكن المقيم السياسى البريطانى فى بغداد نفى للقنصل ذلك الزعم كلية ، مما جعل الاخير يعلق قائلا : ان فالحا

PRO,FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
May 31, 1913.

PRO,FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٢)
March 15, 1913.

PRO,FO 424/237, No. 155, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, (٣)
March 22, 1913.

ربما بالغ في دعواه كما يفعل العرب في بعض الأحيان . (١)

وفي حين كان فالح يجرى تلك الاتصالات في البصرة خلال شهر ربيع الثاني ١٣٣١هـ / مارس ١٩١٣م ، وصلها المقيم السياسي البريطاني عائدا من الهند ، ثم توجه منها لمقر عمله في بغداد عن طريق دجلة عبر السواحل العمارية فلاحظ أن السلطات الحكومية في اللوا كانت حينئذ تستعزز بوضع أحد الشيوخ المعارضين لغضبان وهو ابن عمه "جوى بن لازم" إذ كانت سرية من الفرسان تعسكر قرب قلعة "في" على الشرقى (٢) يعاونها مسدد من أفراد الدرك ، وخلق المقيم على الوضع في اللوا عموما بقوله :- "إن الانطباعات العامة التي كونتها منذ رجوعي من الهند وحتى وصولي بغداد هي أن سلامة نهر دجلة في أراضي بني لام مهددة رغم أنها لم تعكر لحد الآن . . . أن سكان المنطقة عموما يعطون أهمية أقل للترك الذين يميلون نحو سالمة القبائل أكثر من ذي قبل ، أن المشاعر المعادية للعثمانيين - رغم أنها تظهر بارزة للعيان أحيانا - إلا أنها ليست واسعة الانتشار أو خطيرة " . (٣)

ومهما يكن أمر تلك المشاعر العامة ، فإن غضبان وأخاه ياسا على ما يبدو من احتمال تدخل السلطات البريطانية لصالحهما كما كانا يؤملان ، فملا خلال شهر رجب / يونية إلى التفاهم مع السلطات العثمانية وحرصا على طلب رضاها . الأمر الذي جعل المقيم السياسي البريطاني في بغداد يعرب

(١) PRO, FO 424/238, No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 9, 1913.

(٢) أصل الكلمة على الشجرى وهو أحد أحفاد الحسن بن علي رضي الله عنهما حيث دفن في تلك البقعة ، وقد حرفها العامة إلى علي الشرجي أي الشرقي على عادتهم في قلب القاف جيما أحيانا . ونمت حول المدفن مدينة صغيرة إلى الشمال من مدينة العمارية وهي ضفة دجلة اليسرى . راجع : لغة العرب ، السنة ٨ ، ج ٣ ، آذار ١٩٣٠ ، ص ١٧٢ .

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1953/1913, Summary... March 1913, P. 8.

عن اطمئناؤه على سلامة الملاحة في نهر دجلة ويقول انه نتيجة لميلهما ذاك فليست هنالك خشية فورية من اضطرابات جدية يمكن ان يقوموا بها وتهدد الملاحة . (١)
ومن الطريف ان نذكر هنا أن عمهما شبيب بن مزيان الذي رجم فالح انه قتل على ايديهما قد دعم سعيهما من اجل الحصول على رضا السلطات الحكومية (٢) ،
التي كان موقفه تجاههما قد تغير بعض شئ^٣ واصبح اكثر اقترابا من موقف
ابنى أخيه . (٣)

ولا يبدو ان تلك السلطات قد رحبت على الفور باتجاه غضبان الجديد ، الامر
الذي جعله يواصل الضغط عليها من خلال اثاره المشاكل مع خصومه القبليين
الموالين لها ، فقد شن في شهر سبتمبر ١٩١٣ م (شوال ١٣٣١ هـ) فارة على
قريبة فهد الغضبان فنشب بين الطرفين قتال عنيف قرب على الغربي ذهب
ضحيته عدد كبير من القتل من الجانبين . وحينما علم متصرف العمارة سـرى
بك بالحادث أستأجر باخرة من البواخر التجارية العاطة في نهر دجلة
وكاد أن يتقدم بها على الفور يقود قوة غير كافية بهدف مقاومة غضبان لـولا
أن والى البصرة تدارك الأمر فمنعه من التحرك نحو غايته . (٤) ويظهر أن المتصرف ،
وهو احد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، كان لا يرى سبيلا غير القوة يمكن
اتباعه في التعامل مع القبائل ، فقد اقترح على السلطات العليا في استانبول

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. 3105/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for June 1913, P. 3.

(٢) PRO, FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 31, 1913.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1953/1913, Summary... March 1913, P. 7.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. 4691/1913, Summary of Events in Turkish Iraq during Sept. 1913, P. 1.

غطاة للسيطرة على قبيلة بنى لام خاصة وقبائل العمارة عامة . وكانت الخططة تقضى باقامة حصون صغيرة فى انحاء مختلفة من الديار القبلية يوضع فى كل واحد منها مدفع يقوم على تشغيله خمسة عشر رجلا ، على أن ترتبط تلك الحصون ببعضها بخطوط برقية لاسلكية . وقد علق المقيم السياسى البريطانى على ذلك الاقتراح بقوله ان مقترحه رجل بليد الذهن ، اذ ان عددا صغيرا من افراد القبائل يضطجعون فى الخنادق يمكن ان يحاصروا تلك الحاميات فى حصونها فيشلونها عن الحركة ويجيعونها حتى تستسلم لهم مع اسلحتهم . (١)

وفى نفس الوقت الذى كان فيه غضبان يشن الغارات على منافسيه فأنه استمر فى مساعيه للحصول على عفو الحكومة ورضاها ، ففى اواخر سنة ١٩١٣ م (أوائل سنة ١٣٣٢ هـ) قام عبدالقادر باشا الخضيرى احد كبار تجار بغداد بهذا مساعيه الحميده بين الحكومة وغضبان . وهو الأمر الذى علق عليه المقيم السياسى البريطانى فى بغداد بقوله :- " ان اهالى العمارة يرعبهم بصورة كبيرة أن ينال غضبان العفو ويسمح له بالعيش ثانية قرب دجلة ، اذ يتبع هذا الشيخ حاليا ثلاثمائة وخمسون بيتا فقط ، ولكن بمجرد عودته فسيزداد مناصروه ، وسيكون من المحتمل نشوب قتال واضطراب على النهر حين يعود بنولام الى سالف عهدهم . ومن غير المعروف من الذى استخدم عبدالقادر وسيطسا ولكن من الثابت انها ليست الحكومة . وربما كان غضبان قد قدم المال للسيد طالب زعيم البصرة فقام هو بدوره بطلب مساعدة عبدالقادر الذى روى انه انضم للقوميين مؤخرا " . (٢)

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 5054/1913, Summary of Events (١) in Turkish Iraq during Oct. 1913, P.1.

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 1916/1914, Summary of Events (٢) in Turkish Iraq during Nov. and Dec. 1913 and Jan. 1914, P.2.

ورغم مخاوف اهالى العمارة فقد افلح عبدالقادر باشا فى معاهة على ما يبدو ، اذ اصدرت الحكومة عفوها عن غضبان وسمحت له بالعودة الى لواء العمارة فى صفر ١٣٣٢هـ / يناير ١٩١٤م . (١) وليس من قبيل المصادفات أن الاضطرابات كثرت فى لواء العمارة كثرة واضحة بعد عودته . فرغم انه ليس لدى ما يدل على أن غضبان تدخل فيها مباشرة فى هذه الفترة المبكرة ، الا انه ليس من المستبعد أن يكون قد اذكى نار تلك الاضطرابات من وراء الستار من اجل رغبة نفوذ الشيخ الذين كانوا قد نافسوه سابقا ووقفوا الى جانب الحكومة ضده . ومن تلك الاضطرابات القتال الذى حدث فى مارس (ربيع الثانى) من نفس السنة بين اهالى قرية الشيخ سمد واهالى على الغربى وهو القتال الذى اضطر متصرف العمارة الى التوجه نحو مسرحه بقارب مدفعية صغير للتحقيق فى الأمر ومحاولة تهدئة الموقف . (٢)

وقد تفاقم الموقف بصورة اكثر فى شهر ابريل ١٩١٤م (جمادى الاولى ١٣٣٢هـ) فبالاضافة الى تجدد القتال فى على الغربى وسقوط ضحايا جدد خلاله تجاوزوا اثنى عشر قتيلًا وخمسة وشرين جريحًا ، كان الوضع فى لواء العمارة عمومًا مضطربًا جدًا ، حتى أن الملاحة فى نهر دجله قد تعرضت لبعض المضايقات حين اطلقت النار على احدى السفن التجارية فقتل ربانها واثنان من المسافرين على ظهرها ، مما جعل بعض ربانسة

(١) لفة العرب ، السنة ٣ ، ج ٧ ، صفر ١٣٣٢هـ / كانون الثانى ١٩١٤ ، ص ٣٩٢ .

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. 2097/1914, Summary of Events in Turkish Iraq during Feb. and March 1914, P.9.

السفن يتقدمون في منتصف أبريل (آخر جمادى الاولى) بطلب لولايسة البصرة فمن أجل توفير حراسة لسفنهم اثناء رحلاتها في النهر، ولكن وكييل الوالى رد بعد تبادل البرقيات مع لواء العمارة بأن الحراسة غير ضرورية. (١)

ولم يظل بقاء غضبان وراء الستار كثيرا ، بل انه هتك ذلك الستار فى شهر مايو (جمادى الثانية) وخرج بنزاعه مع منافسيه الى العلن ، فهاجم قريبه فهد الفضبان وابن أخيه جوى بن لزم (٢) ، الذى خاض بدوره فى نفس الشهر أيضا معركة مع قريب آخر منافس له على التزام بعض المقاطعات. (٣) ولا أستبعد أن يكون ذلك المنافس من أنصار غضبان ، وأنه قد استجسب لتحيضه على غرض ذلك النزاع . وقد حاول والى بغداد جاهد الحيلولة دون تطور النزاع المذكور عن طريق إرسال التعزيزات الحربية برا ونهرا الى المنطقة المعنية. (٤) ولكن ذلك لم يحل دون وقوع الصدام بين الطرفين المتنازعين فأضطر الوالى عندها الى استقدام زعمائهما الى بغداد ووضعهم جميعا تحت الإقامة الجبرية. (٥)

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2492/1914, Summary of Events (١)
in Turkish Iraq during April 1914, P.3.

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 2937/1914, Summary of Events (٢)
in Turkish Iraq during May 1914, , P. 2.

(٣) لغة العرب، السنة ٣، ج ١١، جمادى الاخره ١٣٣٢هـ/آيار ١٩١٤م ، ص ٦١٣.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2937/1914, Summary... May 1914, (٤)
P.1.

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 4029/1914, Summary of Events in (٥)
Turkish Iraq for the months of June and July 1914, P.1.

وهكذا وبعد أن تم التعرف عن قرب على الأحداث القبلية في لـــــــواء المماره ، يمكن القول أن صورة الوضع بلامحها الاساسية لم تختلف عما مر في التمهيد السالف ، حتى لكان نظام السلطان عبدالحميد لم يستطع وكان الحكومة الاتحادية لم تقم . اذ لم تأت الحكومة الجديدة بشيء ايجابى لمعالجة المشكلة القبلية في هذا اللواء ، واغضت عينيها عن السبب الاساسى لتلك المشكلة والمتمثل في نظام التزام الاراضى الزراعيه ، فلم تذكر المصا در والمراجع أنها قامت بأى إجراء يخص هذا الموضوع من قريب أو بعيد . والاكثر من هذا أنها أضاعت من يدها فرصة نادرة كان يمكن أن تكون الخطوة الاولى التى تخطوها في سبيل المعالجة الجذرية لتلك المشكلة . وقد لاحظت تلك الفرصة حين تغير وضع ملكية أغلب اراضى اللواء بعد عزل السلطان عبدالحميد فأصبحت تلك الاراضى " أميرية " بعد أن كانت " سنية " .

هذا وفى نفس الوقت ، فإن السلطات الجديدة استمرت فى سياسة فرض بدلات التزام على الملتزمين الذين لم يكونوا يجدون بدا من دفع القسط الاول منها عند رسوالات التزام عليهم ، ولكنهم يأخذون بالممانعة فى دفع بقية الاقساط عند حلول موسم الجباية فى السنوات التالية ، فلا تجد السلطات أمامها صند ذاك سوى طريقين : اما تجريد حملات حربية مكلفة ماديا وغير مجدية فعليا ، أو تدوير تلك الاقساط المستحقة فى سجلاتها الرسمية باعتبارها متأخرات يجب على الملتزمين دفعها يوما ما ، ولا تفلسح فى استيفائها غالبا .

ويلاحظ على الحكومة الجديدة أنها جاءت ممها بميل واضح لانتهاج أسلوب القوة فى التعامل مع قبائل اللواء ، وهو أسلوب أتبع لها أن تطبقه بشيء من النجاح خلال أحداث سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م . ولكنه نجاح قلل من أهميته أمران : اولهما أن السلطات الحكومية اعتمدت فى تحقيقه على

مساعدة قوى قبلية مؤيدة لها ، مما فرض عليها مكافأة تلك القوى فيما بعد فكأنها والحالة هذه لم تزد على أن طردت شيوخا معارضين واحتلت شيوخا آخرين محلهم . وقد أدى ذلك الى تأجيج نار المنافسات والصراعات الداخلية في صفوف القبائل ، ولم تسلم السلطات من شرر تلك النار المتطاير . وثانيهما أن ذلك النجاح المحدود لم يؤد الى استئصال شأفة الشيخ الكبار المعارضين ، فهم وان أزيحوا عن ساحة الصراع الرئيسة الا أنهم استمروا يشنون الفارات ويحكرون صفوف الا من في ربوع اللواء . وملاحظ أيضا أن ذلك النجاح كان آخر جهد حربي واسع قامت به السلطات الحكومية في لواء العمارة ، فكأنه كان ذبالة سراج توهج قبل الانطفاء .

ولا يحسن هنا افعال الاشارة الى ظاهرة تكررت مرارا خلال الاحداث التي مر وصفها ، وهي تضارب الاتجاهات والاهواء بين السلطات الحكومية المختلفة من مدنية ومسكرية . مما يدل على تراخي قبضة الحكومة المركزية على موظفي ولاياتها ، وهم موظفون لم يكن مسلك بعضهم فوق مستوى الشبهات . وقد أنعكس كل ذلك على الوضع العام في لواء العمارة ، نعم القلق وكثرت الصدامات الدموية بين القوى القبلية ، وزادت مناوأة تلك القوى للسلطات الحكومية ، وتكرر التعرض للملاحقة في نهر دجلة ، مما فتح لباب لتدخلات دولية سببت للدولة الكثير من الحرج .

لفصل الثاني

قياسل المنتفق بين سنتي

١٣٢٦-١٣٣٢ هـ / ١٩٠١-١٩١٤ م

تطور أوضاع لواء المنتفق حتى أوائل ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م :

وقع انقلاب جمعية الاتحاد والترقي في جمادى الثانية ١٣٢٦هـ / يولييه ١٩٠٨م . وقد تصادف وقوعه مع رداة الموسم الزراعي في لواء المنتفق ذلك العام ، حتى اضطرت السلطات الحكومية الى منع تصدير الحبوب من اللواء في اكتوبر ١٩٠٨م (رمضان ١٣٢٦هـ) وإلى حين صدور اشرار آخر (١) ولكن ذلك الوضع السيء لم يحل دون اصرار السلطات المحلية على جباية الضرائب من قبائل اللواء بعد أن امتنع بعضها عن اداة ما هو مقرر عليه منها . (٢) وهكذا تهيأت فرصة الصدام لأول مرة بين النظام الجديد والقبائل التي لا يهتمها - على حد قول أحد شيوخها للقنصل الأمريكي في بغداد - شيء من أمور الحكومة العثمانية ، فلا يهتمها من يكون السلطان ولا يشغلها أمر الدستور طالما أن الحكومة لا تطالبها بالضرائب . (٣) أما وقد طالبتها الحكومة بها فلا مفر من الصدام .

ويبدو أن ذلك الصدام كان متوقعا قبل حدوثه بفترة على أية حال ، فقد كتب القنصل الأمريكي في بغداد في أواسط شهر أغسطس ١٩٠٨م (رجب ١٣٢٦هـ) قائلا : - أن قتالا صغيرا يدور في لواء المنتفق ولكنه لم يصل الى غايته القصوى بعد . (٤) وسرعان ما تمهد السبيل للوصول الى هذه

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 29, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Oct. 28, 1908.

(٢) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤١ .

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 15, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const. , March, 14, 1910.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 448, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Beirut , Aug. 14, 1908.

الغاية حين لجأت السلطات الحكومية الى الاستعانة بسعدون باشا -
آل سعدون في جمع الضرائب من قبائل المنتفق. (١) ويبدو أن ذلك
الاختيار تم بترشيح والاحاح من متصرف اللواء الاميرلاى مظهر بك استجابت
له الحكومة المركزية فعينت سعدونا معاوناً للمتصرف وسمى بأسم "مصلح
الفراف". (٢) وهذا يدل على أن سعدونا أستطاع نيل ثقة رجال المهدد
الجديد في هذه الفترة المبكرة (٣) ، بعد أن كانت علاقته متوترة مع السلطات
المحلية في الفترة التي سبقت وقوع الانقلاب كما مر سابقاً .

ولاشك ان اختيار الحكومة لسعدون من اجل تلك الغاية كان اختياراً
غير موفق ، فهي تعلم ماهيته وبين بعض قبائل اللواء من اضغان وحزازات ،
ولعلها اختارته لهذا السبب بالذات ، فطام أن الهدف هو قسر تلك
القبائل على دفع الضرائب فلن تجد من يصلح لهذه المهمة خيراً منه ، وهذا
مؤشر آخر يدل على ان الاتجاه المبكر للنظام الجديد هو التعامل مع
المشكلة القبلية عن طريق القوة . ولقد كان سعدون عند حسن ظن من
اختاروه اذ اتبع سياسة العنف والقسوة تجاه القبائل ، (٤) التي كان رد فعلها

(١) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٢ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٥ ، والفراف نهر يتفرع من دجله
قرب مدينة الكوت ويجرى نحو الجنوب الشرقي مسافة مائة وعشرين
ميلاً تقريباً ليصب في نهر الفرات وهو يسمى احياناً بـ "شط الحى"
وتحمل المنطقة الواقعة على ضفافه الاسم نفسه ، راجع :
لوريير ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٢ ، ص ٨٨٩ .

(٣) Dickson, The Arab of the Desert, P. 556. وأيضاً الطاهر ،
العشائر العراقية ، ص ٧٨ .

(٤) Ibid.

هو التحفز لمواجهته . وكانت اولى المتحفزين عشيرة " الأزيق " (١) التي تقطن الأراضي المجاورة لمدينة الناصرية مباشرة ، فساق سعدون نحوها اتباعه ومن صحبهم من القوات الحكومية ووقع القتال بين الطرفين في شهر رمضان ١٣٢٦ هـ / اكتوبر ١٩٠٨ م حيث دارت الدائرة خلاله على سعدون ومن معه . ولكنه لم ييأس بل اعاد الكرة ثانية فكان الفوز حليفه هذه المرة مما رفع من شأنه في اعين قبائل اللوا فزاره شيوخها وقدموا خضوعهم له . (٢)

ولم يستفد سعدون والسلطات المحلية في اللوا من تلك الفرصة في العمل على تأليف قلوب القبائل واقناعها بدفع الضرائب المستحقة ، ولكنه مال الى استخدام القوة التي أتيحت له في تصفية الحسابات القديمة مع أبناء عمه ومن يؤيدهم في منطقة الغراف . وكانت خطوته الاولى في هذا السبيل أن طلب ويتأيد من والي البصرة ، (٣) ابعاد ابن عمه فالح باشا عن الغراف ، فاستجابت الحكومة لطلبه ونفي فالح الى البصرة مع ولده عبدالله ، ولكنه أسر لا بهن الاخر عبدالكريم بضرورة السعي لاستقطاب ولا القبائل وحشدها لمجابهة سعدون ما استطاع الى ذلك سبيلا . وقد نفذ عبدالكريم أمر والده وأستطاع أن يضم الى جانبه عشائر عبوده (٤) واليوسعد (٥)

(١) عشيرة من العشائر المكونة لثلث الاجود من اتحاد قبائل المنتفق وهي تقم في مقاطعة البتوجة شمال مدينة الناصرية ، راجع : الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ١٧٠ - ١٧٣ .

(٢) الطاهر ، مرجع ذكره ، ص ٣٦٥ .

(٣) Glubb, Arabian Adventures, P.42

(٤) عشيرة اصلها من قبيلة ربيعة ولكنها انضمت لثلث الاجود من قبائل المنتفق ونالت حظوة لدى عماء ذلك الاتحاد من آل سعدون ، راجع : المزاي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٩٩ .

(٥) عشيرة صغيرة تسكن الى الشرق والجنوب الشرقي من مدينة الشطرة ، وهي احدى عشائر لثلاث الاجود ايضا ، راجع : الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

وبني زيد (١) . وٹصدى الجميع لقوات سعد بن ومظهر بك الزاحفه نحو مدبنة الشطرة ، فجرت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بانتصار سعد بن والقوات الحكومية ودخولهم تلك المدينة . (٢)

وصادف أن توفي في هذه الاثناء فالح باشا في البصرة (٣) ، وتمكن ابنه عبدالله من مغادرة البصرة والعودة الى الغراف (٤) ، فأستمد على الفور لخوض جولة جديدة من الصراع مع خاله سعد بن . واستنفر عشائر آل حميد (٥) وبني زيد والبوسعد وهبودة ، بينما وقفت عشائر بني ركلاب (٦) وخفاجه (٧) وبعض البدور والبوشمخي (٨) مع سعد بن في الجانب المقابل (٩) . وينير

(١) مجموعة عشائرية كبيرة تقطن في المناطق الواقعة جنوب الشطرة ، وهي منتمية الى ثلاث الاجود ، راجع الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٢١٨ - ٢٢٢ .
(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٦ .

(٣) روى ديكسون (The Arab of the Desert, P. 536) والطاهر (العشائر العراقية ، ص ٧٨) ، أن وفاته تمت في ربيع سنة ١٩٠٨ م ، بينما روى العزاوي (تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ١٨٨) أنها حدثت في سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م ، وأرجع الرواية الاخيرة لاننا عرفنا أن الاحداث التي سبقت فيه السبي البصرة قد حدثت في رمضان ١٣٢٦ هـ / اكتوبر ١٩٠٨ م .

(٤) ذكر غلوب (Arabian Adventures, P. 42) أن عودته تمت قبل وفاة والده ، ولكن ما أورده الطاهر وأثبت في المتن هو الأرجح حسبما اكده المصادر القبلية المروية وبوأيده سياق الاحداث .

(٥) مجموعة عشائرية تقطن الضفة اليسرى من نهر الفراف وتنتمي لثلاث الاجود راجع : الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ١٨٨ .

(٦) اتحاد عشائري يقطن الضفة اليمنى لنهر الفراف في المنطقة الممتدة بين الشطرة والحى ، وينتمي لثلاث الاجود ، راجع : الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٢٠٩ - ٢١١ .

(٧) قبيلة عربية قديمة متوزعة في عدة انحاء من العراق ، واصبح الجزء المتوطن منها في المنتفق يدخل في عداد عشائر ثلاث الاجود ، ويقع في المنطقة الممتدة بين الشطرة والناصرية ، راجع : العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٨٦ .

(٨) احد افخاذ عشيرة هبودة ، راجع العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٠٢ .

(٩) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٦ .

وقوف تلك العشائر الى جانب سعدون قسماً ولا لا يمكن تجنبه عن السراكا من وراءه مع ماروى عن قسوة سعدون على العشائر وتصميمه على استيفاء ما بذمتها للحكومة من ضرائب . ولا أجد لذلك الموقف تفسيراً الا من خلال ترجيح احد فرضين ، اولهما أن مانسب الى سعدون من قسوة فى معاملة العشائر مبالغ فيه بعض الشيء . وثانيهما ان تلك القسوة انصبت على العشائر التى ناصبته العداوة وتمسكت بالولاء لبنى عمه المنافسين . ويجد الافتراض الأخير ما يؤيده فى رواية مراقب معاصر عن اتباع سعدون لسياسة تقريب بعض الشيخ على حساب البعض الآخر (١) ، ولا بد أن يكون الولاء هو معيار عملية التقريب والابعاد . كما لا يجب هنا اغفال أثر التنافس والحزازات بين شيخ العشائر فى دفعهم لعقد التحالفات الآنية مع هذا الطرف او ذاك .

ولم تكن عملية الاستقطاب تلك الا تمهيداً للنزال بين الخصمين عبيد الله وسعدون ، والذي لم يطل انتظاره ، فنشب القتال بين الجانبين فى شوارع مدينة الشطرة نفسها وادى الى قتل عدد من جنود وضباط القوة الحكومية . (٢) وقد اضطرت قاعدتها المتصرف مظهر بك الى التخلي عن " معانته " سعدون والاحتماء مع قواته داخل الثكنة العسكرية " القشلة " تاركا المدينة وسكانها تحت رحمة الاطراف القبلية المشتبكة فى قتال وهشى استمر ثمانية ايام بلياليها . (٣) وانتهى القتال بأن ترجحت الكفة ضد سعدون وانصاره فأضطروا لاخلاء المدينة والانسحاب الى موقع قريب (٤) ، حيث

(١) الطاهر، العشائر المراقية، ص ٣٦٥ .

(٢) Glubb, Arabian Adventures, P.42.

(٣) الطاهر، العشائر المراقية، ص ٣٦٦ .

(٤) محمود، مرجع مر ذكره، ص ١٤٢ .

تعزز موقفهم هناك بأنضمام مقاتلي " الشويلات " (١) و " قراغول " (٢) ، ولكن ذلك لم يمنع عبد الله الفالح ومناصريه من متابعة سعدون والاشتباك معه في معركة ثانية كانت نتيجتها هزيمته أيضا وانسحابه الى موقع جديد . وهناك أخذ يلم شمل أنصاره استعدادا لخوض جولة ثالثة من الصراع ، كادت ان تقع فعلا لولا أن شيخ العشائر في المعسكرين أجروا اتصالات سرية فيما بينهم بعد أن أدركوا الأناقة لهم ولا جمل في الصراع الدائر بين الخصمين اللدودين . وقد انتهت تلك الاتصالات بالاتفاق على أن ينسحب كل شيخ مع اتباعه الى ديارهم ، فنفذ الاتفاق وأضطر سعدون بعدها لمفادرة المنطقة فعبس الفرات الى الشامية ، (٣)

ومما لا ريب فيه أن تلك الاحداث كانت الصدمة الاولى التي تلقتها الحكومة على أيدي قبائل المنتفق في العهد الدستوري الجديد ، وقد أظهرت تلك الاحداث خطأ سياسة الاعتماد على القوة وحدها في التعامل مع القبائل التي لا يمكن أن تستكين بسهولة كما أن كل تلك الزوابع لم تحقق للحكومة أي نفع ، فلقد نسي الهدف الأصلي الذي جاءت القوة من اجله وهو جباية الضرائب ، وتحول الهدف الى تصفية ثارات قديمة وصراع على النفوذ كان الخاسر الأكبر فيه هو الحكومة فبالإضافة الى الضربة الموجهة التي لحقت بهيبتها في المنطقة كان تخلي مظهر بك عن سعدون بالشكل الذي مر قد

(١) فخذ من عشيرة ال حميد ، راجع : الطاهر ، العشائر المراقية ، ص ١٩٢ .

(٢) فخذ من عشيرة ال حميد أيضا ، راجع الطاهر ، العشائر المراقية ، ص ٢٠٨ .

(٣) الطاهر ، العشائر المراقية ، ص ٣٦٧ .

أثار نقمة الاخير على الحكومة ، حتى أنه صرح للقنصل البريطاني في البصرة
 في شهر ابريل ١٩٠٩ م (ربيع الاول ١٣٢٧ هـ) بأنه ينوي مقاتلتها قريباً ،
 وقد قدر القنصل بهذه المناسبة ما يستطيع سعدون حشدة من القوات بحوالى
 خمسة آلاف رجل . (١) ولم تكسب الحكومة بالمقابل ود المنتصرين الذين
 تجاهلوا وجودها في الشراف كلها فأصبح الأمر والنهي من تلك المنطقة بيد
 عبد الله الفالح ونصيره الاول " غيوان الصبيد " شيخ عشيرة العبودة . (٢) وقد
 اضطرت سلطات ولاية البصرة ازاء ذلك كله ولمعدهم قدرتها على اتخاذ أى اجراء
 الى قيد ضرائب السنوات الخمس الماضية ديناً فى ذمة من لم يدفعها من
 القبائل (٣) ، ومن القريب انه فى أثناء وقع تلك الحوادث الخطيرة اختلف
 موقفاً والى بغداد والبصرة فى حين منع الاول تأييده لعبد الله الفالح
 منع الآخر تأييده لسعدون . (٤) وكفى بهذا دليلاً واضحاً على الحالة المزرية
 التى تردت فيها الادارة فى الولايات حتى أصبحت الحزازات والضفائن الشخصية
 تطفى على المصلحة العامة للدولة .

ولم تغب الحالة السيئة للاوضاع فى لواء المنتفق عن ملاحظة الصحف الصادرة
 حينئذ فكتب احدها تقول :- " يحجز القلم عن تعداد ما احاط بالـلـو " .

(١) PRO,FO 424/219, No. 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, April 29, 1909.

(٢) الطاهر ، المشائر المراقية ، ص ٣٦٦ .

(٣) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٢ .

(٤) Glubb, Arabian Adventures, P.42.

المذكور . من البلايا والرزايا وسوء الأمنية والمضايقة وقلة الواردات وكثرة النهب والسلب . ومع الأسف كأن الحكومة نائمة عن سماع مايقع فيه أو انها قاطعة أطها من اصلاحه ، فيعجبا هل لا تسأل عن واردات هذا اللواء التى كانت نحو المائة ألف ليرة حال كون سعر الاطعمة (١) نصف سعرها الحالى ، فكيف تنازلت الواردات الى الثلاثين مع مضاعفة السعر ولماذا يبقى نحو النصف - أى نصف الثلاثين - بقايا ؟ " (٢) ، وأضافت بعد ذلك مقترحة أن تعالج المشكلة بتعزيز الجيش ونزع اسلحة القبائل وتعيين مسئولين للواء من ذوى الأمانة والمقدرة . ويتبين مما كتبه تلك الصحيفة ومن كتابات مشابهة فى صحف أخرى أن المشكلة القبلية كانت تورق لا السلطات الرسمية فحسب وإنما القطاع المتنور من رأى العام المحلى أيضا . كما تدل تلك الكتابات على ان ما أشرت اليه من اتجاه حكومة الانقلاب الى استخدام القوة فى تعاملها مع القبائل كان يلقى فى هذا الوقت قبولا كبيرا فى ذلك القطاع ، وإذا ما كان ثمة اعتراض على ذلك الاتجاه فهو عدم الجد فى تطبيقه بحزم وسرعة .

ويبدو أن مادفع تلك الصحيفة لأيراد ذلك التعليق الحاد هو أن السلطات لم تبادر الى التحرك السريع بعد أحداث الشطرة السابقة لأسترداد هيبتها فى لواء المنتفق عموما ومنطقة الغراف خصوصا . اذ فقدت السلطات الحكومية كل سيطرة لها على الاوضاع هناك حتى أنها اعتذرت فى أبريل ١٩٠٩ م (ربيع الاول ١٣٢٧هـ) عن توفير الحماية لاحد الرعايا الاميركان

(١) المقصود بالاطعمة هنا هو المنتجات الزراعية . من الحبوب .

(٢) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ٤٠٥ ، صفر ١٣٢٧هـ / ٢٥ شباط ١٩٠٩ ،

الذى كان يرغب بالسفر من الكوت الى الناصرية عن طريق الغراف وأعلنت عدم مسئوليتها عن ضمان سلامته (١) والحق ان انعدام الأمن فى الشهور الاولى من تلك السنة لم يكن حكرا على منطقة الغراف التى تعد نائية نسبيا ، بل امتد الى مركز الولاية نفسها حيث أخذ المسلحون يشنون الغارات تحت سمع وبصر السلطات على بعض منازل مدينة البصرة فيسبون ويقتلون على هواهم ، مما دفع بأفراد الجاليات الاجنبية المقيمة هناك الى مطالبة قناصل دولهم بالتدخل لدى الحكومة العثمانية وحثها على اتخاذ الاجراءات الحاسمة التى تطمئنهم على ارواحهم و ملاكهم. (٢) وفى هذا دليل واضح على الاعياء العام الذى أحاط بسلطات الولاية.

ويمكن من ناحية ثانية تفسير سكوت السلطات الحكومية عن اتخاذ أى إجراء لمعالجة الوضع المتردى فى لواء المنتفق بأنشغالها الشديد حينئذ بمعالجة الاضطرابات القبلية فى لواء العمارة على الصورة التى مرت آنفا ، فلم تشأ أن تفتح جبهة ثانية ، أولم تمكنها طاقاتها المحدودة من ذلك . ولكنها ما كادت تفرغ من العمارة حتى اتجهت بأنظارها لمعالجة الوضع فى المنتفق واتباع نفس المبدأ الذى طبق فى العمارة وهو استخدام القوة ، فجمعت بعض الوحدات العسكرية تحت قيادة مصطفى باشا ووجهتها فى سبتمبر ١٩٠٩ (رمضان ١٣٢٧هـ) من الكوت الى منطقة الغراف لاختضاع قبائلها وجمع الضرائب المتأخرة المتراكمة بدمتها . (٣) ولم تظهر القبائل مقاومة

N.A.R.S., RG 84, Telegram from Am. Vice Cons. at Bag. (١) to Dr. Blunt (an American missionary) at Kut., Apr. 15, 1909.

N.A.R.S., RG 84, No. 291, Am. Cons. Agent at Basra to (٢) Am. Cons. at Bag., Feb. 10, 1909.

N.A.R.S., RG 84, No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. (٣) Amb. at Const., April 7, 1910.

لتلك القوة بل قدمت خضوعها لمصطفى باشا واستجابت لما طلبه من تهديم بعض القلاع (١) وجباية بعض الاموال . (٢) ولا شك أن سبب هذا الموقف غير المتوقع عائد لما تناهى الى علم القبائل من نجاح القوات الحكومية في اخضاع قبائل لواء العمارة ، وما اقدم عليه مصطفى باشا من اجراءات عنيفة في المحطة الاولى التي توقف فيها وهي " الحى " (٣) .

وبعد أن أمن مصطفى باشا الوضع في منطقة الغراف اتجه نحو مركز اللواء في مدينة الناصرية ، ووجه اهتمامه حال وصوله هناك لمعالجة مشكلة عشيرة

(١) تسمى تلك القلاع بلهجتهم المفاتيل جمع مفتول الذى هو برج مبنى من الطين ذو درج داخلى لولبى الشكل كأنه مفتول فطلا ، ويستخدم ذلك البرج للمراقبة واطلاق النار من فتحات معدة فى جدرانها ، راجع : لغة العرب ، السنة ١ ، ج ٧ ، محرم ١٣٣٠ هـ / كانون الثانى ١٩١٢ م ، ص ٢٨٠ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٧ ، وقد روى الشيبى فى ملحقه أن وصول مصطفى باشا للغراف قد تم فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٢٧ هـ ، ولست أشك فى أن ذلك سهو ، يدل على ذلك انه نفسه يعود فى الصفحة التالية فيذكر عزل المذكور ووصول خليفته يوسف باشا الى الغراف فى السابع عشر من نفس الشهر ، ولا يعقل أن تتم كل تلك الاحداث خلال مدة لا تتجاوز اسبوعين ، وهى هذا رجحت رواية شاهد الميان الامريكى التسمى تنص على ان وصول مصطفى باشا قد حدث فى رمضان ١٣٢٧ هـ .

(٣) . N.A.R.S., RG 84, No. 19- A ، والحى مدينة صغيرة تقع على نهر الغراف على بعد ثلاثين ميلا من مدينة الكوت ، وهى مركز قضاء تابع لسنجق المنتفق . راجع :

لوريمر ، مرجع مر ذكره القسم الجغرافى ، ج ٢ ، ص ٩١٨ - ٩١٩ .

الأزيرق التي كان دأبها القيام بعمليات النهب والسلب (١) ، الأمر الذي جعل أهالي مدينة الناصرية يقدمون له عند وصوله الشكاوى ضد مضايقاتها ، فقرّر حسم الأمر بأجلاء تلك العشيرة قسرا عن الاراضى المجاورة لتلك المدينة وقد تقدم على رأس قواته لتنفيذ عزمه ، ولكن تلك العشيرة واجهته بخطة ذكية هي الانسحاب أمامه عن بعض القرى التي كان يدخلها ويحرقها حتى اذا أنهكت قواته — انكأَت عليه وهزمت هزيمة قاسية (٢) ، جعلت أحد المراقبين الا جانب المطلقين على الوضع يبدى عجبهما حصل نظرا للفارق الكبير في تسليح الطرفين (٣) . ولكن ربما كانت الكثرة العددية قد تفوقت على جودة تسليح القوات الحكومية ، اذ انضمت الى عشيرة الأزيرق اثناء القتال عشائر حكام (٤) والعساكره (٥) والحسينات (٦) فكبدت جميعها القوات الحكومية خسائر فادحة في الأرواح (٧) ، واضطر مصطفى باشا للتراجع الى مدينة الناصرية حيث ظل محاصرا فيها . (٨) في الوقت

(١) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٢ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٧ .

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7, 1910.

(٤) احدى العشائر التي تنتمي لثلث بنى مالك من اتحاد قبائل المنتفق وتقيم على جانبي نهر الفرات في قضاء سوق الشيوخ ، راجع العزراوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٣٨ .

(٥) عشيرة صغيرة تنتسب في الأصل الى قبيلة كعب ولكنها منضوية لثلث بنى مالك ، وتوطن على ضفة نهر الفرات بين الناصرية وسوق الشيوخ ، راجع : العزراوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٥٩ .

(٦) عشيرة تنتسب في الأصل لفخذ بنى حسين من قبيلة الضفير ولكنها — انضوت لثلث بنى مالك وتقيم حول مدينة الناصرية ، راجع : العزراوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٩٦ .

(٧) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٣ .

(٨) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣٦٧ .

الذي أخذت السلطات الحكومية فيه تستعد لمواجهة ذلك الوضع الخطير فأستدعى والى بغداد الاحتياطي واستعد للقيام بحركة متناسقة ضد قبائل المنتفق، (١) كانت أولى خطواتها هي عزل مصطفى باشا وتعيين يوسف باشا بدله. وقد تحرك الأخير على رأس خمسة أفواج من الجند وسرية مدفعية (٢)، فمر بالكوت ثم اتجه نحو الشطرة فوصلها فى السابع عشر من ذى الحجة ١٣٢٧هـ/ الحادى والثلاثين من ديسمبر ١٩٠٩م. (٣)

ومن المنطقى الافتراض بأن يوسف باشا كان سيتجه على الفور لمعاينة عشيرة الازيرقى وحليفاتها على ما فعلته بقوات مصطفى باشا، ولكنه فضل على ما يبدو ان يوطد الأستقرار فى منطقة الغراف أولا باعتبارها طريق أمداداته. ويظهر أنه سلك سبيل الأقناع للوصول الى تلك الغاية اول الأمر، اذ انسه حال وصوله الى مدينة الشطرة جمع شيخ المنطقة وجعلهم يقسمون على وضع أنفسهم رهن اشارة الحكومة. (٤). ولكن أحد المعاصرين المظلمين ذكر أن هدفه من استمالة أولئك الشيخ لم يكن الرغبة فى توطيد السلم بالمنطقة بل كان ضمهم الى جانبه لمقاتلة شيخ عشيرة عبوده خيون العبيد، ولذلك فلم يستجب له منهم الا من كان مفاضيا للمذكور (٥)، وليس بين يدى مايشير الى السبب الذى جعل يوسف باشا يعتزم ذلك العزم، اذ لم تتعرض قواته حين اخترقت منطقة الغراف لاية مقاومة سواء من جانب خيون او غيره،

(١) N.A.R.S., RG 84, " Bagdad Annual Report for 1909", P.6.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7, 1910.

(٣) الطاهر، المشائر العراقية، ص ٣٦٨.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7, 1910.

(٥) الطاهر، المشائر العراقية، ص ٣٦٨.

كما أن الشيخ المذكور لم يسهم في الأحداث الأخيرة التي أدت إلى إلحاق الهزيمة بمصطفى باشا . وجعلنى كل هذا أصيل إلى الظن بأن يوسف باشا أدرك إلا سبيل لتحقيق غايته في السيطرة على منطقة الفرافلا بأضعاف نفوذ خيون الذى تزايد بشكل كبير بعد أحداث سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨ م التى مر ذكرها .

وفى سبيل الوصول إلى تلك الغاية ، لجأ يوسف باشا إلى وسيلة جريها بنجاح قبل ذلك فى لواء العمارة ، وهى استغلال تنافس الشيوخ المعهود على الأراضى وتحريضهم على ضرب بعضهم البعض (١) ، إذ أنه استمال إلى جانبه عليوى الخافور شيخ آل عواد (٢) بأن اعطاه مقاطعة الصديشة العائدة لخيون ، ولكن خيون رفض بالمقابل أخلاء تلك المقاطعة وتحصن فيها مع بعض العشائر المؤيدة له استعدادا للمقاومة (٣) ، ولذلك

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Apr. 7, 1910.

(٢) فخذ من عشيرة عبودة ويقال انهم ينتسبون فى الأصل إلى قبيلة العزة ، راجع: العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(٣) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٤ ، ولكن روايته يشوبها بعض الغموض ، إذ قال أن خيون العبيد كان ملتزما ثانويا لتلك المقاطعة من ملتزمها الاول الشيخ عبد الله الفالح السعدون ، وأن يوسف باشا عزله ووضع الالتزام بالمزايدة فرسى على عليوى الخافور وشريك له بمزايدة قدرها تسعمائة ليرة عن المبلغ الذى كان يدفعه خيون . فاذا كان خيون مجرد ملتزم ثانوى فلا وجه لتدخل يوسف باشا إذ ان علاقة السلطات الرسمية تكون فى هذه الحالة مع الملتزم الاول ، ثم ان الزيادة التى تحققت فى بدل الالتزام تذهب إلى عبد الله الفالح ، فليس من المعقول أن يخلق يوسف كل تلك المشكلة من أجل مصلحة الأخير الذى سنرى عما قسيسل انه كان يؤيد حليفة خيون ، الا اذا كان المقصود هنا أن يوسف باشا فسخ التزام عبد الله الفالح ومنحه لعليوى الخافور ، وهو أمر ليس هناك ما يؤيده .

قرر مجلس ادارة اللواء تأديبه ومن يشايعونه (١) . ولكن يوسف باشا لم يبادر على ما يبدو الى تنفيذ ذلك القرار على الفور بل أدرك قوة قواته وهدم قدرتها على أداء تلك المهمة ، فأخذ يلح على القيادة العسكرية في بغداد لارسال التعزيزات اللازمة له دون أن يستجيب له أحد . (٢)

وبند ما يحس يوسف باشا من الاستجابة لطلباته بادر الى التصرف بما تحت يده من قوات . ولدينا شاهد عيان على ما جرى هو القس الامريكى المبشر جون فان ايس Van Ess الذى سجل مشاهداته فى تقرير قدمه للقنصل الامريكى فى بغداد وما جاء فيه :- " أرسل يوسف باشا فى ١٢ مارس ١٩١٠ خمسة عشر دركيا لمهاجمة قلعة خميون واستخلاص المكان للخافور (٣) ، فأسيقت معاملة اولئك الدرك واميدهوا من حيث أتوا . وفى صباح اليوم التالى ١٣ مارس (٤) وضع يوسف باشا فوجين من الجند ومدفعين فى الخنادق خارج الشطرة ، ولبسى جناحه الايمن وضع مائتى فارس تركى ، ووضع بين المشاة والفرسان عددا من البوشمخى وهى عشيرة صغيرة سلاحها مائتان وخمسون بندقية . ولقد كان

(١) الطاهر ، المشائر العراقية ، ص ٣٦٨ .

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 18, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 24, 1910.

(٣) قالت جريدة الرقيب " السنة ٢ ، العدد ١٠٢ ، ٢٠ ربيع الاول ١٣٢٨ هـ / ٣١ مارس ١٩١٠ ، ص ١ " ان مهمة تلك المفزة كانت استطلاعية وأميل لترجيح ذلك اذ لا يمكن أن تكون مهمتها هجومية وهى تتألف من خمسة عشر دركيا فقط .

(٤) قال الشببي فى ملحقه " الطاهر ، المشائر العراقية ، ص ٣٦٨ " ان تحرك يوسف باشا ذاك تم فى ١٤ ربيع الاول ١٣٢٨ هـ وهو ما يوافق ٢٦ مارس ١٩١٠ ، والترجيح هنا لا قول شاهد العيان اعلاه الذى كان يسجل ملاحظاته أولا بأول .

يوسف باشا بتوقع ان يواجه " السناجر " ^(١) لوحدهم ، ولكن في خلال ساعة واحدة جاء خمسة آلاف من الاعراب على الاقل ^(٢) من كل الاتجاهات لمساعدة السناجر . وبعد ساعة من اطلاق النار من جانب الجند ^(٣) ، هجم العرب فتراجع الجند ازاء النيران الكثيفة . وفي هذه اللحظة تظاهر الجناح اليسر للعرب بالهرب أمام الفرسان الترك الذين تحول أنتباههم نتيجة لذلك نحو اتجاه آخر ، وفي هذه اللحظة ايضا دحر البوشمخي وهربوا متخليين عن القوات التركية ، فأحاط العرب المتحالفون بالفوجين وصبوا عليهما نيرانا كثيفة ، وقتل الرائد عبدالقادر أفندي واحد النقباء و ملازمان اثنان وواحد وثلاثون جنديا وجرح أربعة وثلاثون آخرون من القوات التركية ، وتخلصى الجند الترك عن النظام وهربوا متراجعين الى الشرطة . ^(٤) وطوال نهار ١٣ مارس أخذ الترك الذين تمركزوا في الشرطة مرة أخرى يصوبون نيرانا غزيرة على اطراف المدينة من منارة المسجد ومن ثكناتهم . وبعد أن حل الليل تجمعت القوات العربية ثانية وهاجمت المدينة من جهة غير محمية وواصلت طول الليل اطلاق النار بالرغم من ان القوات التركية لم تقاى منه الا قليلا

(١) الفخذ الرئيسي من عشرة عبودة ويكون الشيخ العام للعشيرة من هذا الفخذ مادة . راجع : العزاوي ، معاشير العراق ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

(٢) قدر القنصل الامريكى في بغداد القوات الحكومية المشاركة في تلك المعركة بستمائة جندي بينما قدر عدد العرب بحوالى عشرة الاف رجل ، راجع : N.A.R.S. , RG 84, No. 18 .

(٣) روى الشيببى في الطاهر ، المعاشير العراقية ، ص ٣٦٨ " أن القوات الحكومية استمرت تطلق النيران دون أن ترد عليها القبائل حتى الظهيرة حين شنت القبائل هجومها المضاد .

(٤) روى الشيببى المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ " أن القوات الحكومية تركت فى ساحة المعركة ايضا مدفعين أستولى عليهما العرب .

لاحتماؤها خلف جدران طينية. وعند طلوع نهار ١٤ مارس بدأ نهب السوق واستمر ذلك طوال النهار ، ولقد قام السناجر والبوشمخي باكبر النهب ، ويقال ان الجنود الترك ساعدوهم أيضا - وفي حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر أمر يوسف باشا قواته بالكف عن اطلاق النار ، وفور تنفيذ ذلك تقريبا انسحب معظم العرب المسلحين من الشرطة ، ولكن النهب استمر - على أية حال - حتى وقت متأخر من الليل ، وقد نهبت بضائع تصل أقياماها الى حدود ثلاثمائة ألف دولار. (١) وفي اليوم التالي أخبر خيون يوسف باشا بأنه سيتوقف من الهجوم ومن مزيد من النهب اذا ما منح العفو ، واشترط شرطا آخر هو طرد البوشمخي من الشرطة. ولكن يوسف باشا رفض الاستجابة لهذين الشرطين ، ومع ذلك اعلنت الهدنة لمدة ثلاثة أيام. وقد علم بأن عشيرة تدعى بنى ركب كانت فى طريقها لمساعدة الحكومة ولكنها أوقفت بأمر من السلطات. (٢)

وواصل فان ايس تقريره قائلا :- " لقد فادرت الشرطة فى ١٦ مارس تحت حماية أدلاء قبليين ، ولاحظت فى كل مكان نوايا العرب العدائية ضد الحكومة والتي تهدف أن يصبحوا مستقلين ، واننى واثق من ان كل القبائل

(١) قدر القنصل الامريكى فى بغداد قيمة المنهوبات بين اربعمائة وخمسين الى ثمانمائة وخمسة وسبعين ألف دولار ، راجع : N.A.R.S., RG84, No. 18
بينما قدرها المقيم السياسى البريطانى فى بغداد بستين ألف ليرة عثمانية ، راجع : IOR, L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910. P. 5.

(٢) يبدو من المستغرب أن ترفض السلطات الحكومية تلك المساعدة فى وقفت هى فيه أحوج ما تكون لاية قوة تقف بجانبها ، وإذا 'صحت تلك الرواية ، فربما أراد يوسف باشا أن يؤجل الاستفادة من تلك القوة حتى يتم استمداداته للجولة القادمة ، ولعله تخوف من اشتراك تلك العشيرة فى نهب المدينة.

متحدة بقوة هازمة على طرد الحكومة التركية. (١) ويخطط الترك الان لجلب قوات اكبر لمحاولة أخضاع العرب ، ولكن هذه المهمة كبيرة وتتطلب برأى ستة عشر ألف جندي على الأقل ، ويجب أن يكون أولئك الجنود من اجزاء أخرى من الدولة مثل الاناضول والبلانيا وسوريا . (٢) . ان السلطة التركية مثار السخرية في كل مكان عدا المدن ، ولكن بدءا من منتصف الطريق بين الناصرية والبصرة فان كل شي " هادي " والطرق آمنة . لقد سمعت بأن يوسف باشا سيحاكم أمام مجلس عسكري وأن الامور ستظل في وضعها الراهن حتى وصول ناظم باشا والى بغداد الجديد " . (٣)

(١) لا أدري ما الذي قصده فان أيس بكلمة "الاستقلال" ، فاذا كان ما قصده هو الاستقلال بالمعنى السياسى المحدد الذى نصره الآن ، فذلك مجرد وهم يعكس بلا شك أحلام ذلك البشر المتحمس ، فالاستقلال بمعناه ذاك كان بعيدا عن أذهان القبائل . أما اذا كان المقصود بالاستقلال هو ابعاد تدخل السلطات الرسمية فى الشئون القبلية وخاصة ما يتعلق منها بالارض والضرائب فذلك أمر مؤكد كما سبق ورفنا . ولكن أرجح ان فان أيس قصد المعنى الاول بدليل تصويره للاحداث وكأنه صراع بين العرب والترك وما رحمه من اتحاد القبائل وهزمها على طرد الحكومة " التركية " ، وهو رغم يكفى لتفنيده ما أورده هو نفسه عن اشتراك بعض العشائر الى جانب القوات الحكومية .

(٢) بيدوان فان أيس " استمار " ، ذلك رأى من جريدة الرقيب " السنة ٢ ، العدد ١٠٢ ، ٢٠٠٠ ربيع الاول ١٣٢٨ هـ / ٣١ مارس ١٩١٠ م ، ص ١ " ، اذ انها كتبت قبل أن يرسل تقريره بأسبوع واحد تطالب باستقصاد قوات حكومية من ولايات أخرى لمواجهة الاضطرابات القبلية لان الاوهم سيطرت على نفوس جنود الفيلق السادس المرابط فى العراق وأصبحت تسبب لهم ما يشبه الرعب عند صدامهم مع القبائل .

N.A.R.S., RG84, No. 19-A, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (٢)
at Const., Apr. 7, 1910.

خرج يوسف باشا وقواته من ثكناتهم بعد انسحاب المهاجمين فحصنوا المدينة وأحاطوها بالمباريس خوفا من عودة العشائر للهجوم عليها ، خاصة وان تلك العشائر ظلت ترابط حول المدينة وتتبادل إطلاق النار باستمرار مع القوات الحكومية الموجودة فيها . (١) ويبدو أن الحصار الذي ضربته العشائر حول الشطرة كان محكما فقد عزلت المدينة تماما عن المدن المجاورة مثل مدينة الحى التى كانت ترابط فيها كتيبة واحدة من المشاة ، ومدينة الناصرية التى كانت فيها تسع كتائب مشاة ، ولكن القوات الموجودة فى هاتين المدينتين لم يتيسر لهما نجدة الشطرة لان افراد العشائر سيطروا على الطرق المؤدية اليها . (٢) وقد أضر ذلك الحصار وماسبقه من احداث بأهالى الشطرة مما جعلهم ينقمون على يوسف باشا ويرفعون الى ولاية البصرة شكايات تحمله مسئولية ما حاق بهم من مصائب . (٣)

وتبرز أماننا هنا مرة ثانية ظاهرة التناقض بين موقفى والى البصرة وبغداد ، ففى حين تلقف الاول الشكايات التى وصلتته ضد يوسف باشا فاستنكر ما أقدم عليه من اجراءات بحجة انه لم يحطه علما بها ، أتصل الثانى بالناصرية برقيا وهد بأرسال التعزيزات اللازمة ليوسف باشا . (٤) وقد نفذ بالفعل ووده تلك فأرسل على الفور عددا من الجند وحدة مدافع آلية حديثه من بغداد الى منطقة الخراف (٥) ، كما أشار المقيم السياسى البريطانى فى

(١) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٩، وجعل الشبيبي فى ملحقه مددة الحصار الذى فرض على الشطرة مائة يوم كاملة ، وهو تحديد مبالغ فيه كما سيكشف لنا تسلسل الاحداث التالية.

(٢) IOR, L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910, P.5.

(٣) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٩.

(٤) محمود، مرجع مر ذكره، ص ١٤٥.

(٥) N.A.R.S., RG 84, No. 19, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 29, 1910.

بغداد الى تعزيزات اخرى أرسلت من العمارة والبصرة عبر نهر دجلة الى الكوت ومنها لمنطقة الخراف سالكة ذلك الطريق الطويل لتجنب المرور عبر طريق الناصرية - الشطرة الذي تسيطر عليه العشائر . وأعرب ذلك المقيم عن اعتقاده بأن الحكومة رغم كل تلك التعزيزات لن تكون قادرة على التحرك المؤثر في مناطق المنتفق حتى حلول فصل الخريف حيث تنخفض مياه الفيضانات التي كانت طاغية حينئذ في ذلك الجزء من البلاد . (١)

ولم يصدق توقع المقيم اذ مالت السلطات العثمانية لحسم المشكلة بشكل سريع ، ولعل الذي قوى لديها ذلك الميل انهيار البرقيات على وزارة الداخلية في استانبول من والى بغداد والبصرة والتي تطالب بانزال أقصى العقوبات بمشيري الفتن (٢) . ولى هذا صدرت الاوامر بتشكيل قوة بقيادة محيي الدين باشا وتوجيهها نحو الخراف لفض الحصار عن قوات يوسف باشا والتعاون معها في سحق حركة العشائر . وبالفعل تقدمت تلك القوات من الكوت على ظهر السفينتين " فرات " و " رصافه " ووصلت في العشرين من مايو ١٩١٠ م (المآشر من جمادى الاولى ١٣٢٨ هـ) الى قرية " البوليان " (٣) حيث أنزل الجنود هناك وسرعان ما شن عليهم أبناء العشائر الكامنون هناك هجوما مفاجئا ثبت الجند أمامه صدوه بصورة قوية ثم دمروا القرية بعد نهبها

(١) IOR, L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910, P.5.

(٢) برو، مرجع مر ذكره ، ص ٢٠٣ .

(٣) ينتمي البوليان لفخذ " عبودة العرب " من عشيرة عبودة ، راجع :

الحزاي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

وتقدمت القوة بمدها نحو قرية " البونجيم " (١) فدمرتها أيضا بعد أن طردت سكانها ، وهناك جدت عشيرة عبودة الهجوم بعد أن انضمت لها فسرق من بنى زيد واليوسعد ، ولكن المهاجمين سرعان ما تخاذلوا وهربوا من الميدان بعد قتال أستمرة ساعة واحدة عززت خلاله القوات الحكومية من السفينتين المرافقتين . وقد أنفتح الطريق بعد تلك المعركة لمحى الدين وقواته فدخلوا مدينة الشطرة وحدثوا فيها دمارا كبيرا . (٢) روى القنصل الأمريكي في بغداد أن تلك المعركة التي أشترك فيها الآلاف من أبناء القبائل قد جرت في الخامس عشر من مايو (الخامس من جمادى الاولى) وليس في العشرين من مايو (العاشر من جمادى الاولى) كما روى المقيم ، وأضاف أن القوات الحكومية تكبدت فيها خسائر كبيرة ، فرغم أن السلطات الرسمية لم تعلن عن تفاصيل خسائرها إلا أن وصول باخرة تحمل ستين جريحا إلى بغداد يمكن أن يدل على حجمها . (٣)

مزز ذلك الانتصار من مركز السلطات الحكومية في المنطقة حتى مالت بعض العشائر لهجر حلفائها السابقين وتقديم خضوعها للحكومة ، ومنهجا عشيرة بنى زيد التي جاء شيوخها إلى يوسف باشا في الحادى والعشرين من مايو (الحادى عشر من جمادى الاولى) فأقنمهم بالتعاون مع أنصار الحكومة من البوشمخي لقتال المعارضين . (٤) ويبدو أن ذلك هو ما حدث

(١) فخذ من عشيرة عبوده ينتسبون في الاصل لقبيلة شمر ، راجع: العزاوى :
عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(٢) IOR, L/p+s/10/188, Summary ... June 1910, P. 5. (٢)

N.A.R.S., RG84, No. 11 Am . Cons. at Bag. to Am. Amb. at
Const., May 26, 1910. (٣)

IOR, L/p+s/10/188, Summary... June 1910, P. 6. (٤)

بالفعل فقد خرجت القوات الحكومية والعشائر الموالية لها وأشتبكت مع قوات العشائر المعارضة في قتال عنيف جدا ، التحم المتقاتلون في بعض مراحلها في معارك بالسلاح الأبيض ، ترجحت بعدها كفة الموالين للحكومة فتمكنوا من إحراق مدد من القرى الصغيرة ، كما تمكنت كتيبتان من الجند من تدمير قلعة علىوى الخافور " كبير المتمردين " ، وقيل ان الخسائر بالارواح التي تكبدتها العشائر خلال ذلك كله كانت ضخمة (١) . وبلغت الانتباه هنا وصف المقيم السياسي البريطاني لعلىوى الخافور بأنه " كبير المتمردين " في الوقت الذي عرفنا فيه سابقا أن هذا الشخص نفسه كان سبب تأزم المشكلة حين أراد يوسف باشا أخذ مقاطعة الصديقة من خيون واعطاءها لـه ، ولكن يبدو أن عامل العصبية القبلية لديه تغلب على عامل المصلحة ، فأ انضم الى عشيرته حين رأى القوات الحكومية تنكز بها .

وهكذا استطاعت القوات الحكومية أن تفرض سيطرتها على منطقة الفراف بعد أن حققت نصرا واضحا لم يحل بينها وبين تحقيقه أطلاع العشائر على نواياها وتحركاتها من خلال تواطؤ بعض موظفي البرق مع تلك العشائر وامدادهم أيها بالمعلومات المطلوبة (٢) . ولا شك أن لتفوق القوات الحكومية على العشائر في مجالى التسليح وسرعة الحركة بالبوأخر أثرا كبيرا في تحقيق ذلك النصر الذي يجب ألا ننسى مساهمة العشائر الموالية في صنعه . أما في الجانب المقابل فقد كانت العشائر الممارضة تعاني من الحاجة للذخيرة والمؤن ، وما زاد في تلك الحاجة أن اتباع سعدون باشا الذي كان

Ibid. (١)

Ibid. (٢)

مقيما في الشامية أستولوا خلال ذلك على خمسة وشرين صندوقا من الذخيرة وكمية من التمر كانت مرسلة للعشائر المعارضة فسلموها للقائد العسكري في مدينة الناصرية (١) . ويبدو أن تلك الامدادات أرسلها عبد الله الفالسي السعدون على حد قول " الرقيب " التي حملته مسئولية الاحداث التي وقعت في منطقة الفراف ووصفته بالخيانة وطالبت الحكومة بقطع دابره . (٢)

ولقد كان لحوادث الفراف تأثيرات امتدت الى بقية مناطق لواء المنتفق ، فقد ذكر المقيم السياسي البريطاني في بغداد أن حوض الفرات الاسفل كان في أثناء جريان تلك الحوادث في حالة قلقه جدا ، وفي أواسط أبريل ١٩١٠ (أوائل ربيع الثاني ١٣٢٨ هـ) تطور الموقف هناك بشكل خطير حين هاجمت عشيرة حكام مدينة سوق الشيوخ . وعلى الرغم من أن سلطات اللواء أرسلت طابورا من القوات الحكومية لمعالجة الأمر إلا أن المواصلات بين ذلك المكان و " هور الحمار " (٣) أصبحت غير ممكنة . وخلق المقيم على تلك الاحداث قلقا انها ربما كانت نتيجة غير مباشرة لنقص هيبة السلطات

Ibid. (١)

(٢) الرقيب ، السنة ٢ ، العدد ١٢٠ ، ٢٠ جمادى الاولى ١٣٢٨ هـ / ٢٩ مايس ١٩١٠ ، ص ١٠ .

(٣) بحيرة تصب فيها الانوع الخمسة التي يتفرعها نهر الفرات بمعد مدينة سوق الشيوخ ، وتمتد نحو مدينة القرنة في الجنوب بطول ١٣٠ كلم و عرض ٤٨ كلم ، راجع :

جاسم محمد الخلف ، جغرافية العراق ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ص ١٧٩ - ١٨٠ .

العثمانية الذي نجم عن نكبة الشرطة (١). وقد مربنا كيف تأثرت القوات الحكومية من مرتكبيها ولم يتجاوز الأمر مرحلة التأثير الى مرحلة معالجة عواصم للاضطراب بالساعدة في ذلك اللواء البائس. أما الوكيل القنصلي الامريكى في البصرة فقد أعرب عن اعتقاده بأن استقرار الأمور في اللواء يعتمد كثيراً على ماسبيديه الوالى الجديد ناظم باشا من مقدرة على توجيه مسيـــــرة الأحداث (٢).

ناظم باشا وقبائل المنتفق

ربيع الثانى ١٣٢٨ - ربيع الاول ١٣٢٩ هـ / مايو ١٩١٠ - مارس ١٩١١ م

مر في الفصل الاول الظروف التي تم فيها تعيين حسين ناظم باشا لولاية بغداد وقيادة القوات في العراق، والأسس العامة التي وضعها لمعالجة المشكلة القبلية. ولقد وصل الوالى الجديد لمقر عمله بينما كانت القوات الحكومية تواصل بنجاح عملياتها الحربية ضد العشائر المعارضة في منطقة الفراف، تلك العمليات التي توجت بانتصار واضح للحكومة، مما جعل قبائل لواء المنتفق ترسل لناظم باشا معلنة استعدادها مستقبلاً لدفع الضرائب الحكومية المقررة عليها (٣). ويبدو أن ذلك العرض سهل عليه تطبيق المبدأ الرئيسى من مبادئ سياسته الا وهو جمع القوات الحكومية في بغداد فأصدر أوامره بسحب القوات الموجودة في لواء المنتفق (٤).

(١) IOR, L/p+s/10/188, Summary... April and May 1910, P.5.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 326, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., May 21, 1910.

(٣) Ibid.

(٤) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٩.

وقد ترتب على سحب القوات في المنتفق لجوء السلطات الى اتباع طريقة جديدة في استيفاء الضريبة المقررة على المنتجات الزراعية من الحبوب التي تشكل اغلبيّة انتاج اللوا ، اذ أمر وكيل متصرف المنتفق القائم مقامه ومدرّاه النواحي التابعين له في شهر يونية ١٩١٠ م (جمادى الآخرة ١٣٢٨ هـ) بأبلاغ القبائل في مراكزهم أن الحكومة لن تستوفي تلك الضريبة منها مباشرة في المستقبل ، بل سوف تستوفيها من التجار الذين يشترون الحبوب من القبائل ويرسلونها للبصرة لغرض التصدير ، فعند مرور السفن المائدة لهم والمحملة بالحبوب في مدينتي القرنة والحي تقوم السلطات الحكومية هناك بحصر حمولة كل سفينة واستيفاء الضريبة المقررة عليها وتزويدها بشهادة عدم معارضة كي تواصل سيرها (١) . ولا شك أن ذلك الاجراء أّسم بشيء من البراءة ، فهو يجنب الحكومة مؤونة الاحتكاك مع القبائل التي كانت تتهرب دائما من دفع تلك الضريبة ، ويجعل تلك القبائل تجرّص على التفاهم مع التجار على صم تلك الضريبة من السعر الذي يدفعونه لمنتجاتها الزراعية ولا فأن التجار سيتمتعون عن الشراء ، كما أن الجزء المخصص من تلك المنتجات لاستهلاك القبائل غذاءا أو علقا سيصبح معفوا من أية ضريبة وفي ذلك بعض التخفيف من اعباء حياتها .

ورغم ما في ذلك الاجراء من البراءة الا أن مبرره الاساسى هو ضعف سيطرة السلطات الحكومية في ذلك اللوا بمد انسحاب القوات طبقا لخطّة ناظم باشا ، وقد صور القنصل البريطاني في البصرة الاوضاع التي اعقبت ذلك الانسحاب تصويرا مأساويا حين كتب في الخامس والعشرين من يونية ١٩١٠ م (السادس عشر من جمادى الآخرة ١٣٢٨ هـ) : - " أن يوسف باشا الذى كان مسئولا

عن (الاصلاحات) هناك أعيد استدعاءه لبغداد ، ولقد سحبت كافة القوات ولم تترك الا كتيبة من " النيشانجى " فقط ، فأصبحت السلطة التركية هناك معدومة القوة تماما ولا يدكن ان تجمع الا برادات الحكومية . ولم يعد بأمكان البواخر والصنادل والقوارب أن تسير فى نهر الفرات الا اذا رافقها حماة من العرب والا اذا دفعت (مراضة) لآى من رجال القبائل الذى يعترضون مرورها ويقررون فرض الاتاوة عليها . ان قائمقام الرديف أثناء انحداره فى النهر هوجم على ايدى العرب واهين حين اسقط طربوشه ومزقت ملابسـه وسلب وبيـضق عليه . ووضح معاون المدعى العام فى الناصرية ، الذى وصل هنا للتو ، أن الحكومة أصبحت موضع سخرة العرب وان الموظفين يهانـون علنا فى الشوارع من قبل الرجال العرب ونساقهم أيضا ، فبينما كان متصرف الناصرية بالوكالة يمر منحدرا فى النهر بقارب تجارى يصحبه موافق عربى قذف بالاحجار وأطلقت عليه النار من الضفتين ، ان منظر الطربوش أصبح شيئا مقيتا وشعر تملوح به خارج أى من المدن ، ومن يقامر بلبسه يتهجم عليه ويسخر منه ، لذا أساقال العديد من الموظفين من مناصبهم . ولأن الحماية التركية سحبت من سوق الشيخ فقد أنزل المعلم من فوق الشكناة اذ لم يعد هذا العلم يوفر الحماية . قبل بأن المتأخرات من الضرائب التى تطالب بها الحكومة تقدر بأكثر من ثلاثمائة ألف ليرة تركية عن الفترة منذ سنة ١٣٠٠ وحتى هذا التاريخ .

وأضاف القنصل فى نفس تقريره قائلا :- " غادر الوالى الى المنتفى هذا اليوم للتباحث مع الشيخ ، وقد فهمت أن العرب خارج السيطرة تماما ، وحتى لو أمكن إعادة الشيخ أنفسهم للصواب فأن افراد قبائلهم مستساءون كلية من سوء الادارة المستمر فى اللواء وسوف لن يطيعوا رؤسائهم . ان السبيل الوحيد أطم الترك ، كما يهدولى ، هو التنازل عن تلك المتأخرات الكبيرة

من الضرائب والتي كان جزء كبير منها بلا ريب قد دفع فعلا ولكنه اختلس،
وارسال موظفين نظيفي الايدي لتنفيذ خطط عادلة مستنديين الى قسوة
طواري، تفرض تنفيذ أوامرهم عند الحاجة *، (١) فلا غزابة والحالفة
تلك أن قال أحد المعاصرين أن هيئة الدولة في لواء المنتفق انتهت تماما
بانسحاب قوات يوسف باشا (٢) .

ولمواجهة ذلك الوضع المتزدي ومحاولة إيجاد مخرج منه، سافر والسي
البصرة سليمان نظيف بك الى لواء المنتفق في السادس عشر من جمادى الآخرة
١٣٢٨هـ / ٢٥ يونيو ١٩١٠م عن طريق نهر الفرات فمضى سوق الشيوخ
ومكث فيها يوما واحدا ثم غادرها للناصرية حيث مكث فيها خمسة أيام ثم
توجه للشطرة ومكث هناك ثلاثة أيام، وكان برنامج اليومى خلال وجوده
في المدن الثلاث مزدحما بلقاءات مستمرة مع شيوخ القبائل والعشائر (٣). ويبدو
أن نتائج تلك اللقاءات كانت مشجعه لدرجة جعلته يهرق الى ناظم باشا
قبل ان يختتم زيارته ليعلمه أن قبائل اللواء قدمت له طاعتها وغضوبها (٤)،
فبما هي النتائج الفعلية التي تمخضت عن تلك الجولة ؟ .

لقد سجل القنصل البريطاني في البصرة تلك النتائج حمن كتب في الرابع
عشر من يولييه ١٩١٠م (السادس من رجب ١٣٢٨هـ) قائلا :- "عاد الوالى

PRO,FO 424/224, No. 38, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
June 25, 1910.

(٢) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٣٦٩ .

(٣) الرقيب، السنة ٢، العدد ١٣٩، ١٤٠ رجب ١٣٢٨هـ / ٢١ تموز ١٩١٠م،
ص ١٠ .

IOR, L/p+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq (٤)
during the month of July 1910, P.5.

من المنتفق في الثالث من الشهر الجاري، بينما وصل للناصرية موسى كاظم أفندي الذي عين مؤخرًا متصرفًا للمنتفق. لقد زار الوالي سوق الشيوخ والناصرية والشرطة ومقد اجتماعات مع الشيخ العرب، كما قيل أن الصلوات أقيمت على قبور الجنود الذين قتلوا في الصدام مع العرب. تشهد الشيخ بدفع المشهور عن سنتي ١٣٢٥ و ١٣٢٦، وحفظ الطرق مفتوحة، وأعادة بنادق الماوزر التي سلبت من الجند، وقد سمعت بأن اثنتي عشرة بندقيّة منها أعيدت بالفعل. كما قدم بعض الشيخ تعهدات مكتوبة تنص على تنفيذ تلك البنود وإعلان خضوعهم للحكومة العثمانية، وشكلت لجنة للتحقق من الأضرار والمنهوبات التي تكبدتها أهالي الشرطة نتيجة لهجمات العرب. يبدو الوالي متفائلًا، وقد أخبرني شخصًا برضاه عن نتائج زيارته، كما أخبر زميلي الروسي بأنه ليس لتركها من الرعايا من هم أفضل من عرب المنتفق. وقد علمت من مصادر أخرى بأن الإجراءات التي اتخذت ستكون غير ذات نفع لأن العرب لن يصغوا لشيوعهم^(١) ولا أدري أن كان حديث سليمان نظيف بك هذا عن افضلية عرب المنتفق يعني أنه قد غير موقفه الذي مررتنا سابقًا والداعي إلى استخدام الشدة مع القبائل^(٢) أم أنه كان مضطرا لتقبل الأمر الواقع الذي فرضه تصميم ناظم باشا على خطته.

هذا ومن ناحية أخرى، فإن ناظم باشا طبق في المنتفق الركن الأخير من أركان خطته وهو الاجتماع برؤساء القبائل وممارسة تأثيره الشخصي عليهم،

PRO, FO 424/224, No. 45, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
July 14, 1910.

(٢) راجع الفصل الأول، ص ١٤٤.

فقد وصل لبغداد في أوائل شعبان ١٣٢٨ هـ / أغسطس ١٩١٠ م **مزيد باشا** السعدون فقابل الوالى ، وتبرع قبل أن يقبل زاجعا بمبلغ خمسمائة ليرة مساهمة منه في جهود تطوير الفيلق السادس . (١) ثم تلاه **أبن أخيه** **عبدالله الفالح السعدون** فقابل الوالى أيضا ثم حذا حذو عمه بالتبرع بخمسمائة ليرة للفيلق وخمسين ليرة لبناء أحد المستشفيات بعد أن كان قد تبرع قبلها بثلاثمائة ليرة للاسطول . (٢) وجاء بعدهما **دور سعدون باشا السعدون** فوصل بغداد في رمضان ١٣٢٨ هـ / سبتمبر ١٩١٠ وأهتم به ناظم باشا اهتماما كبيرا ، جعل القنصل الأمريكى في بغداد يصف زيارته بأنها مهمة جدا لأنها المرة الأولى التى يزور فيها **بغداد** ، ثم بالغ القنصل بعض الشيء حين أضاف بأن المذكور كان فى الماضى يؤكّد دائما على أن مركزه لا يقل أهمية عن مركز الوالى وأن من واجب الأخير أن يقوم بزيارته بنفسه باعتباره أبرز السكان . (٣) ويلاحظ هنا أن مقابلات ناظم باشا قد أقتصرت على أولئك الرجال الثلاثة من آل سعدون دون سواهم من مشايخ المنتفق ، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأحد احتمالات ثلاثة ، أولها أن الوالى قد أعاد الاعتراف برعاية تلك الأسرة لاتحاد قبائل المنتفق

(١) **صدى بابل** ، السنة ٢ ، العدد ٦٠٥٢ شعبان ١٣٢٨ هـ ، ص ٢٠٢ .

(٢) **صدى بابل** ، السنة ٢ ، العدد ٢٠٥٤ شعبان ١٣٢٨ هـ ، ص ٢ ، والطريف أن جريدة الرقيب السنة ٢ ، العدد ١٥٣ ، ١٩ شعبان ١٣٢٨ هـ ، ص ٣ " وصفت **عبدالله الفالح** بمناسبة وصوله لبغداد بأنه " الكريم الكامل الذى عرف العموم فضله وكرمه وخدمته وإخلاصه لحكومته وطاعته لها . . . " ، متناسية أنها وصفته قبل ثلاثة أشهر فقط بالخيانة وطالبت السلطات بقطعه دابره .

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 172, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Sep. 8, 1910.

بعد أن كان ذلك الاعتراف قد سحب رسميا بعد أحداث سنة ١٢٢٨هـ / ١٨٨١م كما عرفنا ، وثانيهما أن مشايخ ائلات ذلك الاتحاد رؤساء عشائره قسدا تجنبوا الذهاب الى بغداد لحذرهم المورث من التعامل المباشر مع السلطات الحكومية ، وثالثها أن أولئك الرماة الثلاثة قد زاروا الوالى الجديد بمبادرة من انفسهم ، واذا استبعدنا الاحتمال الاخير لكوننا نعترف ان ناظم باشا كان هو الذى يبادر حسب خطته لدعوة الشيخ المختلفين للقائه فان الاحتمال الاول يبدو لى هو المرجح اكثر من غيره .

وليس بين يدى أى شىء محدد يشير الى طبيعة محادثات ناظم باشا مع أولئك الشيخ الثلاثة ، مما يجعلنى أميل الى الظن بأنها لم تخرج عن اطار العموميات التى عرفناها والخاصة بالحث على طاعة الدولة والاخلاص لها ، اذ لم تنقل المصادر ما يدل على أية اجراءات عملية تمخضت عنها ، وان كانت بعض المراجع قد أشارت الى ان ناظم باشا بعد ختام مقابلاته العديدة مع سعدون قد عينه متصرفا للواء المنطفى (١) . ولا يبدو أن لهذا القول سندا من الواقع ، اذ سبق أن عرفنا أن موسى كاظم أفندى قد عين متصرفا لذلك اللواء وأنه أستلم مهام منصبه قريبا من هذا الوقت . ثم أن أمرا مثل ذاك لوحدث لذكرته الوثائق ، ولما أغفلته الجرائد الصادرة فى بغداد والتي تابعت نشر أخبار زيارة سعدون ، فقد اكتفت " صدى بابل " وهى اكثر تلك الجرائد اهتماما بنقل تفاصيل تلك الزيارة ، بالقول عند سفره :- " وما بلغنا من همة انه سيبدل غاية سمية فى انتشار الامن فى تلك الانحاء ويحصل على سعادة تلك البلاد مما يأتى بخير جزيل للحكومة ولحضرتة ان شاء الله " (٢) .

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٧٨ ، وايضا :
Dickson, The Arab of the Desert, P. 556.

(٢) صدى بابل ، السنة ٢ ، العدد ٦٤ ، ٢٥ شوال ١٣٢٨ هـ ، ص ٢٠ .

ورغم كل ذلك فقد مال احد الباحثين الى ترجيح ان ناظم باشا قد اناط بسعدون مهمة أخضاع قبائل المنتفق والعمل على نزع سلاحها ونشر نفوذ الحكومة فى مناطق غرب الفرات (١) ، ولا تبدولى الاسس التى بنى عليها ذلك الترجيح مقنعة بشكل كاف .

وجدير بالذكر هنا أن الخطوط العريضة لسياسة ناظم باشا القبلية قد تعرضت لهجوم مرير من بعض الاوساط المحلية الساخطة التى اعادت لذلك الفرض كتيباً طبع فى القاهرة ووزع سرا فى بغداد على نطاق واسع خلال شهر أغسطس ١٩١٠م (٢) ، (شعبان ١٣٢٨هـ) وما جاء فى ذلك الكتيب :- " لقد استدعى ناظم باشا بعضاً من الرعما والشيخ العرب لمجلسه وهبدهم ثم اعادهم لدارهم ، والواقع ان شخصا عسكريا ذا ذكاء محدود مثل ناظم باشا لا يستطيع أن يتصرف بطريقة أخرى ، فلو كان رجلا حكيما لسأل الرعما عن سبب قتالهم ثم فكر فى بعض الوسائل لمنعهم كما يفعل الطبيب الجيـسـد حين يسأل المريض أولا ثم يفحصه ويشخص مرضه ويصف له الدواء . . . كما طلب من الرعما العرب أيضا دفع الضرائب الحكومية ولم يسألهم عما اذا كانت تلك الضرائب تجبى بصورة عادلة أم لا ولم يسألهم عن زراعتهم ، وهـسـن محاصيلهم . . . ولقد أمر العرب أيضا بجمع بنادقهم وتسليمها له ، وذلك أمر مستحيل التنفيذ لان ناظم باشا لم يشرح للعرب أسباب الأمر ولم يضمن لهم الحماية اذا ما سلموا اسلحتهم ثم تعرضوا بعد ذلك للهجوم . . . كما انه لم يستعلم من العرب عن اسباب قتالهم وغزواتهم المتبادلة وبذلك يحاول

(١) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦٢ .

(٢) IOR, L/p+s/10/188, No. 736/37, Conf. Gen. Lorrimer to Sir G. Lowther, Aug. 22, 1910.

ازالة أسباب الاضطراب ونشر السلام والأمن بين القبائل ، فلو انه فعل ذلك لكان من حقه الامر بجمع السلاح وتسلمه العرب اياه لانهم لن يكونوا بحاجة اليه . . . (١) .

ورغم ما هو ظاهر في ذلك النقد من قسوة جرهما سخط شديد ، الا أنني لا أملك الا الاقرار بأن هنالك شيئا من الحقيقة في ثناياه . فلو أنعمنا النظر في سياسة ناظم باشا لوجدنا أن هدفها الاساسي هو ايجاد فترة من الهدوء تكفي لتطوير الجيش واعداده لقمع ما قد يقع مستقبلا من الاضطرابات القبلية ، وما اتخذ من اجراءات عدا ذلك لم تكن الا وسائل مساعدة للوصول الى ذلك الهدف ، بحيث يمكن القول أن كل ما كان ناظم باشا يأمل الوصول اليه هو هدنة طويلة مع القبائل ، وليس حلا جذريا لمشكلتها ، اذ تجاهلت الاجراءات التي أقدم عليها جذر المشكلة الاساسي وهو نظام ملكية الاراضي الزراعية ، كما ظلت مشكلة متأخرات الضرائب المتراكمة في ذمة القبائل عاملا كامنا يمكن أن يوقع فتيل الصدام في أي وقت . ومهما يكن الحال فقد أدت سياسة ناظم باشا الى تهدة الوضع في لواء المنتفق حتى أن فتنة ولايته خلعت من أية حوادث خطيرة بين القبائل والحكومة او بينها وبين بعضها .

أوضاع المنتفق خلال سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م :

لم تكن هذه السنة تبدأ حتى اضطربت الاوضاع من جديد في ولاية البصرة ، ولم يكن مركز الولاية نفسه بعيدا عن تلك الاضطرابات ، اذ شهدت مدينة البصرة وضواحيها خلال شهر يناير ١٩١١م (محرم ١٣٢٩هـ) غارات تشنها مجموعات قبلية صغيرة بهدف السرقة عن طريق الاكراه تحت تهديد

السلاح مما أضر السلطات الى استقدام تعزيزات من الدرك من بغداد (١). أما لواء المنتفق فقد كان مسرحا لأضطراب أكثر خطورة بطلبه سعد بن باشا آل سعد بن ، وقد مر بنا كيف تمت هزيمته في معارك الغراف خلال سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م فعبر الفرات الى الشامية . ويبدو أن تلك الهزيمة كانت كافية لا قناعه بالكف عن التدخل نهائيا في شئون قبائل المنتفق القاطنة في الجزيرة ، فنصر نشاطه على الشامية جاعلا هدفه فرض سيطرته على قبائلها ، والتصدى لمن يعارض خططه فيها . لذلك دأب على شن " الغـزوات " على " الرولا " في تخوم بلاد الشام خلال سنتي ١٣٢٦ و ١٣٢٧هـ / ١٩٠٨ و ١٩٠٩م (٢) ، ودخل في صراع طويل مع شيخ الكويت مبارك الصباح توجهه بانتصاره البارز عليه في وقعة " هدية " في ربيع الاول ١٣٢٨هـ / مارس ١٩١٠م (٣) ولقد كانت ذراعاها الضاربتان في كل تلك الوقائع هما قبيلة " الظفير " (٤) وعشيرة البدور .

كانت قبيلة الظفير طوال الفترة الماضية مخلصه لسعد بن اخلاص كبرا (٥) ، ولكن ذلك الاخلاص انقلب في مطلع هذه السنة الى حالة مسن

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 330, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Feb. 4, 1911.

(٢) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٢٩ - ١٣١ وأيضا Glubb, War in the Desert, P. 115 والرولا فخذ كثير العدد من بطن ضنا مسلم من اتحاد قبائل عنزه في شمال شبه الجزيرة وبلاد الشام ، راجع :-

Musil, A., The Manners and Customs of the Ruala Bedouins, New York, 1928, P. 46.

(٣) السعدون ، مرجع مر ذكره ، ص ص ١٢٥ - ١٤١ .

(٤) قبيلة بدوية تقطن على حافة الصحراء قرب الفرات في المنطقة الممتدة بين السماوة شمالا والزبير جنوبا ، وهي تتكون من وحدات عشائرية

" تضافرت " فيما بينها ، راجع : Dickson, Kuwait..., P. 158.

(٥) لغة العرب ، السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩هـ / ايلول ١٩١١م ، ص ١١٣ .

العداء المستحكم ، ولم تعط المصادر سببا واضحا له ، فالوكيل القنصلى
الامريكى فى البصرة مثلا رده الى استياء الظفير من قلة ما خصه لهم سعدون
من الغنائم الوفيرة التى تم الحصول عليها فى معركة هديه سالفة الذكر ،
مما جعلهم يقررون عدم الوقوف الى جانب مستقبلا (١) . ورغم ما فى هذه
الرواية من وجاهة ظاهرة الا أننى لا أستطيع قبولها دون ابداء بعض
التحفظ ، فتلک المعركة حدثت فى ربيع الاول ١٣٢٨هـ / مارس ١٩١٠م واستمرت
بعدها علاقات التحالف قائمة بين سعدون والظفير شهرا طويلا آخرى ،
فالمقيم السياسى البريطانى فى بغداد وصف الظفير فى شهر ذى القعدة
١٣٢٨هـ / نوفمبر ١٩١٠م بأنهم حلفاء سعدون (٢) . كما أن الخلاف بين
الطرفين لم يظهر الا فى مطلع السنة التالية ، فلا يعقل أن يكون الظفير
قد كتموا استياءهم ولم يظهره الا بعد تلك المدة الطويلة . هذا ومن جانب
آخر فقد روى النبهانى أن سبب الخلاف صدام عرضى وقع بين أحد افراد
تلک القبيلة وأبن لسعدون (٣) ، وتوحى رواية احد المعاصرين بصحة
ذلك التعليل اذ كان السبب على حد قوله طفيفا ولكن اطماع سعدون ضخمة (٤) ،

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 357, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., May 15, 1911.

هذا وتفيد الروايات الشفهية القبلية المتداولة بأن سعدونا ترك كل غنائم
وقعة هدية للذين قاتلوا معه ، ولم يستصف لنفسه الا ما فتم من السلاح
فقط .

(٢) IOR, R/15/5/25, No. 1000/1910, P.R. in Turkish Arabia to the P.A. in Kuwait, Nov. 15, 1910.

(٣) النبهانى ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ .

(٤) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣١هـ / شباط ١٩١٣م ،
ص ٣٦٢ .

غير أن غلوب وهو عميق المعرفة بشئون قبائل الصحراء العراقية جعل ذلك الخلاف أمراً محتماً مهما كان سببه المباشر ، فتلك القبيلة وإن كانت معتادة دائماً على تقديم ولائها على البعد لشيخ المنتفق إلا أنها ألغت التحسّر في صحرائها من كل قيد ، فلا يمكن قسرها على تقديم الخضوع ولا ضمان على الدوام لذلك الشيخ الذي أصبح يعيش بينها خاصة وهو يتصف بشيء من المعجزة . (١)

وبغض النظر عن السبب المباشر الكامن وراء ذلك الخلاف ، فإن مظاهره أخذت تبرز للسطح ، وكان أولها مفارقة تلك القبيلة لسعدون ، إذ ارتحلت عن الموضع الذي كان نازلاً فيه خلال شهر محرم ١٣٢٩ هـ / يناير ١٩١١ م (٢) . ويبدو أنه قد ترتب على ذلك الرحيل تأزم الموقف لدرجة خطيرة مما دفع أمير حائل ابن رشيد لبذل مساعيه الحميدة بين الطرفين فأقترح عليهما تسوية تعهد الطرفان بقبولها (٣) . ولكنها لم تنفذ بعد أن رحل ابن رشيد عائداً لدهاره ، وقد اختلفت المصادر في سبب عدم تنفيذها ، فعلى حين قالت الروايات العربية أن ذلك عائد لتكر الظفير لا هم شروط التسوية المتفق عليها وهو خضوعهم المطلق لسعدون (٤) ، قال الوكيل السياسي البريطاني في الكويت أن السبب هو طمع سعدون وخطورته ، مما أدى إلى

(١) Glubb, War in the Desert, P. 72.

(٢) لغة العرب ، السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١ م ، ص ١١٣ .

(٣) IOR, R/15/5/25, No. C-25/C- 26, Extract from Kuwait News for week ending 5th April 1911.

(٤) خرتل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

تألب الظفير ضده وهزمهم على قتاله ، وهو الأمر الذي حاول سعد بن تجنبيه فرحل نحو الشمال ، ولكنهم تابعوه لانهاك قواه قبل مهاجمته ، خاصة وانهم سيطروا على الابار الواقعة على طريقه ومنعوه من الورد ثلاثة أو أربعة أيام حتى اضطر للتوقف منها من أثر العطش ، وندما هاجمه الظفير واستطاعوا اكتساحه لان انعامهم كانت ربا بينما أفضى العطش أنعامه ، ففر تاركا أمواله واثقاله فنيمة لهم بعد أن قتل من رجاله من لم يستطع الهرب. (١)

ولم يركن سعد بن بعد تلك الهزيمة للهدوء ، بل اخذ يتحين الفرصة للثأر ، وسرعان ما تهيأت تلك الفرصة حين أقترح عليه أحد انصاره من سكان " الزبير " (٢) وهو " محمد العصيمي " (٣) أن يرسل بعض قواته الى اطراف الزبير لمضايقة قوافل الظفير التي ترد لها للاشتياح (٤) . وقد روى الوكيل القنصل الاميركي في البصرة أن تلك القوافل لا تأتي بغرض الا متبارفقط وانما كانت تقوم بتجارة واسعة ، وانها كانت تصحب عادة بحماية مسلحة من أفراد

(١) IOR, R/15/5/25, No. C-25/C-26, Extract from Kuwait News for Week ending 5th Apr. 1911.

(٢) مدينة تقع في الصحراء على بعد ١٨ ميل جنوب غرب مدينة البصرة ، وهي المحطة الاولى في الطريق الممتد بينها وبين الكويت ونجد ، وهي سوق البدو في تلك المنطقة ، وسميت بالزبير لوجود قبر الزبير بن العوام رضى الله عنه فيها ، راجع : لغة العرب ، السنة ٨ ، ج ٤ ، نيسان ١٩٣٠ ، ص ٢٥٤ .

(٣) محمد بن براك العصيمي ، رجل من اهالي الزلفى في نجد ، ارتحل للعراق ، وحمل وكبلا لدى مؤهل باشا السعدون احد مشايخ المنتفق ، واحتمى بعد وفاة الاخير بسعدون باشا نتيجة لخلاف ثار بينهما وبين السيد طالب النقيب زعيم البصرة ، راجع : جريدة الجزيرة ، السنة ٢٠ ، العدد ٣٩٥٦ ، ١٩١٣ شوال ١٤٠٣ هـ ، ص ٨ .

(٤) خرنبل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٤١ وانظر ايضا لغة العرب ، السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١ م ، ص ١١٥ .

القبيلة بموجب اذن خاص نالوه من السلطات الحكومية وقد علل سبب أقدام سعدون على التعرض لها - اضافة الى رغبته بالتأثر - بحاجته الى المؤن لاعاشة رجاله المسلحين الذين كانوا محتشدين للصدام مع الامير عبدالعزیز آل سمود (١) وكان الامير قد قام في غضون هذا الوقت بغزوة على اطراف العراق هدفها التأثر من سعدون لما وقع في معركة هدية سالفة الذكر. (٢)

استجاب سعدون - على أية حال - لتلك النصيحة ، فأرسل قوة بقيادة ابن أخيه " يوسف بن عبدالله " ، أخذت تتعرض لقوافل الظفير ، ولكنها ما لبثت أن ضيقت الخناق خلال شهر جمادى الاولى ١٣٢٩ هـ / مايو ١٩١١ م على مدينة الزبير نفسها حتى انقطعت السبل بينها وبين مدينة البصرة وغلقت فيها الاطعمة ظلاماً فاحشاً (٣) ، فهاج سكان المدينة واضطرت سلطات الولاية الى ان ترسل اليها نجدة مؤلفة من حوالي مائة جندي ودية مدافع ميدان (٤) . وفيما كانت هذه الاحداث تجرى على ابواب مركز الولاية كان سعدون قد تورط في نزاع آخر اكثر خطورة في لواء المنتفق .

وقد تعددت الاقوال حول الاسباب الكامنة وراء ذلك النزاع ، فأشار بعضها الى ان سعدونا حاول باعتباره موظفاً حكومياً تجريد قبائل المنتفق

N.A.R.S., RG 84, No.357, Am. Cons. Agent at Basra to Am. (١)
Vice Cons. at Bag., May 15, 1911.

(٢) السعدون ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٢ - ١٤١ .

(٣) لغة العرب ، السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١ م ، ص ١١٥
وايضاً خرنل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

N.A.R.S., RG 84, No.357, Am. Cons. Agent at Basra to Am. (٤)
Vice Cons. at Bag., May 15, 1911.

من سلاحها الامر الذى أدى الى هياجها ضده مشجعة بأخبار هزيمته
الاخيرة على ايدى الظفير بينما أستغل خصومه اولاد فالج باشا السعديون
الفرصة فأججوا نيران ذلك النعاج (١). ولقد تحفظت سابقا على القول بأن
سعدون تولى منصبا رسميا، ويرجع تحفظي ذلك بقاؤه طيلة الفترة الواقعة
بين بداية سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م وبداية سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م في الصحراء
ولا يحقل ان يمارس موظف مهام منصبه وهو هناك. وأشار البعض الآخر الى
أن وصول ناظم باشا والاستبشار الذى أظهرته اسرة ال سعدون بقدر ومهنة
ومقابلاته مع زعمائها وما أشبع بين القبائل من انه منح تأييده لهم جعل تلك
القبائل تتخوف من ال سعدون عموما ومن سعدون باشا خصوصا (٢). ولا يمر هذا
القول بدون تحفظ مثل سابقه، اذ أن ناظم باشا وصل في ربيع السنة السابقة
ومقابلاته مع زعماء ال سعدون تمت في الصيف التالي، فلماذا أنتظرت القبائل
الى ربيع السنة التالية كي تعبر عن مخاوفها؟ ثم اذا كانت القبائل قد
تخوفت من ال سعدون عموما فلماذا اقتصرت سعدونا وحده بسخطها بينما
سلم منه أصحابها اللذان قابلا ناظم باشا قبله وهما مزيد باشا وصد اللـ
الفالج؟

وهي هذا فأتى أمل الى اعتبار هزيمة سعدون على ايدى الظفير
هي السبب في تأليب العشائر ضده، اذ كشفت عن ضعف موقفه فأحسن اعداءه

(١) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٩ و انظر أيضا Dickson, The Arab of the Desert, P. 556.

(٢) لغة العرب، السنة ١، ج ٣، رمضان ١٣٢٩هـ/ ايلول ١٩١١م، ص ١١٢،
وايضا خرنل، مرجع مر ذكره، ج ٢، ص ٢٤٠.

أن الفرصة مواتية لتصفية حسابات ضفائهم القديمة معه ، وأول من تلقف تلك الفرصة عشيرة البدور ، تلك العشيرة التي مرت علاقة سعدون بها في فترات مد وجزر ، فقد عرفنا أنه كان على خلاف معها في الفترة السابقة لسنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، ولكنه تمكن بعد ذلك - على ما يبدو - من إزالة أسباب الخلاف حتى أصبحت تلك العشيرة - مخلصة أو مضطرة - من القوى التي يعتمد عليها في معاركه ، ولم يلبث هذا الخلاف أن تجدد ثانية في أواخر سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، واستفحل تأمره نتيجة للموقف الذي اتخذته البدور من النزاع الذي نشب بين سعدون والظفير ، إذ أنهم وقفوا إلى جانب الظفير (١) . وقد علل الوكيل القنصلي الأمريكي في البصرة سبب اتخاذهم لذلك الموقف بتضامنهم مع الظفير في الاعتراض على قسمة غنائم معركة هدية . (٢) ولكنني اعتقد أن الأمر أعق من ذلك ، فبهوة ذلك الصراع الطويل الذي كان يخمد تارة وينشط تارة أخرى هي فيما يبدو والرغبة في الاستحواذ على الأرض ، إذ قام سعدون بعد أن نال العفو السلطاني سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م بإنشاء قلعة وضع فيها بعض أثامه في " المائعة " وهي ديرة البدور الواقعة على ضفاف نهر الفرات شمال مدينة الناصرية . (٣)

قرر البدور حسم أمر تلك القلعة فحاصروها ، ولكن سعدونا سارع حين وصله الخبر إلى إيفاد ابنه الأوسط " عجمي " لمعالجة الأمر ، فأستطاع فكك

IOR, R/15/5/25; No. C-25/C-26, Extract from Kuwait news (١) for Week ending 5th April, 1911.

N.A.R.S., RG 84, No. 357 Am. Cons. Agent at Basra to, Am. Vice Cons. at Bag., May 15, 1911. (٢)

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٥١ .

الحصار من القلعة واتخذها مقرا لاقامته ، ولم يجد البدور ازاء ذلك الا التظاهر بالاذعان بعد أن اتفقوا سرا على السعى لاغتيال عجمي عند أول فرصة سانحة والسيطرة بعد ذلك على القلعة . ولكن خبر المؤامرة وصل لعجمي فأخذ يحطات حتى لا يؤخذ على حين غرة واصبح يقابل زياراتهم له بريبة وشك (١) . وفي هذا الجو السسم بالكراهية والظنون جاء تسعة من رعايا البدور لزيارته في ١٢ ديسمبر ١٩١٠م (عيد الاضحى سنة ١٣٢٨هـ) فقام باعتقالهم ثم قتلهم صبرا ، (٢) بعد أن أصر والده على ذلك . (٣) وعلى الرغم مما تبع ذلك الحادث فبين قتال محدود سواء بين عجمي والبدور في الحائفة او بين سعدون وبينهم في الصحراء (٤) ، الا أن الصراع لم ينفجر على نطاق واسع بين الطرفين في هذا الوقت .

ولا ريب أن فقد البدور لابرز شيوخهم قد أدى الى تأخير ظهور رد فعلهم الى ان تتوفر لهم قيادة بديلة ، كما أن استمرار سعدون محتفظا بقوة ومكانته قد ساهم في ذلك التأخير . ولكن انباء هزيمة سعدون على أيدي

(١) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ص ١٤١ - ١٤٤ .

(٢) PRO, FO 424/226, No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

هذا وتختلف الروايات في عدد اولئك الشيوخ المقتولين ، ففي حين قال النبهاني " مرجع مر ذكره ج ١٠ ، ص ١٤٢ " أن من اعتقلوا كانوا سبعة قتل ستة منهم ، قالت لفة العرب " السنة ١٠ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩هـ ، ص ١١٦ " أن القتلى كانوا سبعة ووافقها فياض " مرجع مر ذكره ، ص ٥٠ " على ذلك ، ولكن المزاري " عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٩٥ " جعل عدد القتلى خمسة فقط .

(٣) النبهاني ، مرجع مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٤٢ .

(٤) IOR, R/15/5/25, No. 109/111 of 1911, Extracts from Kuwait News for Week ending 14th Feb. 1911.

الظفير سرعان ما أنتشرت ، فقرر البدور اغتنام الفرصة للتأثر لقتلهم ، سيما وان والى البصرة لم يصغ لمطالبهم بمعاوية سعدون على جريمته الشنعاء متأثرا بما القاه في روجه محمد العصيمي وكلل سعدون في البصرة من ان القتل سي كانوا يحرضون على اشغال فتن ذات عاقبة وخيمة على الحكومة . (١) وقد جمل هذا الموقف قبائل المنتفق تمل الى تصديق ما نشر بينها من روايات عن سائدة الحكومة لسعدون ومن عزمها على ارسال القوات لمعاونته ضدها ، لذلك تحركت وفرضت الحصار على عجمي ومن معه في قلعة المائعة . (٢) ولم يقتصر ذلك التحرك على البدور فقط بل كانت الثورة ضد سعدون شاملة لاجلب عشائـر المنتفق في جانبي الشامية والجزيرة ، الأمر الذي أضطره لطلب تدخل السلطات الحكومية لفك الحصار عن القطعة واصل المؤن للمحاصرين فيها . (٣)

أستجاب والى البصرة لطلب سعدون فجهز حملة مؤلفة من السفينة المصفحة " فرات " والقارب المصفح " برنجي " وتطلان ثلاثة مدافع وحوالى مائة وتسعين جنديا يقودهم الرائد على أفندى . وقد غادرت تلك الحملة البصرة عن طريق نهر الفرات في ١٧ مايو ١٩١١م (التاسع عشر من جمادى الاولى ١٣٢٩هـ) وكان الهدف المحدد لها هو حماية مدينة الناصرية

(١) PRO,FO 424/226, No. 34, Acting Cons Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 360, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., June 20, 1911.

هذا وفي حين حدد الوكيل القنصلى الأمريكى هوية المحاصرين في القلعة بأنهم عجمي وأتباعه ، ذكر وكيل القنصل البريطانى في البصرة في المصدر السابق المذكور اعلاه أن سعدونا نفسه كان ضمن المحاصرين ولكنه تمكن من الخروج من القلعة واتجه الى الخميسية . وهذا يخالف أيضا المصروف المتواتر من الروايات الشفهية القبلية .

(٣) لغة العرب ، السنة ١ ، ج ١ ، رجب ١٣٢٩ ، ص ٣٤ وأيضا خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

وفك الحصار عن قلعة المائعة ، وقيل ان تصل تلك الحملة الى وجهتها تعرضت لهجوم شن عليها شمال مدينة سوق الشيخ أسفر عن سقوط قتيلين وسبعة جرحى من جنودها ، بينما قتل سبعة من المهاجمين . ولكن الحملة رغم ذلك واصلت سيرها واستطاعت أن تخترق الحصار وتنزل المؤن في قلعة المائعة . ولم تلبث سلطات الولاية أن عززتها فأرسلت في السادس من يونيه (السابع من جمادى الثانية) السفينة المصفحة " رصافه " وهي تحمل أربعة مدافع ومائة جندي أرتموا حال وصولهم في اتون القتال الذي كان متواصلا بين القوات الحكومية والعشائر. (١)

هذا وبعد أن كان سعدون مقيما منذ هزيمته على يد البدور في " الحماديات " على حافة الصحراء ، عاد وانتقل بعد حدوث التطورات الآنفة الذكر في المائعة الى مركز اللوا في الناصرية ، وما أن سمعت العشائر بذلك حتى اتجهت بجموعها لمحاصرة تلك المدينة (٢) ، فوفقت في احكام الحصار حولها ابتداءً من التاسع عشر من يونيه (٣) ، (العشرين من جمادى الثانية) في الوقت الذي سرت فيه روح التخاذل في صفوف القوات الحكومية المحاصرة هناك ، فأخذ ضباطها يرفضون الامتثال لأوامر قيادتهم بالخروج من المدينة لمواجهة المحاصرين ، لانهم لا يريدون التضحية برجالهم في

(١) PRO,FO 424/226, No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

(٢) لغة العرب ، السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١ م ، ص ١١٥ و ١١٩ وأيضا فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٢ .

(٣) PRO, FO 424/226, No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

قتال يجرى من جانب واحد. (١) وإزاء ذلك اضطرا أهالى المدينة لاخت زمام المبادرة فشكّلوا من بينهم وفدا ذهب لمفاوضة رؤساء العشائر الذين اعلنوا أن مطلبهم هو إخراج سعدون من المدينة والا فأنهم سيضطرون لتخريبه — وقتل من فيها. فطلب الوفد منهم مهلة ثلاثة أيام لتدبير الأمر، وقد جرت بعد عودة الوفد محاولة لتحسين الوضع الدفاعى فى المدينة مما اغضب العشائر (٢). فشنت هجوما على المدينة فى الثانى والعشرين من يونيه (الثالث والعشرين من جمادى الثانية) ، ولكن القوات الحكومية تمكنت من صدّه بالتعاون مع مدفعية السفن الثلاث " فرات " و " رصافة " و " برنجى " . (٣) وهكذا لم يجد سعدون بدا من مغادرة المدينة الى حيث يقم ابن عمه مزيد باشا على مقربة منها (٤) ، بعد أن أمنت له الحماية فى الطريق عشيرة " ال ابراهيم " . (٥)

ومن المفيد الاشارة هنا الى تكرار ظاهرة التضارب فى مواقف السلطات الحكومية المكلفة بمعالجة المشكلة ، ففى حين كانت سياسة والى البصرة هى اعطاء سعدون كل ما يطاقه من مساندة ، كانت الأوامر التى أرسلتها القيادة العسكرية

PRO,FO 424/226, No. 95, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, (١)
Aug. 23, 1911, Inclosure No. 2.

(٢) خزنة ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

N.A.R.S., RG 84, No. 363, Am. Cons. Agent at Basra to Am. (٣)
Vice Cons. at Bag., July 12, 1911.

PRO,FO 424/226, No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. (٤)
Marling, June 30, 1911.

(٥) خزنة ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ ، وآل ابراهيم عشيرة تنتمى لثلاثت
بنى مالك من الاثلاث المكونه لاتحاد قبائل المنتفق ، وهى تقطن فى
الارض الواقعة حول مدينة الناصرية . راجع :-
العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٣٧ - ٣٨ .

في بغداد الى قائد القوات في الناصرية توصي بعدم اثاره العشائر والعمل من اجل تهدئة الخواطر ، وقد أستبعد وكيل القنصل البريطاني في البصرة احتمال تحقيق مثل هذا الهدف مالم تكف السلطات المدنييه عن مناصرة سعدون (١) . ولكن توقعه كان بعيدا عن الواقع بعض الشيء ، فقد أدى خروج سعدون من الناصرية الى انفراج في الوضع المتأزم وتم التوصل الى هدنة لمدة شهرين بين القوات الحكومية والعشائر (٢) ، رفع على اثرها الحصار المفروض حول المدينة . وما سهل الوصول الى تلك الهدنة نقص الذخيرة لدى العشائر يقابله في الجانب الحكومي نقص الفحم اللازم لتشغيل السفن (٣) .

وفي الوقت الذي كانت فيه تلك الاحداث تجري على مسرح المواجهة بين سعدون والقوات الحكومية من جانب والعشائر من جانب آخر ، لم تكن الاحوال في المناطق الاخرى للواء المنتفق بأحسن مما كانت عليه هناك . فقط استغلت العشائر الصغيرة فرصة الاضطراب الكبير وانشغال الحكومة بمعالجته لتحصيل الاتاوات من كل السفن المارة في نهر الفرات ونهب بعضها وقتل ملاحيا (٤) . ولذلك أصبحت الملاحة في ذلك النهر خطيرة بل وشبه مقطوعة خلال شهرى

PRO,FO 424/226,No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. (١)
Marling, June 30, 1911.

N.A.R.S., RG 84,No.363, Am.Cons. Agent at Basra to Am. (٢)
Vice Cons. at Bag., July 12, 1911.

PRO,FO 424/226,No.35,Acting Cons. Mathhews to Mr. (٣)
Marling, July 8, 1911.

N.A.R.S., RG 84, No. 363,Am. Cons. Agent at Basra to (٤)
Am. Vice Cons. at Bag., July 12, 1911.

(١) مايو ويونيه (جمادى الاولى والثانية) وحين ظلت هذه الحالة قائمة حتى شهر سبتمبر (رمضان) أضطر "أغا جعفر" صاحب امتياز تشغيل السفن التجارية بين البصرة وبغداد في نهر الفرات الى سحب سفنه جميعها من ذلك النهر (٢). والأخطر من انقطاع الملاحة في نهر الفرات في دلالة ما جاء في رسالة وصلت لوكيل القنصل البريطاني في البصرة وأفادت أن العشائر المحيطة بمدينة الشطرة أرسلت لموظفي الحكومة هناك تطلب منهم أن يجفوا لها حصة من رواتبهم طالما انها هي التي تسمح لهم بالاستمرار في أعمالهم ، ولقت الرسالة على ذلك الطلب بالقول رغم انه تهديد فقط الا انه يظهر المدى البعيد الذي يفصل الحكومة عن هدفها المتمثل في اخضاع القبائل (٣).

هذا ومن جانب آخر فإن الهدنة التي عقدتها القوات الحكومية مع العشائر لم تكن شاملة للقلعة المائعة على ما يبدو. فقد استمر القتال بين عجمي ابن سعدون وأنصاره في تلك القلعة من جانب وبين البدو وحلفائهم من جانب آخر ، الأمر الذي جعل السلطات الحكومية تبحث برسالة قوبلة الى عجمي تحمله مسؤولية ما يجري هناك ، ولكنها لم تستطع ان تفعل أكثر من ذلك لانها لم تكن تملك الوسائل الكافية لوضع حد لتلك الحالة (٤). ويجدر

PRO,FO 424/226, No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911. (١)

N.A.R.S., RG 84, No. 371, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., Sep. 10, 1911. (٢)

PRO,FO 424/226, No. 95, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, Aug. 23, 1911, Inclosure No. 2. (٣)

N.A.R.S., RG 84, No. 363, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 12, 1911. (٤)

التساءل هنا عما اذا كانت تلك الرسالة مؤشرا يدل على تحول في موقف السلطات الحكومية تجاه سعدون . الظاهر ان الأمر كان كذلك بدليل رضى تلك السلطات لطلب العشائر وموافقتها على اخراجه من الناصرية ، كما أن التطورات التالية ستكشف المزيد من الدلائل الاكثر وضوحا ، فاذا كان الامر كذلك ، فما هي الدواعي الكامنة خلف ذلك التحول ؟

لعل السلطات الحكومية لاحظت العداء الشديد الذى اظهرته اغلب قبائل المنتفق لسعدون ، وادركت المأزق الكبير الذى وضعت نفسها فيه من جراء مساندتها له ، فقد جرت عليها تلك المساندة عداء القبائل ولم تؤد بالمقابل الى نجاح سعدون فى فرض سيطرته على معارضيه . هذا بينمنا بذل أولئك المعارضون مساع حثيثة للتفريق بين موقفهم من سعدون وموقفهم من الحكومة . وقد تمثلت تلك المساعي فى العرائض التى والوا تقديمها للسلطات الرسمية ومنها عريضة مؤرخة فى ٢٦ مايو ١٩١١م (السابع والعشرين من جمادى الأولى ١٣٢٩هـ) وقعها لفيف من رؤساء عشائر المنتفق وقام بتقديمها نيابة عنهم الى والى البصرة أفا جعفر صاحب السفن العاملة فى نهر الفرات (١) . وقد تضمنت تلك العريضة شكواهم من المعاملة السيئة التى كانوا يلقونها على يد سعدون ومن اقدامه على ذبح رؤسائهم البارزين كما تضمنت اتهامه باستيفائه منهم سنويا الاموال الحكومية من عشور وزكاة واستثثاره بها لنفسه . وأشارت العريضة الى ان المذكور كان يسعى للاستقلال عن الدولة ، ويريد موقعة حصارهم لقلعة المائعة بكونه اجراء

(١) PRO,FO 424/226, No. 34, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, June 30, 1911.

يهدف لحماية أنفسهم بعد أن أتضح لهم ميل موظفي اللواء لجانب سعدون .
وظالبوا الوالى باتخاذ تلك القطعة ثكنة عسكرية حكومية او هدمها ، وتعهدوا
مقابل ذلك بدفع جميع الضرائب المستحقة عليهم للحكومة وحماية الطرق وهدم
التعرض للتجارة . (١) كما قدمت عريضة أخرى الى والي بغداد والبصرة
وقسمها أربعة عشر شيخا شرحوا فيها تطور علاقتهم بال سعدون عمومـــــا
وسعدون باشا خصوصا ، وشكوا من انحياز سلطات اللواء لسعدون . وظالبوا
بأغلاء قلعة الطائفة ، والا فانهم سيضطرون للاتحاد مع الظفير ومبارك الصباح
شيخ الكويت . وشددوا على ضرورة تعيين موظفين غير منحازين في لواء المنتفق
قبل أن تسوء الاوضاع وتصبح ولاية البصرة مسرحا للاجانب . (٢)

كما تعرضت السلطات المركزية في استانبول من جانب آخر لضغط مماثل ،
عبرت عنه مذكرة قدمها أربعة من نواب بغداد والعمارة والمنتفق الى رئاسة
مجلس المبعوثان شرحوا فيها الوضع المضطرب الذى تعيشه القبائل العراقية
عموما ، ووزوه الى نقل ناظم باشا المتعجل من العراق قبل أن يتمكن من
تنفيذ خططه الاصلاحية ، الأمر الذى سبب بأس القبائل من الحكومة

PRO,FO 424/226, No. 43, Mr. Marling to Sir E. Grey, (١)
July 26, 1911 Inclosure No.2.

يتضح من أسلوب هذه العريضة والعريضة التالية أن كاتبيها ذوو هوى
سياسى مما يدل على انه من أوساط المتعلمين لا من القبائل ، وقـــــد
استخدم كل مهارته لاثارة سخط السلطات على سعدون ، ورغم أن ما ذكره
عن سعى المذكور للاستقلال من الدولة كان من باب التهويل ، الا انه
يدل على ان طموحات ذلك الرجل كانت كبيرة ومعروفة للملأ .

(٢) راجع نص العريضة فى : لغة العرب السنة ١ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول
١٩١١ م ، ص ١١٨ . ولعل اشارة موقعى العريضة للاجانب كانت تهديدا
مبطنا بامكانية اتصالهم بالبريطانيين ، يرجع ذلك ما ذكره عن التحالف
مع الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت الذى كان حينئذ عدوا لسعدون
من ناحية ، وحليفا لبريطانيا من ناحية أخرى .

ولجوها إلى المصيان ، وخاصة في لواء المنتفق الذي سمي " دار الحرب " نتيجة تكرار حوادث المصيان فيه . وعلم للنواب الأربعة مذكرة عنهم بالطائفة بتعيين طائفة ليدافعوا البصرة بطلعين على أحوال القبائل وشكلان اللغاة العربية ، واختار موظفين للولاية من ذوي الإخلاص والتجربة . (١)

ولعل ذلك كله هو الذي دفع السلطات العليا في الدولة نحو إعادة النظر في سياستها المتبعة في لواء المنتفق ، فشكلت لجنة لهذا الغرض مؤلفة من ثلاثة أعضاء عسكريين هم العقيد عزت بك والرائد أحمد أفندي والطلام حسين حلمي وثلاثة أملاء مدنيين هم المدعي العام لمحكمة استئناف البصرة ومتصرف لواء العمارة وقائم مقام قضاء القرنة ، وقد باشرت اللجنة مهمتها حين وصلت للبصرة في الثالث عشر من نوليه ١٩١١ م (السادس عشر من رجب ١٣٢٩ هـ) فعقدت عدة اجتماعات توصلت إثرها إلى قرار مفادونه أنه ليس بتحقيق إلا قاعدة قليلة من قيامها بمنزلة لواء المنتفق المضطرب مادام سعدون باشا مطلق للسراح . وقد علق وكيل القنصل البريطاني في البصرة حلي فاستدركه القرار بقوله : - أن وجود سعدون قرب مدينه البصرة أمر معروف ولكن اللجسسوه الى القوة لاعتقاله أمر لم يجز التفكير فيه لان اللجنة أخذت في الاعتبار ما طين ، اولهما أن حامية البصرة العسكرية كانت تتألف حينئذ من مائتي جندي فقط يعيشون في ضائقة مادية نتيجة لتأخر دفع رواتبهم شهرا كاملا ، وثانيهما أن أخبار اعتقال سعدون - اذا عرفت - فستجلب بضع مئات من رجال القبائل الفاضيين والمسلحين جيدا الى داخل مدينة البصرة نفسها . (٢)

(١) راجع نص المذكرة في : صدى بابل ، السنة ٢ ، العدد ٩٣ ، ٤ شعبان ١٣٢٩ هـ / ٣٠ تموز ١٩١١ م ، ص ٢٠ .

(٢) PRO, FO, 424/226, No. 30, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling , July 28, 1911.

وبجدر قبل الامام بما فعلته اللجنة لتطبيق قرارها المذكور، التوقف قليلا للتعرف على كيفية وصول سعدون الى جوار مدينة البصرة، فقد مسسر سابقا انه غادر مدينة الناصرية وحمل ضيفا على ابن عمه مزيد باشا. ويبعدو انه فكر هناك في المصير الذي آل اليه، فهذه تفكيره الى وضع المسئولية على قبيلة الظفير لانها هي التي جرأت عليه بقية القتال، لذلك غادر مضارب ابن عمه وجر نهر الفرات الى الشامية بهدف الانتقام من تلك القبيلة (١). ولكن وكيل القنصل البريطاني في البصرة تشكك في ذلك واعرب عن اعتقاده فسنرى ان اتجاهه نحو الظفير لم يكن الا مظهر قوة هدفها التضليل، اذ انه حين وجد نفسه عاجزا من جمع قوة كافية لمواجهة العشائر الثائرة ضده، فسادر اللوا على رأس الف وخمسائة رجل من اتباعه واتجه بهم نحو الزبير تحت ستار السعي للاحقة الظفير. (٢)

وقد جر ذلك التحرك سعدون الى حثفه، اذ تصادف أن وصل فستسي الثالث من يولييه (السادس من رجب) الى مدينة البصرة فاقبها في مجلس الصعوثان السيد طالب النقيب قادما من استانبول (٣). وحينما علم سعدون بذلك كتب اليه باعتباره صديقا له يسأله أن كان هنالك أي مانع لحول بيته

(١) لغة العرب، السنة ١، ج ٣، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١ م، ص ١١٩.

(٢) PRO,FO 424/226, No. 39, Acting Cons Matthews to Mr. Marling, July 28, 1911.

(٣) PRO,FO 424/226, No. 35, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, July 8, 1911.

وبين زيارة البصرة ، فجاءه الرد ترحيبا بزيارته للبصرة ونفيا لوجود أى خطر يهدد سلامته هناك (١) . ويبدو أن غاية سعدون من الذهاب للبصرة كانت هى السعى للحصول على مساعدة الوالى (٢) ، وهذا يدل على ان سعدون لما لم يكن ملما بتغير موقف السلطات الحكومية تجاهه . وروى الوكيل القنصلى الأمريكى فى البصرة من جانب آخر أن السيد طالب هو الذى يادرالى دعوة سعدون لزيارة البصرة ضمن له سلامته هناك (٣) . وربما لم يكن هناك تعارض بين الروايتين السالفتين اذ يحتمل أن تكون مصادر معلومات الوكيل قد نقلت له الشق الثانى مما حدث أى تأكيدات السيد طالب وأغفلت الإشارة إلى ما سبقها .

وتختلف رواية وكيل القنصل البريطانى فى البصرة بعض الشئ عن الروايتين السابقتين معا ، فقد ذكر أن والى البصرة علم فى الخامس عشر من يولييه (الثامن عشر من رجب) بأقتراب سعدون باشا من الزبير حين جاءته الشكاوى من تلك المدينة اثر مناوشة وقعت بين سعدون وخصومه بالقرب منها ، فاستغل الوالى الفرصة ووجه الدعوة لسعدون للحضور إلى البصرة لمقابلته ، ولم يلب سعدون الدعوة على الفور بل كتب إلى السيد طالب

(١) لفة العرب، السنة ١، ج ٣، رمضان ١٣٢٩ / ايلول ١٩١١ م، ص ١١٩ وأيضاً خول، مرجع مر ذكره، ج ٢، ص ٢٤٥ .

(٢) النبهانى، مرجع مر ذكره، ج ١٠، ص ١٤٥ .

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 47/28, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Dec., 9, 1912.

يخبره بعزمه على النزول في ضيافته خلال وجوده في البصرة. وذلك هو ما حصل بالفعل حين دخل المدينة في العشرين من يولييه (الثالث والعشرين من رجب) تاركا اتباعه في قرية صغيرة تبعد عدة ساعات الى الشمال. وفي عصر اليوم التالي ذهب الى السراى بدعوة من الوالى، ولكنه أخبر عند وصوله بأن الوالى ينتظره على ظهر السفينة الحربية "مرميس"، فلم يساوره الشك لكونه ضيف السيد طالب من ناحية ولانه متمتع بحطف السلطات الحكومية من ناحية أخرى. وتوجه إلى السفينة وبصحبة حرس شرف مكون من رائد الدرك وأربعة من رجاله، وحين صعد الى ظهر السفينة ظل هناك ساعتين ينتظر دون نتيجة مقابلة الوالى فضجر وأراد المفادرة ولكنه أخبر بأن سيظل ضيف الوالى في الوقت الحاضر. وكانت التعليمات الصادرة لطاقم السفينة تقضى بحراسته حراسة مشددة ومنع أى اتصال بينه وبين الشاطىسى. وفي الثاني والعشرين من يولييه (الخامس والعشرين من رجب) نقل من مرميس الى السفينة التجارية العائدة لاغا جعفر "مسعودى" حيث فادرت به على الفور الى بغداد. ولم يكن اختيار تلك السفينة قد تم اعتبارا بل قصدا منه الايحاء بأن سعدونا قد اعيد للناصرية لان سفن اغا جعفر كانت تعمل في نهر الفرات وتمر بالناصرية. (١)

(١) PRO,FO 424/226, No. 39, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, July 28, 1911.

وهناك رواية تناقض تماما ما جاء في المتن، فهي تقول ان السيد طالب وصل بالسفينة مرميس الى سوق الشيخ، ودعا هناك سعدونا لوليمة على ظهر السفينة التي ما كاد ان يصعد اليها حتى تحركت به على الفور الى البصرة حيث سلم للسلطات هناك. راجع:

الطاهر، المشائر العراقية، ص ٨٠ وأيضا Dickson, The Arab of the Desert, P.557.

وصل سعدون بغداد وظل فيها ، رهن الاعتقال في احد المنازل (١) ، الى أن ارسل في الخاص والعشرين من شعبان ١٣٢٩ هـ / العشرين من أغسطس ١٩١١ م تحت الحراسة المشددة الى مدينة حلب لمحاكمته هناك (٢) ، بتهمة اختلقت المصادر في تحديدها . ففي حين قال احد المعاصرين المظلمين انها كانت الاشارة على مدينة الزبير وسلب مواشيها (٣) ، قال الوكيل القنصلي الامريكي في البصرة انها كانت التسبب في اثاره الاضطرابات في لواء المنتفق (٤) . وتبدو التهمة الاخيرة اكثر منطقية وانسجاما مع تسلسل الحوادث من سابقتها ولكن سعدونا تنصل - على ما نقلته عنه احدي الجرائد - من المسؤولية عنها وهذا اضطرابات لواء المنتفق الى تهاون الحكومة مع القبائل التي انتشرت بينها الاسلحة على نطاق واسع ، والى تعيين موظفين غير اكفاء لادارة اللواء . (٥) وقد طالبت تلك الجريدة على أية حال بمحاكمته محاكمة عادلة لاتؤثر فيها اقارب ذوي المقاصد سواء كانوا معه او ضده . (٦)

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 471, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. Agent at Basra, Aug. 9, 1911.

(٢) لغة العرب، السنة ١، ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١ م ، ص ١٢٠ .

(٣) سليمان فيضي ، في غمرة النضال ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ١٠٥ .

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 365, Am. Cons. Agent at Basra to Am. Vice Cons. at Bag., July 25, 1911.

(٥) صدى بابل ، السنة ٢ ، العدد ٩٦ ، ٢٥ شعبان ١٣٢٩ هـ / ٢٠ آب ١٩١١ م ، ص ٢ .

(٦) صدى بابل ، السنة ٣ ، العدد ١٠٧ ، ١٣ ذى الحجة ١٣٢٩ هـ / ٥ تشرين الثاني ١٩١١ م ، ص ٣ .

ولم يقدر لتلك المحاكمة أن تتم ، اذ توفي المتهم في الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩١١م (الثالث من ذى الحجة ١٣٢٩هـ) نتيجة لاصابتـه بـ " سكتة دماغية وهبوط في القلب " حسب رواية والى حلب للقنصل البريطاني هناك (١) ، ونتيجة لاعطائه السم كما هو معتقد عموماً (٢) . وهكذا خلعت ساحة لواء المنتفق من ذلك الرجل ذى الطباع العنيفة والشجاعة الفائقة الذى جردته ظمرسته من اصدقاؤه واحداً اثر الاخر (٣) . وقصد لاحظ الوكيل القنصلى الأمريكى فى البصرة أن الراحل كان عظيم المساعدة للحكومة العثمانية خلال السنوات القليلة السابقة ، وبدون خبرته ومساعدته ربما وجدت السلطات المحلية نفسها مـثـورطة فى مشاكل أسوأ من تلك التى واجهتها مؤخراً . (٤)

أما وقد ختمت صفحة تلك الحياة المليئة بالنشاط المتدفق والصراع العنيف ، فلا بد من وقفة أمام سؤال يفرض نفسه من الهدف الذى كان يحرك ذلك الرجل ويدفعه لخوض تلك المعامع ، فلا يحفل أن تكون كل تحركاته مجرد زوابع هوجاء دون هدف ما يكمن وراءها جميعاً . وليس هناك من يصور هذا الهدف أكثر من الشاعر الذى لازم سعدونا وأصبح لسان حاله الذى عبر فى قصائده الكثيرة عن آرائه وأهدافه ، الا وهو الشاعر النبطى

IOR, L/p+s/10/212, No. P-600/1912, Summary of Events in (١) Turkish Iraq for the month of Dec. 1911, P.1.

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٨٠ وأيضاً Dickson, The Arab of the Desert, P.557.

(٣) Glubb, War in the Desert, P. 72.

N.A.R.S., RG 84, No. 365, Am. Cons. Agent at Basra to (٤) Am. Vice Cons. at Bag., July 25, 1911.

المشهور " محمد بن عبدالله العنوي" (١). فلقد أظهرت تلك القصائد بوضوح أن سعدونا كان يسعى لأحياء مشيخة آبائه واجداداه وفرض الاعتراف بها والخضوع لها مجدداً على قبائل المنتفق (٢)، التي رفضت من جانبها بأصرار العودة إلى الأوضاع التي كانت سائدة قبل سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م. تلك الأوضاع التي كانت تسبب أزدواجاً مربكاً في السلطة بين الحكومة العثمانية وآل سعدون، صبر عنه الشاعر القبلي بلهجة الداريجة أوضح تعبير حين قال :- " الله بلانا بلوتين مابين أفندم ومحفوظ". (٣) وهكذا لم يكن هنالك يد من اصطدام الأزداتين وصراعهما فترة من الزمن صراماً عنيفاً، لم يحسمه إلا تدخل السلطات الرسمية بصورة نهائية ضد أحد طرفيه. وقد اتسم موقف تلك السلطات حيال ذلك الصراع بشيء كثير من التناقض، فبمقد أن كان هدفها الذي سمت إليه أعواماً طويلة وصادفت فيه نجاحاً كبيراً كما مر هو تحطيم أسس تلك المشيخة، نجد أنها في فترة بحثنا تقف في أحيان كثيرة إلى جانب سعدون المطالب بأحياء المشيخة وفرض سيطرتها من جديد، ثم لم تلبث في آخر الأمر أن حجبت تأييدها عنه بل وأوردته موارد التهلكة. واعتقد أن مرد ذلك التناقض هو المبدأ النفسى الكامن وراء تحركات تلك السلطات، فهي مع سعدون حين تقدر أن وقوفها معه يحقق لها بعض الفائدة، وهي ضده حين تنتفى تلك الفائدة أو تكاد.

(١) شاعر من أهل بريدة، نشأ في فترة الاضطراب السياسى في نجد التي أعقبت وفاة الإمام فيصل بن تركي آل سعود سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، واتصل في حدود سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م بسعدون، وظل ملازماً له ولا ينفك مجمى من بعده، ثم انتقل بعد سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م لآل رشيد في حائل. توفي سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م. راجع: محمد سعيد كمال "جامع وناشر"، الأزهار النادية في اشعار البادية، ط٦، الطائف، بدون تاريخ، ج ٥، ص ١-٦.

(٢) كمال، مرجع مر ذكره، ج ٥، ص ٤٨، وما بعدها.

(٣) فياض، مرجع مر ذكره، ص ٥٣. وترمز كلمة " أفندم " للموظف التركي، بينما ترمز كلمة " محفوظ " للشيخ من آل سعدون.

وتحسن العودة الآن لمتابعة اعمال اللجنة الحكومية التي مرانها وصلت
 للبصرة وعلقت مباشرة اعمالها الى ان يعتقل سعدون ، ولذلك فما أن اعتقل
 المذكور في الحادى والعشرين من يوليه (الرابع والعشرين من رجب) حتى
 غادرت البصرة في اليوم التالي الى الناصرية لتقصي الحقائق على الطبيعة
 في لواء المنتفق . وقد علق وكيل القنصل البريطاني في البصرة على سفرها
 قائلا :- انه طالما تعمل تلك اللجنة بأعتدال ولباقة وتحجم عن مناقشة أمور
 مثل جمع الاسلحة النارية ودفع متأخرات الضرائب فإن العداء الذى أظهر
 مؤخرا لسعدون وانصاره سيتحول نحو السلطات بصورة مكشوفة ، واضاف
 أن الوقت الذى ستتوقف فيه الفوضى في الفرات الادنى مازال بعيدا ، وان سياسة
 ترضية تبدو هي الطريقة الوحيدة الممكنة أمام السلطات لاستعادة قدر من
 الهدوء هناك (١) .

دققت اللجنة بعد وصولها في الاوضاع السائدة في لواء المنتفق ، وتوصلت
 الى تشخيص السبب الاساسى الكام وراء كل الاضطرابات التى مرت على ذلك
 اللواء ، الا وهو مشكلة الارض الزراعية ، والمتعلقة في وضع عدد قليل من
 الشيخ المتنفذين لا يديهم على الاراضى التى كانت تعتبر ملكا مشاعا للقبيلة .
 واوصت باعادة توزيع الاراضى الزراعية توزيعا عادلا والدخول في علاقات مباشرة
 مع افراد القبائل دون حاجة الى وساطة الشيخ (٢) . وعلى الرغم من سلامة
 التشخيص وصواب العلاج المقترح من الناحية النظرية ، فإن السلطات الحكومية

(١) PRO,FO 424/226, No. 39, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling, July 28, 1911.

(٢) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٧٩ - ٨٠ أيضا
 Dickson, The Arab of the Desert, P. 557.

لم تضعه موضع التنفيذ على ما يبدو ، اذ لم أجد لذلك أثرا في المصادر والمراجع التي بين يدي . ولعل ذلك عائد الى ان الظروف الموضوعية السائدة حينئذ وبرزها قوة جذور النظام القبلي وضعف قوة الحكومة لم تكن تسمح بالاقدام على خطوة جذرية مثل تلك ،

ولم تقف الجهود الحكومية عند حد ايفاء تلك اللجنة الى لواء المنتفق فحسب ، بل أن السلطات لجأت في الوقت نفسه الى تعزيز وضعها العسكري في ذلك اللواء . فأرسلت كتيبتين من الجند تتألفان من حوالي ١٤٠٠ رجل الى منطقة الغراف وكتيبتين أخريين تضمان حوالي ١٥٠٠ رجل الى مدينة الناصرية . كما أرسلت لمتصرف المنتفق في الحادي والعشرين من يولييه (الرابع والعشرين من رجب) أوامر برقية تقضى باعتقال عجمي بن سميدون الذي كان ما يزال معاصرا في قلعة المائعة (١) ولكن عجمي استطاع الإفلات فأكتفت السلطات الرسمية بإصدار قرار يعتبره خارجا على القانون (٢) . وقد أدى انتهاء مشكلة قلعة المائعة الى هدوء الاوضاع تدريجيا في لواء المنتفق حتى أن السلطات وجدت في السابع والعشرين من نوفمبر ١٩١١م (الخامس من ذي الحجة ١٣٢٩هـ) انه لم تعد هنالك ضرورة لبقاء الفوج الذي وضع في تلك القلعة فحسب منها الى البصرة على ان يتلوه سحب عدة كئائب أخرى من ذلك اللواء . (٣)

(١) PRO,FO 424/226, No. 39, Acting Cons. Matthews to Mr. Marling , July 28, 1911.

(٢) الطاهر ، المشائر المراقية ، ص ٨٠ وايضا Dickson, The Arab of the Desert , P. 557.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-600/1912, Summary ... for the Month of Dec. 1911, P. 3.

التطورات في لواء المنتفق بين سنتي ١٣٣٠ - ١٣٣٢ هـ /

١٩١٢ - ١٩١٤ م

اتجهت الاحوال في لواء المنتفق مع بداية سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م الى الهدوء فقد عين في اولها متصرف جديد لادارة اللواء وهو المقدم فريد بك ضابط ركن لواء خيالة بفداد (١)، فأثبت الرجل جدارة واضحة في عمله الجديد جعلت اللواء يصبح اكثر هدوءا خلال الشهرين التاليين (٢). ولكن ذلك الهدوء تعكر بعودة عجمي بن سعدون للظهور على الساحة مجددا بعد أن تغيب عنها بعض الوقت. وتحسن قبل الالمام بسر تغيبه ذاك القول أن وفاة والده بالشكل الذي مر قد اوجدت شيئا من التأثير العام في صفوف قبائل المنتفق حتى تلك التي كانت معارضة له (٣)، ولم يستطع عجمي استثمار هذا التيار لفتح صفحة جديدة من العلاقات مع القبائل تؤدي الى تهدئة مخاوفها واستقطاب ولائها. ولكنه وجه همه الى الناحية المعاكسة مستجيبا لقاعدة الثأر القبلي المعروفة، فأصبح هدفه هو استكمال مبادئ والده من سعى لمعاينة قبيلة الظفير. وهو أمر وجد بعد لخروجه من المائعة أن قوة الذاتية قاصرة عن تحقيقه، فأتجه الى حائل واستنجد بأمرها سعود الرشيد (٤)

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1093/1912, Summary.. for the month of Jan, 1912, P.1.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. 2325 A, Summary... for the months of March and April 1912, P.2.

(٣) Longrigg, Op.Cit., P. 56; Dickson, The Arab of the Desert, P. 557.

(٤) يبدو ان استجابة ابن رشيد لطلب عجمي كانت وليدة عاطفين، أولهم التقاليد القبلية التي تلزم المستغاث به بنجدة المستغيث، وثانيهما وجود حلف واقصى بين ال رشيد وسعدون منذ أوائل سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م. راجع: السعدون، مرجع مذكره، ص ١٢٧.

الذى هب لنجدته وسار معه على رأس قواته لطلاقة الظفير فى مارس ١٩١٢م (ربيع الاول ١٣٣٠هـ) ، وقد جرت بين الطرفين معركة عنيفة ، (١) تكبد فيها الظفير خسائر فادحة فى الارواح قدرها احد شهود العيان بالالف وسبعمائة قتيل (٢) . ورغم ما قد يبدو فى هذا التقدير من مبالغة الا ان المرجح أن خسائر الظفير كانت كبيرة نظراً للتفوق العددي لاعدائهم ، فبالإضافة الى أتباع ابن رشيد من قبائل شمر فقد شارك فى المعركة أيضا قسم من قبيلة مطير ومن تبع عجمي من قبائل المنتفق (٣) .

وقد خدمت تلك المعركة بصورة غير مباشرة السلطات الحكومية فى اللواء خدمة كبيرة ، إذ أحست بعض العشائر بعدها بحاجتها الى الحماية الحكومية تجاه سطوة ابن رشيد وعجمي ، فبادرت الى استرضاء السلطات بدفع ما عليها من ضرائب (٤) . ويبدو أن ذلك قد دفع متصرف المنتفق فريد بك لاعادة النظر فى الموقف الحكومى : من عجمي ، خاصة وأنه آس منه ميلا لجمعية الاتحاد والترقى التى كان المتصرف احد أعضائها النشطين (٥) ، فسعى لتحقيقه لذلك الى اصدار عفو حكومى عن عجمي ووفق فى مسماه الذى ترافق أيضا مع مسعى مماثل بذله ابن رشيد لدى الاوساط الحكومية العليا فى استانبول (٦)

IOR, L/p+s/10/212, No. 2325, A; Summary... for the months (١) of March and Apr. 1912, P. 13.

(٢) كمال ، مرجع مر ذكره ، ج ٥ ، ص ٨٧ .

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2840/1912, Summary... for the (٣) month of May 1912, P. 11.

IOR, L/p+s/10/212, No. 2325 A, Summary... for the months (٤) of March and Apr. 1912, 13.

(٥) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٨١ .

(٦) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٢ ، شعبان ١٣٣٠هـ / آب ١٩١٢م ، ص ٧٤ .

ولا ريب أن مكانة عجمي في أوساط قبائل المنتفق قد تعززت من جراء النصر الذي حققه على الظفير ونيله للعفو الحكومي .

ولكن تلك المكانة اهتزت حين أقدم عجمي على عمل صدم الرأي العام القبلي وأجج نار النزاع القديم مع أبناء عمه الأدنين . فقد تصادف أن نزل عليه مزيد باشا السعدون مناصراً له في صراعه مع الظفير (١) ، فوسوس لـه الشيطان أن يستولي على ثروة نزيلة ، فأعتقله في أواخر أكتوبر ١٩١٢ م (منتصف ذي القعدة ١٣٣٠ هـ) ، وسلب ماله من نقود قدرت بواحد وسبعين ألف ليرة . الأمر الذي جعل عبدالله الفالح ابن أخى المنهوب يحباً قواته البالغة خمسة آلاف رجل ويثبها بالصير بها لمعاوية عجمي واستمادة الأموال المنهوبة منه أن أمكن (٢) . وفي غضون ذلك استطاع مزيد باشا الإفلات من قبضة خصمه واخذ يطوف بين العشائر يؤولبها على عجمي ويدعوها لمنازلته ، فالتفت حوله كل القوى الناقمة على عجمي (٣) . ولكن حظ الأخير أنقذه من المواجهات إذ تصادف أن سقط خصمه مزيد باشا عن ظهر ذلوله وتوفي بعد ستين يوماً (٤) .

وإذا كانت مشكلة عجمي مع اقربائه قد انتهت اوجمادت على ذلك النحو ، فإن مشكلة المزممة مع قبيلة الظفير ظلت حية بالرغم من النصر الذي ناله بالتعاون مع ابن رشيد ، ولذلك سميت السلطات الرسمية لانها " تلـكـتـهـا "

(١) المزوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٣٠ .

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-4798/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for Oct. 1912, P.3.

(٣) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣١ هـ / نيسان ١٩١٣ م ، ص ٤٧٣ .

(٤) المزوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ .

المشكلة ، فبذل قائمقام " السماوة " (١) مساعيه بين الطرفين خلال شهر أبريل ١٩١٣ م (جمادى الاولى ١٣٣١ هـ) حتى استطاع أقناعهما بقبول تسوية لخلافتهما (٢) . ولكن تلك التسوية لم تكن الا مجرد هدنة مؤقتة اذ ما أن حل شهر ديسمبر ١٩١٣ م (محرم ١٣٣٢ هـ) حتى اغار عجمي على مضارب تلك القبيلة في الصحراء الممتدة قرب مدينة البصرة (٣) . ثم تكرر الصدام مرة ثانية في شهر فبراير ١٩١٤ م (ربيع الاول ١٣٣٢ هـ) وكانت نتائجه هذه المرة لخير صالح عجمي (٤) . وبلاحظ هنا أن جريدة " الزهر " التي كانت تصدر في بغداد ناطقة بلسان الفرع المحلي لجمعية الاتحاد والترقي كانت تصف حينئذ القوى القبلية المناوئة لعجمي بعبارة " اعداء الحكومة " (٥) ، مما يشير إلى قوة التأييد الذي ناله عجمي من تلك الجمعية وهو أمر ستأتى تفاصيله في الفصل التالي .

ومن الجدير بالذكر هنا أن تتبع نشاط عجمي خلال الفترة الواقعة بين مغادرته قلعة المائعة وقيام الحرب العالمية الأولى يظهر أنه قصر ذلك النشاط على جانب الشامية غرب الموصل ولم يمتد إلى المناطق في أحداث جانب الجزيرة الذي تقطنه أغلبية قبائل المنتفق ، حتى أنه رفض أن يشر

(١) مركز قضاء تابع لسنجق الديوانية ، يقع على نهر الفرات على بعد حوالي خمسين ميلا جنوب الديوانية وسبعين ميلا شمال مدينة الناصرية ، راجع : لوريير ، مرجع مذكوره ، القسم الجغرافي ، ج ٦ ، ص ٣١١٧ - ٣١٢٢ .

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2785/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for the month of May 1913, P.3.

(٣) IOR/L/p+s/10/212, No. P-1416/1914, Summary of Events in Turkish Iraq during Nov. and Dec. 1913 and Jan. 1914, P.4.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2097/1914, Summary during Feb. and March 1914, P. 5.

(٥) لغة العرب ، السنة ٣ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣٢ هـ / أبريل ١٩١٤ م ،

أكتوبر ١٩١٢م (ذى القعدة ١٣٣٠هـ) تلبية طلب صديقة متصرف المنتفق
فريك بك بالانضمام للقوات الحكومية التي قدمها الى منطقة الخراف (١) ولا ريب أن
ذلك بعد اعترافا من جانب عجمي بالامر الواقع وهو فقدانه لاي نفوذ ذي شأن
بين قبائل تلك المنطقة ، وحرصا من جانبه على عدم تكرار تجارب والده ١٤٠٠ جزيرة
مع تلك القبائل . ولا يجيب هنا اغفال ما أشار له البعض من وجود تقسيم
واقعي لمشيخة المنتفق حينئذ ، ففي حين كان عبدالله الفالح يعتبر شيخا
للأهل الجزيرة كان منافسه عجمي يعتبر شيخا لأهل الشامية . (٢)

ولكن يبدو أن عجمي لم ينل حتى في جانب الشامية تأييدا واسعا من
العشائر القاطنة هناك ، الامر الذي دفعه الى الاعتصام بقوى من خارج
قبائل المنتفق لتميز موقفه تجاه خصومه . والا مثله على ذلك كثيرة منها ما ذكر
عن استعانته بأبن رشيد ، ومنها ضمه لبعض اهالي القصيم وبعض قبيلة مطير
برئاسة ابن ماجد ، (٣) وضمه " الهزازنة " أيضا بعد أن قدمهم له محمد
المصيمي (٤) ، ولعل ذلك هو العامل الذي جعله حريصا في هذه الفترة
على كسب ود شيخ الكويت مبارك الصباح (٥) ، وأمر نجد عبد العزيز آل سعود (٦)

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P-4798/1912, Summary... for Oct. 1912, P.2.

(٢) Dickson, Kuwait..., P.218.

(٣) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣١هـ / شباط ١٩١٣م ، ص ٣٦٢
والسنة ٣ ، ج ٩ ، ربيع الثاني ١٣٣٢ / آذار ١٩١٤ ، ص ٥٠٤ .

(٤) صدى بابل ، السنة ٥ ، العدد ٢٢٦ ، ٤ ربيع الآخر ١٣٣٢هـ / ١١ آذار
١٩١٤ ، ص ٢ . والهزازنة من قبيلة عنزة ، كانوا أمراء الحريق في جنوب نجد ،
وتحركوا ضد الأمير عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م فأخمد
حركتهم وهما عنهم ، ولكنهم عادوا للتحرك ثانية بعد ثلاث سنين نشطت
شطهم هذه المرة . ، راجع أمين الريحاني ، الاعمال الكاملة ، المجلد
الخاص ، تاريخ نجد الحديث ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٩٤ - ١٩٦ .

(٥) لغة العرب ، السنة ٣ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣٢هـ / نيسان ١٩١٤ ، ص ٥٦٠

(٦) صدى بابل ، السنة ٥ ، العدد ٢٢٣ ، ٢٨ صفر ١٣٣٢هـ / ٢٥ كانون الثاني

١٩١٤م ، ص ٣ .

وهو يفسر وقوفه الى جانب النجديين حين نشب النزاع بينهم وبين سكان مدينة سوق الشيخ في نوفمبر ١٩١٣م (ذى الحجة ١٣٣١هـ) فأرسل رجاله يقاتلون معهم أهل تلك المدينة (١).

واذا ما تركنا عجمي ونشاطاته جانبا وأمعنا النظر في اوضاع بقية القوى القبلية في لواء المنتفق ، وجدنا أن الهدوء الذي ساد اللواء خلال الشهر القليل التالي مباشرة لتعيين المتصرف فريد بك قد تبدد تدريجيا . ففي شهر سبتمبر ١٩١٢م (شوال ١٣٣٠هـ) سجن ذلك المتصرف أحد كبار عشيرة الحسينات بتهمة السرقة فتدخل شيخ تلك العشيرة في الامر وطالب بإطلاق سراح المعتقل . وحين لم يتلق ردا على طلبه أخذ أفراد عشيرته بالتحالف مع عشائر البدو و " الفزى " (٢) والعساكرة يشنون غارات نهب وسلب في المناطق المجاورة لمركز اللواء دون أن تكون للسلطات الرسمية القوة الكافية ليقاهاهم. (٣)

وكانت منطقة الفراف من ناحية أخرى مسرحا لأضطراب واسع بين عشائرها سببه النزاع على الاراضي كان حينئذ المبيد شيخ العبودة يو جج نيرانه بمحاربة العشائر بعضها على حساب بعض (٤) . بينما وقفت السلطات

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1416/1914, Summary... during Nov. and Dec. 1913 and Jan. 1914, P. 4.

(٢) عشيرة تنسب أصلا لقبيلة الفضول النجدية ولكنها أنضوت تحت لواء ثلاث الاجود من قبائل المنتفق بعد أن توطنت على الضفة اليمنى لنهر الفرات بين سوق الشيخ والناصرية والدراجي ، راجع : الطاهر، العشائر العراقية ، ص ١٨١ .

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-4424/1912, Summary of Events in Turkish Iraq during the month of Sept. 1912, p. 1.

(٤) الطاهر، العشائر العراقية ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

الرسمية موقف العاجز الى أن قرر متصرف الناصرية فريك بك أخيرا التحرك لمواجهة الموقف ، فقاد قواته نحو خيبر في أكتوبر ١٩١٢م (ذى القعدة ١٣٣٠هـ) ، ولكنه منى بالهزيمة وخسر عشرين قتيلًا من قواته . ولمسؤولا ماعنته المشاعر من نقص حاد في الذخيرة لا قدمت بعد ذلك على حركات حربية واسعة حسب اعتقاد القنصل البريطاني في البصرة . (١) وبمسند و ان المتصرف لجأ بعد اخفاقه ذاك الى اللعبة المعهودة التي طالما لجأ اليها اسلافه من قبل ، وهي ضرب القوى القبلية ببعضها . اذ أشارت احدى الجرائد - في مرضى أشادت بها به - الى انه حين رأى كثرة عصيان القبائل أحتمل للامر حتى انقضى العداءة بينها (٢) . والغريب أن ينشر هذا الأمر الخطير على صفحات الجرائد دون أن تبادر جهة مسئولة الى تكذيبه او تبريره على الاقل وكأن الجميع يسلمون بصوابه .

وجاءت سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م بحامل جديد زاد من تردى الوضع وشيوع القلق العام ، اذ كان انتاج الحبوب في الموسم الزراعى المنصرم سيئا جدا لدرجة أستوردت معها الحبوب من الهند الى العراق (٣) . ممسسا ادى الى ارتفاع الاسعار المحلية للقمح من أربعة مجيديات تقريبا للوزنة الواحدة " ٢٢٠ ر ٧٤ باوند " في عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م الى ثمانية مجيديات في يناير ١٩١٣م ، (صفر ١٣٣١هـ) فمر القطر في ازمة غذائية شملت البشر

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P-4798/1912, Summary... for Oct. 1912, P. 2.

(٢) لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٥ ، ذى القعدة وذى الحجة ١٣٣٠هـ / تشرين الثاني ١٩١٢م ، ص ٢١٣ .

(٣) N.A.R.S., RG 84, File No. 861-3, No. 66, Am. Cons. at Bag. to the Sec. of State, Jan. 14, 1913.

وقطعان الماشية (١). وما زاد في سوء الوضع الاقتصادي العام أن الانتاج العالمي من الحبوب كان خلال سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣ م وفيها وخاصة فسي الحقل الروسية والامريكية فلم يستطع التجار العراقيون نتيجة لذلك تصدير ما اشتروه من حبوب الموسم الزراعي الجديد عدا كميات قليلة جدا صدرت الى جده ، الأمر الذي أدى الى ندرة كبيرة للنقود في البلاد (٢). وقد انعكست هذه الضائقة الاقتصادية على وضع الخزانة الحكومية المنهكة أصلاً حتى أن رواتب الموظفين كانت في شهر سبتمبر ١٩١٣ م (شوال ١٣٣١هـ) متأخرة الدفع شهرين ونصف الشهر عن موعدها المقرر. (٣)

وفي تلك الاثناء أيضاً وقع في زاوية قصية من مسرح الأحداث حوادث سياسية ترك بعض الأثر على الوضع القبلى سواء في لواء المنتفق أو في بقية المناطق المجاورة ، الا وهو قيام الأمير عبد العزيز آل سعود بأجلاء القوات الحكومية المتمركزة في سنجق الاحساء وذلك في مايو ١٩١٣ م (جمادى الآخرة ١٣٣١هـ). وخلق القنصل الامريكي في بغداد على تأثير ذلك الحادث بقوله :- " أن العرب في هذا الجزء من تركيا ربما وجدوا في نجاح ابن سعود في الاحساء ما يشجعهم على العصيان ، ورغم انه ليس هنالك ما يدل على ذلك لحد الآن ، الا أن خسارة الاحساء هي بلا شك ضربة فعلية لهيبة تركية في هذا الجزء من البلاد سيكون لها تأثير على العرب هنا (٤). وشارك

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 861-3, No. 85, Am. Cons. at Bag. to the Sec. of State, April 12, 1913.

(٢) RG 84, File No. 610, " Foreign Trade of the Baghdad Consular District in 1913 ", P.5.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary ... Sept. 1913, P. 3.

(٤) RG 84, File No. 800, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., May 22, 1913.

القنصل البريطاني في البصرة زميله الأمريكي في ذلك الاعتقاد حين قال :-
 "أن احتلال الاحساء من قبل ابن سعود سيكون له - برأى السيد طالب -
 انعكاس طبيعي على العرب في بغداد والبصرة . . . ان من السابــــــــــــــــق
 لأوانه في هذه المرحلة التنبؤ بتأثيره ، ولكن يتحتم على الاعتقاد بأن أخباره
 ستسبب تأثيرا عميقا وواسع النطاق". (١)

ولرب سائل يسأل هنا عن موقف السلطات الحكومية العليا تجاه تسردى
 الاوضاع سواء بين قبائل المنتفق او في ولاية البصرة عموما ، فهل اكتفت
 تلك السلطات بردود الافعال تجاه مايقع من حوادث ، أو انها حاولت القيام
 بدور ايجابي فاعل يعالج أسباب الاحداث قبل وقوعها ؟ يبدو مما رواه
 القنصل الأمريكي في بغداد في شهر أبريل ١٩١٣م (جمادى الاولى ١٣٣١هـ)
 أن تلك السلطات حاولت القيام بذلك التحرك الايجابي ، إذ شكلت
 لجنة أصلاحية برئاسة لطفى بك معاون والى بغداد مهمتها اقتراح الاصلاحات
 اللازمة أداريا وعسكريا في ولايات العراق الثلاث . وقد غادرت تلك
 اللجنة بغداد الى البصرة عن طريق نهر دجلة مروا بلواء العمارة ، وكان
 برنامجها ينص على عودتها عن طريق نهر الفرات مروا بلواء المنتفق
 وقد علق القنصل على تشكيل تلك اللجنة وسفرها بقوله :- " يبدو أن الناس
 هنا لا يولون تلك اللجنة الا القليل من الاهتمام او الثقة فهناك شـــــــــــــــــور
 بأن أفكار الترك عن الاصلاح سوف لن تمس الحاجات الحقيقية للبلد بالرغم
 من ان تعيين اللجنة ربما كان نتيجة مباشرة لمطالب العرب باللامركزية .
 أن المظلمة الرئيسية للحرب هي الضرائب الباهظة على الاراضى الزراعية

PRO, FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
 May 18, 1913.

وكون العرب يتعذر عليهم واقعا أن يكونوا ملاكا مستقلين آمنين في امتلكهم .
 أن معظم الاراضى الزراعية في ولايتى بغداد والبصرة (عدا نجد) مملوكة
 للحكومة بصورة مباشرة ، والايجاز الذى تتقاضاه الحكومة على هذا النوع
 هو خمسا الانتاج الزراعى تقريبا ويقتسم مناصفة بين الحكومة والملاكين
 الكبار " . (١) والغريب أن المقيم السياسى البريطانى فى بغداد أعطى
 رواية مفادها عن طبيعة عمل تلك اللجنة حين أشار الى تشكيلها من لطفى
 بك وجمال باشا مفتش الدرك ومعهما شخص ثالث وذكر سفرها الى البصرة
 فى العاشر من ابريل ١٩١٣ م (الثانى من جمادى الاولى ١٣٣١ هـ) وحدد
 هدفها بأنه تنظيم الدرك والشرطة فى ولايات العراق الثلاث (٢) . وأمسك
 أمام هذا التعارض فى الروايتين الى ترجيح الرواية الأخيرة ، اذ لم يصلنا
 شئ . محدد عن النتائج التى توصلت اليها اللجنة فى مجال الاصلاح
 الادارى وخاصة فى مجال اقتراح الحلول للمشكلة القبلية وهى المشكلة الاولى
 التى كانت تعاني منها ولاية البصرة ، وان كان يبدو أن اللجنة اوبعض
 اعضائها على الاقل قد تدخلوا فى الصراعات المحلية التى كانت محتدمة
 فى الولاية حينئذ كما سيتضح فى الفصل التالى . .

وبعزز من ترجيحي لرواية المقيم السالفة الذكر أن السلطات الحكومية
 العليا كانت سلبية تماما لدرجة تكاد تبلغ الاهمال المتعمد تجاه لـ
 المنتقى . فبالرغم من علمها بالاضاع السيفى التى كانت سائدة هناك فقد

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., April, 1913.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2358/1913, Summary... for the month of April 1913, P. 3.

تركت اللواء دون متصرف مسئول طيلة أربعة أشهر كاملة الى أن عينت له في سبتمبر ١٩١٣م (شوال ١٣٣١هـ) متصرفا اتحاديا هو مصطفى نسادريك (١). ولكن وصول ذلك المتصرف لم يحقق فائدة تذكر، إذ استمر الوضع في اللواء عامة مضطربا جدا خلال الاشهر الاخيرة من تلك السنة والاشهر الاولى من السنة التالية. وكانت منطقة الغراف هي بؤرة الاضطراب فقد استمر القتال متواصلا قرب مدينة الشطرة بين العشائر المتصارعة، ولم يلبث الشران تطاير من ساحة الصدام تلك وبلغ مركز اللواء نفسه في شهر مارس ١٩١٤م (ربيع الثاني ١٣٣٢هـ) حين اطلقت النار على متصرف اللواء نجرح ونقل الى بغداد للمعالجة. (٢)

ويبدو أن ذلك الحادث قد تم انتقاما من المتصرف لتدخله في الصراع الدائر في منطقة الغراف بين خيول العبيد ومنافسة "سويلم الهواش" (٣). فقد رمى ذلك المتصرف بثقله الى جانب الأخير مما أدى الى انتصاره على خصمه (٤). ولكن ذلك الانتصار لم يحسم الصراع في المنطقة، إذ استطاع خيول أن يلم شتات انصاره بسرعة واشتبك ثانية مع العشائر الموالية للحكومة بقيادة سويلم، وحينما علم المتصرف بذلك انسحب عائدا من

IOR, L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary... Sept. (١)
1913, P.2.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2097/1914, Summary... Feb. and (٢)
March 1914, P.4.

(٣) شيخ فخذ آل جهل من عشيرة عبودة التي يرأسها خيول. راجع: العزاوي،
عشائر العراق، ج ٤، ص ١٠٢.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2492/1914, Summary ... April (٤)
1914, P. 3.

منطقة الخراف لمركز اللوا . (١) بينما أستمّر القتال هناك طوال شهر أبريل ١٩١٤ (٢) ، (جمادى الاولى ١٣٣٢ هـ) الامر الذى جعل السلطات الحكومية تحزم أمرها وتقرر حسم الامر عن طريق القوة ، فوالت ارسال التعزيزات الحربية الى المنطقة برا ونهرا خلال شهرى مايو (٣) ، (جمادى الثانية) ويونيه (رجب) من السنة نفسها (٤) . وجرت اثر استكمال الاستعدادات معارك طاحنه بين الطرفين تميّزت بالكر والفر تعرضت خلالها مدينته الشطرة للقصف المدفعى من قبل العشائر بمدافع فتمت بها من القوات الحكومية . وظل الموقف هناك على درجة كبيرة من السوء الى أن قامت الحرب العالمية الاولى واعلنت التعبئة العامة فى الدولة العثمانية ، فأضطرت الحكومة الى التفاهم مع زعيم الممارضين خيون العبيد ، وسحبت اثر ذلك القوات الحكومية من منطقة الخراف لزجها فى ساحات القتال المنتظر . (٥)

وهكذا ، يظهر من الاستعراض الذى مر للاحداث القبلية فى لسوا المنتفق الحالة البالغة السوء التى كان ذلك اللوا يعيش فى ظلمتها . اذ كان القتال متواصلا فى روجه ، بين القوى القبلية المتصارمة تارة ، وبينها

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2492/1914, Summary... April 1914, P.3.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 2937/1914, Summary ... May 1914, P. 1.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 4029/1914, Summary... for the month of June and July 1914, P.1.

(٥) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ص ٣٧٤ - ٣٧٨ .

وبين القوات الحكومية تارة أخرى . في حين أظهرت السلطات الحكومية مجزا واضحا عن مواجهة الموقف ، رغم انها كانت خلال ذلك كله تتكبد خسائر فادحة سواء من جراء عملياتها الحربية ، او نتيجة لعدم قدرتها على استيفاء الاموال الحكومية ، ولتدهور حالة الزراعة عموما بسبب انشغال الزراع بالمشاكل القبلية .

الفصل الثالث

قبائل ولاية البصرة والنشاط السياسي

١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ / ١٩٠١ - ١٩١٤ م

شيخ القبائل بين معارضى جمعية الاتحاد والترقى ومواديديها
 خلال الفترة ١٢٢٦ هـ / ١٣٢٩ هـ / ١٩١٨ - ١٩١١ م .

أماز اللواء الثالث فى ولاية البصرة وهو "سنجق البصرة" عن لوائى
 العمارة والمنفق بظاهرة بارزة هى ضعف الوجود القبلى فيه . وقد نتجت
 تلك الظاهرة عن عدة عوامل منها نوعية الزراعة الخالية فيه ، وهى زراعة النخيل
 التى تتطلب استقرارا دائما فى أرض معينة للعناية المستمرة بمفروساتها ،
 الأمر الذى لم يترك لدى الفلاح وقتا فائضا يبدده فى نشاطات أخرى ،
 فضعف نتيجة لذلك ارتباطه بالقبيلة وأزداد ارتباطه بالأرض (١) . كما نجحت
 إجراءات مدحت باشا المصروفة من ناحية ثانية فى توزيع أراضى ذلك اللواء
 الى قطع صغيرة تناسب طبيعة الإنتاج (٢) ، وهكذا أصبح افراد القبائل
 المستوطنون على ضفاف شط العرب يسعون للافلات من ارتباطاتهم القبلية
 والهرب من سيطرة شيخ قبائلهم . (٣)

وقد ساعد موقع ذلك اللواء الجغرافى بلا ريب على ترسيخ تلك الظاهرة ،
 اذ انه يقع فى منطقة قريبة من البحر "الخليج العربى" تطل على العالم
 الخارجى بمكس اللوائيين السابقين المعزولين فى الداخل . ولا بد أن ذلك
 ترك أثرا فى زيادة الوعى الحضرى بين سكانه ، خاصة وأنهم متصلون مباشرة
 بمركز الولاية والمدن الأخرى القريبة منهم ، والتى تشكل فى نفس الوقت مصدرا

(١) العزاوى ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) فاضل حسين ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٠ . وعن إجراءات مدحت باشا راجع
 التمهيد الذى مر ، ص ٤٣ .

(٣) الطاهر ، المشائر العراقية ، ص ٣١٦ .

للتأثير الحكومى عليهم ، وتساعد على توفير قدر اكبر نسبيا من الامن لهم . كما ان وقوع ذلك اللوا على طرق المواصلات النهرية والبحرية أدى الى تنمية تجارته وتصدير منتجاته الزراعية وأغلبها من التمور الى العالم الخارجى مع ما ترتب على ذلك من زعزعة للتنظيم القبلى المستند الى اقتصاد الكفاف. (١)

وثمة عامل آخر كبير الأهمية ، وهو انعدام الوحدة القبلية فى ذلك اللوا ، فأغلب سكان أريافه يتكونون من امتدادات عشائرية صغيرة ومتنوعة لقبائل كبيرة تقطن فى مناطق أخرى خارج اللوا. (٢) والذريف ان الكثير منهم كانوا يوالون من الناحية القبلية شيخ المحمرة شبه المستقل والتابع من الناحية الشكلية لدولة فارس المجاورة (٣) . ولعل ذلك أدى الى نشوء الهدوء فى اغلب أرياف ذلك اللوا ، فشيخ المحمرة كان يحرض بلا ريب على بقاء اتباعه هادئين حتى لا تتعكر علاقاته مع السلطات الحكومية فى ولاية البصرة ، الأمر الذى يؤثر على وضع املاكه فى مدينة البصرة وما حولها ، ورغم ذلك هناك بعض الشواهد التى تدل على انه كان يلجأ أحيانا لاستغلال ذلك الوضع بصورة معاكسة ، فهو يشير اتباعه من طرف خفى لخلق المتاعب للولاة حين يختلفوا وياهم حول تلك الاملاك. (٤)

(١) نظمي ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦ .

(٢) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٣١٦ - ٣٢٢ .

(٣) لوريير ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٧ - ٢٢٢٨ .

(٤) PRO, FO 424/219, No. 20, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 31, 1909.

ونتيجة لكل تلك العوامل مجتمعه ، فإن تاريخ هذا اللواء في فترة هذا البحث خلا خلوا بارزا من أى حادث قبلى ذى شأن . ولكنه بالمقابل كان مليئا بأحداث سياسية كثيرة امتدت آثارها الى اللوائين المجاورين وجرت بعض شيوخ قبائلهما الى المشاركة فيها . وكانت أسباب تلك الحوادث مرتبطة بنشوء وتطور حركة معارضة لحكم جمعية الاتحاد والترقى اتخذت من مدينة البصرة مركزا لها . وليس من المهم هنا التوفل في تفاصيل نشوء تلك الحركة ونشاطاتها المختلفة، ولكن المهم هو التعرف على عوامل التأثير والتأثر المتبادلة بينها وبين قبائل الولاية .

وقبل المباشرة في تتبع تلك العوامل، يجدر القول بأن تلك الحركة المعارضة قد تمحورت حول شخصية السيد طالب النقيب * ١٢٢٩ - ١٣٤٨ هـ / ١٨٦٢ - ١٩٢٩ م . والسيد طالب سليل أسرة هاشمية ينتهى نسبه الى السيد احمد الرفاعي ، واشتهر بعض رجالها بين اتباع الطريقة الصوفية الرفاعية . (١) ولا ريب ان ذلك النسب الشريف قد اعطى لتلك الاسرة مكانة كبرى ، زاد منها تداول زعمائها لنقابة الاشراف في البصرة ، ومن هنا حملت الاسرة لقب النقيب . وبالإضافة الى مكانة عائلته وشرائفها، كان السيد طالب ذا شخصية متميزة ، فهو مثقف يجيد بالإضافة الى اللغة العربية اللغات التركية والفارسية والانجليزية ، وهو واسع الطموح ، جهم النشاط، مهال الى السلطة . وقد جره ذلك الى الاحتكاك مع السلطات العثمانية زمن السلطان عبد الحميد الثاني ، ولكن السلطان لم يلبس

(١) احمد نور الانصارى (القاضى) ، النصر في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين ، ط ٢، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

ان استدعاه الى استانبول فقربه وخلع عليه النرشب واعاده للبصرة. (١)

ولكن المظوفة التي تمتع بها السيد طالب لدى السلطان عبد الحميد لم تمنعه من التودد لجمعية الاتحاد والترقي بعد قيامها بأنقلاب سننسة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م. (٢) اذ انه انتمى مع انصاره لفرع الجمعية الذي فتش في مدينة البصرة، ولكن ذلك الانتماء لم يفسده ود رعاء الجمعية، اذ أنهم لم يثقوا بصدق ولائه لهم، الأمر الذي دفع طالبا للاتجاه نحو المعارضة تدريجيا (٣). وقد تبلور ذلك الاتجاه أخيرا على شكل حركة معارضة كان هدفها الحقيقي غير المعلن هو انشاء كيان عربي في البصرة، يترشح السيد طالب على قمته (٤)، ويتحالف مع الامراء العرب المجاورين في الكويت والمحيرة ونجد (٥). وكانت تلك الحركة تتمركز في مدينة البصرة وماحولها

(١) خير الدين الزركلي، الاعلام، ط٣، بيروت، ١٩٦٩، ج ٣، ص ٣١٥ - ٣١٦ ولمزيد من التفاصيل، راجع :

حسين هادي الشلاه، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت لجامعة عين شمس سنة ١٩٧٠م.

(٢) Wilson, Op.Cit., P. 18.

(٣) التميمي، مرجع مر ذكره، ص ٣٣.

(٤) Wilson, Op.Cit., P. 18.

(٥) نظمي، مرجع مر ذكره، ص ٤٩.

لنأيتها عن مركز الدولة من ناحية، (١) ولأنها مركز نفوذ عائلته الاجتماعية والديني من ناحية أخرى.

وقد أدرك السيد طالب أن قواه الذاتية المستمدة من تأييد أنصاره في مدينة البصرة ومحولها أضعف من أن تمكنه من مواجهة الاتحاديين — أو تحقيق أهدافه الملموحة فبالجأت الحاجة إلى البحث عن حلفاء أقوى — يستعين بهم. ولا ريب أنه أجال بصره فيما حوله فأدرك أن القوتين — المهيأتين للتعاون معه هما القبائل والمشيخات العربية شبه المستقلة في الكويت والمحمرة. وهناك فيما يتعلق بالقبائل ما يدل على أن السيد طالب كان مدركا لأهمية الاستفادة منها في مناوراته السياسية منذ فترة مبكرة، فحين نظم على الدولة لعزلها إياه من متصرفية الاحساء أرسل — من يحرض قبائل المنتفق ويحاول إثارتها ضد الدولة. (٢)

ويبدو أن السيد طالب رأى أن خير وسيلة يتبناها في السعي لدمج هاتين القوتين وحشد هما معا لتأييد خططه، فرتب عقد لقاء في قصر الشيخ خزعل في الثيلية في شهر صفر ١٣٢٧هـ / مارس ١٩٠٩ م، حضره معه ومع الشيخ خزعل كل من مبارك الصباح شيخ الكويت سعدون باشا وعدد من مشايخ القرنة والعمارة. (٣) ولم تورد المراجع تفاصيل عن اسماء

(١) Longrigg, Op.Cit., P. 45.

(٢) محمد هليل الجابري، الحركة القومية العربية في العراق بين ١٩٠٨ - ١٩١٤ م، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ص ٣٩٠ وقد ولي السيد طالب متصرفية الاحساء سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠٢ م، ولكنه سحب من عمله في أواخر السنة التالية، رغم أنه لم يعزل رسميا الا في أواخر سنة ١٣٢٢هـ / أوائل ١٩٠٥ م، راجع: لوريمر، مرجع مر ذكره، القسم التاريخي، ج ٣، ص ١٤٧٣.

(٤) النجار، مرجع مر ذكره، ص ١٣٨ وايضا القيصي، مرجع مر ذكره، ص ٣٤.

اولئك المشايخ الذين شاركوا في اللقاء ولاعما دارفيه من ابحاث، ولم تشر الى وجود اية نتائج عملية تمخضت عنه. الامر الذي يدعج الى الاعتقاد بأن ذلك اللقاء كان أقرب شيء لولمة اجتماعية تبادل خلالها المدعون الحديث في أمور عامة ثم تفرقوا كل لحال سبيله. ورغم ذلك فإن مجرد حدوثة لا يخلو من دلالة بالغة الأهمية على وجود فكرة أدخل القبايل في خضم اللعبة السياسية، وعلى استجابة بعض شيوخ القبائل لتلك الفكرة ولو الى حد ما.

ويناقض اشتراك سعدون في ذلك المؤتمر ما رواه البعض من انه أستغل قيام انقلاب ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م فتقرب الى جمعية الاتحاد والترقي حتى أصبح من كبار انصارها، وهو الامر الذي جره للصدام مع السيد طالب (١)، واذا أستبعدنا ما قيل عن الصدام جانباً اذ ان المصادر والمراجع لم تشر قط الى حدوث صدام بين الرجلين في هذه الفترة على الأقل، تبقى بعد ذلك مسألة تقرب سعدون لجمعية الاتحاد والترقي وهو أمر ثابت كما مر بنا (٢)، ولكنه انتهى سريعاً. فقد أعقب خروجه من لواء المنتفق مهزوماً أن توترت علاقاته مع السلطات الحكومية حتى كان في شهر أبريل ١٩٠٩م (ربيع الاول ١٣٢٧هـ) يستعد للقيام بأعمال حربية ضد ما (٣)، وذلك هو ما دفعه للاشتراك في لقاء القبيلة على ما يبدو.

Dickson, The Arab of the Desert, P. 556.; Wilson, (١)
Op.Cit., 18.

(٢) راجع، الفصل الثاني، ص ١٦٦

PRO, FO 424/219, No 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, April (٣)
29, 1909.

وفى الوقت الذى ابدى فيه السيد طالب اهتماما واضحا بأستقلال
القبائل الى جانبه، نجد فى الجانب المقابل أن النظام الداخلى لجمعية
الاتحاد والترقى الذى نشرته احدى الصحف الصادرة حينئذ فى عدة اعداد
متوالية لم يتطرق من بعيد او قريب لتحديد الطرق الواجب اتباعها لمعاملة
القبائل وكسب شيوخها وافرادها الى صف الجمعية عدا ما ذكرته المادة الخامسة
والاربعون من ذلك النظام التى تحدثت عن واجبات نوادى الجمعية التى
تفتح فى الاولوية والمراكز بحيث قالت :- " ينبغى على النوادى أن يقوموا
عند سنوح الفرص بأرشاد القرويين بحيث يؤلفون قلوبهم على محبة الدستور
وينفروهم من الاستعداد أو أن يوالوا إرسال هيئات مخصصة الى القرى
للقيام بهذا الأمر الذى فيه سلامة الوطن " . (١)

وإذا انتقلنا من مجال الكتابات النظرية الى التطبيق العلى، فأنسى
لم أجد - فيما بين يدي من مصادر ومراجع - ما يشير الى انتماء احد من
شيوخ القبائل انتماء رسميا لجمعية الاتحاد والترقى، مما يدعو للاعتقاد
بأن علاقة اولئك الشيوخ بالجمعية - ان وجدت - لاتعدو أن تكون اتفاقا
مصلحيا، يطول او يقصر حسب الظروف المتغيرة . وقد ساعد على ذلك
كون الجمعية فى هذه الفترة هى الحزب الحاكم فى الدولة، فأحتكاك أى من
اولئك الشيوخ مع السلطات الحكومية ينعكس بالنتيجة على موقفه من الجمعية .
وإذا عرفنا أن تلك الاحتكاكات كانت مستمرة تقريبا، فلا يجب أن نتوقع
وجود علاقة راسخة بينهم وبين الجمعية، سيما وانهم لم يكونوا ليهتمون
بأهداف الجمعية أو يفهمونها بصورة تجعل علاقتهم بها نتيجة لقناعة مبدئية .

(١) الرقيب ، السنة ٢ ، العدد ١٥٣ ، ١٩٠١ ، شعبان ١٣٢٨ هـ / ٢٥ أغسطس

وقد تجسد كل ذلك في سلك سعدون تجاه الجمعية، ولم يكن موقف رفيقيه في لقاء الفيلية الشيخين خزعل وجارك مختلفا كثيرا عن موقفه في هذا المجال، فقد اهتمت جمعية الاتحاد والترقي بأمر ذلك اللقاء وسعت الى تلويق ما قد يترتب عليه من نتائج بأن عينت احد اعضائها البارزين وهو سليمان نظيف بك واليا للبصرة ١٣٢٧ - ١٣٢٨ هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٠ م. وقد بادر الوالي الجديد الى الضغط على خزعل وبسارك حتى انضما رسميا الى فرع الجمعية في البصرة. (١) وكانت استجابتهما للضغط معكومة بلا ريب برغبتهما في تجنب ما قد يلحق بألاكهما الواسعة في البصرة من مشاعب، ولكن ذلك لم يعنى واقعا تخليهما عن تعاونهما الوثيق مع حليفهما السيد طالب كاسياتي.

واذا كان اتفاق بعض شيوخ القبائل مع الجمعية اثنى مصلحي في اغلب الاحيان، فالقول نفسه ينطبق على معارضتهم لها. ومن الامثلة على ذلك ما حدث في ربيع الاول ١٣٢٧ هـ / أبريل ١٩٠٩ حين اقدم السلطان عبد الحميد على اقالة الوزارة الاتحادية وامر بتطبيق الشريعة بدلا من الدستور (٢)، وهى الاحداث التى عرفت بـ "ثورة الرجعية" (٣). فقد كان فضبان البنية شيخ بنى لام في تلك الاثناء على خلاف شديد مع السلطات الحكومية فأغتنم الفرصة وابرق للسلطان مصر بما من اخلاصه وميئنا ان العمليات

(١) النجار، مرجع مر ذكره، ص ١٣٨.

(٢) Lewis, Op.Cit., P. 21.

(٣) ساطع، الحصرى، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط ٢، بيروت، ١٩٦٠ م ص ١١٠.

الحربية التي يخوضها ضد القوات الحكومية هدفها تأييده في سعيه الرامي الى ابطال المشروطية* الدستور (١)، ومن نافله القول بيان انسه ماكان يهم غضبان أمر المشروطية الغيت أو بقيت ، بل كان يهم كسب رضا السلطان متوقعا أنتصاره في معركته مع الجمعية . ولقد كان ذلك منه رهانا خاسرا ، اذ فشلت حركة السلطان فعزل من السلطنة ، ولم يحرك " مؤيدوه " في العراق ساكنا ، اللهم الا بعض الهياج الذي حدث في بغداد وحمد بشكل سريع . (٢)

ومن الامثلة كذلك ماحدث حين اشتدت المعارضة في استانبول وبغداد في اواخر سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م لمشروع نقل ملكية السفن النهرية الحكومية العاملة في نهر دجلة الى شركة بريطانية ووصلت اخبار تلك المعارضة الى قبائل العمارة مصحوبة بأشاعة شفيذ بأن الحكومة تنوى أيضا بيع كل الاراضي الواقعة على نهر دجلة الى البريطانيين ، فأدى ذلك الى احداث بعض الاضطراب بين القبائل القاطنة هناك (٣) . ولكن ذلك لايعنى أن تلك القبائل اضطربت استجابة لتأثيرات مباشرة من القوى السياسية . المعارضة ، وأنسما يعنى انها أحست بخطر ماثل يهدد مصالحها

(١) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ١٥ ، ٨ ربيع الآخر ١٣٢٧هـ / ٢٩ نيسان ١٩٠٩م ، ص ٣ .

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 610, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. at Colombu, May 11, 1909.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. At Bag. to Am. Amb. at Const., Jan. 21, 1910.

المباشرة ، فرفعت راياتها واخذت " تهوس " محذرة الحكومة الاتحادية من الاقدام على تلك الخطوة ، وكان ذلك منسجما مع موقف المعارضين السياسية في استانبول وبغداد آنجا محضا .

وعلى ضوء كل ما مر يمكن فهم الأسباب الكامنة وراء تحسن علاقة سعدون باشا بجمعية الاتحاد والترقي خلال صيف سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠ م ، وهو تحسن يدل عليه انه كان من بين الشيوخ الذين أموا بغداد لمقابلته الوالى الجديد ناظم باشا ، وهناك انفرد عنهم جميعا بزيارة نادي جمعية الاتحاد والترقي في تلك المدينة زيارة أثنى خلالها على الجمعية ثم تبرع ببعض المال لناديها . (١) وقد انعكس ذلك التحسن على معاملة الموظفين الحكوميين لسعدون ، فأخذوا يمنحون تأييدهم له ضد منافسيه القبليين بزعامة عبد الله الفالح ، (٢) والذين تباعدوا نتيجة لذلك عن الجمعية ومالوا لخصومها كما سنرى . وهذا مؤشر على بروز ظاهرة جديدة وهي ارتداد النزمات القبلية التقليدية لمسوح سياسية ظاهرة .

وفي غضون ذلك ، لم يكف السيد طالب النقيب عن معارضته لجمعية الاتحاد والترقي . ولكن تلك المعارضة رغم نشاطها لم تأخذ صيغة تنظيمية محددة الاخلال شهر شعبان ١٣٢٩هـ / أغسطس ١٩١١ م ، حين افتتح في مدينة البصرة فرع برأسته الحزب الحر المعتدل المعارض الذي كان قد تأسس

(١) صدی بابل ، السنة ٢ ، المجلد ٦١ ، ١٢ شوال ١٣٢٨هـ - ١٣٢٩هـ

(٢) Diolsson, The Arab of the Desert 556.

في أستانبول في أواخر سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م. (١) ولقد حاول طالب السب أن يكسب لحزبه هذا التأييد في الولاية الأخرى ، فكتب رسائل الى وجهائها بهذا الشأن . (٢) وما يلفت النظر في أمر تلك الرسائل أن من بين أسماء كل وجهاء لوائى المنتفق والعمارة الذين كتبت لهم لانجد سوى اسماء اثنين من زعماء القبائل في لواء المنتفق هما عبد الله الفالح السعدون وخير الله شيخ ال حميد (٣) . ويدل ذلك دلالة واضحة على ان طالبا رغم حرصه على اكتساب القوة القبلية في الولاية الى جانبه الا انه كان يدرك صعوبة اجتذاب اقلية شيخ القبائل الى عمل سياسى حزبي في هذه الفترة .

ولكن حادثا وقع قريبا من هذا الوقت جذب بعض القوى القبلية تدريجيا الى ساحة الصراع السياسى والمنافسات الحزبية ، ذلك هو حادث القاء القبض على سعدون باشا حينما كان يحل ضيفا على السيد طالب في البصرة في رجب ١٣٢٩هـ / يولييه ١٩١١م كما مر سابقا . وقد اتهم عجمى بن سعدون السيد طالب بالتواطؤ مع السلطات الرسمية في ذلك الحادث . ويحسن التوقف هنا قليلا للتدقيق في أمر هذه التهمة لكونها اساس الذى بنيت عليه أغلب حوادث هذا الفصل . وأول ما يلفت الانتباه بهذا الخصوص هو ان المحامي سليمان فيضى الذى كان حينئذ السامع الايمن للسيد طالب والمطلع على كل شئونه قد ذكر اتهام عجمى ولكنه لم

(١) التميمي ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٤٠ .

(٢) فيضى ، مصدر مر ذكره ، ص ٩٨٠ .

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٠٩ .

ينفسه (١) ، فهل عنى سكوته اقراراً ضمنياً بالتهمة المنسوبة لصديقه ؟ ان جواب هذا السؤال يتطلب فحصاً لما قالته المصادر المعاصرة الأخرى حول الامر :

وأول هذه المصادر هو القنصل الأمريكي في بغداد الذي بيّنه مقتنعاً تماماً بمسؤولية السيد طالع عن القبض على سعدون ، فهو قد دّعه وجعله يأتي للبصرة حيث هي عليه . (٢) ولكن زميله القنصل البريطاني في البصرة كان ذا فتاة مغامرة ، فقد ذكر انه قام بعدة استفسارات عن القضية قادت لنتيجة مفادها أن طالبا لم يكن مطلعاً بأي وجه على الظروف التي قادت الي اعتقال سعدون ولكنه أضاف أن وصمة الحار الوحيدة التي يمكن أن تلحق بطالب حقاً هي فشله في انقاذ ضيفة من برائن الحكومة بعد القاء القبض عليه ، وبالرغم من ان تلك المهمة كانت - حسب معلومات القنصل - خارج حدود طاقته فعلا فقد قيل انه فعل ما يستلزم لمساعدة ضيفه (٣) :

ولكن ذلك القنصل نفسه مال به أن يز اليقين الذي توحى به روايته الأولى ، حين كتب قائلاً أن زميله القنصل البريطاني في المحصرة قد أخبره بأن " الحجى ريس " كبير التجار في تلك المدينة والوثيق الصلة بالشيخ خزعل اعلمه بأن طالبا أوقع بسعدون لمصلحة صديقة مبارك

(١) صدر مر ذكره ، ص ١٠٥ .

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. M-467, Am. Cons. at Bag to Am. Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

(٣) PRO, FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowth, May 18, 1913.

الصباح شيخ الكويت (١) . وتبدو هذه الرواية منسجمة مع الجو العام للأحداث ،
 إذ كان هناك حلف وثيق بين طالب ومبارك من ناحية ، وعداء شديد
 بين سعدون ومبارك من ناحية أخرى . وهو عداء ان صفى ظاهرياً بين
 الرجلين من خلال وساطة والى البصرة فى محرم ١٣٢٩هـ / يناير ١٩١١م (٢) ، إلا أن جذوره ظلت حية فى النفوس .

وهكذا فإن روايات القنصلين الأمريكى والبريطانى لاتوصلنا الى يقين
 ثابت لايتطرق اليه الشك حول صحة الاتهام المذكور . ولكن سكوت سليمان
 فيضى ومايكتنفه من دلائل منطقية تجعل الذهن أميل الى قبول ما روى من
 مسئولية السيد طالب عن المصير الذى آل اليه سعدون . فالسيد طالب
 كان ذا طموح كبير ونزعة شديدة للوضوح للتفرد بالزعامة فى محيطه ،
 ولحل ذلك جعله يضيق بالمكانة القبلية التى كان يحتلها سعدون خاصة
 وأنه فشل فى ضمّه تحت لواء زعامته لميل سعدون الى التعاون مع جمعية
 الاتحاد والترقى كما رأينا . وعلى ذلك فربما بادر السيد الطالب الى
 استغلال الفرصة التى سنحت بغضب الحكومة على سعدون ، فتواطأ معها
 على اعتقاله كي ينفرد بالساحة من ناحية ، ويقدم خدمة لحليفه مبارك الصباح
 من ناحية ثانية .

PRO, FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther (١)
 June 20, 1913.

(٢) عبد العزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ص ١٨٦ -

الصراع بين عجمي وطالب ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ / ١٩١٢ - ١٩١٣ م

عرفنا ان العلاقة بين عجمي والسلطات الحكومية تحسنت حين تولى فريد بك الاتحادى الضحى متصرفية المنتفق ، ولم يكن ميل عجمي للتصالح مع تلك السلطات ومن رائها جميعة الاتحاد والترقي رغم مسئوليتها المباشرة من مصر والدع ، الا نتيجة لاعتقاده بأن السيد طالب هو المسئول عن ذلك المصير ، ولأن طالبا كان يعارض تلك الجمعية فقد اضطر هو للارتما في احضانها ووضع يده في يدها (١) . وهكذا اتخذت عادة الثأر القبلية المتأصلة مظهرا صريا حين انتهت بيزى النزاع السياسى بين الحكم والمعارضة . ولكن ذلك الارتما في احضان الجمعية لايعنى ان عجمي قد انضم لها رسميا وأصبح احد اعضائها العاملين ، فليس هنالك مصدر واحد يشير الى هذا . ثم انه بطبيعة تكوينه القبلى غير معنى بفهم طبيعة تلك الجمعية ولا أدراك حقيقة اهدافها ، او هو غير مهيا لذلك ، ولكنه مال اليها لانها الجهة الحاكمة التى قد تساعد في الوصول الى هدفه في الاقتصاص من عدوهما المشترك السيد طالب . وان كان ثجب الاشارة في هذا المجال الى ان بعض المقربين من عجمي كانوا اعضاء عاملين في الجمعية وأبرزهم وكيله في مدينة البصرة ومستشاره المقرب محمد العصيمي (٢) .

وكما أدت مشاعر الحقد بعجمي الى الميل نحو الاتحاديين فإن منافسيه بزعامة عبد الله الفالح مالوا نتيجة لذلك الى الجهة المعاكسة فأصبحوا حلفاء

(١) Wilson, Op.Cit., P. ٩٨; Dickson, The Arab of the Desert, P. 557.

(٢) IOR, L/p+ s/10/212, No. P-4798/1912, Summary... Oct. 1912, P. 2.

لطالب النقيب (١) . ولذلك فما أن سقطت الحكومة الاتحادية في استانبول في يولييه ١٩١٢م (٢) (شعبان ١٣٣٠هـ) وهو السقوط الذي لم يكن لـه رد فعل كبير في العراق (٣) ، لانه كان مريحا ومرضا لأكثر الطبقات (٤) ، حتى انقلب ميزان القوى المحلية في ولاية البصرة فأرتفعت أسهم طالب وحليفه عبد الله الفالح بينما تحول عجمي الى صفوف المعارضة (٥) . وكان من الطبيعي أن تسحب الحكومة اعترافها به شيئا عاما لقبائل المنتفق وتمنع ذلك اللقب رسميا لمنافسة عبد الله الفالح حسب رواية القنصل الامريكي في بغداد (٦) . ويستدل من تلك الرواية أيضا على أن السلطات الحكومية عادت في هذا الوقت الى الاعتراف الرسمي بمشخة آل سعدون على قبائل المنتفق بعد أن كان ذلك الاعتراف قد ألغى بعد أحداث سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م ،

وقد جعل عجمي - بعد أن أصبح معارضا - يتحين الفرص لمضايقة الحكومة واشعارها بقوته . فقد أرسل وكيله في البصرة محمد العصيمي

(١) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٨١ .

(٢) Lewis, Op.Cit., P. 224.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. M-C-327, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Sept. 6, 1912.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. P-3602/1912, Summary of Events in Turkish Iraq for July 1912, P.1.

(٥) Longrigg, Op.Cit., P. 56.; Dickson, The Arab of the Desert, P. 558.

(٦) N.A.R.S., RG 84, No. M-467, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

فى سبتمبر ١٩١٢م (شوال ١٣٣٠هـ) برقية الى وزير الداخلية والى عدة صحف فى أستانبول مفادها أن عجمى مستعد للزحف نحو العاصمة على رأس خمسين ألف رجل اذا ما جرت أية محاولة رجعية هدفها النيل من الدستور (١). ورغم ما فى تلك البرقية من تهويل واضح ، الا انها تركت صدى واسعا أشار اهتمام المحافل السياسية والصحف فى العاصمة ، مما جعل وزير الداخلية يهبط الى سلطات ولاية البصرة للتحقيق فى أمرها (٢). وقد تلقت تلك السلطات الفرصة فأصدرت قرارا يعتبر عجمى لصا لسله ثروة مزيد باشا السميدون ويحظر على القرويين تزويده بالمؤمن كما سحبت صديقه فريد بك من متصرفية المنتفق (٣). ولا يبدو اتخاذ تلك الاجراءات غريبا اذا عرفنا أن طالسب النقيب كان فى هذا الوقت يدير ولاية البصرة بالوكالة لعدم وجود وال فيها (٤).

ولم يركن عجمى ازاء تلك الاجراءات للهدوء ، بل انه رد عليها بتصعيد الضغط على الحكومة فى نوفمبر ١٩١٢م (ذى الحجة ١٣٣٠هـ) فقد وصلت الاخبار الى مدينة البصرة بأنه يتقدم نحوها على رأس اربعة عشر ألف رجل من اتباعه (٥) ، الامر الذى نشر الرعب هناك فى يومى الخامس والعشرين والسادس والعشرين من نوفمبر (الخامس عشر والسادس عشر من ذى الحجة) فأطلقت الاسواق ومكاتب البنوك ، وهربت العوائل المسيحية

IOR, L/p+s/10/212, No. P-4798/1912, Summary... Oct. 1912, P. 2. (١)

(٢) صدى بابل ، السنة ٤ ، العدد ١٥٥ ، ١٧ شوال ١٣٣٠هـ / ٢٩ أيلول ١٩١٢م ، ص ٣.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-688/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for Dec. 1912, P. 2. (٣)

IOR, L/p+s/10/212, No. P-311/1913, Summary of Events in Turkish Iraq for Nov. 1912, P. 3. (٤)

N.A.R.S., RG 84, No. M- 450, Am. Vice Cons. at Bag. to (٥) Am. Amb. at Const., Dec. 2, 1912.

من مدينة البصرة الى ضاحية العشار، كما جلب الموظفون المسيحيون العاملون في الشركات الاجنبية عوائلهم للاحتماء بمكاتب تلك الشركات ، بينما لجأ البعض الاخر منهم الى قنصليتي روسيا واميركا الواقعتين على الطريق الموّدى للمشار (١) ، حيث أستضاف الوكيل القنصلي الامريكى أرسيمين شخصا منهم. (٢)

واثر ذلك اتخذت الاستعدادات للدفاع عن مدينة البصرة ، فأستدعى السيد طالب موميدي من فلاحى بساتين النخيل الواقعة الى الجنوب من المدينة الذين لبوا دعوته بأعداد كبيرة . ولكن دخولهم للمدينة لم يؤد الى تهدة مخاوف سكانها اذ أخترقوا الشوارع وهم " يهوسون " ويطلقون نيران بنادقهم فى الهواء . وقد أدى ذلك الى اثاره القلق رغم عدم وقوع أية اصابات نتيجة لاطلاق النار على تلك الصورة . ولم يطل بقاء أولئك المسلحين فى المدينة كثيرا ، اذ أصدرت لهم الاوامر بمرافقة جنود الحامية وافراد البحرية ومدفعين جبليين الى الصحراء الواقعة خلف المدينة استعدادا لصد الهجوم المتوقع. (٣) فتحرك الجميع فى السادس والعشرين من نوفمبر (السادس عشر من ذى الحجة) مما أدى الى تهدة مخاوف سكان المدينة ، كما زاد من تهديتهم وصول السفينة الحربية البريطانية سفنكس Sphinx فى اليوم التالى ومرابطتها هناك . (٤)

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 311/ 1913, Summary... Nov. (١)
1912, P. 2.

N.A.R.S., RG 84, No. 47/ 28, Am. Cons. Agent at Basra (٢)
to Am. Cons. at Bag., Dec. 9, 1912.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-311/1913, Summary... Nov. (٣)
1912, P. 3.

N.A.R.S., RG 84, No. M- 450, Am. Vice Cons. at Bag. (٤)
to Am. Amb. at Const., Dec. 2, 1912.

وقد أدى هذا الاطمئنان الى عودة المسيحيين الى منازلهم خاصة بعد أن اكد لهم السيد طالب بأن لا شيء سيحدث (١) .

وقد وصل صدى تلك الاخبار الى بغداد مضخما بعض الشيء فـ في الخامس والعشرين من نوفمبر (الخامس عشر من ذي الحجة) ، حين أنتشرت في اوساط تلك المدينة اشاعة رائجة تفيد بأن عجمي قد هاجم مدينة البصرة على رأس الفي فارس من اتباعه ، في نفس الوقت الذي كان فيه شيوخ بني لام يزحفون نحوها أيضا . واثار ذلك ذهب والي بغداد ومعه قائد الفيلق علي رضا باشا الى دائرة البرق ، وظلا فيها حتى منتصف الليل في اتصال برقي مستمر مع استانبول ، وكانت نتيجة تلك الاتصالات هي تعيين علي رضا باشا وكملا لولاية البصرة ، حيث توجه لمقر عمله الجديد في السابع والعشرين من نوفمبر (السابع عشر من ذي الحجة) على ظهر السفينة " موصل " ترافقه كتيبتان من الجند تضمان أربعمئة رجل ومدفعي ميدان (٢) . وقد علل نائب القنصل الاميركي في بغداد هذا التحرك السريع من جانب السلطات بخوفها من أن تؤدي أية اضطرابات تقع في مدينة البصرة الى انزال البحرية البريطانية هناك حيث لا يمكن إرضاحتها فيما بعد (٣)

وفي غرض تلك الاستعدادات الحربية في البصرة وبغداد فتح باب الاتصالات مع عجمي ، حين أرسلت له رسالة من ولاية البصرة . ورغم انه لم يرد على تلك الرسالة فورا (٤) ، الا انها مع ماسبقها من استعدادات دفاعية

N.A.R.S., RG 84, No. 47/28, Am. Cons. Agent at Basra (١)
to Am. Cons. at Bag. , Dec. 9, 1912.

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 311/1913, Summary ... Nov. (٢)
1912, P.2.

N.A.R.S., RG 84, No. M- 467, Am. Cons. at Bag. to Am. (٣)
Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

IOR, L/p+s/10/212, No. 311/1913, Summary... Nov. (٤)
1912, P. 3.

قد أدت على ما يبدو الى الحد من حماسه (١)، فلم يقع الهجوم المتوقع لذلك سحبت القوات الحكومية من مواقعها في الصحراء وتفرق المسلحون القرويون وعادوا الى قراهم في التاسع والعشرين من نوفمبر (٢) (التاسع عشر من ذي الحجة) وهكذا فحين وصل وكيل الوالي الجديد الى مقر عمله في الثالث من ديسمبر (الثاني والعشرين من ذي الحجة) وجد مدينة البصرة في حالة طهيمة ولكن ذلك لم يمنعه من معاودة الاتصال بعجمي فأرسل بعض الرسل الى مخيمه ، وعادوا برده على رسالة الولاية وفحواه انه اقترب من مدينة البصرة بهدف توزيع اتباعه من قبيلة بني مالك وغيرهم على المراعى الخاصة بهم . ولكنه لم ينس أن يقول انه سمع بأن الولاية أصدرت الاوامر الى القرويين بعدم تزويده ورجاله بالموءن باعتباره لصا . وقد حذر الرسل العائدون من تلك المهمة سلطات الولاية بأن تظل متيقظة من احتمال هجوم مفاجئ قد يشنه عجمي طالما ظل مقيما بالقرب من البصرة (٣) .

ولكن هل كان عجمي يهدف فعلا من حركته تلك الهجوم على مدينة البصرة ؟ لقد أجاب القنصل البريطاني في البصرة على ذلك السؤال بالاجاب فقد اعتقد أن عجمي اعتزم - انتقاما لمصير والده - توجيه ضربة مباغتة للبصرة مستغلا ضعف حاميتها التي لم تكن تزيد حينئذ عن ثلاثمائة رجل فقط .

(١) N.A.R.S., RG 84, No. M-450, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 2, 1912.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-311/1913, Summary... Nov. 1912, P.3.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 688/1913, Summary... Dec. 1912, P.2.

بضمنهم كل قوات الشرطة والدرك والبحرية (١) . وفي حين وافق القنصل الامريكى فى بغداد على ان هدف عجمى هو الثار لوالده من السيد طالب (٢) ، وزاد الوكيل القنصلى الامريكى فى البصرة على ذلك بتحديد شكل الثار المطلوب وهو القبض على السيد طالب (٣) ، فان الدبلوماسيين الامريكيين ابدوا الشك فى ان يكون هدف عجمى اقتحام مدينة البصرة . فذكر اولهما ان مصادر موثوقة روت له ان قوات عجمى لم تزد على ألفى فارس كان يخيمون على بعد عدة ساعات الى الغرب من مدينة الزبير التى تبعد بدورها عشرين ميلا جنوب غرب مدينة البصرة ، و اضاف ان السيد طالب ربما استغل تلك الواقعة من اجل ان يصبح واليا للبصرة . (٤) اما ثانيهما فرغم انه قد انما لم عليه بعض التهيؤات التى روجت فى البصرة ، فصدق ان قوات عجمى تتألف من اربعة عشر ألف رجل ، وان انصار طالب الذين استقدمهم للدفاع عن المدينة يقدرون بأثنى عشر ألف رجل ، الا ان اللعبة كلها لم تنطل عليه حين استدرك قائلا ان كل الأمر على ما يبدو كان مظاهرة اعداها السيد طالب بهدف أن يظهر لاستانبول قدرته على حماية البصرة بنفوذ رجاله . (٥)

IOR, L/p+s/10/212, No. P-311/1913, Summary... Nov. 1912, P. 3 (١)

N.A.R.S., RG 84, No. M-467, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (٢) at Const., Dec. 7, 1912.

N.A.R.S., RG 84, No. 47/28, Am. Cons. Agent at Basra to (٣) Am. Cons. at Bag. , Dec. 9, 1912.

N.A.R.S. RG 84, No. M- 467, Am. Cons. at Bag. to Am. (٤) Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

N.A.R.S., RG 84, No. 47/28, Am. Cons. Agent at Basra to (٥) Am. Cons. at Bag. , Dec. 9, 1912.

وتدفع كل الدلائل المتجمعة الى ترجيح رأى الدبلوماسيين الامريكيين،
فالتدقيق فى كل تفاصيل الحكاية منذ بدأت يظهر أن الأمر لم يكن أكثر من
مسرحية مثل جانبها منها عجمى ، بينما مثل الجانب الآخر خصمه السيد طالب ،
فى دورين مستقلين من حيث الاعداد ، متكاملين من حيث الاداء والتنفيذ .
فلقد تضايق الاول من الجفاء الذى أظهرته له الحكومة بعد أنقلاب شعبان
١٣٣٠هـ / يوليه ١٩١٢م ، ثم زاد ضيقه حين وصفته باللصوصية فى
ذى القعدة / أكتوبر من السنة نفسها ، فقرر القيام بمظاهرة قوة تحمل الحكومة
على تعديل موقفها منه ، وتنذر - من خلال التلويح بقصيص الشار القديم -
طالباً بالكف عن مضايقته . والدليل على ذلك هو ان عجمى لم يتقدم الى
مدينة البصرة ، بل ولم يصل لمسافة قريبة جداً منها بالرغم من ضعف حاميتها .
فلو كان ينوى مهاجمتها حقاً لا قدم على ذلك بفترة ، او تقدم وناوش القوات
المدافعة عنها على الأقل .

ولقد تلقف السيد طالب من جانب آخر تلك الفرصة السانحة كي يقوم
بمظاهرة مضادة . فضخم انباء تحركات عجمى ، وبالغ فى قوته ، واستدعى
انصاره من فلاحى البساتين ، وجعلهم يدخلون المدينة " بهو سون " ويطلقون
النار ، واشاع أن عدد هم اثنا عشر الفا ، وذلك لاطهار قوته أمام حلفائهم
السحاكين فى استانبول . بينما هو متأكد خلال ذلك من ان الخطر الحقيقى
بعيد تماماً من مدينة البصرة ، بدليل التطمينات التى اعطاها للمسيحيين
فى ذروة الأزمة ، وتسريح انصاره بعد مرابطتهم ثلاثة أيام فى خطوط الدفاع
التي أقيمت خلف مدينة البصرة ، رغم انه لم يستجد شئ يستدعى ذلك
التسريح ، فالخطر - اذا ما كان هنالك أى خطر - لا زال كما هو . والطريف
أن المقيم السياسى البريطانى فى بغداد شبه طالباً وعجمى فى نزاعهما برجلين

يصطرعان حول تمثال لتركي مرنح لم يسقط بعد . (١)

وتحسن العودة الآن لمتابعة سير الحوادث، لنجد أن الوضع سيطر عليه بعض الجمود عدة أسابيع، فعجى باق في مخيمه في الصحراء، وطالب يتمتع بتأييد الحكومة في مدينة البصرة. ولكن ذلك الجمود سرعان ما تبدد حين اسقط الاتحاديون حكومة الائتلافيين في استانبول بأنقلاب عسكري قادة أنور بك في يناير ١٩١٣م (٢) (محرم ١٣٣١ هـ) ورغم أن ذلك الانقلاب قوبل ببرود وعدم مبالاة في العراق، عموماً (٣)، إلا أن النتائج التي ترتبت عليه في البصرة كانت سريعة. فقد تبدلت الأدوار بين الخصوم، فأصبح عجمي نصيراً للحكومة التي أعادت الاعتراف به رئيساً رسمياً على لقبائل المنتفق (٤)، في حين أصبح السيد طالب وانصاره من المعارضين (٥).

ولمواجهة هذا الواقع الجديد، لجأ السيد طالب إلى تدبير بـارِع استهدف منه حل فرع جمعية الاتحاد والترقي في مدينة البصرة، مقابل حل فرع حزب الحرية والائتلاف المشكل برأسته والذي كان قد حل في مطلع سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م محل الحزب الحر المعتدل السابق (٦). ولذلك

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 3105/1913, Summary ... June 1913, P.1.

(٢) Lewis, Op.Cit., P. 225.

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1213/1913, Summary... Jan. 1913, P.3.

(٤) Longrigg, Op.Cit., P. 56.

(٥) الطاهر، العشائر العراقية، ص ٨٢ وأيضاً Dickson, The Arab of the Desert, p.558.

(٦) التميمي، مرجع مذكور، ص ٣٥ - ٣٧.

جمع في منزله في السادس والعشرين من يناير ١٩١٣ م (السابع عشر من صفر ١٣٣١ هـ) عددا كبيرا من وجهاء مدينة البصرة من اعضاء الحزبين معا ووجههم لصياغة مضبطة وقعوها جميعا وختموها بأختامهم واقسموا على تنفيذها . وهي تنص على انهم وجدوا الخلافات الحزبية قد وضعت الدولة العثمانية على حافة الدمار ، فقرروا منذ هذه اللحظة الا يفتقوا الى جانب جمعية الاتحاد والترقي او معارضيها ، بل سيكرسون جهودهم كلها لخدمة الدولة بدون اختلاف حزبي (١) . ولا ريب أن الاتحاديين من البصريين تقبلوا ما اوحى به السيد طالب اذعاناً لا اقتناعاً ، اذ ان سكان مدينة البصرة كلهم كانوا يخشونه ولا يجراؤن على رفض أي طلب من طلباته مهما كان استبداديا (٢) . وما أن تم للسيد طالب تنفيذ الشق الاول من خطته حتى بادر الى تنفيذ الشق الثاني منها ، فشكل في العشرين من ربيع الاول ١٣٣١ هـ / الثامن والعشرين من فبراير ١٩١٣ م جمعية سماها "الجمعية الاصلاحية" ، ضمت نفس اعضاء حزبه السابق (٣) .

وضعت الجمعية الجديدة برنامجا لعلها مكونا من سبع وعشرين فقرة كانت اهمها الفقرة التي تطالب الحكومة المركزية بأن يكون الوالى المعين لولاية البصرة مواطنا عراقيا مطلعا تماما على اوضاع القبائل المحلية وعاداتها (٤) . كما طالب ذلك البرنامج بوجوب توزيع بعض الاراضي الحكومية

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 1213/1913, Summary... Jan. 1913, P. 5.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. M-467, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 7, 1912.

(٣) فيضى ، مصدر مر ذكره ، ص ١٣٠ .

(٤) Zeine N. Zeine, The Emergence of the Arab Nation, 3rd. edit., New York, 1973, P. 95.

على القبائل كي تقوم بزراعتها ، وباعفاء الفلاحين من الخدمة العسكرية —
الالزامية لمدة عشرين سنة (١). ويدل كل ذلك على أدراك طالب وانصاره
لأهمية المشكلة القبلية في ولاية البصرة من ناحية ، وعلى استمرار حرصه على
اجتذاب تأييد بعض القبائل لقضيته من ناحية أخرى سيما وأنه متورط في نزاع
مع قوة قبلية كبيرة هي عجمي وانصاره . ولقد روى القنصل الامريكى فى بغداد
انه سمع بأن السيد طالب كان يطوف حينئذ على الشيخ محاولا توحيدهم
خلفه (٢) . ولعل القنصل الامريكى لم يقصد المعنى الحرفى للطواف ، اذ ليس
هناك ما يشير الى مفادرة طالب لمدينة البصرة وزيارته لاي من الشيخ فى
هذا الوقت . ولكن فالح البنية أحد مشايخ بنى لام روى للقنصل البريطانى
فى البصرة أن طالبا كتب له ولاخيه غضبان رسالة تطلب منهما مناصرتهم باعتباره
زميمهم وممثلهم ، وتقتصر عليهما أن يوقع مشايخ بنى لام مضبطة بهذا المعنى ،
ولكن بنى لام رفضوا الاستجابة لذلك الطلب لأن اهدافهم واغراضهم مختلفة
ولا نهم يفضلون العمل مستقلين (٣) .

وقد نشطت تلك الجمعية على أية حال فى معارضة الحكومة الاتحادية
الجديدة ، وتركزت معارضتها على القانونين اللذين اصدرتهما الحكومة
فى ربيع الثانى ١٣٣١هـ / مارس ١٩١٣م لاعادة تنظيم ادارة الولايات العثمانية
واعطاء اهالى كل ولاية قدرا من المشاركة فى ادارة ولايتهم من خلال انتخابهم

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. at Bag. to Am. Charge d'Affaires at Const., Sept. 25, 1913.

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 17, 1913.

(٣) PRO, FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 18, 1913.

لجمعية محلية تساعد الوالى المعين من قبل الحكومة المركزية (١) . فقد احتج طالب ومناصروه على اعطاء الوالى حق اعلان الاحكام العرفية ، وطلب رأسته الجمعية التى أرادوا لها ان تكون مستقلة وتتمتع بحق استدعاء الوالى وبقيّة الموظفين للدلالة أمامها بالمعلومات المتعلقة بشئون الولاية ، وان يكون لها أيضا حق وضع خطط اصلاح المطلوبة فى الولاية ، كما الحوا على أن يكون توطيد القبائل فى اراضى معينة واجب التنفيذ طبقا للخطّة التى تقدّمها الجمعية للولاية . (٢)

صاغ السيد طالب مذكرة تضمنت تلك الاعتراضات والمطالب ، ورفعها الى الباب العالى بعد أن وقعها وجهاً مدينة البصرة (٣) . وقد روت الاخبار الصحفية المتداولة حينئذ أن بعض رؤساء العشائر قد وقعوا تلك المذكرة أيضا ولكنها لم تحدد اسما أولئك الرؤساء (٤) ، ورغم ان المصادر لم تشر الى مشاركة أى من الشيخ فى توقيع تلك المذكرة ، فليس من المستبعد أن يكون قد وقعها فعلا بعض شيخ العشائر الصغيرة المحيطة بمدينة البصرة المتأثرين بنفوذ السيد طالب أو التابعين لصديقة الشيخ خزعل . ومهما يكن الحال ، فقد رد وزير الداخلية المثنانى على تلك المذكرة ، وافضا

(١) Ahmed, Op.Cit., PP.134-135.

(٢) PRO,FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 8, 1913.

(٣) PRO,FO 424/237, No. 11, Cons. Crow to Sir G. Lowther, Feb. 24, 1913.

(٤) لغة العرب، السنة ٢، ج ١٠، جمادى الاولى ١٣٣١هـ / نيسان ١٩١٣م، ص ٤٧٥ .

ماحوته من اعتراضات ومصرأ على وجوب المباشرة فى انتخاب الجمعية، الأمر الذى قوبل بالرفض من قبل السيد طالب وانصاره مالم تتم الاستجابة لمتطلباتهم (١). وقد هيا ذلك التناقض فى وجهات النظر الفرصة الاولى لاختيار القوة بين الحكومة والوطنيين العرب فى البصرة، وهو الاختبار الذى لا يمكن القول بأنه حسم وقتذاك، حسب تعبير المقيم السياسى البريطانى فى بغداد (٢).

ويبدو أن محاولة حسم ذلك الاختبار قد تطلبت تدخل طرف آخر فى ساحة الصراع، ذلك هو عجمى، الخصم التقليدى للسيد طالب، فليس مجرد صدفة أن يعاود عجمى تحركه باتجاه مدينة البصرة فى هذا الوقت بالذات. وكانت أول الأنباء عن تحركه قد عرفت حين زار فالح البنية أحد مشايخ بنى لام القنصل البريطانى فى البصرة فى الثانى عشر من مارس ١٩١٣م (الثالث عشر من ربيع الآخر ١٣٣١هـ) واخبره بأنه قدم للتو من زيارة قام بها لمخيم عجمى فى "تل المقير" (٣) على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة حيث وجد معه حوالى تسعة الاف فارس، واكد للقنصل بأن عجمى سيهاجم مدينة البصرة قريباً ثاراً لوالده من السيد طالب (٤). ثم تلا ذلك وصول رسائل من عجمى لعدد كبير من وجهاء مدينة البصرة وشيوخ العشائر ومختارى القرى الواقعة جنوبها (٥). وكان النعى الموحد لتلك الرسائل هو: - "نخبركم

PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
May 8, 1913.

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 2785/1913, Summary... May (٢)
1913, P.2.

(٣) اطلال مدينة أور السومرية المشهورة، والتل هو بقايا "الزقورة" أو المصبد المرتفع المبنى من الطابوق الذى وضعت بينه طبقات من القير لئلا يمتصها، ولذلك سماه العامة "المقير"، راجع:

Young, Gavin, Iraq: Land of Two Rivers, London, 1980, P.147
PRO, FO424/238, No.16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March (٤)
15, 1913.

PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٥)
May 8, 1913.

أنه قد بلغنا وتحقق لدينا ما جرى من الأغتشاش وبث الفساد بالبصرة من بعض
المفسدين بما ينافى رضى الله تعالى ورضى الحكومة الدستورية . وقد
وجهنا الهيئة التفتيشية [كذا] وحسب خدمتنا لدولتنا راجعنا المقامات
العالية بذلك وحالا موجّهين لهذا الطرف منتظرين أوامر الحكومة ومستعدين
لتأديب كل مفسد وتأمين الوطن ، هذا والسلام" . (١)

وفى الوقت الذي استلمت فيه هذه الرسائل ، كانت بعض التفهيمات
الإدارية تجرى فى مدينة البصرة . فقد وصلها الوالى الجديد علاء الدين
بك فى الثانى من مايو ١٩١٣م (الخامس والعشرين من جمادى الاولى ١٣٣١هـ)
كما وصلها بعد ذلك بأربعة أيام فريد بك متصرف المنتفق السابق الذى عين
قائدا لحاميتها العسكرية ، وقد سبب تعيينه لهذا المنصب قلق السيد طالب
واتباعه ، لكونه اتحاديا متطرفا ذا ميول معادية للعرب . ولكن الوالى أثناء
المأدبة التكرمية التى أقامها له طالب طمأن الحضور بأن فريد بك لن
يتدخل فى إدارة الولاية وإن عمله سيقصر على واجباته العسكرية فقط .
وفيما يتعلق بمجمى وجه له الوالى رسالة تطلب عدم اقترابه من مدينة
البصرة وتفتوح عليه - إذا ما أراد اظهار ولائه للدولة - أن يتوجه لها
وحده دون أن يصحب معه اتباعه . ونظرا لما حل بوالده سنة ١٣٢٩هـ /
١٩١١م حين قبل دعوة مشابهة فلم يكن من المرجح أن يستجيب مجمى لذلك
الاقتراح على حد قول القنصل البريطانى فى البصرة (٢) .

(١) صدى بابل السنة ٤ ، العدد ١٨٩ ، ٢٥ جمادى الاخرة ١٣٣١هـ /

احزيران ١٩١٣م ، ص ٢٠

PRO, FO 424/ 238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٢)
May 8, 1913.

ولم يستجب عجمي لذلك الاقتراح بالفعل ، بل بادر بالاقتراب على رأس رجاله من البصرة ، فقد أرسل متصرف المنتفق أخباراً بأن عجمي وصل إلى قرية " الفبيشية " الواقعة على بعد حوالي عشر ساعات شمال غرب البصرة (١) . وفي نفس الوقت تحرك أنصاره في مدينة الزبير يقودهم وكيله محمد العصيمي بعد أن انضم لهم شيخ المدينة " محمد المشري " (٢) . وقد هجم الجميع في الرابع من مايو (السابع والعشرين من جمادى الأولى) على المفزة الحكومية فشتتها وسيطروا على المدينة ، التي أرسل مديرها للولاية يخبرها بأن حياته مهددة بالخطر ، ويطلبها بأرسال النجدة . فأرسلت له الولاية لجنة من ضباط الأركان لأجراء التحقيقات التي أظهرت أن محمد العصيمي هو سبب المشكلة . ثم أرسلت أثر ذلك قوة من خمسين جندي أدى وصولها إلى استقرار النظام هناك (٣) . وبثير تحرك أنصار عجمي — إذا تساؤلا لا يمكن إغفاله عن سراقدهم على مضايقة السلطات الحكومية في الوقت الذي كان فيه عجمي يتمتع بتأييد تلك السلطات . وحيث أن المصادر والمراجع خلّت ما يوضح ذلك السر ، فإن الظن يتجه إلى أن أولئك الأنصار قد استغلوا قوة موقفهم نتيجة تحرك عجمي فحاولوا تصفية بعض الخلافات المحلية مع خصومهم من أنصار السيد طالب في المدينة ، الأمر الذي جرهم للاحتكاك مع القوة الحكومية الصغيرة الموجودة فيها .

Ibid. (١)

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٣) May 8, 1913.

أما عن عجمي ، فقد فتح اقترابه من البصرة الباب أمام اتصالات سياسية واسعة ، ففي حين أرسل هو يستدعي بعض وجهاء مدينة البصرة لمقابلته في مخيمه ، أقدم السيد طالب على القيام بمحاولة جريئة أستهدفت اقناع عجمي بأنهاء العداء بينهما والانضمام الى جماعته . (١) وعلى الرغم من اننا لانعرف تفاصيل تلك المحاولة ، الا ان اقدام طالب عليها ربما عكس شعوره بضعف موقفه . وهو ضعف يبدو انه كان محسوسا للمراقبين حتى أن المقيم السياسي البريطاني في بغداد علق عليه بقوله :- " لقد كنت انطابا هنا في بغداد بأن قضية السيد طالب لا يبدو انها تتقدم كثيرا للأمام بالرغم من ثراء عائلته ونفوذه و صفتها الدينية وبالرغم من ذكائه ومعرفته بالعالم وثقافته الانجليزية الى حد ما ، فبدون تأييد شيوخ القبائل العربية لا يستطيع أن يحقق الا القليل ، ورغم أن بعض الشيوخ يمكن أن يصبحوا تحت رعايته مؤقتا فلا يبدو محتلا أن من هم اكثر اهمية من بينهم سيطيعونه طويلا او حتى يحترمون رعايته . ربما يرى السيد نفسه في احلامه والصولجان بين يديه ، ولكنه يجب أن يدرك في تحركاته الواعية أن هنالك رجالا في البلاد أكثر منه قوة كعجمي يستعدون مثله أيضا للاسك بذلك الصولجان . . . ولن يجد الترك صعوبة في المحافظة على وضعهم في البصرة بتحريك الشيوخ ضد السادة او تحريك شيخ ضد آخر " ، (٢)

وفي حين كان السيد طالب يحاول التفاهم مع عجمي ، فإنه لم يغفل عن اتخاذ مايلزم من الاحتياطات ، اذ أرسل لاتباعه في القرى المحيطة

Ibid. (١)

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 2785/1913, Summary... May (٢)
1913, P. 3.

بمدينة البصرة كي يكونوا مستعدين للتحرك عند أول إشارة اذا ماتعرضت البصرة لتهديد فعلي من قبل خصمه (١) اما عجمي فواصل في تلك الاثناء تقدمه حتى وصل في حدود الثامن عشر من مايو (الحادي عشر من جمادى الثانية) الى قرية "الشعيبة" (٢) الواقعة على مسافة ساعة واحدة من مدينة البصرة حيث أرسل من هناك يطلب من الوالى الشخص لمقابلته لأن لديه مايود قوله له شخصيا ولا يستطيع كتابته . فأوفد له الوالى مديـــــر الشرطة يرافقه عدد من الدرك للاطلاع على مالدیه ، فأخبر عجمي ذلك الموفد بأن الذى أمره بالتوجه نحو البصرة هو لطفي بك الذى زار الناصرية مؤخرًا (٣) ، ثم سلمه رساله الى الوالى . وقد اقترح الوالى بعد الاطلاع عليها اعطاء عجمي وساما ومكافأة مالية أغراء له بالسلوك الحسن . ولكن وجهاء البصرة اعترضوا على ذلك الاقتراح متعللين بأن ولا عجمي للحكومة سيكون اكثر بروزا لو عاد الى المنتفق بدلا من بقاءه قريبا مع اتباعه وهو الامر الذى يهدد مدينتهم . وقد علل القنصل البريطانى فى البصرة ميل الوالى الى استخدام وسائل ودية فى اقناع عجمي بالانسحاب بأنه نتيجة لعدم وجود قوات حكومية كافية لاجباره على الطاعة . و اضاف ان عجمي كان قد وعد الوالى بالانسحاب ولكنه لم يوف بوعده بل ظل مقيما فى مكانه على رأس قواته المؤلفة من

(١) PRO, FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 8, 1913.

(٢) قرية صغيرة تبعد ميلين عن مدينة الزبير وحوالى ستة عشر ميلا عن مدينة البصرة ، راجع : لغة العرب ، السنة ٨ ، ج ٤ ، ابريل ١٩٣٠ م ،

ص ٢٥٤ .

(٣) معاون والى بغداد ورئيس اللجنة التى مر ذكرها فى الفصل الثانى . راجع ص ٢٢٨ .

الف وخمسمائة رجل . (١)

ولم يخل اقتراب عجمي من البصرة من فائدة تعود على الحكومة ، اذ انه خفف من غلواء السيد طالب في معارضته لها ، فتغيرت نهجته ابتداءً من الثاني عشر من مايو (الخامس من جمادى الثانية) واخذ يعلن بأنفسه وجد الوالى الجديد ميالا للتفاهم ، وبأن مطالب العرب سيسعى اليها من طريق الاعتدال (٢) . ولعل هذا التغير هو السبب الذى جعل وزير الداخلية يبرق له شاكرًا أياء على المعلومات التى قدمها فيما يتعلق بتحركات عجمي الاخيرة ، ومعربا عن امله فى ان المذكور سيقنع بالابتعاد عن مدينة البصرة طوعا . وقد أدى ذلك الاقتراب أيضا الى زيادة قلق طالب على سلامته الشخصية مما دفعه لجلب عدد كبير من اتباعه المسلحين لحراسة مسكنه . كما أرسل له صديقه الشيخ خزعل خمسين مسلحا آخرين للخفاية نفسها ، ف ضرب الجميع طوقا محكما حول مسكنه بل وانتشروا ففى الردهات والممرات داخله . وحين لاحظ القنصل البريطانى ذلك اثناء زيارته له فى منزله سأل عن السبب الحقيقى للربح العام الذى ساد المدينة نتيجة لاقتراب عجمي . فرد عليه السيد طالب بأن رغبة عجمي بالنيب ربما دفعت فجأة للاغارة فى الليل او النهار على المدينة بفرسانه الذين سينهبون أى منزل او متجر او بنك ثم يعودون بسرعة الى الصحراء كما جاءوا بعد أن يقوموا بإطلاق النار على عدة اشخاص فى الشوارع . وفى أثناء الحديث جاء

PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
May 18, 1913.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2785/1913, Summary... May (٢)
1913, p.3.

ثلاثة من انصار السيد طالب وانتحوا به جانبا . ثم عاد طالب ليقول للقنصل بأن أولئك الرجال رجعوا للتو من مقابلة الوالى الذى وجدوه غير راغبين او غير قادرين على ابعاد عجمي . و اضاف ان الوالى اخبرهم بأنه يترك لطالب حرية استقدام اتباعه للقيام بحماية المدينة . ثم قال طالب بأنه يستطيع أن يجمع ثلاثين الف رجل من أجل تلك الغاية (١) . ولا شك أن ذلك القول كان مبالغه واضحة أقدم عليها طالب بهدف تضخيم قوته فى عين القنصل ، فهو فى ذروة اشتداد أزمته تلك مع عجمي لم يستطع أن يجمع أكثر من الف رجل (٢) .

ومقابل محاولة السيد طالب أسترضاء السلطات الحكومية ، فإن عجمي استمر يواصل تلك السلطات عليه ، فقد ابرق فى اواخر مايو (جمادى الاخره) الى الصدر الاعظم والى وزيرى الحرب والداخلية معللا القلق السائد فى المنطقة حالها بنفوذ السيد طالب المدمر ومكائده . وذكر أن الوالى لم يأخذ بنصحه ويقنع طالبا مما اعطاه الفرصة كي يقنع ابن سعود بالعمل على انتزاع الاحساء . ثم أضاف بأنه اخلاصا منه للحكومة فقد جمع قبائله ووضعهم تحت السلاح من اجل مساعدة القوات الحكومية ضد المتمردين فى البصرة . كما أمر ابن رشيد بالالتحاق به على رأس قبائله لقضم ظهور اعداء الدولة وليقوم الجميع بأسترداد الاحساء . وماد فى ختام برقيته الى التأكيد على ان كل المتاعب هى من نتائج مكائد السيد طالب الشائنة التى منها اتفاقه مع القناصل الاجانب على ايجاد الحالة الراهنة التى ستنتهى بالشورة ،

PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G.Lowther, (١)
May 18, 1913.

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٦٦ .

ودعا الى نفيه من البصرة (١) .

وفي حين كان كل من الخصمين حريصا على كسب ود السلطات الحاكمة وتحريضها ضد خصمه ، فإن تلك السلطات لم تتخذ موقفا صريحا تجاه مايجرى ، ورغم ذلك فإن القنصل البريطاني في البصرة كتب قائلا : - " اننى ميسال للاعتقاد بأن ظهور الشيخ [عجمى] بجوار البصرة مرتب سلفا عن قبل السلطات العثمانية ، فهى غير مضطربة البتة منه ، ولا تبدولى جهودها لابعاده جهودا صادقة . ربما اعتبرته قوة معادلة وأملت فى استخدامه ضد الطموحات السياسية العربية ، اولتحويل انتباه الوجهاء عن خطط المركزية والحكم الذاتى عن طريق تشجيع الاعتقاد العام بأن زعيم المنتفق موشك على مهاجمة المدينة . ان السيد طالب على علاقة سيئة بعجمى بصورة جليلة ولا يصفح احدهما عن الآخر ، ويبدو أن هدف وغرض أنصار كل واحد منهما هو الابقاء على الزعيمين متباعدين " (٢) .

وازا تهاون السلطات المحلية فى ابعاد عجمى ، لجأ السيد طالب الى قواه الذاتية لعلها توصله لهذه الغاية . ففي اوائل يونيه (اواخر جمادى الثانية) شن هجوم من قبل بعض العرب المقيمين على ضفاف النهر على قاعدة عمليات عجمى فى الفبيشية . (٣) وكانت القوة المهاجمة تتألف من

PRO, FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١) May 31, 1913.

Ibid. (٢)

IOR, L/p+s/10/212, No. P-3405/1913, Summary... June 1913, p. 1. (٣)

مائتي " مشحوف " (١) تقل حوالى ألف رجل ، هاجموا ذلك الموقع الواقع على ضفة النهر ، واصطدموا مع القوة التى تركها عجمى لحمايته ، فقتلوا خمسة من افرادها ، ونهبوا ما وصلت اليه ايديهم من المتاع الموجود هناك . وقد أدرك عجمى على الفور أن ذلك الهجوم من تدبير السيد طالب فأبلغ والى البصرة بالامر واجتج لديه ضد مرتكبيه . (٢)

وفى غضون ذلك لم تنصب جهود عجمى على اقرا* السلطات بالسيد طالب فقط بل سعى أيضا الى اقرا* مؤيديه من أفراد العشائر القاطنين فى البصرة بالانفضاض عنه ، فعمل على اقناع بعض علماء الدين الشيعة فى النجف بأصدار فتاوى تدعين السيد طالب ، وقد صادف سعيه فى هذا السبيل نجاحا واضحا (٣) . وكان من نتائج ذلك انسحاب " سالم الخيون " شيخ بنى أسد من جانب السيد طالب وانضمامه الى جانب عجمى بعد أن اوعز له بذلك أحد رجال الدين فى البصرة (٤) . كما حاول عجمى فى هذا السياق أستجلاء موقفى حليفى طالب الرئيسيين وهما الشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح فأرسل لهما فى السابع من يونيه (الثانى من رجب) مستفسرا عن موقفهما اذا ما أقدم على قتل السيد طالب . فكان ردهما هو انهما يساندان حليفهما . وقد قام الشيخان أثر ذلك بتحذير طالب من الخطر المحدق به

(١) قارب خشبى دقيق الطرفين يتسع لخمسة الى عشرة رجال ، راجع : لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٣ ، رمضان ١٣٣٠ هـ ، ص ٩٣ - ١٠٣ .

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 3105/1913, Summary... June 1913, p.1.

(٤) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

ونصحاه بمغادرة البصرة ، وكاد أن يستجيب لذلك بالفعل لولا انه تراجع آخر الأمر خشية من ان يفقد هيئته بين انصاره اذا ما غادر المدينة ففى هذه الظروف الحرجة (١) .

وبالإضافة الى محاولة عجمى ترتيب أموره مع الجهات المحلية ، فقد توجه بأنظاره لمصرفه موقف السلطات البريطانية التى كانت مهتمة بمتابعة تطورات الوضع وقلقة من انعكاساتها على مصالحها ورعاياها فى البصرة . وقد دفعها ذلك لاستقدام السفينة الحربية ألرت Alert التى ألقت مراسيها فى البصرة وظلت مرابطة هناك منذ الرابع من مايو (٢) السابع والعشرين من جمادى الاولى) . كتب عجمى الى البشير الامريكى الأب جون فان ايس رسالة أخبره بأنه لا يستطيع أن يعود أدراجه مخافة تعريض سمعته بين العرب للخطر ، كما انه لا يستطيع أن يظل حيث هو بلا حراك لان النفقات المالية التى يتحملها تبلغ مائة ليرة يوميا ولأن صبر أتباعه بدأ ينفذ ، وذلك فأن السبيل الوحيد المتبقى أمامه هو التقدم ومهاجمة البصرة وهو ما سيتم قريبا جدا . وختم عجمى رسالته بأن طلب منه مقابلة القنصل البريطانى والتعرف على موقف حكومته اذا ماهاجم البصرة ونجح فى هجومه . وقد نقل فان ايس هذا الاستفسار للقنصل البريطانى الذى رفض الرد عليه (٣) . ويعكس ذلك الرفض موقفا بريطانيا متحفظا ازاء تحرك عجمى ، بل هو أقرب ما يكون الى المعارضة الصريحة كما سنرى .

PRO,FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
June 20, 1913.

PRO,FO 424/238, No. 26, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٢)
May 8, 1913.

PRO,FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٣)
June 20, 1913.

ولم يكن أنتظار عجمي بلا نتيجة كما توقع، فقد أوشكت ساعة العمل على الاقتراب ، حين اتفق مع القائد فريد بك على أن يتوجه أخوه حنيد مع بعض أتباعه الى مدينة البصرة . وقد اتخذت الاستعدادات اللازمة قبل وصولهم فأشترى سالم الخيون في اواسط يونيه (الاسبوع الثاني من رجب) منزلا بستائة وخمسين ليرة واستأجر منزلا ثانيا واعدهما لسكنى حمد وأتباعه . وحين سمع القنصل البريطاني بتلك الاستعدادات وما قيل من تستر فريد بك عليها ، قابل الوالي ولفت نظره بصورة غير رسمية للا مر ووضح له أن هناك مزامم تشير الى مساعدة فريد بك لعجمي في مكائده ، وان من المرجح ان يسبب عمل كهذا مشكلة في المدينة . فرد عليه الوالي منكرا معرفته بأى شىء يتعلق بالمنزلين المذكورين ومسلك فريد بك . ولكنه أضاف أن البصرة مدينة مفتوحة يمكن للناس أن يأتوها ويذهبوا منها كما يشاءون . وهكذا لم تفلح جهود القنصل في التأثير على نشاط فريد بك الذي أرسل بعدها رجالا وبغالا الى الزبير لمرافقة حمد بن سعد بن وخمسين من اتباعه المسلحين ، حيث وصلوا البصرة في ١٩ يونيه (الرابع عشر من رجب) وحلوا في المنزلين المعدين لهم . (١)

وكان قد سبق وصول حمد وأتباعه حدث آخر أثر على الموقف . اذ وصل الى البصرة من المنتفق في الخامس عشر من يونيه (العاشر من رجب) المنافس الرئيسى لعجمي وهو عبد الله الفالح السعدون وأخوه عبد الرزاق وابن عمه ابراهيم المزمّل . وقد علق القنصل البريطاني في البصرة على وصول هاتين الجماعتين للمدينة بقوله : " اذا ما سمع هكذا لهاتين الزمرتين المتنافستين من عائلة ال سعدون بالاقامة في البصرة فيبدو من المرجح أن يحدث فوضى

أية لحظة تصادم بين اتباعهما المسلحين الذين يقال انهم الآن يتبادلون نظرات التهديد ويصوبون البنادق على بعضهم البعض. ويختال الاتباع المسلحون لكل جانب في الشوارع بدون معارضة، وهم يحطون اسلحتهم حتى حين يدخلون الى السراى. ولقد نبه الوالى لهذه الحالة التى هى تهديد واضح للأمن العام ولكنه تجاهلها ولم يتخذ أية خطوات لمواجهةها. وهناك اشاعة عامة تفيد بأن اتباع عجمي ينشرون رواية تقول أن بعض الناس هنا يريدون تسليم المدينة لـ " الكفار الاجانب " ، أن العنصر المتعصب صغير فى البصرة ولكن روايات كذلك لا يمكن ان تخدم غاية نبيلة، وربما أثرت على الطبقات الجاهلة وحرضتها على الاخلال بالأمن العام. وقد علم بأن الوالى رجلاً فريد بك عدة مرات أن يبعد عجمي عن المنطقة المجاورة، ولكن القائد أعار أذنا صماء لتلك الالتماسات، وتلمح بعض الاوساط الى انه تسلم مالا من عجمي ولا تبدد السلطات بصدد اتخاذ اجراءات لطمأنة الممـسـوم من طريق القيام بالسيطرة على الموقف الذى يصبح اكثر خطورة يوماً بعد يوم، واستمرار تلك العناصر المزعجة فى المدينة يسبب عدم استقرار صديق وسخطا على الحكومة المحلية، وتحت هذه الظروف يبدو من غير الحكمة للوالى أن يفضى عينيه من الموقف، او ان يجعله يتفاقم من جراء عجزه من ممارسة سلطاته. وطبقا لمعلوماتي فإن القائد العسكرى فريد بك ملوم كثيرا، وبالرغم من انه ربما كان من الصعب اثبات اى شىء محدد ضده فيبدو انه بلا ريب مصدر الأذى الاساسى". (١)

وفي حين وصل حمد واتباعه الى البصرة ، غادرها فريد بك في ١٩ يونيه ١٩١٣ م (الرابع عشر من رجب ١٣٣١ هـ) على ظهر الباخرة الحربية "مرميس" الى الفاو تحت ستار تفتيش المراكز العسكرية الواقعة على ضفة نهر شط العرب . وقد صاحب معه في سفرته تلك كلاً من بديع نوري بك متصرف المنتفق وعبد الله الفالح السعدون . ولم تطل زيارة القائد ومرافقيه كثيراً ، اذ عادوا في اليوم التالي ، والقت باخرتهم مراسيها في العشار عند مضيق الشمسس فنزل منها القائد يتبعه مرافقوه (١) . وفجأة ظهر أربعة من العرب المسلحين كانوا مختبئين في خربة مجاورة واخذوا يطلقون النار على الموكب (٢) ، من مسافة قريبة فسقط القائد ميتاً لفوره بينما جرح المتصرف واحد أفراد الدرك جروحاً بليغة أودت بحياتهما فيما بعد ، ولم يصب عبد الله الفالح بسوء . وقرب منتصف الليل تكرر اطلاق النار نتيجة صدام وقع خطأ بين بعض اتباع حمد وسالم الخيمون الذين كانوا يبحثون عن الجناة في البساتين المجاورة ودورية من القوات الحكومية كانت تقوم بالمهمة نفسها (٣) . وترتب على ذلك القاء الدورية القبض على أربعة من أولئك الاتباع (٤) .

والغريب أن المدينة أصبحت في اليوم التالي هادئة تماماً ، ولم يلفت نظر القنصل البريطاني فيها سوى مراسيم تشييع القائد القتيل في موكب عسكري اخترق

Ibid. (١)

(٢) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ١١٣ .

PRO,FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G.Lowther, (٣) June 20, 1913.

PRO,FO 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٤) June 27, 1913.

شوارعها في الصباح الباكر، مما جعله يعتقد أن النتيجة المباشرة للحادث تبدو وكأنها تهديّة الهياج العام في المدينة وأخطار القلق الذي عميها خلال الأسابيع القليلة الماضية . ولا ريب أن ذلك كان نتيجة لتحرك السلطات المركزية في استانبول تحركا سريعا أعقب الحادث مباشرة لمواجهة الموقف وتشجيعها الوالي على تبني موقف أكثر نشاطا بعد أن ظل دوره لحشد ذلك تعوزه الحيوية . وقد أمدّه ذلك التشجيع بالقوة فأخضع المدينة لحراسة القوات الحكومية بينما لزم مسلحو العنق منازلهم لا يبرحونها . ثم استدعى حمد السعدون إلى السراي وأمره بمفادرة المدينة على الفور ، وحين رفض حمد الاستجابة للأمر أغبره بأنه استلم أوامر من استانبول لمعاملته كعاص إذا ما ظل في المدينة . وعند ما أضطر حمد للمفادرة مع حليفه سالم النخيون واتباعهما تحت حراسة حكومية ، وفي نفس الوقت أرسل الوالي رسالة إلى عجمي في مخيمه بالشعبية يأمره فيها بالرحيل حالا تنفيذا لأوامر برقية وصلتته من وزير الداخلية . (١)

وقد تلقا عجمي في تنفيذ تلك الأوامر ، مما جعل الوالي يقترح فسي السادس والعشرين من يونيو (الحادي والعشرين من رجب) إرسال قوات عسكرية لا يجارها على الرحيل . ولكن محمد فاضل باشا الداخستاني المفتش العام للقوات العسكرية في العراق رفض الاستجابة لذلك الاقتراح (٢) . وفي أثناء ذلك كان عجمي يحاول من خلال فالح البنية أحد مشايخ بني لام كسب تعاطف القنصل البريطاني في البصرة مع قضيته ، ربما من أجل أن يضغط

Ibid. (١)

IOR, L/p+s/10/212, No. P-3105/1913, Summary ... June 1913, p. 2. (٢)

بذلك على السلطات الرسمية التي أخذ يشعر بتغير موقفها نحوه . ولكن محاولته تلك قوبلت بالصد حين أخبر القنصل فالحا بأن على عجمي الاستجابة لاوامر وزير الداخلية التي لا تشجع الحكومة البريطانية أحدا على مخالفتها . (١) ونعود الآن الى حادثة الاغتيال ، فنجد انها سببت تضاربا في الآراء حول هوية مرتكبها . ففي الايام القليلة التي تلتها كان البعض في البصرة يعزو سببها الى الموقف العدائي الذي اتخذه القائد القتل تجاها السيد طالب . بينما عزاه آخرون الى غضب بعض الشيوخ الذين قدموا من مناطق الفرات الى البصرة في العشرين من مايو (الثالث عشر من جمادى الآخرة) فطردهم فريد بك وعاطبهم معاملة سيئة . كما أن البعض ذكر اسمى شيخى الكويت والمحمرة باعتبارها مخططين للجريمة أو مؤيدين لها . وقد علّق القنصل البريطاني في البصرة على تلك الروايات بالقول انه لم يستلم بعد تأكيدا لاي منها ، ولكن ذلك لا يمنعه من الاستنتاج بأن فريد بك كان يتآمر مع بعض آل سعدون من اجل اهدافه الخاصة فذهب ضحية لطيشه (٢) . ولكن ذلك القنصل توصل في وقت لاحق الى قناعة حول هوية مرتكبى الحوادث حين ذكر أن الرأي الشائع في البصرة هو أن فريد بك كان يسعى بتوجيه من جمعية الاتحاد والترقي لتدمير زمة طالب تدмира كليا . ولكن طالبا أخذ زمام المبادرة فقتل الممثلين الرئيسيين في تلك المسرحية المأساوية دفاعا

PRO, Fo 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
June 27, 1913.

Ibid. (٢)

عن نفسه قبل أن تتاح لهما الفرصة لتنفيذ برنامجهما المعد (١) . وقد اتفق القنصل الأمريكي في بغداد مع رأي زميله البريطاني حين قال أن المفهوم عموماً في بغداد والبصرة هو أن الجريمة ارتكبت بتحريض من السيد طالب الذي تجاهله فريد بك وحاول أن يكف يده عن التدخل في الادارة الحكومية. (٢)

ومن المفيد الاطلاع هنا على رأي السيد طالب نفسه فيما حدث ، فقد قام بزيارة القنصل البريطاني في البصرة ، مصطحباً معه عبد الله صائب عضو محكمة البداية في البصرة والمسئول عن التحقيق في القضية . وقد اثنى القنصل رواية طويلة عما حدث ، يمكن اجمالها كما يلي : - أن العقيد عزت بك القائد العسكري الجديد في البصرة أدلى بشهادة تفيد بأن فريد بك أرسل للبصرة لقتل السيد طالب واثنى عشر رجلاً من انصاره . وان الذي كلفه بتلك المهمة هم كل من نجاتي بك رئيس محكمة استئناف بغداد ورئيس فرع جمعية الاتحاد والترقي فيها وعادل بك وزير الداخلية السابق وطلعت بك وزير الداخلية وقتذاك وجمال بك الحاكم العسكري لاستانبول وعزى بك مدير الأمن العام هناك ، حيث وعدوه جميعاً بتعيينه والياً للبصرة وقائداً لقواتها اذا ما نجح في مهمته . وقد تحرك عجمي بعد وصول فريد بك للبصرة وكتب لوجهائها وروساء عشائرها بأنه جاء بناءً على طلب متصرف المنتفق ولطفى بك مفتش الدرك اللذين بلغاه بأوامر استانبول . وحين طلب الوالى من فريد بك أبعاد عجمي ، رفض فريد الاستجابة بل وبعث قائد الدرك هجرانى بك الى عجمي ليطلب منه الاقتراب اكثر من البصرة ، وحين عاد هجرانى حمل معه

(١) PRO, FO 424/239, No. 43, Cons. Crow to Mr. Marling, July 19, 1913.

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. at Bag. to Am. Charge d'Affaires at Const., July 28, 1913.

مائة ليلة من عجمي . ثم جلب فريد بك للبصرة بمساعدة سالم النخيون حمداً واتباعه الاربعمئة الذين وزعوا على أربعة بيوت في المدينة . وفي حين ذهب فريد بك الى الفاو بحجة زيارة منارة أرشاد السفن هناك كان هدفه هو تحذير الحشائر المقيمة على طريقه من التحرك نحو البصرة اذا حدثت فيها اضطرابات . كما أرسل في يوم مفادرتة عاطف أفندي قائد درك لواء المنتفق لمقابلة عجمي . وفي اليوم التالي التقى عاطف وهجراني وأربعة من رجال سالم النخيون في احدى المقاهي المنعزلة وربوا لجريمة تستهدف حياة عبدالله الفالح ، وحين أقدموا على التنفيذ أخطأ الرماة عبدالله واصابوا القائد ومرافقيه . واثار ذلك منع هجراني الحرس من مطاردة القتلـة وارسل من ينذر حمداً وسالماً واتباعهما بعدم الخروج من المنازل . ولكن دورية عسكرية نجحت في اعتقال القتلـة وهم ثلاثة من اتباع سالم وأحد عبيد حمداً . وواصل طالب وصاحبه روايتهما بالقول انه وجدت بين حاجيات فريد بك أوراق ظهر منها أن الخطة كانت تقضى بتجميع بعض الرجال المسلحين قرب منزل السيد طالب ليطلقوا النار باتجاهه فيرد عليهم حرس المنزل بالمثل فتستدعي القوات الحكومية للتدخل ، حيث تتقدم نحو المنزل وتعتقل السيد طالب حياً أو ميتاً . وفي نفس الوقت تتوزع قوات أخرى على منازل اثنى عشر رجلاً من انصار طالب فتقتلهم على الفور ومن بينهم ابن عم عجمي سمير العبد الله السعدون وقريبه عبد الكريم الفهد السعدون . كما وجدت في حقيبة متصرف المنتفق القتيل بديع نوري بك مسودة برقية أرسلت الى وزير الداخلية يخبره فيها بوصوله للمنتفق ومقابلته لعجمي حسب الاتفاق الذي تم في استانبول ، وان عجمي تحرك اثر ذلك نحو البصرة على رأس السـف وخمسمائة فارس، وان القبائل قد حثت من قبل المجتهد المعـروف

الشيخ باقر (١) على مساندة عجمي، كما ان والى البصرة أخطر بتحريك المذكور بصورة مناسبة تجنباً لوقوع أي سوء فهم، ومضى بديع نوري في برقيته يقول أنه سيتوجه الى البصرة بنفسه اذا اقتضت الضرورة، واقتراح لزيادة الاستيثاق من عجمي أن يمنح وساما ورتبة عسكرية وراتبا شهريا مقداره ثلاثمائة ليرة تركية. وختم طالب وصاحبه روايتهما بالقول أن مراسلات سرية أخرى بين الشيخ باقر وقائم مقام سوق الشيخ وموظفين أخزين وجدت أيضا (٢).

وبغض النظر عما في تلك الرواية من تفاصيل تختلف بعض الشيء مع ما مر بنا سابقا مثل تقدير قوات حمد التي دخلت البصرة بأربعمئة رجل وان أسكانها قد جرى في أربعة منازل، فإن هناك بعض الملاحظات على تلك الرواية. أولها أن فريد بك قد أنتدب بالفعل لمهمة تتعلق بالقضاء على معارضة السيد طالب وانصاره، فقد حدث مرة قبيل مغادرته بغداد للبصرة أن كان يلعب الورق في أحد النوادي وهو ثمل، فألقى أوراق اللعب من يده فجأة وتساءل بصوت مسموع عن المدة التي سيسمح له السيد طالب ببقائها على قيد الحياة (٣). ويتعارض خوفه على حياته هذا مع ما رواه سليمان فيض من انه أخذ يتردد بعد وصوله للبصرة على منزل السيد طالب حتى انه شمل ذات ليلة وبات هناك (٤). فمن الغريب أن يخشى فريد على حياته

(١) الأرجح انه الشيخ باقر بن علي آل حيدر، أحد مجتهدى الشيعة الذي كان يسكن في سوق الشيخ، راجع: لفحة الحرب، السنة ٥، ج ٩، أذار ١٩٢٧، ص ٥٣٨.

(٢) PRO,FO 424/239, No.43, Cons. Crow to Mr. Marling, July 19, 1913.

(٣) IOR,L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary... Sep. 1913, p.3.

(٤) فيض، مصدر مذكور، ص ١٠٩.

وهو في بغداد من السيد طالب ثم لا يلبث ان يأخذ بالتردد عليه بسبل والمبيت في داره ، الا أن يكون الأمر كله عملية خداع هدفها تطمين الخصم قبل الانقضاض عليه .

أما عن تهحرك عجمي نحو البصرة فقد عرفنا سابقا أنه بدأ قبل وصول فريد لها بحوالي اسبوعين ، ولكن ذلك لا ينفي احتمال وجود اتفاق بين الرجلين ، يزحف بموجبه الأول نحو هدفه زحفا بطيئا أنتظارا لوصول الآخر الذي سزر بخطوات التواطؤ بينهما . وهو تواطؤ اعترف به عجمي نفسه ، حين ابلغ على لسان رسوله قالح البنية القنصل البريطاني في البصرة بأنه استدعى بالفعل من قبل فريد بك والوالي وقائد الدرك من أجل تنفيذ قتل السيد طالب ، وان أولئك الثلاثة أبلغوه بأنه سيكون لقاء هذه الخدمة باعطائه أملاك بعض أقاربه المنافسين له . و اضاف الرسول ان عجمي دفع فوق ذلك بعض الرشاوى فنال فريد بك الف ليرة ونال الوالي سبعمائة ليرة بينما نال قائد الدرك مائة ليرة . (١)

ويتعارض ماورد اعلاه حول دور الوالي في تلك المؤامرة مع ما مر بنا سابقا ، ومع ما ذكره السيد طالب وصاحبه عن طلب الوالي من فريد بك أبعاد عجمي عن البصرة . ولكن روايتهما لا تبرئ الوالي كلية ، فقد ذكرت في موضع آخر أن متصرف المنتفق أخطره بصورة مناسبة بما سيجري . والحق أن موقف الوالي من تلك الاحداث انتابه فموض كبير ، دفع المقيم السياسي البريطاني في بغداد للقول انه بيد وبصورة الذي لا يدري كيف يتصرف تجاه الاحداث (٢) .

PRO,FO 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١) June 27, 1913.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2785/1913, Summary... May (٢) 1913, P.3.

ويطلع لى أن الوالى المذكور رغم اطلاعه على المؤامرة باعتباره عضواً فى جمعية الاتحاد والترقى ، إلا أنه لم يحضها تأييده الصادق ، ولذلك اتسمت تصرفاته بحيايتها بالتردد الواضح .

ويأتى بعد ذلك تصوير السيد طالب وصاحبه للجريمة وكأنها كانت نتيجة غير مقصودة لمؤامرة رتبها عجمى للتخلص من منافسه عبد الله الفالح ، وساهم فى اعدادها قائداً الدرك عاطف وهجرانى . وهو تصوير تكتنفه شكوك كثيرة ، فإذا كانت مصلحة عجمى تقتضى موت عبد الله فما مصلحة ضابطى الدرك فى ذلك ؟ وإذا افترضنا أنهما مرتشيان ، فهل كان من اللازم القيام بمحاولة اغتيال عبد الله الفالح وهو بصحبة فريد بك ؟ وهل كان محض صدفة أن ينجس الشخص المقصود ويقتل بدلاً عنه اثنان من كبار الموظفين على حد ملاحظة المقيم السياسى البريطانى فى بغداد (١) ؟ لقد كانت تلك قصة مختلفة من أساسها ، إذ اعترف بعد فترة طويلة أحد المساهمين فى التخطيط للجريمة وأقر بأنها تمت بأيعاز من السيد طالب على أيدى بعض اتباعه (٢) . بل أن نائب الوكيل القنصلى الأمريكى فى البصرة علم فى حينه بأن السيد طالب زار فريد بك قبيل مصرعه وأخبره بأنه مطلع على نواياه تجاهه ، وطالبه بمفادرة البصرة على الفور والا فإنه سوف يقوم بالاقدام على الخطوة الاولى (٣) .

IOR, L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary of Events (١) in Turkish Iraq for July 1913, p.2.

(٢) فيضى ، مصدر مذكور ، ص ١٠٨ - ١١٤ .

N.A.R.S., RG 84, File No. 800, No. 32, Am. Acting Cons. (٣) Agent at Basra to Am. Cons. at Bag., Aug. 6, 1913.

ولابد هنا من وقفة عند الدور الذي لعبه عبد الله الفالح في الاحداث السالفة واول مايلفت النظر هنا هو سبب قدومه للبصرة . وهو أمر تتضارب حوله الروايات ففي حين روى البعض أن عداؤه لمجمل هو الذي دفعه للصدارة من تلقاء نفسه بالقدوم الى البصرة لنصرة السيد طالب (١) . روى البعض الآخر أن بديع نوري هو الذي اقترح على فريد بك الاستعانة بعبد الله على تنفيذ خطة القضاء على السيد طالب ، فأقر فريد بك الاقتراح . ولكن عبد الله بعد أن وصل للبصرة واجتمع بالرجلين رفض بأصرار المشاركة فسي خطتهما ، واطن لهما أعتزازه بصداقة السيد طالب . وازاء ذلك طلبا منه أن يمكث في البصرة بضعة أيام أخرى ، وكان غرضهما من هذا الطلب أن يحاولا مرة ثانية اقناعه بالتعاون معهما (٢)

وإذا كانت الرواية الاولى تبدو واضحة الضعف في ذاتها ، اذ لا يعقل أن يتطوع عبد الله بأمر قد يجره للصدام مع خصمه في ساحة تبعد كثيراً عن مصادر قوته ، فإن الرواية الثانية لا تسلم كذلك من بعض المطاعن . اذ كيف يقترح المتصرف جمع عبد الله ومجمل في تنفيذ خطة واحدة وهو يعلم ما بينهما من تنافس مرير ؟ وما الحاجة أصلاً لاشراك عبد الله في تلك الخطة في حين أن القوات الحكومية وتلك التي اعد لها عجمي كانت كافية لتنفيذها ؟ وهكذا يبدو أن قدوم عبد الله لم يكن تطوعاً ، بل هو استدعى بالفعل ، ولكن لسبب غير الذي ذكره سليمان فيضي . ذلك السبب هو تخطيط فريد بك لتوجيه لطمة الى الشيخ مبارك الصباح حليف السيد طالب . اذ لاحظ المستر نافارا Navarra مسئول محطة البرق في الفاو ، أن فريد بك وبديع نوري وعبد الفالح قاموا اثناء زيارتهم لتلك المدينة في التاسع عشر من يونية (الرابع عشر

(١) خزمل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ١١٠ .

من رجب) بمسيرة طويلة عبر بساتين نخيل تعود ملكيتها للشيخ مبارك وكانت في الأصل مملوكة لقالح باشا السعدون ، والد عبد الله . وقد سمع نافارا فريد بك وهو يقول أنه سيحاول جعل الحكومة تعيد ملكية تلك البساتين التي عبد الله (١) . ولكن ما الذي كان ذلك القائد يريد من عبد الله بالمقابل؟ لعله أراد منه الكف عن أي نشاط يضايق حليفه عجمي ، أو لعله أراد أن يكسب سكوته مما كان يزعمه من إعطاء عجمي بعض الاملاك بعد التخلص من السيد طالب كما مر بنا .

وتحسن العودة الآن الى تتبع سير الاحداث في البصرة بعد اقتياله فريد بك وخروج حمد واتباعه منها . وبرز ما كان يجري هناك هو التحقيق في الجريمة ، الذي حوله أنصار طالب من القضاة والمحققين الى مهزلة حين أصدروا أمرا بالقاء القبض على كل من سالم الخيون والضابطان عاطف وهجراني باعتبارهم متهمين في القضية إضافة للمتهمين الأربعة الذين سبق اعتقالهم . ولم تخف حقيقة ما يجري عن السلطات المركزية في استانبول فقررت إيفاد نجاتي بك رئيس محكمة استئناف بغداد ليتولى بنفسه التحقيق في القضية . وقد نصح الوالي نجاتي بك بعدم الحضور لمدينة البصرة نظرا للجو العدائي السائد فيها ضده . ولكن المذكور تجاهل تلك النصيحة وحضر للبصرة حيث أقام طيلة وجوده فيها على ظهر الباخرة الحربية "مرميس" (٢) وكان من نتائج تحقيقاته هناك تبرئة المتهمين السبعة وعزل رئيس محكمة استئناف البصرة . (٣)

PRO,FO 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G.Lowther, (١)
June 27, 1913.

PRO,FO 424/239, No. 43, Cons. Crow to Mr. Marling, (٢)
July 19, 1913.

(٣) فيضى ، مصدر مر ذكره ، ص ١١٤ .

أما عجمي فقد ظل مخيما في الشعبية ، ويبدو أنه اومز من هناك لانصاره في الزبير بالتحرك . فقد أرسل هؤلاء الى سلطات الولايات يخبرونها بأنهم سينضمون لعجمي ويحفون على البصرة اذا لم يبعد عنها السيد طالب ، وقد أخذت تلك السلطات التهديد مأخذا جديا واقامت استحكامات دفاعية في ضواحي المدينة (١) . ويدل هذا على أن موقف عجمي قد أخذ بالتحول ضد السلطات الحكومية بعد مقتل حليفه فريد بك نتيجة لاحتساسه بأنها قد خذلت حين أستقدمته من المنفق ، ثم عادت تطلب منه الرجوع من حيث أتى بأسلوب أشبه بالطرده مع ما في ذلك من تأثير على هيئته بين اتباعه .

ويبدو أن شعوره ذلك ، ورضته في مضايقة جمعية الاتحاد والترقي التي خذلت ، وحاجته الملحة الى مخرج من المأزق الذي وجد نفسه فيه ، قد دفعته جميعها الى التجاوب مع مسعى الوساطة بينه وبين السيد طالب الذي قام به قريبه وحليف طالب "عبد الكريم الفهد السعدون" (٢) . ذلك المسمى الذي تمخض عنه اتفاق الخصمين على أنها خلافتها في أوائل يولييه ١٩١٣ م (او آخر رجب ١٣٣١ هـ) وأعقب ذلك إرسال برقية من عجمي الى الصدارة العظمى ووزارة الداخلية وجمعية الاتحاد والترقي في استانبول (٣) .

PRO,FO 424/239, No. 40, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
June 27, 1913.

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ ، وروت " صدى بابل " أن عبد الكريم أقام وليمه في إحدى ضواحي المدينة جمع خلالها بين طالب وعجمي فتم الصلح بينهما ، راجع :
صدى بابل ، السنة ٤ ، العدد ١٩٥ ، ٨ شعبان ١٣٣١ هـ / ١٣ تموز ١٩١٣ م ، ص ٢٠٢ .

PRO,FO 424/239, No. 41, Cons. Crow to Mr. Marling, (٣)
July 5, 1913.

جاء فيها :- " بناءً على سماعي بالاحوال التي جرت في البصرة وقد أسندت الى الحر السيد طالب بك النقيب (١) بوقته تقربت الى الولاية بالصورة الفدائية لأجل الذود عن الوطن وقد سبقت معروضاً تى لدولتكم بحق المشار اليه والحالة هذه وجدنا السماع غير صحيح بل هو خادم لشرف الحكومة وحافظ لحقوق الطلة والوطن والشرف العربى وجميع مأمورى الولاية شاكرين خدامه نحن لاجل ذلك أصطلحنا وبادرنا بالرجوع لمحلنا " . (٢)

وقد شملت صفقة الصلح أيضاً حليف عجمى محمد العصيمى الذى قدم اعتذاره لطالب عن مواقفه السابقة التنى أجبت نار الخلاف بينه وبين عجمى ، الذى فادر بعدها الشعبية فى طريقه للمنتفق . وقد علق القنصل البريطانى فى البصرة على كل ماجرى بقوله :- " يبدو أن السيد طالب قد عزز موقفه بمقدرة وبراعة كبيرتين ، اذ استطاع باستخدام الوسائل الشرقية قهر عدد كبير من المناوئين المحليين . ان ضباط الحامية اعلنوا الآن بصراحة انهم السى جانبه (٣) ، ويظهر أن السلطات التركية قبلت ضمناً ذلك الوضع . ان حادثة عجمى التى انتهت بمقتل القائد المسكوى ومشرف المنتفق ماهى الا قضية جانبية للصراع حول القضايا المتعلقة الخاصة بأصلاح الولاية واللامركزية المطلقة

(١) يتكرر فى المصادر الحاق لقب " بك " باسم السيد طالب بالرغم من انه نال رتبة الباشوية سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٩ م ، راجع : الزوراء ، السنة ٣٠ ، العدد ١٨١٣ ، ٢٢ ذى الحجة ١٣١٦ هـ .

(٢) صدى بابل السنة ٤ ، العدد ١٩٦ ، ١٥ شعبان ١٣٣١ هـ / ٢٠ تموز ١٩١٣ م ، ص ٢٠ .

(٣) كانتاكترية ضباط حامية البصرة حينئذ من اصل عربى ، ويتعاطفون مع الحركة العربية التى كان ممثلها فى البصرة هو السيد طالب ، راجع : فيضى ، مصدر مر ذكره ، ص ١٠٨ .

التي يستعد مايزعم بأنه حزب القوميين العرب لمناقشتها مع الحكومة التركية .
ان عدد العرب المتنورين في هذه المنطقة عدد ضئيل على أية حال ، والحركة
التي تتركز بصورة رئيسية حول شخصية السيد طالب بك تبدو لى مستندة الى
طموح ذلك الرجل واغراضه الشخصية أكثر من استنادها الى أى مطلب مام
بتغييرات سياسية ذات طابع متطرف". (١)

ولكن تلك القوة التي تمتع بها طالب بعد حادثة الاغتيال وصلحه مع مجي لم تكن الا مظهرها خادعا أملت ظروف وقتية عارضية . ولم يخف ذلك عن عيني الحقيم السياسي البريطاني في بغداد فكتب قائلا : " من غير المجدي التفكير في مدى الوقت الذي سيظل فيه السيد طالب قادرا على المحافظة على دكتاتوريته الحالية . أن خطواته تدولى كخطوات لاعب سيرك يمشى على حبل مشدود اكثر من كونها خطوات رجل يمشى على أرض صلبة . أن العرب لا يخضعون طويلا لأى احد الا لسلطة قبلية ، وحتى ضد سلطة كهذه فهم يثورون أحيانا " . (٢)

وفى حين تميز موقف السيد طالب فى البصرة اثر حادثة الاغتيال ، فان الحادثة نفسها عادت بأوخم العواقب على هيئة الحكومة العثمانية فى أعين أفراد القبائل . فقد لاحظ أحد الاوروبيين الذى مرقى منطقة الفرات بعد تلك الحادثة ان كل العرب هناك جامحون بعد أن عرفوا الآن انه ليست

PRO, FO 424/239, No. 41, Cons. Crow to Mr. Marling, (1)
July 5, 1913.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary... July (Y)
1913, p.2.

هنالك حكومة ذات أية قوة . (١) وبالإضافة الى هيبة الحكومة فقد كانت هنالك ضحية أخرى لتلك الحادثة ، هو والي البصرة علاء الدين بك ، فقد أصدرت سلطات استانبول قرارا بعزله بعد شهرين فقط من توليه منصبه . وربما كان ذلك لانزعاج جمعية الاتحاد والترقي التي هو احد اعضائها من فشله في اعلان قانون الاحكام العرفية او اتخاذ اجراءات أخرى قوية كانت قد اقترحتها . (٢)

تجدد الصراع بين عجمي وطالب :

يبدو أن الصلح الذي عقد بين الخصمين اللدودين في رجب ١٣٣١هـ / يولييه ١٩١٣م أنعش آمال بعض المشتغلين في الحركة العربية حينئذ ، فأخذت الأقوال تتردد عن مؤتمر عربي سيعقد في الكويت يحضره بالإضافة لطالب وعجمي كل من الامير عبد العزيز آل سعود والشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل والشريف حسين (٣) . وقد أصبحت تلك الفكرة متداولة على نطاق واسع حتى تناولتها الصحف في بغداد (٤) . لابل أنها كانت تبدو وفي شهر نوفمبر ١٩١٣م (ذي الحجة ١٣٣١هـ) جدية حتى أن الحديث كان يدور عن جدول اعمال المؤتمر الذي يتضمن مناقشة المصالح

(١) N.A.R.S., RG, 84, File No. 800, Am. Cons. at Bag. to Am. Charge d'Affairs at Const., July 28, 1913.

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary... July 1913, p.2.

(٣) Fisher, S.N., The Middle East, A History, 2nd Edit., New York, 1968, p. 356.

(٤) صدى بابل ، السنة ٥ ، العدد ٢١٤ ، ذي الحجة ١٣٣١هـ / ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٣م ، ص ١ - ٢ .

السياسية العربية بشكل عام وما يجب أن تقوم به الحكومة العثمانية من اصلاحات في الإطار العربية بشكل خاص. وقد تخوفت السلطات المحلية من فكرة عقد المؤتمر واخذت تفعل كل ما بوسعها للحيلولة دون تنفيذها ، وهذا ما جعل المقيم السياسي البريطاني في بغداد يستبعد أية امكانية لعقد ذلك المؤتمر (١) وقد استبعد تلك الامكانية أيضا السفير البريطاني في استانبول ليس للسبب السالف فحسب وانما لانه ليس هنالك أقل دليل على الاتحاد بين المرشحين لحضوره ، فالشريف حسين عدو صريح لابن سعود وعجمي عدو معلن للسياسة طالب. (٢)

ولقد كان الحال كذلك بالفعل بين عجمي وطالب ، اذ عادت العلاقات بينهما للتوتر السريع الذي تكمن أسبابه في نشاط السيد طالب بمسند الصلح الذي انعقد بينهما . فقد أستغل طالب قوة موقفه في مواصلة الضغط على جمعية الاتحاد والترقي حتى انه أصدر في أواخر رمضان ١٣٣١ هـ / أغسطس ١٩١٣ م بيانا وزع بصورة واسعة على القبائل والقوات الحكومية في ولاية البصرة ، اتهم فيه الحكومة الاتحادية بالسعى لخلع السلطان ، ودعا القبائل والقوات الحكومية لاعلان العصيان عليها (٣) . وقد لقي ذلك البيان ذو اللهجة العادة الذي طالب أيضا بحكومة مستقلة لشبه جزيرة العرب ، صدى طيبا في الاوساط التي وزع عليها ، تمثل في الحودود الكثيرة التي تلقاها السيد

IOR, L/p+s/10/212, No. 1416/1914, Summary... Nov. and (1) Dec. 1913 and Jan. 1914, p.3.

PRO, FO 424/258, No. 296. Sir L. Mallet (British Amb. (2) at Const.) to Sir E. Grey, March 18, 1914.

Zeine, Op.Cit., p. 95. (3)

طالب وهي تحمل تأكيدات مرسلها باستعدادهم للمقاتل والتضحية بأرواحهم من اجل الهدف الذي تضمنه ذلك البيان . (١)

ويبدو ان هذا النشاط الاستفزازي الذي أظهره طالب قد دفع بالسلطات الاتحادية الى استجلاب ود عجمي ثانية ودفعه الى نقض الصلح الذي توصل له مع السيد طالب قبل أن تمر عليه ثلاثة شهور كاملة . اذ ليس هناك أى سبب آخر لما أقدم عليه عجمي حين بعث وحليفه سالم الخيون في سبتمبر ١٩١٣م (اواخر شوال ١٣٣١هـ) برقية الى جريدة الزهور الناطقة باسم فرع جمعية الاتحاد والشرق في بغداد عنونها الى عموم أهالى البصرة وشجبت مسلكهم فى الاصفاء الى شيزى الفتن ودعتهم الى اظهار الادراك السليم لكل ما فعله الحكومة العثمانية من اجل ارضاء مطالب العرب (٢) .

ولم تقف جهود السلطات الاتحادية لاختاد معارضة السيد طالب عند محاولة تجنيد أنصارها من شيوخ القبائل للضغط الأدهى عليه ، بل زادت على ذلك بالتآمر مع بعض اولئك الشيوخ للقضاء على حياته . فقد تفاهمت مع سالم الخيون على اختيار ستة من أفراد عشيرته ، كي يتوجهوا الى مدينة البصرة فى أوائل ذى القعدة ١٣٣١هـ / أكتوبر ١٩١٣م لاختيال السيد طالب ودفعت لهم ستماعة ليرة مقابل قيامهم بتلك المهمة . ولكن خبر تلك المؤامرة تسرب للسيد طالب ، فقام على الفور بأنذار وكيل والى

PRO,FO 424/240, No. 52, Cons. Crow to Mr. Marling, (١)
Aug. 30, 1913.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-4691/1913, Summary... Sep. (٢)
1913, p. 1.

البصرة بوجوب معاقبة أولئك الرجال الستة . ولم يجد الوكيل بدا من الرضوخ لمطالبه ، فأمر جماعة من الدرك بمرافقة عدد من اتباع السيد طالب الذين توجهوا للقرنة وتمكنوا من القاء القبض على اثنين من أولئك المتأمرين بمسد أن أحرقوا قريتهم (١) . وقد أخبر السيد طالب القنصل البريطاني في البصرة من اكتشاف واحباط تلك المؤامرة واتهم جمعية الاتحاد والترقي بتدبيرها (٢) .

وبعد وأن فشل كل المحاولات التي قامت بها السلطات الاتحادية لكسر شوكة السيد طالب قد أضطرها للتسليم بالأمر الواقع ومحاولة التوصل معه الى تفاهم . ولعل هذا هو جعله ينشر في السابع من ربيع الاول ١٣٣٢هـ / الثالث من فبراير ١٩١٤م بيانا في الصحف هذا نصه : - " اعلن مع كمال الفخر الى عموم اهالي الولاية والطبقات بأننا قد اتفقنا في أمر تشريك المساعي كأننا روحا واحدة وجسدا واحدا لاجل اعلاء شأن وشوكة حكومتنا السنية التي قدرت صداقتنا رسميا ولم يبق خلاف بيننا وبين الحكومة السنية بأي صورة كانت وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالا قطعيا وصرنا كلنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا الأبدية ونسعى في محافظة وحدتنا العثمانية بكل قوانا حتى لا يبقى منا فرد واحد . وللبيان حررت الكيفية واعلن ذلك " . (٣)

ورغم أن السلطان السيد طالب على اصدار ذلك البيان بمنحه وسام العثمانية

(١) الجاهري ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٢٩ .

(٢) IOR, L/p+s/10/212, No. P-5054/1913, Summary... Oct. 1913, p. 3.

(٣) لغة العرب ، السنة ٣ ، ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣٢هـ / نيسان ١٩١٤م ،

من الطبقة الاولى ومنح ولديه اللذين كانا يدرسان بكلية فرنسية في استانبول ميدالية ذهبية لكل منهما ، الا انه لم يكن هنالك مايدعوا لاخت ذلك البيان مأخذ الجد على حد قول المقيم السياسي البريطاني في بغداد (١) .

ويبدو أن ذلك التفاهم قد عزز من مركز السيد طالب القوى في مدينته البصرة حتى أن نائب القنصل الامريكى في بغداد كتب في ربيع الاول ١٣٣٢هـ / فبراير ١٩١٤م يقول :- أن السيد طالب أصبح يمارس الآن سلطة لا منازع لها في تلك المنطقة في حين غدت السلطات الرسمية معدومة القوى تماما ، وانعدمت فاعليتها بصورة مطلقة في مجال التعامل مع القبائل في الولاية بسبب المركز المتفطرس الذي أصبح المذكور يحتله . وأضاف أن السلطات اعلنت بأن والى البصرة الجديد سليمان شفيق باشا غادر استانبول فسي التاسع من فبراير (الثالث عشر من ربيع الاول) في طريقه لمقر عمله تصحبه قوة من الجند مؤلفة من ألفى رجل ، وشكك نائب القنصل في قدرة تلك القوة على السيطرة على الاوضاع المتروكة في أرجاء الولاية ، (٢)

وقد وصل والى الجديد بالفصل الى مقر عمله في أوائل مارس (ربيع الثانى) مصحوبا بثمانمائة وعشرين جنديا وتسعة عشر ضابطا (٣) . وحال وصوله تلقفه السيد طالب فأمد لسكنه قصرا رائعا يقع على ضفة شط العرب تعود ملكيته لصديقه الشيخ خزعل ووضع تحت تصرفه عربته الفاخرة وخيولـه العربية الاميلية . (٤) فأصبح والى الجديد نتيجة لذلك طوع اشارة

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P- 2097/1914, Summary... Feb. and March 1914, p.4.

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons. at Bag. td Am. Amb. Const., Feb. 25, 1914.

(٣) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., March 5, 1914..

(٤) N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Vice Cons at Bag. to Am. Amb. at Const., March 18, 1914.

السيد طالب (١) ، حتى لقد قال نائب القنصل الامريكى فى بغداد :- " أن والى البصرة أصبح فى يدى السيد طالب كلية ، فهو خادمه الفعلى الاكثـر اخلاصا المستعد لمساعدته وحمايته فى كل افراضه وخططه القانونية وغير القانونية " . (٢) وقد ناقض ذلك الوضع تماما نـخطة الحكومة المركزية فى استانبول التى ارادت الحد من علواء السيد طالب فأختارت لتلك المهمة سليمـان شفيق باشا مفترضة أنه سيكون قويا باعتباره ضابطا كبيرا واعطته حرية التصرف فى ولايته وارسلت معه جندا اناضوليين حتى لا يكونوا سهلى الانقيـساد للمؤامرات المحلية . (٣)

وعلى صعيد العلاقات بين عجمى والدولة اوبينه وبين السيد طالب ، فلا يرد عنها فى المصادر شىء ذو بال خلال الاشهر الاولى من سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م . ولكن الحال تغير حين توجه والى الجديد ثرافقه حاشية كبيرة على ظهر الباخرة الحربية "مرمرىس" فى أبريل ١٩١٤م (جمادى الاولى ١٣٣٢هـ) الى سوق الشيوخ ، حيث نزل هناك فى مضارب مجسمى وضيـفه ابن رشيد أمير حائل اللذين قام اتباعهما بأداء العرضة تكريما للوالى . ثم قدمت له الهدايا وكانت عبارة عن حصانين من ابن رشيد وفرس وحصان وخمسائة ليرة من مجمى الذى قدم الهدايا أيضا لمصرف المنتفق وقائمقام سوق الشيوخ ومرافق والى . وقد طلب عجمى من والى أثنـاء

(١) فيضى ، مصدر مر ذكره ، ص ١٣٣ .

(٢) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., July 15, 1914.

(٣) IOR, L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard (British Acting Cons. at Basra) to Mr. Beaumont (British Charge d'Affairs at Const.), June 20, 1914,

تلك الزيارة مساعدة مثله الشخصي في البصرة محمد العصيمي الذي اضطـر لنقل سكناه الى الزبير خوفا على حياته من السيد طالب، فرد عليه الوالى طالباً، أن يرسل العصيمي اليه في البصرة . (١)

وبعد عودة الوالى الى مقر ولايته ، اتجه حمد شقيق عجمى عيسى رأس اربعمائة رجل صوب الزبير حيث حطوا رحالهم فى منطقة مجاورة لتلك المدينة فى الثامن والعشرين من أبريل ١٩١٤ م (الثانى من جمادى الثانية ١٣٣٢ هـ) . ومن هناك سحب حمد معه العصيمي وعدة أفراد من اتباعه واتجه للبصرة فوصلها فى صباح اليوم التالى يصحبه حرس شرف من رجال الدرك وحلوا ضيوفا على الولاية فى منزل اعد لاقامتهم حيث ذهب الوالى بنفسه لزيارتهم فى نفس اليوم ، وقد اعطى وصولهم بعض التطورات سجلها القنصل البريطانى فى البصرة حين قال : " أن القوات والمدفعية التى عسكرت على حافة الصحراء لعدة أسابيع ماضية ، حيث كانت تتدرب وتحفر المواضع على بعد خمسة أو ستة أميال فى الزوايا المحيطة بالبصرة قد سحبت الى البصرة فى اليوم التالى لوصول جماعة عجمى هنا . . . (ان) وجودها المادى على الطريق بينما كانت جماعة عجمى تدخل المدينة ربما معنى تلميحا ذا معنى عن استعداد الوالى لصد أية حركة عدائية من جانب عرب الدتفق كالتى جرى التهديد بها فى السنة الماضية . واذا ما كان هنالك أى زعر فقد انتهى الآن على أية حال ، اذ طويت الخيام واعيدت القوات لشكائنها وخبأت المدافع فى مخابها " . (٢)

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2492/1914, Summary... April 1914, p.2.

Ibid. (٢)

ولا تخلو ملاحظات القنصل تلك من بعض الدلالة ، إذ يظهر منها أن سلطات الولاية كانت تتوقع حركة ما من جهة الصحراء ، أى من جانب عجمي ، مما يشير الى وجود توتر في علاقة المذكور بالسلطات قبل زيارة الوالى له . وربما كان ذلك التوتر انعكاسا لتحسن علاقة السلطات مع خصمه السيد طالب . ولعل ذلك التوقع هو الذى دفع الوالى لزيارة عجمي لتجنب أية امكانية من هذا القبيل ، ولعل المباحثات التى جرت بين الجانبين اثناء الزيارة كانت بحاجة الى استكمال أوجب حضور حمد للبصرة ، فرواية القنصل لاتعطى أى سبب لقدومه . فى حين روى آخرون أن السبب مرتبط بمؤامرة امدتها السلطات ضد السيد طالب ، واتفق الوالى على تنفيذها مع عجمي اثناء زيارته الاخيرة له . (١) ولا تصمد هذه الرواية أمام النقد ، فالسيد طالب كان فى هذه الفترة على علاقة جيدة بالحكومة حتى انها كلفتها بالتوسط بينها وبين ابن سعود لتصفية ذيول قضية الاحساء وكان فى اثناء وصول حمد للبصرة فى الكويت يقوم بتلك المهمة ، (٢) وهو فوق ذلك على علاقة وثيقة جدا بالوالى كما مر بنا ، فما مصلحة الحكومة فى استشارة عدائه فى هذا الوقت بالذات ؟ .

وقد جاء كاتب وثيق الصلة بالاعلام المحيط بعجمي برواية غريبة بعض الشيء ، حين قال أن الباخرة الحربية " مرميس " التى ترابط فى البصرة عادة أصطدمت مع باخرة انجليزية ، واتفقت الحكومتان العثمانية والبريطانية

(١) الطاهر ، العشائر العراقية ، ص ٨٣ وانظر أيضا Dickson, The Arab of the Desert, P. 559.

(٢) السعدون ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٧ وما بعدها .

على قيام الاخيوة بتصليح مرميس في بومباي . وبعد اكمال اصلاحها هناك أخذت السلطات البريطانية تعاطل في اعادتها ، مما أثار شكوك السلطات العثمانية في أن سبب العماطة هو رغبة بريطانية بتمكين السيد طالب من اكمال استعداداته للثورة في البصرة أثناء غياب تلك الباغرة . واحترازا من تلك المكانية أستعانت السلطات العثمانية بعجمي بأن طالت منه الاقتراب من البصرة لقمع تلك الثورة اذا ما نشبت . وقد استجاب عجمي للطلب وتقـدم في أواخر سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م نحو البصرة مشيعا أنه يزعم الثار لابيـه من السيد طالب . وظل هناك طيلة أربعة أشهر لم تظهر خلالها أية دلائل على قرب قيام الثورة ، فاستأذن عجمي بالعودة للمنتفق بعد أن أرسل أخاه حمدا ليرابط في مدينة البصرة ، فأذنت له الحكومة بالعودة وكافأته على خدمته بمنحه رتبة الباشوية . (١)

ولا تصمد هذه الرواية كسابقتها أمام النقد ، فمن الثابت أن عجمي لم يتحرك باتجاه البصرة خلال الفترة الواقعة بين أواخر سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م والشهور الأربعة الاولى من السنة التالية ، بل كان مشغولا بتدبير شؤونه في جانب الشامية من لواء المنتفق . هذا ومن ناحية أخرى كانت العلاقة بين السيد طالب والحكومة قد تحسنت مما لا يحقل معه أن تشك الحكومة في كونه يدبر لقيام ثورة ضدها . وفوق هذا كله فإن قصة مرميس لم تقع في هذه السنة بل وقعت في السنة التي قبلها ، حيث كانت السلطات البريطانية تمنع فعلا في عودة تلك الباغرة من بومباي ليس لتمكين السيد طالب من الثورة ولكن تمسكا منها بموقف الحياد بين الدولة العثمانية

(١) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٤٦ - ١٤٨ .

واعداؤها المشتبكين في معارك الحرب البلقانية (١) . ولكن التوصل إلى الهدنة بين الأطراف المتحاربة وبدء محادثات السلام بينها في لندن خلال شهر جمادى الآخرة ١٣٣١هـ / مايو ١٩١٣م (٢) ، جعل السلطات البريطانية تفرج من تلك الباغرة في أواخر الشهر نفسه (٣) . والفريب أن السيد طالب كان حينئذ مهتما بالفعل بتتبع أخبار تلك الباغرة من القنصل البريطاني في البصرة . (٤)

وهكذا لا يبقى إلا ترجيح ما ذكر سابقا من أن حمدا ربما جاء إلى البصرة لاستكمال المعادثات التي جرت بين شقيقة والوالى . أو ربما جنسنا باتباعه حماية للعصيمي في مظاهرة قوة لاشعار السيد طالب وانصاره أن تحسن علاقته مع الحكومة لايعنى أن المعسكر الآخر قد ضعف او تعرضت علاقته مع الحكومة لقطيعة تامة . والفريب هنا هو موقف والى المرحب بدخول حمد واتباعه الى البصرة مع ماعرفناه من علاقته الوثيقة بالسيد طالب . ولعله أراد من ذلك أن يكسب الجانبين معا خاصة وأنه قد أرضى ماديا ومعنويا خلال زيارته الأخيرة لعجمي . اولعله تصرف على ضوء تعليمات تلقاها

PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
May 18, 1913.

(٢) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ،
١٩٧٦ ، ص ٣٤٤

PRO,FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٣)
May 31, 1913.

PRO,FO 424/238, No. 30, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٤)
May 18, 1913.

من السلطات العليا في استانبول التي لم يكن من مصلحتها الاخلال بالتوازن بين الرجلين .

وفي خلال ذلك كانت تطورات متلاحقة تجرى في البصرة بعد وصول حمد واتباعه اليها ، اذ ماكدوا يستقرون هناك ضيوفا على الولاية ، حتى لحق بهم علي الفور ثامر بن سعدون شقيق عجمي الاكبر على رأس عدد آخر من اتباعه المسلحين . ثم انضم لهم في الخامس من مايو (التاسع من جمادى الثانية) خمسون مسلحا آخرين ، كل هذا دون أي اعتراض من قبل الوالي . وقصد زار الشقيقان سراي الحكومة برفقة حراسهم المسلحين الذين لم يعيبروا انتباهها لتحذيرات مدير الشرطة حول حظر حمل السلاح داخل السراي . وفي مساء الخامس من مايو (التاسع من جمادى الثانية) عاد السيد طالب من الكويت ولم بما يجري في المدينة فجمع مائتين وخمسين رجلا مسلحا من اتباعه واتجه بهم مباشرة الى منزل الشيخ غزمل الذي يقيم فيه الوالي . وهناك اجتمع السيد طالب بالوالي وحذره من أنه مالم يطرد الشقيقين واتباعهما من المدينة فورا ، فإن الدماء ستسفك في شوارعها ، كما انه شخصيا لن يدخل المدينة قبل الانتجابة لذلك الطلب . فأستجاب الوالي لطلبه علي الفور ، اذ غادر الشقيقان واتباعهما الى الزبير تقلهم العربات في الليلة نفسها . وقد علق المقيم السياسي البريطاني في بغداد على ما حدث بقوله أن من الطبيعي أن يثور عجمي لهذه المعاملة التي عومل بها شقيقاه ، ومن المفترض أنه سيفكر بتدبير هجوم على الزبير والبصرة . وانتقد المقيم أيضا مسلك الوالي حين سمح لرجال مسلحين من المنتفق بدخول البصرة ، لأنه مسلك طائش اذا ما أخذ في الاعتبار ما حدث خلال السنة الماضية . (١)

أدى خروج حمد واتباعه من البصرة الى هدوء الاوضاع في المدينة ،
ولكن الهدوء سرعان ما تبدد . ففي ليلة الخامس عشر من يونية ١٩١٤ م
(العشرين من رجب ١٣٣٢ هـ) (١) سمع في المدينة اطلاق نار كثيف . وقد
فسرت السلطات الرسمية الأمر بقولها أن جمعا يضم مابين ستين الى ثمانين
رجلا من المنتفق قدموا من ناحية الزبير بقصد اقتحام المدينة . ولكنهم
أضطروا للتراجع بعد أن تبادلوا مع حرس المدينة اطلاق نار سقط خلاله
احد المهاجمين قتيلاً (٢) . وقد بادرت السلطات في اليوم التالي بالرد
على ذلك الهجوم ، فأرسلت عددا قليلا من القوات الحثومية الى الزبير
ولكن تلك القوات هوجمت ، وعادت الى البصرة تحمل أربعة عشر جريحاً
من افرادها ، كما عجزت اثني عشر أسيراً ومدفعاً واحداً . (٣)

(١) ذكر الوكيل القنصلي الامريكى في البصرة أن الهجوم وقع ليلة السابع
عشر من يونية (الثاني والعشرين من رجب) راجع :

N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. Agent at
Basra to Am. Vice Cons. at Bag., June 19, 1914.
IOR/L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr. Beaumont, (٢)
June 20, 1914.

N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. Agent at - (٣)
Basra to Am. Vice Cons. at Bag., June 19, 1914.

والغريب أن نائب القنصل البريطاني في البصرة لم يشرف في تقريره
المشار اليه والمرقم IOR/ L/p+s/10/462, No. 38 الى خروج
تلك القوة الى الزبير، ولعل طابع الاختصار الذي وسم تقريره
هو السبب .

ولم يشن ما حدث لتلك القوة الوالى عن نيته ، بل أعد قوة أخرى مؤلفة من ستمائة جندي وستة مدافع ومجموعات من أتباع السيد طالب جيدي التسليح (١). وقد نقلت تلك القوة بواسطة كل العربات المتوفرة في البصرة الى الزبير ، كما حرك في نفس الوقت قارب مدفعية الى الهور مقابل الزبير ليقوم بقصف تلك المدينة من هناك (٢) . ولا يبدو ان الأمر تطلب القيام بذلك القصف ، فقد تمكنت القوات المهاجمة من احتلال المدينة بسهولة بعد صدام قصير مع المدافعين منها أدى الى جرح عدد من الجنود والمدنيين . وبعد ذلك وصل الوالى : والسيد طالب لتفقد مدينة الزبير التي اعلنت فيها الاحكام العرفية وشكلت بموجبها محكمة عرفية اصدرت احكاما بالاعدام على ثلاثة من وجهاء المدينة أحدهم محمد العجيمي (٣) . عاد بعدها الوالى والسيد طالب الى البصرة بعد أن تركا خمسمائة جندي لحماية الزبير من أى هجوم محتمل (٤).

وقد كتب نائب القنصل البريطاني في البصرة للقائم بأعمال السفارة البريطانية في استانبول معلقا على ما حدث بقوله : " تتذكرون سعادتك الطرد الفظ لزعماء المنتفق من قبل الوالى بناء على طلب السيد طالب قبل أقل من شهرين . . . ومن المعلوم أن حمد شقيق عجمي قد أقسم بأنه سيثار لذلك ، ولهذا فلا يبدو محتملا أن تكون الرواية التي تقول ان "الهجوم" ، قام به المنتفق

IOR/L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr. Beaumont, (١)
June 20, 1914.

N.A.R.S., RG 84, File No. 800, Am. Cons. Agent at (٢)
Basra to Am. Vice Cons at Bag., June 19, 1914.

IOR, L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr. Beaumont, (٣)
June 20, 1914.

N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons. at (٤)
Bag. to Am. Amb. at Const. , July 15, 1914.

مناقضة لطبيعة الاشياء ، وان كان ليس من المقبول التسليم بما حدث وكأنه هجوم جدى ، لأن عجمى اذا ما فكر جديا فى شن هجوم على البصرة فسيجلب عشرة الاف وليس ثمانين رجلا . ولقد علمت على أية حال بأن عجمى واخيه على مسافة لا تقل عن يومين من الزبير ، وهناك سبب جيد للاعتقاد بأن " الهجوم " دبر من قبل السيد طالب ونفذه رجاله ، وهدفه منه هو اجبار الحكومة على استخدام القوة ضد أعدائه فى الزبير ، وفى نفس الوقت اظهار قوته أمام السلطات بدعوتهم كل الرجال الذين هم تحت تصرفه . لقد أرسل قوة كبيرة مع الجند الى الزبير واقام آخرين كثيرين للحراسة حول المدينة . وخلال اليومين التاليين للهجوم فإن جموعا كبيرة من المسلحين العرب الذين استدعاهم السيد طالب وقدم بعضهم من مسافات بعيدة أستمروا فى دخول المدينة والطواف فى شوارعها وهم " يهوسون " ويطلقون بأبتهاج نيران بنادقهم فى الهواء . ان انتهاء الأمر لمصلحة طالب أمر واضح بصورة كبيرة ، كما أن قدرته على اختراع وتنفيذ مكيده مثل هذه - حين يظن انها ضرورية - غير مشكوك فيها . (١)

وقد اتفق نائب القنصل الأمريكى فى بغداد مع زميله البريطانى فى الاعتقاد بأن الامر كله لم يكن إلا لعبة أراد السيد طالب من وراءها الحصول على بعض المراسلات المهمة الموجودة فى الزبير . وكانت تلك المراسلات قد كتبها اعضاء جمعية الاتحاد والشرقى الذين اتخذوا من تلك المدينة مركزا لهم بدلا من البصرة منذ أطاح أنقلاب شعبان ١٣٣٠هـ/يوليه ١٩١٢م بحكم تلك الجمعية فى استانبول. ولكن نائب القنصل أضاف بعد ذلك

قوله أن الذي قام بالدفاع عن الزبير ضد هجوم القوات الحكومية هو عجمي نفسه (١) . وقريب من هذا قول البعض بأن حمدا واتباعه هاجموا القوات الحكومية في اليوم التالي لاحتلالها للزبير وقتلوا أكثر من عشرين شخصا من أفرادها واستولوا على بعض أسلحتها قبل أن تتمكن من إخراجهم من المدينة (٢) .

هذا ومن ناحية أخرى ، يبدو أن الحكم الذي أصدرته المحكمة العرفية في الزبير بحق محمد العصيمي كان حكما غيابيا ، إذ أن المذكور استطاع الفرار من الزبير حين دخلتها القوات الحكومية وتوجه إلى مدينة ثانية (لعلها سوق الشيوخ) حيث أبرق من هناك للسلطات العليا فتم استانبول متهما طالبا بأنه كان يهيئ للاستيلاء على البصرة من أجل غاياته الشخصية . وقد كان رد فعل تلك السلطات تجاه البرقية سريعا ، إذ أبرقت لولاية البصرة تأمرها بالعفو عن كل المثولين بحادثة الهجوم على البصرة . فأضطرت سلطات الولاية - حفظا لما وجهها - للادعاء بأن القانون العرفي لم يكن قد أعلن في الزبير قط ، وبهذا أصبحت كل الأحكام التي صدرت بموجبه لاغية آليا (٣) .

وفي غضون ذلك ، كله كان الرب سيطرا على سكان مدينة البصرة ، ولم يكن مرده الخوف من هجوم يشن عليهم من خارج المدينة بقدر الخوف من

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 840, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., July 15, 1914.

(٢) خزعل ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٣) IOR, L/p+s/10/462, No. 39, Mr. Bullard to Sir E. Mallet, June 27, 1914.

حدوث انفلات في صفوف اتباع السيد طالب غير المنظمين . (١) اذ استمر اولئك الا اتباع يقومون بالحراسة في المناطق المحيطة بالمدينة ولكنهم غالبا ما كانوا يجوسون في شوارعها بأعداد كبيرة . وهو الأمر الذي علق عليه نائب القنصل البريطاني في البصرة بقوله : ليس من المرغوب فيه لاقصى حد أن يسمح الوالي بتحويل واجبه في حفظ النظام الى حشد من المدنيين غير المنضبطين . (٢)

ولم يكتف السيد طالب بما تحقق له في الزبير ، بل أقدم على مماثل جر الى ساحة الصراع خصمه الرئيسي عجمي ، الذي كان خلال وقوع الاحداث السابقة مشغولا بنزاع نشب بينه وبين قبيلة مطير النجدية ، فقد أقنعت السيد طالب الوالي بأرسال باخرة حربية حكومية مع بعض أتباعه لمهاجمة قلعة تقع على ضفة الهور ويشغلها يوسف بن عبد الله ابن عم عجمي ، وماكادت تلك البخرة تدك القلعة بنيران مدافعها حتى أسرع عجمي بالقدوم على رأس قواته لانجاد ابن عمه ، واضطرت البخرة للتراجع ازاء النيران الحامية التي صبت عليها . (٣)

ويبدو أن كل تلك التطورات جعلت السلطات المركزية في استانبول تدرك خطورة الموقف في ولاية البصرة ، وتحمل سليمان شفيق باشا مسؤولية

(١) IOR,L/p+s/10/462, No. 38, Mr. Bullard to Mr. Beaumont, June 20, 1914.

(٢) IOR,L/p+s/10/462, No. 39, Mr. Bullard to Sir L. Mallet, June 27, 1914.

(٣) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ج ١٠ ، ص ١٥١ .

ما حدث هناك . لذلك أصدرت قرارا بطرده ، وهيئت العقيد صبحي بك قائدا لحامية البصرة وواليا لها بالوكالة لحين تعيين وال جديد . (١) وقد أمتدح عجمي الذي اقترب في اواخر يولييه ١٩١٤م (اوائل رمضان ١٣٣٢هـ) لمسافة لا تبعد عن مدينة البصرة سوى عدة ساعات ذلك الاجراء . ولكنـــــــــــــــــه أعلم نائب القنصل البريطاني في البصرة بأن ذلك لا يفيقهه ، فهو يريــــــــــــد من الحكومة قتل طالع ونفي مناصريه عن المدينة ، فان لم تستجب له فأنــــــــــــه مضطر لمهاجمة البصرة وتنفيذ مبعثاه بنفسه ، بالرغم من انه تلقى نصائــــــــــــح من عدة شخصيات رسمية بينها والي بغداد تطلب منه التزام الهدوء (٢) .

وخلال ذلك كانت بعض الفارات تشن على أطراف مدينة البصرة ، وقد نسبت بصورة رسمية لاتباع عجمي ، ولكن نائب القنصل البريطاني في البصرة تشكك في ذلك ، و اضاف أن وكيل الوالي غير راغب باتباع سياسة قمعيــــــــــــــــة لانه لا يملك القوات الكافية لتنفيذها من ناحية ، ولانه ذكي بصورة غير معتادة من ناحية اخرى ، ولكنه رغم ذلك عازم على جعل عجمي يعتمد عن مقره الحالي (٣) . ولعل ذلك هو السبب الذي جعل وزارة الداخلية تنتدب عبد الرزاق الفهد السعدون لمقابلة قريبه عجمي واقناعـــــــــــــــــه

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Vice Cons . at Bag. to Am. Amb. at Const., July 15, 1914.

(٢) IOR, L/p+s/10/462, No. 495 R, Mr. Beaumont to Sir E. Grey, July 29, 1914.

Ibid. (٣)

بالانسحاب. (١) ويبدو أن الرجل وفق في مسعاه، إذ انسحب عجمي
الى " الخميسيه" (٢)، وعاد هناك للانشغال في الصدامات القبلية الى أن
قامت الحرب العالمية الاولى وارتدت الدولة العثمانية في اتونها (٣)، حيث
كان له خلالها دور سوف نتعرف عليه فيما بعد .

(١) صدى بابل، السنة ٦، العدد ١٣٠٢٥١، رمضان ١٣٣٢هـ/١٦
اغسطس ١٩١٤م، ص ٢٠.

(٢) سميت نسبة الى عبد الله بن خميس وهو من اهالي القصيم، وكان مع
جماعة من النجديين يوالون فالح باشا السعدون ويقيمون معه
في الشامية. وحدث مرة أن احاط الفيضان بسوق الشيوخ التي
تتار منها قبائل البادية، فأنشأ ابن خميس سوقا في موضع قريب
منه ولكنه مرتفع من الماء. واصبحت تلك النواة مدينة صغيرة
ومركزا تجاريا نشطا في الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي. راجع:
لغة العرب، السنة ١، ج ١١، جمادى الاولى ١٣٣٠هـ/نيسان ١٩١٢م،
ص ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) التنبيهات، مصدر مذكور، ج ١٠، ص ١٥٢.

فصل الرابع

صلات قبائل الولاية بالدول الأجنبية

١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٤ م

مصالح بريطانيا في العراق ولمحة عن صلاتها السابقة بالقبائل :

كانت للعراق أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة لبريطانيا ترتبط بوجودها الاستعماري في الهند ، فمن أجل المحافظة على وضعها هناك وجدت أن من الضروري حماية كل الطرق المؤدية الى الهند ، والسيطرة على كل القواعد التي يمكن أن تهدد تلك الطرق. (١) ومن أجل ذلك بذلت الدبلوماسية البريطانية جهدا خلال القرنين اللذين سبقا مطلع القرن الميلادي الحالي، حتى تمكنت من ان تبني لها في العراق مركزا متميزا ، وخاصة في المنطقة الجنوبية المعروفة باسم ولاية البصرة والتي هي جزء من إقليم الخليج العربي القريب من الهند (٢) .

وكما كانت حماية الهند ضرورة ملحة لبريطانيا ، فإن تنمية مصالحها الاقتصادية في هذه المنطقة كانت أيضا ضرورة لا تقل الحاحا (٣) . ولذلك نمت لبريطانيا في العراق مصالح تفوق مصالح أية دولة اوروبية أخرى ، وهي مصالح تجارية بالدرجة الاولى (٤) ، فلقد استأثرت الاسواق البريطانية بنسبة تقارب ما بين النصف الى الثلثين من صادرات العراق (٥) ، بينما احتكرت السفن البريطانية نقل تسعة أعشار الحمولات التي مرت عبر ميناء البصرة سنة ١٩٠٠م (٦) (١٣١٨هـ) في حين فتحت فروع محلية للشركات البريطانية

(١) Cohen, Op.Cit., p. 3.

(٢) Longrigg, Op.Cit., p. 3.

(٣) Cohen, Op.Cit., p. 6.

(٤) لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٣٥٦ .

(٥) Hasan, Op.Cit., p. 348.

(٦) Longrigg, Op.Cit., p. 3.

مارست أعمالاً تجارية واسعة حتى بلغ عددها في مطلع هذا القرن الميلادي
سبعة فروع (١). وترتب على ذلك أن كانت البضائع البريطانية تحتل ثمانية
بالمائة من مجمل البضائع المستوردة الى بغداد سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م. (٢)
وثمة مصدر آخر لاهتمام بريطانيا بالعراق ، وخاصة منذ مطلع القرن
الميلادي الحالي الا وهو توقع أستغلال مخزون النفط العراقي ، فقد لاحظ
السفير البريطاني في أستانبول سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م العلاقة بين مشروع
سكة حديد بغداد المزمع والسعي لأستغلال الحقول النفطية في العراق
ثم أكد المقيم السياسي البريطاني بغداد الصنتر نيومارش Newmarsh هذه
الملاحظة سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م حين تحقق من وجود مخزون نفطى
هام على طول الطريق المقترح للسكة الحديدية . ومنذ ذلك الحين تزايد
الدعم الحكومى البريطانى لمحاولات المستر دارسى D'Arcy للحصول على امتياز
التنقيب عن النفط فى هذه المنطقة. (٣)

وتحسن هنا الاشارة الى شركة بريطانية لعبت دورا مهما فى النشاط
الاقتصادى فى العراق ، وهى شركة لنج Lynch التى أسست سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م
من قبل عائلة هنرى لنج لغرض القيام بالاعمال الملاحية فى نهر دجلة (٤).

(١) لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٣ ، ص ١٣٥٧ .

(٢) Cohen, Op.Cit., p. 53.

(٣) Ibid., p. 57. ودارسى هو William Knox D'Arcy انجليزى
من ديفونشاير ، كونه ثروة من التنقيب عن الذهب فى استراليا ، ثم سعى
مع بعض الشركاء للحصول على امتياز التنقيب عن النفط فى ايران فتم له
ما أراد سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م ، وكان من نتائج ذلك العثور على النفط
فى اقليم خوزستان فى جنوب غرب ايران . راجع :

Avery, P., Modern Iran, London, 1965, pp. 181 - 182.

(٤) Longrigg, Op.Cit., p. 33.

فقد أصبح لها نشاط واسع في نقل الركاب والبضائع بين بغداد والبصرة ، كما مارست بالإضافة الى ذلك نشاطا تجاريا كبيرا وخاصة في مجال تجارة الآلات الزراعية (١) . وقامت هذه الشركة أيضا بتقديم خدمة مهمة جدا ذات علاقة بالنشاط التجاري وهي نقل البريد من ولايتي بغداد والبصرة الى العالم الخارجي وبالعكس ، وذلك ابتداءً من عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م حيث فتحت مكاتب بريد خاصة بها لهذا الغرض (٢) . وبالرغم من أن تلك الشركة كانت شركة خاصة لا علاقة لها بالحكومة البريطانية الا انها حظيت برعاية وتعضيد تلك الحكومة (٣) .

وبالإضافة الى العاملين الاستراتيجي والاقتصادي ، كان هناك عامل ثالث جعل السلطات البريطانية تهتم بالعراق وهو مرتبط بالاعداد الكبيرة من الرعايا الهنود الخاضعين لحكم الاحتلال البريطاني في بلادهم والمتمذهبين بالمذهب الشيعي الجعفري ، الذي يقدون الى العراق سنويا لاداء زيارة مراقد أئمتهم المدفونين في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء . مما جعل الحكومة البريطانية تحرص على انشاء شبكة من مثليها الدبلوماسيين في البصرة وبغداد وكربلاء (٤) ، لمتابعة شئون أولئك الزوار خاصة والمصالح البريطانية عامة . وقد انعكس المركز السياسي المهم الذي احتلته بريطانيا

(١) الجراز ، مرجع مر ذكره ، ص ٥١ .

(٢) الشناوي ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٧٩٣ .

(٣) Cohen, Op.Cit., p. 55.

(٤) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ص ١٣٥٨ - ١٣٦٠ .

في العراق خلال تلك الفترة على وضع هيئاتها الدبلوماسية هناك ، فـقـد أنفردت المقيمة السياسية البريطانية في بغداد دون غيرها من الهيئات الدبلوماسية بأمتياز وقوف باخرة ترفع العلم البريطاني وسلحة بالمدفعية أمام دار المقيمة على ضفة نهر دجلة وذلك منذ سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م (١)

ولاريب أن هذه المصالح الاقتصادية المتشابكة والمكانة السياسية المتفوقة التي أحلتها بريطانيا في العراق خلال تلك الفترة جعلت ممثلها يهتمون اهتماما كبيرا بمتابعة كل ما يحدث على الساحة العراقية ويوافون به مراجعهم العليا سواء في الهند أو لندن ، وقد ساهمت تقاريرهم المتنوعة في صوغ السياسة البريطانية تجاه هذه المنطقة. (٢) ولما كانت أكثر أحداث هذه الفترة هي أحداث الاضطرابات القبلية ، فقد أستأثرت تلك الاحداث بأهتمام أولئك الممثلين الدبلوماسيين ، سيما وان بعضها كانت تؤثر تأثيرا مباشرا على المصالح البريطانية المحلية . ولذلك فمن المفترض منطقيا لا يكتفى أولئك الممثلون بدور مراقبة ما يجري ونقل تفاصيله الى حكومتهم ، بل يحتمل أن يكون لهم دور ايجابي في توجيه تلك الاحداث وجهة معينة بحيث تخدم مصالح دولتهم أو لا تتعارض معها على الأقل .

وهناك بعض الشواهد التي تؤكد صحة هذا الفرض ، اذ ازداد نفوذ المقيمين البريطانيين في بغداد خلال فترة حكم المماليك " ١١٦٢ - ١٢٤٧هـ / ١٧٤٩ - ١٨٣١م " ، وتدخلوا في الأمور الداخلية لولاية بغداد ، وأقاموا

(١) الشناوي ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٧٩٤

(٢) Cohen, Op.Cit., pp.15 -16

الصلات مع شيخ القبائل ، وبلغ بهم الحال أن كانوا يعتبرون أنفسهم أعلى شأنًا من الولاية "الجهلة" (١) . ولم يتغير الحال بعد زوال حكم المماليك ، يدل على ذلك تدخل المقيم البريطاني الكابتن كامبل Kemball في شؤون الولاية أثناء ثورة قبيلتي المنتفق والخزاعل سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م . وقد أدى تدخله إلى احتكاك بينه وبين الوالي نامق باشا ١٢٧٩-١٢٨٥هـ / ١٨٦٣-١٨٦٨م الذي كان يميل بحكم كونه عسكريا إلى إخماد تلك الثورة بالقوة . ولكن المقيم كان يفضل التفاهم مع القبائل ، التي أولته ثقته نتيجة لذلك حتى أصبح واسطة التفاهم بينها وبين الوالي . وقد دل على تلك الثقة أن منصور باشا شيخ المنتفق والشيخ مطلق الكريدي شيخ الخزاعل طلب من المقيم أن يضمن سلامتهما ، بعد أن تم الاتفاق على توجيههما لبغداد لمقابلة الوالي وتسوية الخلافات بين الطرفين عن طريق المفاوضات (٢) . ولا يحتاج هذا الخبر إلى تعليق يوضح مقدار ما وصل له المقيم البريطاني من مكانة في هذا الوقت .

وكانت تدخلات الدبلوماسيين البريطانيين تتجاوز أحيانا نطاق ولاية بغداد لتصل إلى المراجع العليا في استانبول . ففي خلال اضطرابات المنتفق سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م ، ومانتج عنها من تهديد للطلاحة في نهري دجلة والفرات ، اقترح المقيم البريطاني في بغداد على حكومته أن يتدخل سفيرها في استانبول لإقناع الباب العالي بعلاج المشكلة عن طريق أعادة فصل ولاية البصرة عن بغداد وإعادة تعيين ناصر باشا السعدون المنفي في

(١) Nieuwenhuis, T., *Politics and Society in Early Modern Iraq*, the Hague, 1982, pp. 82-87.

(٢) نوار، تاريخ العراق، ص ١٨٣ .

استانبول واليا عليها . و اضاف أن تأثير قبائل المنتفق يمكن أن يفيـد المصالح البريطانية في بعض الحالات وأن اكتساب صداقة تلك القبائل له ما يبرره . ويبدو أن الحكومة البريطانية أقتنعت برأى المقيم فأوزرت لسفيرها في استانبول أن يقدم " نصيحته " للجاب العالي حسب اقتراح المقيم ، ولكن تلك النصيحة لم تلق الاستجابة المطلوبة . (١)

وكما حاولت السلطات البريطانية أن تكسب ود قبائل المنتفق خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، قامت في القرن نفسه بمحاولة مشابهة مع قبيلة بني لام في الصمارة . حيث كان ما تقوم به من اضطرابات يودي إلى تعطيل الملاحة في نهر دجلة ، كما أنها كانت تفرض في وقت السلم الاتاوات على كل قارب يمر في ديارها مع ما في كل ذلك من تأثير على المصالح البريطانية ، ولكن تلك المحاولة لم تلق صدى طيبا لدى بني لام . (٢) وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الاتصالات البريطانية بالقبائل تجري عن طريق مباشر من خلال مثلثها الدبلوماسيين ، فأنها كانت تلجأ أحيانا إلى استغلال عملائها السريين للقيام بالدور نفسه أثناء تجوالهم في ديار القبائل تحسنت ستار السياحة أو جمع المعلومات . (٣)

(١) لوريمر مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٨١ .

(٢) نوار ، تاريخ العراق ، ص ١٥٧ . والفريب أنه يميزوا خفاق تلك المحاولة إلى أن كراهية الشيعة - وبنو لام منهم - اللاجانب عمومًا والمسيحيين خصوصًا تفوق كراهية أهل السنة ، ولا يوضح لنا الاسس التي بنى عليها استنتاجه ، ولا المقياس الذي استخدمه لقياس درجة الكره .

(٣) نوار ، تاريخ العراق ، ص ٤٧٤ .

وكما حاولت السلطات البريطانية الاستفادة من اتصالاتها بالقبائل ، فقد حاولت الأخيرة بالمقابل أن تستثمر هذا النشاط البريطاني لصالحها ، خاصة حين تتأزم علاقاتها مع السلطات العثمانية . اذ اعتادت القبائل خلال القرن الميلادي الماضي أن تلجأ لتوسيط المقيم البريطاني في بغداد لحل الخلافات الناشئة بينها وبين الولاة ، أو أن يطلب بعض زعمائها الضمانات الشخصية من ذلك المقيم ، كما مر آنفا . ولكن تطورا بالغ الدلالة أستجسد في أواخر ذلك القرن وأوائل القرن الميلادي الحالي ، وتمثل في اقدام بعض زعماء القبائل على طلب الحماية البريطانية ، حين تتفاقم المشاكل بينهم وبين السلطات العثمانية . ومن ذلك ان سليمان المنصور ، احد مشايخ المنتفق والأخ الأكبر لسعدون باشا (١) ، تقدم الى القنصل البريطاني في البصرة في نوفمبر ١٨٩٩م (جمادي الثانيه ١٣١٧هـ) يطلب وضع نفسه تحت الحماية

(١) كان سليمان هذا نشاطات معارضة للدولة منذ فترة طويلة سابقة ، فقد نسبت له الروايات القبلية المتداولة الدور الأكبر في تحريض والده منصور باشا وابن عمه فالح باشا على التمرد سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م . ويبدو انه عاد ثانية لنشاطه المعارض ، اذ أصدرت السلطات الحكومية أمر بالقبض عليه حيا أو ميتا ، وذلك في ربيع الاول ١٣٠٩هـ ، راجع : داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 98254

وكانت التهمة الموجهة له هي تحريض قبائل الشامية ضد الحكومة . راجع : داخلية Basbakanlik Arsivi, 1309, No. 98563

البريطانية. (١) وبالرغم من ان القنصل رفض الاستجابة لطلبه ، الا أن اشخاصا آخرين من القبيلة نفسها تقدموا مرة أخرى بطلب مشابه عن طريق هــدى مسلم. (٢)

ومن الملفت للنظر أن تأتي أمثال هذه الطلبات في هذا الوقت ، بالذات وأن تأخذ طابعا جديدا غير ما كان مألوفا . فبعد أن كانت الطلبات القبلية من السلطات البريطانية تقتصر على " التوسط " و " ضمان السلامة الشخصية " ، أصبحت الآن تنص على " الحماية " بما فيها من مضمين سياسية . فما هو السر الكامن وراء ذلك كله ؟ أظن ان السريكمين في ثنايا علاقة مبارك الصباح شيخ الكويت مع بريطانيا ، اذ ان توقيع معاهدة رمضان ١٣١٦ هـ / يناير ١٨٩٩ م بين الطرفين المذكورين والتي جعلت أيدي السلطات العثمانية مغلولة تجاهه (٣) ، اعطى نموذجا يحتذى لمن أراد من مشايخ القبائل المجاورة التهرب من مضايقة السلطات العثمانية ،

وبشير رفض القنصل البريطاني في البصرة تلك الطلبات تساءولا لابد منه عن أسباب ذلك الرفض . ويظهر ان ذلك الرفض كان انعكاسا للسياسة البريطانية التي تعدلت في فزون هذه الفترة وأصبحت تدعو الى تجنب

(١) Cons. Wratislaw (British Cons at Basra) to Mr. de Bunsen (British Charge d'Affairs at Const.), Nov. 30, 1899, in " The Affairs of Kuwait", Vol. 1, Part 11, P. 66.

(٢) لوريمر، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٨٣ .

(٣) لمزيد من المعلومات عن ظروف توقيع تلك المعاهدة وما ترتب عليها من نتائج ، راجع شتوح عبد المحسن الخترشي ، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ، الكويت ، ١٩٧٤ ، ص ٢٩ وما بعدها .

الارباك الناشء عن الارتقاء في شرك التدخل في الشؤون القبلية. (١)
وقد ظهرت هذه السلبية بكل وضوح مرة ثانية في الموقف البريطاني حيال
سمدون باشا في فبراير ١٩٠٤م (ذى الحجة ١٣٢١هـ) . أذ كان سمدون
على خلاف مع السلطات العثمانية فأرسل يطلب " نصيحة " القنصل البريطاني
في البصرة حول إمكانية توفير ضمان بريطاني لسلامته أثناء دخوله لمدينة
البصرة للتوصل الى تفاهم مع السلطات الحكومية . فأقترح السفير البريطاني
في استانبول على حكومته أن تصدر التعليمات للقنصل بإبلاغ سمدون بعدم
استطاعته التدخل ، وإن خبر مايفعله على الأرجح هو التوصل الى تفاهم مباشر
مع الحكومة العثمانية. (٢)

ولم تكن أمثال تلك الاتصالات لتخفى عن انظار السلطات العثمانية
بل انها كانت محل اهتمام اعلى المراجع في الدولة ، حتى أن المذكرات
المنسوبة للسلطان عبدالحميد الثاني تشير الى رغبة الانجليز في الاستيلاء
على البصرة وأنهم يصرفون أموالاً طائلة من أجل تلك الغاية (٣) . وعلى

(١) Cohen, Op.Cit., pp 51-52.

(٢) Sir N. O'Connor to the Marquess of Lansdowne, Feb. 2, 1904, in " The Affairs of Kuwait ", Vol, 2, Part II, p. 9.

(٣) السلطان عبدالحميد ، مرجع مر ذكره ، ص ١٤٠ . والفريب أن السلطان
ينسب الى " يوسف بن عبدالله الابراهيم " تهمة العمل في ولاية البصرة
لصالح الانجليز ، ويقول أن بعض اعيان البصرة أخبره بذلك . والثابت
ان السلطات البريطانية كانت تعتبر يوسف من المناوئين لها لعداائهم
الشديد لحليفها مبارك الصباح شيخ الكويت . وأرجع هنا أن من عناهم
السلطان بكلمة الاعيان هم السيد طالب النقيب وجماعته الذين كانوا
مقربين للمباين الهمايوني من خلال علاقتهم بالسيد " ابي الهدي الصيادي "
وهم أصدقاء لمبارك فشوهوا صورة خصمه لدى السلطان . وهذا مشـل
يبين كيف كانت التقارير المحرفة تؤثر في صياغة القرارات العليا العثمانية
ومن نشاطات يوسف الابراهيم ، راجع : الرشيد ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٨
وما بعدها .

هذا بذل الموظفون العثمانيون في ولايات العراق جهودهم لوضع العقبات في طريق أية اتصالات بين البريطانيين والقبائل (١) . كما كانوا يصرقون قدر امكانهم الرحلات التي يقوم بها بعض البريطانيين تحت ستار السياحة (٢) ، أو تلك التي يقوم بها موظفون رسميون بريطانيون بحجة جمع المعلومات. (٣) والغريب أن الشكوك التي كانت تنتاب السلطات العثمانية حيال تلك الأنشطة كانت تثير غضب الممثلين البريطانيين وتجعلهم يقدّمون على تصرفات بعيدة عن الدبلوماسية . يظهر ذلك واضحاً من تصرف القنصل البريطاني في البصرة في يونيو ١٩٠٥ م (ربيع الثاني ١٣٢٣ هـ) حين طلب منه السفير البريطاني في استانبول مقابلة والي البصرة وسؤاله عن تقرير وصل للباب العالي من البصرة عن تدخلات ومكائد بريطانية تجري في تلك الولاية . فطالب القنصل والي البصرة واخبره بكل صراحة بأنه اذا ما ترتب على ذلك التقرير والتقارير المشابهة الكاذبة أية نتائج سيئة ، فإن المسؤولية ستوضع على ماتبك كاتب التقرير . ولم يجد والي اراء هذا الموقف القوي مايقوله سوى انكار كتابته لمثل ذلك التقرير. (٤)

(١) Cohen, Op.Cit.,p. 52

(٢) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٧٨ .

(٣) Cohen, Op.Cit.,P. 69.

(٤) Sir N. O'Connor to the Marquess of Lansdowne, July 10, 1905, in " The Affairs of Arabia, Vol.2, Part IV., P. 11.

هكذا كانت الحال قبل فترة البحث، تدخلات بريطانية في المشاكل القبلية كانت واسعة أول الأمر ولكنها أتست بالتحفظ البريطاني أخيراً، وميل قبلى للاستفادة من النفوذ البريطاني الواسع في العراق لخدمة مصالح قبلية محددة، ومحاولات عثمانيّة للوقوف بوجه تلك الصلات بين أطراف دولي وموالمانيين عثمانيين. فكيف تطورت الحال فيما بعد؟

تطور مصالح بريطانيّا وصلاتها بقبائل الولاية منذ انقلاب ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م

قام انقلاب يولييه ١٩٠٨م (جمادى الثانيه ١٣٢٦هـ) بقيادة جمعية الاتحاد والترقى التي كانت حريصة على كسب ساندّة بريطانيّا وتجنّب مدائها. (١) والمقابل كان الموقف البريطاني مرحباً بالانقلاب، اذ سارع القائم بالاعمال البريطاني في استانبول الى تهنئة الحكومة الجديدة بأحياء الدستور واعلن ان الحركة ستلقى ساندّة كاطمة من الحكومة البريطانيّة طالما هي تسعى من اجل الاصلاح واقامة حكومة جيدة. وقد خول القنصل البريطاني العام في بغداد أن يعلن موقف حكومته ذاك على الملأ (٢) ولكن ذلك الموقف البريطاني الودى لم يعن استمداد الحكومة البريطانيّة للتضحية بشيء من مصالحها في العراق من أجل النظام الجديد، رغم انه ليس لديها الرغبة بالمقابل في تحقيق امتيازات جديدة هناك. على حد قول وزير الخارجية البريطاني (٣) وقد عبر النورد هاردنج Hardinge نائب الملك في الهند عن ذلك الموقف أوضح تعبير حين صرح سنسنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م بقوله " أن العراق كان دائماً مجالاً للنفوذ البريطاني

(١) Ahmad, Op.Cit.,p.37

(٢) IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, P.33.

(٣) IOR,L/p+s/10/188, No. 212, Sir E. Grey to Sir G. Lowther, Aug. 20, 1910.

ونحن مصممون على ابقائه كذلك . (١)

ومن ناحية أخرى ، استمرت الهيمنة الاقتصادية البريطانية في العراق بعد قيام الانقلاب كما كانت قبله . إذ ازداد عدد الشركات التجارية البريطانية العاملة هناك ، وظلت بريطانيا ومستعمراتها الهند تحتكر حوالي ستين بالمائة من مجمل تجارة التصدير والاستيراد العراقية . وأستأثرت السفن البريطانية بنقل ستة وتسعين بالمائة من الحمولات التجارية المارة عبر ميناء البصرة . (٢) واستمر في نفس الوقت السعي البريطاني لتحقيق احتكار النقل التجاري في نهر دجلة وتعضيد محاولات المستر دارسي للمشاركة في أي امتياز يمنح لاستغلال مخزون العراق النفطي (٣) . وكانت بريطانيا بالإضافة الى اهتمامها بحماية مصالحها الاقتصادية تلك ، حريصة جدا على إبراز مكانتها في اعين السكان المحليين (٤) ، وذلك من خلال الحفاظ على المظاهر اللازمة التي تترك أكبر قدر من التأثير في أذهانهم (٥) .

ولم يستمر الصفاء السياسي بين الحكومة العثمانية الجديدة وبريطانيا طويلا وخاصة فيما يتعلق بوضع المصالح البريطانية في العراق ، إذ أصبحت

(١) Cohen, Op.Cit., pp. 142-143.

(٢) IOR, L/p+s/10/271, No. 20, Sir E. Grey to Tewfik Pasha (Ottoman Amb. at London), July 18, 1912.

(٣) Cohen, Op.Cit., p. 154.

(٤) IOR, L/p+s/10/188, No. 212, Sir E. Grey to Sir G. Lowther, Aug. 20, 1910.

(٥) Cohen, Op.Cit., pp 267-268.

السلطات العثمانية هناك مشبعة بروح الشك تجاه نوايا بريطانيا فيه . (١) وكان اكثر شكها يتركز حول قيام اتصالات بريطانية ذات طبيعة مشبوهة مع القبائل العراقية ، وهو شك تطور حتى أصبحت تلك السلطات فطره الحساسية تجاه أي تعامل يتم بين ممثلي كل الدول الاجنبية في العراق ، والقبائل (٢) . ولم يقتصر ذلك الشك على الاوساط الرسمية فقط ، بل انتشر بين عامة العراقيين وانعكس فيما كانت تكتبه الصحف الصادرة في بغداد حينئذ (٣) . ولعل ذلك يفسر ظاهرة الشعور المعادي للبريطانيين الذي لاحظ القنصل الامريكي في بغداد انتشاره الواسع بين صفوف العراقيين او اخر سنسنة ١٩٠٩ م . (١٣٢٧ هـ) (٤) حتى لقد أساء العراقيون - نتيجة لذلك - النظرة الى مشاريع الري التي كان المهندس البريطاني السير ولكوكس يشرف على تنفيذها وفسروها على أنها ذات دلالات سياسية . (٥)

ولقد كان الدبلوماسيون البريطانيون العاطفون في العراق آنفذ حريصين على تبديد ذلك الشعور ، وخاصة من أذهان الموظفين العثمانيين . الا أن حرصهم ذاك أضرّج بشيء من المرارة التي جعلت نفهم لمثل تلك

(١) تجد مؤشرات كل ذلك مبثوثة في وثائق الملف : IOR, L/P+S/10/188

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. M-C- 441, Am. Vice Cons. at Bag. to Am. Cons. Gen. at Const, July 9, 1911.

(٣) N.A.R.S., RG 84, No. 64, Am. Cons. at Bag. to Am. Cons. Agent at Basra, Feb 21, 1910.

(٤) N.A.R.S., RG 84, No. 8, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Dec. 23, 1909.

(٥) N.A.R.S., RG 84, " Baghdad Annual Report for 1909," April 28, 1910, p. 6.

الاتهامات يتسم بالحدة التي تقرب من الفظاظة أحيانا ، حتى لقد خاطب القنصل البريطاني العام في بغداد مرة احد كبار الموظفين العثمانيين بقوله :- " اننى اعلم ان هنالك العديد من الاشخاص المطبوعين على الشر الذين ينشرون اشاعات كاذبة من تأمر الانجليز مع العرب ، ويقدر ما أستطيع أن أحكم بأن قصصا مثل تلك مفيدة فقط لاولئك الموظفين الذين جعلت تصرفاتهم السيفة العرب هائجين " . (١)

ولكن هل كانت تلك الاتهامات مجرد اشاعات لا أساس لها من الصحة ؟ يؤكد أحد الباحثين ذلك ويروى أن الحكومة البريطانية تابعت في هذا الوقت سياسة الامتناع من الانغماس في الشؤون الداخلية للعراق ، وقامت الاغراءات التي سنجت أحيانا للتدخل نتيجة للأضطرابات المحلية . وتطبيقا لتلك السياسة حذرت وزارة الخارجية البريطانية فيما بين سنتي ١٩٠٨ و ١٩١٠ م (١٣٢٦ و ١٣٢٨ هـ) كلا من القنصل العام في بغداد والقنصل في البصرة من مضية ذلك التدخل (٢) . ولكن يمكن القول أن تلك السياسة كانت تطبق فعلا في الحالات التي لا تتعارض مع المصالح البريطانية مباشرة . فحين تأثرت تلك المصالح من جراء اضطرابات العمارة سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م كما مررنا ، اجتمع المقيم السياسى البريطانى في بغداد سرا بوكيل لفضهان شيخ بني لام وهدده بالتدخل فى الأمر ومعاينة من يتعرض للمصالح البريطانية (٣)

PRO, FO 424/2/216, No.55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908. (١)

Cohen, Op.Cit., pp140-141, (٢)

IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Sept. 1908, . 33. (٣)

وإذا كان ذلك هو الموقف الرسمي البريطاني ، فإن رجاء القبائل استمروا يحاولون الاستفادة من المكانة السياسية المتميزة التي تحتلها بريطانيا في العراق لجنى بعض المكاسب القبلية ، وتجنب بعض المتاعب الحكومية . فقد قابل وكيل شيخ المحمرة في البصرة المدعو " مرزا حمزة " القنصل البريطاني في الخامس والعشرين من أبريل ١٩٠٩ م (الرابع من ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ) موفداً من قبل سعدون باشا شيخ المنتفق وأطلعه على نية الأخير مقاتلة القوات الحكومية ، وقد أعلمه القنصل رداً على استفساراته بأن حكومة كسلاين تتعاطف مع أي عمل عدائي يتخذه سعدون ضد الحكومة العثمانية ، كما أنها لن تستطيع حمايته إذا هزم ، وأضاف أن خير سبيل أمام سعدون هو أن يتوصل إلى تفاهم مع الحكومة العثمانية . وردا على اقتراح سعدون بتعيين قنصل بريطاني في مدينة الناصرية مركز لواء المنتفق ، قال القنصل للموفد بأنه سنقل هذا الاقتراح للسفارة البريطانية في استانبول ، وقد نقل القنصل ذلك الاقتراح بالفعل ولكنه شفعه بالقول أن وضع القنصل هناك سيكون شبيهاً بوضع الرهينة ، وأضاف أن هذه ليست هي المرة الأولى التي يتقدم فيها سعدون بعروض من هذا القبيل ولكنه لا يستحق الثقة كلية . (١)

وتثور في ذهن هنا عدة تساؤلات لعل أهمها هو عن الهدف الذي سعى سعدون لتحقيقه من خلال رسالته تلك . فرواية القنصل المارة بالذكر لا توضح شيئاً محدداً ، ولكن رده على الموفد يكشف عن أن سعدوننا أراد التصرف على موقف السلطات البريطانية في حالة اصطدامه مع الحكومة وانتصاره عليها من ناحية ، وموقفها إذا ما حاقت به الهزيمة ومكانة

توفيرها الحماية له في هذه الحالة من ناحية أخرى . وأصل الى القلــن
أن سعدونا وهو يرسل ذلك الموفد كان يراوده الامل في الانتصار على
القوات الحكومية ومن ثم فرض سيطرته بشكل من الاشكال على اقليم المنتفق
لتكوين مشيخة شبه مستقلة تتمتع على فرار الكويت والمحمرة بالحماية البريطانية .
يويد ذلك أن خصومه اتهموه في مايو ١٩١١م (جمادى الاولى ١٣٢٩ هـ)
بأنه كان يسعى للاستقلال عن الدولة ، مما يشير الى أن نواياه او طموحاته
كانت معروفة للملأ الى حد ما . (١) هذا ومن ناحية أخرى ما الذى سينالــه
سعدون من تعيين القنصل البريطانى فى الناصرية ؟ اذا كان الهدف هو
أىصال أرائه الى السلطات البريطانية فأن القنصل البريطانى فى البصرة
ليس بعيد ويمكن الوصول اليه فى أى وقت بسهولة . لعل ذلك لم يكن هو
الهدف المستتر خلف طلبه تعيين القنصل ، ولكن الهدف هو أن يكون التعيين
مقدمة او نتيجة لتعاقد سياسى بينه وبين بريطانيا ، سيما وأن المكاسب التى
حققها حليفه السابق الشيخ مبارك الصباح وصديقه الشيخ خزعل من خلال
ارتباطهما بالبريطانيين تفرى بمحاولة الاقتداء بهما . وأنه لأمر ذو دلالة
أن يكون اتصال سعدون بالقنصل البريطانى قد تم بعيداً شترافه فى لقاء
الفيلية مع الشيخين مبارك وخزعل كما مر (٢) ، وأن رسوله كان وكيل الشيخ
خزعل فى البصرة وليس أى شخص آخر .

وهلفت الانتباه هنا رد القنصل المتحفظ على مفاتحة سعدون ، والذى
يوكد ماسبق أن نقلناه عن التحذير الذى تلقاه من حكومته بعدم التدخل
فى الاحداث الداخلية فى العراق من ناحية ، ويجد تفسيره من ناحية أخرى

PRO.FO 424/226, No. 43, Mr. Marling to Sir E. Grey, (١)
July 26, 1911. Inc. No. 2.

(٢) راجع الفصل الثالث، ص ٢٨

في العبارة التي أوردها القنصل في آخر تقريره والتي تقول أن سعد ونسما غير جديرين بالثقة من وجهة نظر بريطانية طبيعا . ولكن ما أسباب عدم الثقة تلك ؟ أهى وليدة تجارب سابقة بين الطرفين خاصة وأن القنصل أشار الى اتصالات سابقة قام بها سعد ون ولم يوضح كتبها ؟ أم أنها وليدة الانطباع الذي كونه القنصل عن شخصية سعد ون بما عرف عنه من تقلب حاد في المزاج واعتماد الحنف والشدة وسيلة لتنفيذ اهدافه ؟ كل من الاحتمالين وارد ولكن ليس هناك دليل على ترجيح أى منهما .

وشمة أمر آخر جدير بالملاحظة هنا ، وهو " النصيحة " التي قدمها القنصل البريطاني لسعد ون بالتفاهم مع الحكومة العثمانية . فهل كان ذلك نتيجة لحرصه على مصلحة الدولة العثمانية ورغبته في توطيد الأمن في ربوعها ؟ ليس الأمر كذلك بالتأكيد ، ولكنه حرص على المصلحة البريطانية أولا وأخرا . لأن ما تسببه الاضطرابات القبلية من أضرار بالمصالح البريطانية في العراق وخاصة في الميدان التجارى جعلت السلطات البريطانية سواء في لندن أو الهند تصل الى قناعة بأن الحركات القبلية غير الخاضعة للسيطرة ستدمر ليس المصالح العثمانية فقط ولكن المصالح البريطانية أيضا . (١)

ويبدو أن ذلك الرد البريطاني الراض قد جعل سعد ون يئأس من جدوى تكرار محاولته ، إذ ليس هناك دليل على انه قام باتصال جديد مع البريطانيين خلال المدة التالية التي سبقت اعتقاله ونفيه . ولكن وفاته في حلب في الثالث ذى الحجة ١٣٢٩ هـ / الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩١١ م يبدو أنها أوجدت حالة من الغضب في صفوف عائلته دفعت أحد أخوته الى طلب مقابلة القنصل البريطاني في البصرة في شهر فبراير ١٩١٢ م (صفر ١٣٣٠ هـ) ليقتح عليه فرض الحماية البريطانية على العراق . وبالرغم

من أن القنصل رفض مقابلته إلا أنه نقل طلبه إلى السفير البريطاني في أستانبول، وهو الطلب الذي ملق عليه المقيم السياسي البريطاني في بغداد بقولسه : - أن الفكرة الحمقاء التي تعتقد أن مثل ذلك الأمر ممكن لبريطانيا أو مرغوب فيه من قبلها لا يمكن استئصالها من أذهان العرب . (١) ورغم أن اسم ذلك المتقدم بالطلب لم يرد في هذه الوثيقة إلا أن أحد الباحثين ذكر أنه " عمر بك ابن منصور باشا " ، وأنه طلب الحماية البريطانية للأراضي الواقعة في منطقة الجزيرة التي تقطنها قبائل المنتفق ، على أن تكون مدة الحماية المطلوبة هي خمسمائة وخمسين سنة . (٢)

وهلفت النظر هنا أن الذي قدم ذلك الطلب هو أحد المشايخ الثائمين وليس ابن سعد بن وخليفته عجمي الذي يبدو أنه عزف عن إجراء أى اتصال مع البريطانيين خلال الفترة قبل سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م . ولكن يلاحظ أن اتصالات مشايخ قبائل الولاية مع البريطانيين قد زادت مع وصول تلك السنة زيادة طفيفة للنظر ، إذ روى القنصل البريطاني العام في شيرينابور ١٩١٣م (صفر ١٣٣١هـ) أنه : " قبل أن شيخ القبائل البدوية في ولايتي بغداد والبصرة يستعدون لإرسال لجنة إلى لندن لتطلب من الحكومة البريطانية الحاق هذا الجزء من تركيا بها " (٣) . وبالرغم مما في هذا الخبر من مبالغة ظاهرة يكفى للدلالة عليها صياغته اللفظية ، والقول بأن مشايخ القبائل قد اتفقوا على عمل موحد أو أنهم استعدوا لإرسال " لجنة " تمثلهم إلى لندن ،

(١) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1575/1912, Summary ... Feb. 1912, p. 1.

(٢) محمود ، مرجع مذكور ، ص ١٨٤ .

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1213/1913, Summary ... Jan. 1913, p. 3.

الا انه يـمكـس الحـالـة العـامـة السـائـدة فـى العـراق فـى مـطـلـع تـلك السـنة . وقـد
شـخـص القنـصـل الـامـريـكـى فـى بـغـدـاد اسـبـابـها حـين كـتب فـى السـابـع عـشـر مـن يـنـاـيـر
١٩١٣م (الثامن من صفر ١٣٣١هـ) قائلًا :- أن انباء هزائم الجيوش
العثمانية أثناء الحرب البلقانية التي كانت مستمرة حينئذ أثرت - ضمن موامل
أخرى - على مشاعر العراقيين حتى أن بريطانيا لو أقدمت على احتلال
البلاد ذلك الحين فلن تواجهها مقاومة جديرة بالذكر حسب اعتقاده . (١)

وقد استمر الى كذلك فى شهر مارس (ربيع الثانى) ، فحين اجتمع وكيل
ابن رشيد المقيم فى بغداد مع القنصل الامريكى فيها أيد له صحة الانطباع
الذى كونه من كره العرب للترك وهذا ذلك للقوانين الجائرة المفروضة
عليهم وخاصة فى مجال الضرائب الزراعية ولكنه أخبره أن ذلك لا يعنى أنهم
يفضلون الانتماء لبريطانيا بل أنهم يفضلون أن يصبحوا مستقلين . (٢) وقد
ظل القنصل الامريكى يلاحق تطورات ذلك الشعور العام فوصف الحالـة
فى شهر أبريل (جمادى الاولى) بقوله :- " لقد ازداد التذمر مؤخرًا ،
ويحتمل أن ذلك نتيجة للقطط والجفاف . . . والشعور بأن تركيا ضعيفة
وليسـت قـادـرة الى حد بعيد على مقاومة مطالب الإصلاح " (٣) . ويبدو
أن هذا الوضع كان محسوسا بدرجة من الوضوح لم تفب حتى عن أميين
المراقبين المحليين ، إذ أن " صلاح الدين كركوتلى " ناشر جريدة " الزهور "
المعبرة عن آراء جمعية الاتحاد والترقى فى بغداد كتب فى ٢٦ مايو ١٩١٣م
(التاسع عشر من جمادى الآخرة ١٣٣١هـ) على صفحة جريدته قائلاً

N.A.R.S., RG 84, File No. 850, No.68, Am. Cons. at Bag (١)
to the Sec. of State at Washington, Jan. 17, 1913.

N.A.R.S., RG 84, File No. 810, Am. Cons. at Bag. to (٢)
Am. Amb. at Const., March 17, 1913.

N.A.R.S., RG 84, No. 86, Am. Cons. at Bag. to the Sec (٣)
of State, April 15, 1913.

" أن أعمال الحكومة العثمانية والزيادة المطردة في النفوذ السياسى البريطانى فى هذا القطر جعل كل شخص يعتقد بأن العراق سيصبح يوما مقاطعة بريطانية". (١)

وإذا أنتقلنا من الشهور العام السائد فى العراق حينئذ الى ماجسرى من حوادث مفردة ، نجد أن عجمى يتصل أثناء تحرّكه نحو البصرة فى ربيع السنة نفسها بالقنصل البريطانى هناك ، فقد ذكر القنصل انه استلم منه فى السابع والعشرين من مايو ١٩١٣م (العشرين من جمادى الآخرة ١٣٣١هـ) رسالة شفوية ، ورغم أنه لم يعط أية تفصيلات عن مضمون تلك الرسالة الا انه وصفها بأنها كانت مجرد " بالون اختبار " لم يتبعه عجمى بأية رسالة أخرى (٢) ، ولم يطل انتظار القنصل لتلك الرسالة الاخرى ، اذ اتصل به فى الشهر التالى المبشر الامريكى القس جون فان ايس الذى تربطه بعجمى علاقة طيبة واخبره بأنه استلم من عجمى رسالة تشرح الظروف المحيطة به فى مخيمه على مشارف البصرة وتعلن أنه سيهاجم المدينة قريبا جدا ، وتطلب منه أن يستعلم من القنصل البريطانى عن موقف حكومته حيال هجومه المزمع ، خاصة اذا مانجح ذلك الهجوم. (٣) وقد رد القنصل على القس فان ايس بقوله انه ليس لديه جواب على استفسار عجمى ، وكان بذلك متعبدا بتعليمات وردته من السفير البريطانى فى استانبول . (٤)

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2785/1913, Summary... May 1913, p.6. (١)

PRO, FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 31, 1913. (٢)

PRO, FO 424/239, No. 39, Cons. Crow to Sir G. Lowther, June 20, 1913. (٣)

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 3105/1913, Summary... June 1913, p. 2. (٤)

ويبدو أن ذلك الرد الحاسم لم يثبط من عزيمته عجمي ولا جعله يكف عن محاولة استمالة بريطانيا الى جانبه او كسب حيادها على الأقل . ويظهر أنه حاول هذه المرة أن يلتقي بالقنصل شخصيا عليه يستطيع أن يؤثر فيه أكثر مما تؤثر الرسائل والرسائل الشفهية . فقد حمل فالح البنية أحد مشايخ بني لام شكواه للقنصل البريطاني من الموظفين العثمانيين الذين استدموه ثم خذلوه . ورضيته الاجتماع بالقنصل كي يتباحث معه شخصيا . ولكن القنصل رد على الرسول بالقول أن على عجمي الامتنال لا وامر الحكومة المركزية العثمانية التي لا تشجع السلطات البريطانية أية مخططات تتعارض مع أهدافها . (١)

وقد أدى هذا الرد كما يظهر الى يأس عجمي من زحمة الحكومة البريطانية عن موقفها فكف عن مواصلة محاولاته في هذه الفترة . ومن ثم تمحيص فحوى تلك المحاولات يتبين أن عجمي كان متحفظا في مطالبه ، فهو لم يطلب الحماية البريطانية كما سبق أن لمح أبوه وصرح عنه ، بل قصر همه على محاولة الحصول على ضوء أخضر بريطاني أمام الهجوم الذي كان يزمعه على مدينة البصرة . فهو يصرف بالتأكيد ان لبريطانيا مصالح مهمة ورعايا مقيمين وسفينة حربية مرابطة هناك ، فلا يمكن أن يقدم على خطوة خطيرة كمحاولة مهاجمة البصرة دون كسب موافقة بريطانيا أو حيادها على الأقل . ويبدو أن أخفاقه في تحقيق ذلك - إضافة لموامل أخرى - جعله يكف عما كان يزمعه .

وكما حصلت اتصالات بين مشايخ المنتفق والبريطانيين ، كان مشايخ بني لام حريصين من جانبهم على القيام بنشاط مشابه . ففي الثاني عشر من مارس ١٩١٣م (الثالث من ربيع الآخر ١٣٣١هـ) زار القنصلية البريطانية

في البصرة الشيخ فالح البنية أخو غضبان شيخ بني لام متنكرا في زى "درويش" (١) وبعد أن شرح للقنصل المشاكل القائمة بين قبيلته والسلطات الحكومية حول التزام الاراضى الزراعية فى لواء العمارة ، توصل اليه أن تفرض الحكومة البريطانية حمايتها على القبائل العربية المقيمة على ضفتى نهر دجلة بين الكوت والقرنة وأن تقدم لها المساعدة فى خلافاتها مع السلطات العثمانية . وحين رد القنصل البريطانى على ذلك الطلب بأن حكومته لا تستطيع التدخل فى الشؤون الداخلية العثمانية ، رجاء فالح أن يرفع طلبه برقا الى مراجعه العليا وأن يلتزم منها الرد ، (٢)

وقد وقع القنصل فى حرج من جراء تلك الزيارة شرحه بقوله : - " أن مجرد مخاطرة الشيخ فالح بسلامته الشخصية وحضوره للبصرة وحيدا من أجل رؤيتى ومناقشة القضية بصراحة معى تظهر إخلاص مشاعر العرب نحونا والثقة المطلقة التى يضعونها فى صداقتنا . فليس من المستحب لذلك تنفيرهم فى هذه الفترة الحاسمة ، وأشعر أن صدهم أو أستقبالهم أستقبالا باردا ربما يكلفنا غالبا فيما بعد اذا ما أصبحت خططهم حقيقة واقعة . ومن المحتمل تماما أنها ربما ستصبح كذلك ، نظرا لضعف السلطات التركية . ولذلك تعهدت له أن أضع عرضه أمام حكومة جلالته بكل تكتم ، وأخبرته فى نفس الوقت بأنسى لا أستطيع أن أقدم له أملا ببرد موافق ، لاننا لا نستطيع التدخل فى الشؤون الداخلية للحكومة التركية التى نحفظ معها بملاقات ودية . ولقد نظرت للامر من وجهة نظر عربية وفكرت بأنه سيفهمنى اكثر حين قلت له أننا ضيوف فى تركيا ولا نستطيع تشجيع عدم الولاء لمضيفينا فبدأ عليه أنه فهم ذلك

IOR, L/p+s/10/212, No. P-1953/1913, Summary... March 1913, p. 3. (١)

PRO, FO 424/237, No. 137, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, March 14, 1913. (٢)

وأقره . . . أشار أيضا الى اننا ساعدنا الشيخ مبارك الكويت على تحرير نفسه من تركيا ، واعلن اعتقاده بأنه ربما أمكننا أن نجد طريقة لمساعدة بنى لام فى منطقة دجلة* . (١)

ومضى القنصل يقول أنه شرح لضييفه الفرق بين حالتهم وحالة الشيخ مبارك ، اذ أن وضع الكويت الجغرافى مختلف عن وضع أراضى بنى لام ، ورغم هذا فقد كان على الشيخ مبارك أن يسعى دائما من اجل بناء علاقات جيدة مع الترك بسبب أملاكه الموجودة فى البصرة والتي ليس بإمكان البريطانيين أن يساعدوه بشأنها ، ثم شرح له الاعتراضات الجليلة على تدخل الحكومة البريطانية فى النزاع القائم بين بنى لام ، والسلطات العثمانية . واختتم وصفه لما جرى بالقول ان اللقاء كان وديا تماما حتى أن ضيفه اقترح منه بعض الروبيات (٢) من أجل إرسال بعض البرقيات لانه جاء دون أن يحمل مالا . وقبل أن يفادر الضيف القنصلية أخبر ضيفه بأنه سيتمكث بعض الوقت فى الجوار لعله يحصل على جواب من الحكومة البريطانية ، فنبهه القنصل الى عدم ارتياح القنصلية لهذا لأن ذلك سيكون أمرا محرجا له . (٣)

ويلاحظ هنا أن طلب فالح البنية حظى بأهتمام كبير من الاوساط الرسمية البريطانية اكثر من مفاتحات شيخ المنتفق السالفة الذكر . واطن أن سبب ذلك عائد لارتباط المصالح البريطانية ارتباطا مباشرا بالملاحة

PRO,FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١) March 15, 1913.

(٢) الروبية سكة هندية كانت متداولة فى العراق الى جانب العملة الرسمية العثمانية ، وهى تعادل عشرة قروش ونصف ، أى مايقبل عن عشر الليرة العثمانية ، راجع :

العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٣١

PRO,FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (٣) March, 15, 1913.

فى نهر دجلة الذى يمر فى اراضى بنى لام ، بعكس قبائل المنتفق القاطنة على الفرات التى ليس لها اتصال مباشر بالمصالح البريطانية . وعلى هذا لم يكن رد القنصل البريطانى هو الصمت ، بل نجده يتمنى فى برقيته الاولى التى ارسلها للسفير البريطانى فى استانبول أن تبعث الحكومة البريطانية جوابا ما للشيخ فالح حماية للمصالح البريطانية المحلية من احتمالات تحرك بنى لام فى المستقبل . (١) ثم كرر فى رسالته التفصيلية التالية أنه فى أن يتلقى المذكور جوابا يتضمن على الأقل أعلامه بأن الحكومة البريطانية قد أسلمت التماسه . (٢) وحين علم بعد أيام أن وزير الخارجية البريطانية سيجتمع قريبا بحق باشا وزير الخارجية العثمانية وضع تحت تصرف الوزير البريطانى معلومات إضافية عن قوة الشيخ فالح واخيه وتفاصيل عن خلافهما مع السلطات العثمانية ، والمصالح الى امكانية اقناع الباب العالي بقبول تسوية مالية لمشكلتهما نظرا لحاجة الدولة العثمانية الى المال (٣) .

ويبدو أن الحماس الذى أظهره القنصل لقضية فالح واخيه قد جعل السفارة البريطانية تطالبه بتفسير لموقفه ، ولذلك نجده يقول فى رسالته التالية :- " لم أقصد بالتأكيد فى رسالتى الاولى أن أنقل الفكرة القاطنة بأن بنى لام غير مذنبين تجاه الترك فى القضية ، ووجهة نظرى - اذا ما سمح لى بشرحها - هى أن تلك القبيلة سببت لنا بالفعل أذى كبيرا خلال سنة ١٩٠٨ بأطلاقها النار على سفننا وأيقاف الملاحة فى دجلة لعدة أسابيع .

PRO, FO 424/237, No. 137, Sir G. Lowther to Sir E. Grey, March 14, 1913. (١)

PRO, FO 424/238, No. 16, Cons. Crow to Sir G. Lowther, March 15, 1913. (٢)

PRO, FO 424/237, No. 155, Sir G. Lowther, to Sir E. Grey, March 22, 1913. (٣)

وبالنظر لطرائق الحكومة التركية غير المرضية في تعاملها معهم ، وعدم قدرتها على ايجاد تسوية عادلة لمشاكلهم ، بيد ولى أن من الطائى اكثر لمصالحنا النهرية أن ننال تعاطفهم بدلا من أن نبعدده . اننى مقتنع بأن هنالك شيئا كثيرا يمكن أن يقال لمصالحهم ، فالادارة التركية موجودة هنا من أجل هدف أنانى هو جمع المال باتباع طرق وحشية جشعة ، وقد أصبح العرب لا يميلون للثقة بها نتيجة للممارسات الفاسدة للموظفين الذين يرسلون لحكمهم ، وهم الآن ساعطون والشعور ضد الحكومة التركية حاد جدا بينهم . ومهما كانت أخلاقهم وطبيعة خلافاتهم مع الترك فأننى أؤمل فى كل الاحوال أن نجعلهم مدينين لنا بالود بأن نقدم أستقبالا متعاطفا لمثلهم الذى جاء لرؤيتى متكررا خائفا ، وفيما بعد حين تدعو الحاجة يمكن أن نستمع من ذلك الود بعض الفائدة لحماية أرواح وممتلكات رعايانا فى نهر دجلة ، الذى هو بصورة تامة - حسبما جربت خلال أقامتى هنا - تحت رحمة القبائل العربية المقيمة على ضفتيه فى أوقات الاضطرابات . ولا زلت اعتقد بأننا يمكن أن نفعل ذلك ، وان لنا على الأقل صديقا هو الشيخ فالح البنيصة . أما عن أستيلاتهم على الاراضى المزمرة بدون دفع مقابل واحتفاظهم بها انتظارا للتسوية فهو فى الحقيقة ليس أجرا شاذا (١)

واضافة الى تعاطف القنصل البريطانى فى البصرة ، حظى طلب فالح البنية أيضا بتعاطف فى صفوف كبار موظفى وزارة الخارجية فى لندن . اذ كتب أحدهم قائلا :- " مما سيقبل من مصالحنا المحلية أن يرد مثلونى لام خالى الوفاض ، وسيكون أمرا موجبا للأسف أن ننفر فى النهاية ثلاثة شيوخ أقوياء (٢) سيتوجهون نحو دولة أخرى . اننا نتحدث دائما عن مكانتنا ومصالحنا فسى

PRO, FO 424/238, No. 27, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (١)
May 9, 1913.

(٢) لعله يشير هنا الى محاولتى عجمى وعنه اللتين مر ذكرهما .

بلاد ما بين النهرين ، ولا نعلم ماذا يمكن أن يحدث فى ذلك الجزء من العالم خلال السنوات القليلة القادمة ، اذ أن هنالك حديثا عن ثورة عربية واعلان استقلال . والسؤال هو هل بإمكاننا - دون أن نلحق أنفسنا - ايجاد طريق يظهر للعرب أننا لسنا غير مبالين كلية بمصالحهم". (١)

وقد أدى كل هذا التعاطف الى اقناع وزير الخارجية البريطانية بالتدخل فى المشكلة القائمة بين بنى لام والحكومة العثمانية ، فقد كتب الوزير فى التاسع عشر من جمادى الآخرة ١٣٣١ هـ / السادس والعشرين من مايو ١٩١٣ م الى السفير البريطانى فى أستانبول يعلمه ان بإمكان القنصل البريطانى فى البصرة ابلاغ الشيخ فالح بأنه - أى الوزير - قد وضع القضية تحت أنظار الحكومة التركية بصورة غير رسمية ، وأنه بالرغم من استعداداته لاعادة توجيه أنظار تلك الحكومة نحوها فليس باستطاعته اتخاذ اجراءات اكثر رسمية حيال القضية (٢). وقد قام القنصل بالفعل بأبلاغ رد وزير الخارجية للشيخ فالح من خلال رسالة بعثها له بيد الكابتن كاوى Cowley ربان إحدى سفن شركة لنج العاملة فى نهر دجلة. (٣)

وبلاحظ هنا أن الرد البريطانى هذا كان تخلصا بارعا من المأزق الكارثى منه تدخل جادا فى المشكلة بين السلطات العثمانية وبنى لام . ورغم ذلك استمر شيخ بنى لام يأملون فى كسب ود السلطات البريطانية ، فقد حرص فالح البنية على زيارة القنصل البريطانى فى البصرة مرة أخرى فى شهر

(١) Cohen, Op.Cit.,p. 269.

(٢) PRO,FO 424/238, No. 223, Sir Edward Grey to Sir G. Lowther, May 26, 1913.

(٣) PRO,FO 424/238, No. 34, Cons. Crow to Sir G. Lowther, May 31, 1913.

يوليه (شعبان) من نفس السنة. (١) ومع انه لم يتقدم هذه المرة بأيـــــــة طلبات محددة، الا أن مجرد زيارته دليل واضح على استمرار أمله في الحصول على المساعدة البريطانية. ومن الضيفد القول أن السعى خلال تلك السنة للحصول على المساعدة البريطانية لم يكن مقصورا على بعض مشايخ قبائل ولاية البصرة، ولكن شاركهم فيه بعض مشايخ قبائل ولايتي بغداد والموصل أيضا. فقد حضر أحد مشايخ قبيلة الخزاعل القاطنة في منطقة الفرات الاوسط الى المقيمة البريطانية في بغداد في السادس والعشرين من اغسطس ١٩١٣م (الثالث والعشرين من رمضان ١٣٣١هـ) وطلب الحماية البريطانية لـــــــه ولقبيلته ولكن طلبه رفض، وكذلك رفض طلب مشابه قدم للقنصلية البريطانية في الموصل. (٢)

وفي حين كانت الاتصالات القبلية ببريطانيا كثيرة خلال سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣م، تقلصت خلال الشهور التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى في السنة التالية بصورة ملفتة للنظر. اذ لم يرد ما يدل على قيام أحد من شيوخ القبائل بأي اتصال مع البريطانيين باستثناء مافلة عجمي بن سعدون حين أرسل في الثامن والعشرين من يوليه ١٩١٤م (الخامس من رمضان ١٣٣٢هـ) رسالة مختومة بخاتمه الى مترجم القنصلية البريطانية في البصرة تطلب منه إيصال رسالة مرفقة موجهة من كاتبه الى القنصل وكان مضمــــون تلك الرسالة هو أن عجمي يعتزم مهاجمة البصرة اذا لم تستجب السلطات العثمانية لمطالبه التي تتلخص بموت السيد طالب النقيب وفي انصاره عــــن

IOR, L/p+s/10/212, No. P-3800/1913, Summary... July (١)
1913, p.6.

IOR, L/p+s/10/212, No. P- 4285/1913, Summary of Events in (٢)
Turkish Iraq for Aug. 1913, p.7.

المدينة . وختم الكاتب رسالته بـرجاء الاجابة عليها ، وهو طلب حقه له القنصل حين رد بأنه لن يتدخل فى الأمر الذى تحدثت عنه الرسالة . (١)

ويظهر من هذه الحادثة أن البريطانيين ظلوا متصكين بموقفهم السابق الممتنع من ابداء أى درجة من التعاطف مع عجمى ، كما يظهر من جهة أخرى استمرار الغموض الذى يكتنف مطالب عجمى منهم . فرسالة كاتبة الأخيرة لا تطلب شيئا محددًا وإن كانت تدل ضمنا على أن مطلب عجمى الاساسى هو التأكد من عدم معارضة بريطانيا لما يرضعه من مهاجمة مدينة البصرة . وثمة ناحية أخرى جديرة بالملاحظة ، ولعلها تفسر الغموض الذى اتصفت به اتصالات عجمى بالبريطانيين ، وهى الحذر الشديد الذى أظهره عجمى فى محاولته الأخيرة ، إذ انه لم يوجه رسالته الى القنصل مباشرة ، بل وجهها الى مترجم القنصلية ، وهى رسالة لم تحو شيئا غير طلب إيصال رسالته كاتبة المصنونة الى القنصل ، وكان عجمى من خلال اتخاذ تلك الاحتياطات كان يخشى أن تصل رسالته بوسيلة ما الى السلطات العثمانية ، وهذا يمكنه التنصل من أية مسئولية بالقول مثلا أن رسالة كاتبة تختص بشأن خاص بالكاتب ، أو أنه لم يكن يعلم بمحتواها أو ما شابه ذلك .

ويحسن بنا أن نتساءل هنا ان كانت تلك الاتصالات التى جرت بين بعض مشايخ القبائل والبريطانيين فائبة كليا عن ملاحظة السلطات العثمانية فى العراق ؟ والجواب على هذا السؤال هو النفي ، إذ كان الولاة يحسون بأن هنالك شيئا ما يحدث بين الطرفين ، وهو الأمر الذى كان يثير سخطهم الشديد . (٢) ولم يتف أولئك المسئولون العثمانيون عند حدود الحدود

IOR, L/p+s/10/462, No. 459-R, Mr. Beaumont to Sir E. Grey , July 29, 1914. (١)

Longrigg, Op.Cit., p. 4. (٢)

فقط، بل حاولوا أن يصلوا لشيء يقينى ثابت يؤكده لهم، فذهبوا ببعض الرجال للاتصال بممثلى بريطانيا فى العراق متظاهرين بطلب الحماية البريطانية كى يروا رد الفعل البريطانى، وهو أمر لم يتفعل عنه الممثلون البريطانيون (١). وقد استغل أولئك المثلون من جانب آخر خوف السلطات العثمانية من أى اتصال يتم بينهم وبين القبائل وسيلة للضغط على تلك السلطات عند الحاجة. فحين كان القنصل البريطانى الحام فى بغداد يرفب فى دفع السلطات العثمانية لاتخاذ اجراءات هازمة ضد القبائل التى هاجمت السفن البريطانية فى نهر دجلة خلال سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، تظاهروا بأنه سيذهب للصارة للاتصال بشيخ تلك القبائل، وخلق على خطته تلك بقوله :- "أعتقد أن الدافع الاكثر احتمالاً لتحريكهم (العثمانيين) فى الاتجاه الذى نريده هو رغبتهم بعدم اعطائى مبرراً للدخول فى علاقات رسمية أو اجتماعية مع الشيخ العرب، ولقد حاولت دون أن أوفق نفسى به أى وجه أن أزيد خوفهم من تلك الامكانية". (٢)

والى جانب تلك الاتصالات بين الشيخ والممثلين الدبلوماسيين البريطانى، كانت هنالك ناحية أخرى وثيقة الصلة بالنشاط البريطانى فى العراق وهى جولات ضباط الاستخبارات البريطانية فى الديار القبلية العراقية. ففي أوائل سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) لاحظ القنصل الأمريكى فى بغداد وجود ضابط من مكتب الاستخبارات التابع لجيش الهند البريطانى

IOR, L/p+s/10/212, No. P-3133/1912, Summary of Events in (١) Turkish Iraq during June 1912, p.4.

PRO, FO 424/216, No. 17, Cons. Gen. Ramsay to Sir E. Grey, (٢) June 13, 1908.

في بغداد وأنه يكرر التنقل من هناك في جولات يجوب خلالها بعض المناطق القبلية. (١) وفي ربيع نفس السنة أيضا كان الضابط البريطاني ليتشمان Leachman يقوم بجولات واسعة في العراق ومأحوله (٢). وهي جولات زعم كاتب بريطاني أن سببها هو حب المغامرة وليس التجسس أو التآمر (٣) ولكن كاتباً عراقياً رجح بالمقابل الطبيعة التجسسية لتلك الجولات. (٤) والذي يهمننا هنا هو القول انه رغم كل الشكوك التي تثور في الذهن حول ذلك النشاط المريب الا أنه ليس هنالك أى دليل ملموس يؤكد تلك الشكوك .

وقبل أن نطوى صفحة الاتصالات بين قبائل ولاية البصرة والبريطانيين ، تحسن الإشارة لما رواه أحد الباحثين من أن السلطات البريطانية أخذت تميل تدريجياً قبيل قيام الحرب العالمية الاولى الى أدراك أهمية تحسين علاقاتها بالقوى القبلية في العراق ، خاصة بعد ازدياد المنافسة الألمانية فيه. اذ قال :- " لقد حاولت الحكومة أن تتفادى احتمال هبوط المكانة البريطانية بين عرب العراق نتيجة للسيطرة الألمانية على خطوط سكك الحديد في المنطقة. أن ضرورة منع قيام ثورة عربية خلال هذه الحقبة لا تبطل قيمة صداقة العرب ، ومن خلال نشر التأثير الغربي بين عرب العراق يمكن

(١) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. at Bag. to Am.Amb. at Const., Jan. 21, 1910.

(٢) IOR/L/p+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq during the months of Apr. and May 1910, p.12.

(٣) Bray, N.N.E., Shifting Sands, London, 1934, p. 242.

(٤) عبد الجبار الصمر، مصرع الكولونيل ليتشمان ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨ -

لبريطانيا ان تحقق " رسالة ثقافية " ، ويكسب ودهم ستتجنب أيضا الخسارة التجارية الناجمة عن البقض المحلي لبريطانيا ، وربما اكتر أهمية من ذلك كله أنها ربما أمنت من خلال كسب صداقتهم ولاء حلفاء حربيين أقوياء . أن الاهمية الحربية لصداقة اتحاد قبلي مثل قبائل المنتفق لوحظت من قبل الملحق العسكري في القسطنطينية في أبريل ١٩١١ ، وأكد عليها من قبل وزارة الحربية في مايو ، وبرز ذلك لوريمر في اكتوبر من السنة نفسها . وبحلول سنة ١٩١٤ أظهرت الحكومة بوضوح رفضها للتضحية بمنافع مثل تلك لصالح قوة اخرى ، فكفت من محاولاتها للتأثير على عرب العراق عن طريق العظيمة البريطانية ، وهدلت أيضا من موقفها السلبي لحد الآن نحو اتجاهات الشيخ المحليين المضادة للترك " . (١) ويبدو ان ذلك التوجه البريطاني - ان وجد - كان في طور الصياغة النظرية حينئذ ، ولم يتبلور على شكل ممارسات عملية ، بدليل ما مر من موقف القنصل البريطاني في البصرة من مجمل السعدون قبل فترة قصيرة فقط من اندلاع الحرب العالمية الاولى .

والخلاصة وعلى ضوء كل ما مر ويقدر ما تسنى الاطلاع عليه من معلومات يمكن القول أن الموقف البريطاني خلال الاتصالات التي جرت مع بعض مشايخ قبائل الولاية كان موقفا سلبيا تماما . اذ لم تشجع السلطات البريطانية تلك القبائل على القيام بأي نشاط ذي صيغة معادية للحكومة العثمانية ، بل واعتبرت أن مثل ذلك النشاط أمر يهدد مصالحها الكثيرة في الولاية .

وشمة سوءال يفرض نفسه هنا ، هو اذا كانت بريطانيا لم تسع لاثارة الاضطرابات القبلية في ولاية البصرة ، أفلم يكن لتلك الاضطرابات تأثير عكسي ، اي انها أثرت بشكل ما على صوغ السياسة البريطانية تجاه العراق ؟ لقد

أكد احد الباحثين ذلك التأثير حين قال :- " أن الاستياء الواضح للمغرب المحليين من سكان العراق تجاه الحكم التركي قد مارس تأثيرا عظيما على الخطط البريطانية في المنطقة ابان فترة المفاوضات الانجلو - المانيكية والانجلو - تركية . ان التقارير القنصلية عن الاضطرابات المحلية كانت طويلة ومملة ولكنها منسجمة . . . (وقد) أوجدت تأثيرا هاما على صناعات السياسة البريطانية" . (١)

أما وقد وصلنا الى هذه المرحلة ، فيحسن ألقاء نظرة فاحصة على قضية مهمة ذات صلة وثيقة بالادعاءات التي كانت توجه لبريطانيا حول دورها في اثار الاضطرابات القبلية في ولاية البصرة ، الا وهي قضية تسليح قبائل الولاية .

حركة تهريب السلاح الى قبائل الولاية وموقف السلطات البريطانية منها :-

على الرغم من تحريم استيراد البنادق - عدا بنادق الصيد - الى الدولة العثمانية فان كل عربي تقريبا تراه حينئذ خارج مدينة بغداد يكون مسلحا ببندقية حديثة على حد قول القنصل الامريكى في بغداد (٢) . وما ذلك الا أن تهريب السلاح كان يتم على نطاق واسع الى العراق . (٣) وكان المصدر الاساسى للتهريب هو الخليج العربى ، اذ اشارت التقارير الرسمية البريطانية الى أن حجم حركة السلاح فيه خلال عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩م (١٣٢٦ و ١٣٢٧هـ) كان بحدود تسعين ألف بندقية ومسدس واثنى عشر مليون ونصف المليون من

(١) Cohen, Op.Cit., p. 265.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (٢) at Const., Feb. 24, 1910.

(٣) العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ١٩٩ .

الطلقات من نوبات مختلفة. (١) وكانت مسقط هي المركز الرئيسي لتلك التجارة في الخليج ، اذ كانت بعض الشركات الفرنسية التي تتعامل بتجارة السلاح ترسل شحنات كبيرة منه لفروعها في مسقط في سفن تحمل العلم الفرنسي كي تتجنب حملات التفتيش البريطانية (٢) ، في نفس الوقت الذي كانت فيه بعض السفن الالمانية تقوم بدور مشابه. (٣) وبعد وصول تلك الاسلحة الى مسقط ، كانت تأخذ طريقها مهربة الى المناطق الأخرى في الساحل الغربي للخليج او داخل بلاد العرب ، (٤) وبالإضافة الى مسقط كانت كميات من الاسلحة تشحن مهربة بوسائل مختلفة على ظهور السفن المتجهة مباشرة من الموانئ الأوروبية الى موانئ الخليج الأخرى. (٥)

وكان قسم كبير من تلك الاسلحة يصل مهربا الى أيدي قبائل ولايعة البصرة عبر ثلاثة طرق ، الطريق الاول منها هو أن تصل الاسلحة من مسقط الى ميناء البصرة مباشرة. فلقد أشار القنصل الأمريكي في بغداد الى أن زميله القنصل العام البريطاني هناك أعترف له بوصول شحنات كبيرة من الاسلحة من هذا الطريق على ظهور سفن هندية بريطانية ، حيث تذهب

N.A.R.S., RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (١)
at Const., Feb. 24, 1910.

IOR, L/p+s/10/112, No. 6AF, IO to FO, Feb. 24, 1910. (٢)

IOR, L/p+s/10/112, No. 102- 1462 XIVK, the Naval Commander-in- Chief to the Sec. to the Gov. of India in the Marine Dept., May 10, 1911. (٣)

IOR, L/p+s/10/112, No. 3045, the First Assistant Resident to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign Dept., Dec. 2, 1911. (٤)

IOR, L/p+s/10/112, No. 182-1462 XIVK, the Naval Commander-in-Chief to the Sec. to the Gov. of India in the Marine Dept., Aug. 23, 1911. (٥)

الارباع المحققة من تلك الشحنات لجيوب رعايا بريطانيين. (١) وقد ذكر
القنصل العام البريطاني نفسه انه لاحظ أثناء مروره في دجلة في ربيع سنة
١٩١٤م (١٣٣٢هـ) أن قبائل المنطقة مسلحة ببنادق جلبت من مسقط. (٢)
ورغم ذلك يبدو أن هذا الطريق كان أقل أهمية من الطريقين الآخرين
لما يكتنفه من صعاب كبيرة.

والطريق الثاني هو أن تصل تلك الاسلحة للقبائل من مسقط بصورة
غير مباشرة، حيث يتم الاستلام والتسليم في مدينة المحمرة التي كان شيخها
يحتفظ بعلاقات ود مع قبائل العمارة خاصة بني لام ويهدا بمساعدته
في الوقت الذي يتمتع فيه هو نفسه بالحماية البريطانية. (٣) ويبدو أنه كانت
تصل القبائل لواء العمارة من هذا الطريق كميات كبيرة من الاسلحة يكفي
لبيان ضخامتها أن ننقل ما ذكره المقيم السياسي البريطاني في بغداد
عن أن شيخ بني لام قد تفاوض خلال صيف سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) على شراء
عشرة آلاف بندقية ماوزر Mauser يتم تسليمها في المحمرة، على أن يدفع
نصف ثمنها عند تقديم أمر الشراء والنصف الثاني عند استلام البضاعة.
وقد أعرب المقيم من قناعته في أن تلك الصفقة ستتم بواسطة مؤسسة تجارية
من بغداد لم يذكر اسمها. (٤)

N.A.R.S., RG 84, No. 15, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (١)
at Const., March 14, 1910.

IOR, L/p+s/10/212, No. P-2097/1914, Summary... Feb and (٢)
March 1914, p.9.

N.A.R.S., RG 84, No. 146, Am. Cons. Gen. at Beirut to (٣)
Am. Amb. at Const., Apr. 30, 1908.

IOR, R/15/5/7, Turkish Arabia, Aug. 1908, p.31. (٤)

أما الطريق الثالث فهو وصول الاسلحة من الخليج عبر الكويت الى العراق الجنوبي عن طريق الصحراء . (١) وكان هذا الطريق هو الأهم من بين الطرق الثلاثة اذ كانت تصل عبره كميات كبيرة من الاسلحة ، لصعوبة ملاحقة السلطات العثمانية للمهربين وسط الصحراء القترامية الاطراف من ناحية ، ولتواطؤ بعض الموظفين العثمانيين معهم من ناحية أخرى . (٢) ويبدو أن الانظار كانت مركزة على هذا الطريق اكثر من غيره ، حتى أن جريمة كانت تصدر في بغداد حينئذ وصفت أهل الكويت بأنهم مورد ووسائل الموت والدمار وحملتهم مسئولية كل القتل والقتال الذي يحدث بين القبائل والقوات الحكومية من جهة ، وبين بعضها والبعض الآخر من جهة ثانية . (٣)

ولم يكن ذلك الموقف من تجارة السلاح الرائجة في الكويت مقصورا على الصحف فقط ، بل أنه كان متداولاً في الاوساط الرسمية العثمانية . فخلال لقاء تم في أواخر ديسمبر ١٩١٠م (ذى الحجة ١٣٢٨هـ) بين حقي باشا الصدر الاعظم العثماني واحد رجال المال البريطانيين وتناول القضاة المعطاة بين الدولة العثمانية وبريطانيا قال حقي باشا أن السلوك البريطاني في الكويت غير مادل بدون شك ، اذ تحت حمايتها - رغم انه ليست هنالك حماية بالمعنى الحرفي للكلمة - أصبحت الكويت مركزا لحركة السلاح المهرب ومصدرا لنزاع مستمر مع جيرانها . وطالما وجدت هذه الحالة الشاذة فليس من الممكن اعادة السلم والنظام الى ذلك الجزء من العالم . وشبه الصدر الاعظم الكويت بالشوكة المفروسة في جانب الدولة العثمانية ، وأشار الى ان ذلك الوضع هو الذي أوجد الشكوك حيال أهداف بريطانيا في العراق . (٤)

(١) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٠٧ .

(٢) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ١٩٩ .

(٣) الرقيب ، السنة ٢ ، العدد ١٠٣ ، ٢٣ ربيع الاول ١٣٢٨هـ / ٥ نيسان ١٩١٠م .

ص ١١٠ .

(٤) IOR, L/p+s/10/112, No. 1, Sir H. Babington Smith (National Bank of Turkey) to Sir A. Nicolson (Eastern Dept., F.O.), Dec. 30, 1910.

وحتى نستطيع تبين مدى أحقية العثمانيين في شكاوهم تلك ، يحسن أن نلقى نظرة على ما كان يجري في الكويت فعلا ، وأول ما نراه هناك أن شيخ الكويت حرم بأيعاء من بريطانيا أستيراد الاسلحة لبلاده سنة ١٣١٧ هـ / ١٩٠٠ م. ولكن يبدو أن ذلك التحريم كان أجرا أستهدفت السلطات البريطانية من ورائه تبرئة ساحتها امام العثمانيين اكثر مما أستهدفت منه التأثير الحقيقي على تجارة السلاح هناك (١). تلك التجارة التي كانت تدر على الشيخ دخلا سنويا يتراوح بين مائة وخمسين الى مائة وستين ألف دولار ، (٢) اذ انه كان يستوفي رسما مقداره ستة دولارات على كل بندقية تستورد لاراضيه (٣). ولا ريب أن تلك الكميات الكبيرة من الاسلحة لم تكن تستورد لاستهلاك الكويت المحدودة السكان ، بل لابد أن تكون لها منافذ أخرى ، وابن يمكن ان تكون تلك المنافذ الا في المناطق المجاورة. وفيما يخص العراق ، ذكر القنصل البريطاني في البصرة في أبريل ١٩٠٩ م (ربيع الاخر ١٣٢٧ هـ) أنه سمع اخبارا تفيد بأن أفراد القبائل العراقية يتلقون اسلحة من الخليج ، وان القوافل التي تحملها كانت تمر عن طريق الزبير والفرات ، وأبدى شكه في صحة تلك الأخبار لعدم العثور على أى دليل

IOR, L/p+s/10/112, No. 1942, the Political Resident in (١)
the Persian Gulf to the Sec. to the Gov. of India in the
Foreign Dept., Aug. 19, 1906.

IOR, L/p+s/10/112, S.S. Mobarak to L.C.S.P. Cox, (٢)
Moharram 2, 1330 = Dec. 12, 1912.

IOR, L/p+s/10/112, Extracts from the diaries of the (٣)
Political Agent in Koweit Nos. 51 and 52 for two weeks
ending 22nd and 29th Dec. 1909.

مادى يثبتها رغم أن قوات مطاردة أرسلت من البصرة للزبير لاعتراض تلك القوافل . (١) ولكن شك القنصل لم يكن فى محله ، اذ أشارت إحدى الصحف الصادرة حينئذ فى بغداد الى ان إحدى تلك القوافل المحملة بالسلاح والمؤلفة من أربعين جملا وقعت بيد سعدون باشا السعدون فقام بتسليمها للحكومة ، ورفض سعدون بهذه المناسبة أن تناط به مسؤولية مكافحة تهريب السلاح من الكويت فيشكل قوة من الهجاة لهذه الفايضة على أن تتحمل الحكومة نفقاتها البالغة مائة وعشرين ليرة شهريا . (٢) وقد أكد المقيم السياسى البريطانى فى بغداد أيضا وقوع كمية من الذخيرة بيد سعدون وقيامه بتسليمها الى الجهات الرسمية المختصة فى صيف سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) . (٣)

هذا ومن جانب آخر ، اعترف الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت فى حديث جرى بينه وبين الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت فى شهر ديسمبر ١٩٠٩م (ذى الحجة ١٣٢٧هـ) بأن الاسلحة تهرب بالسفن من مسقط ويتم تفريغها على شاطئ القطيف ، ومن هناك تجد طريقها للداخل حيث تذهب كمية منها الى الرياض وحائل ، بينما يذهب ثلثاها نحو الشمال ليوزع بين قبائل المنتفق والقبائل الاخرى القاطنة فى المنطقة الممتدة على طول النهر من الزبير حتى مشارف بغداد . وذكر أن عملية نقل الاسلحة

PRO,FO 224/219, No. 23, Cons. Crow to Sir G. Lowther, (1) April 29, 1909.

(٢) الرقيب ، السنة ١ ، العدد ١٨ ، ٢٩ ربيع الاخر ١٣٢٧هـ / ٢٠ مارس ١٩٠٩

IOR, L/p+s/10/188, Summary of Events in Turkish Iraq (٣) during the month of June 1910, p. 6.

المهربة كان يقوم بها أفراد قبيلة المجران الذين يتقاضون ثلاثة وعشرين دولا رة عن حمولة الجمل الواحد التي تتكون من عشرين بندقية دون ذخيرة. واعترف بأن بعض تلك الاسلحة تجد طريقها الى الكويت لتعود وتجسّد طريقها من هناك نحو الشمال. و اضاف أن والى البصرة اتهمه بالسماح باستخدام الكويت مستودعا لارسال السلاح الى القبائل القاطنة على النهر، ولكنه رد عليه بأن المسؤولية الحقيقية عن تهريب السلاح يتحملها الموظفون الترك في الاحساء والقطيف. وقد علق الوكيل السياسى البريطانى على حديثه مع مبارك بقوله :- " نقلت ماجاء اعلاه لأن هدفى الرئيسى هو اظهار أن الشيخ مبارك لم يهجر الى حد بعيد سياسته القديمه فى محاولة خدامنا فيما يتعلق بالوضع الحقيقى لتجارة السلاح فى الكويت". (١)

وهكذا ، وبالرغم من محاولة الشيخ مبارك ابعاد المسؤولية عن الكويت فقد كانت تهرب منها كميات كبيرة من الاسلحة لتسوق بين القبائل العراقية وخاصة تلك القاطنة منها فى ولاية البصرة. ولكن الكويت تحت الحماية "الفعلية" البريطانية فقد اتجهت أصابع الاتهام نحو بريطانيا نفسها ، وهو اتهام وجد سبيله للتداول على صفحات الصحف الصادرة فى بغداد حينئذ ، فقد سجل القنصل الأمريكى فى بغداد ما كتبه احداها فى يوليو ١٩١٢م (شعبان ١٣٣٠هـ) وكان نصه :- " أن الانجليز يحاولون منذ زمن طويل أن يجعلوا نفوذهم محسوسا بين عرب ما بين النهرين والعراق، فلقد وزعوا بينهم أولا بنادق الماوزر، والمارتينى على أمل أن يقاتلوا بعضهم البعض فيصبح الطريق مهيذا أمامهم لاحتلال هذه البلاد". وعلق القنصل على ذلك الاتهام بقوله ان كلام تلك الجريدة كان يمكن أن يكون أقرب

(١) IOR, L/p+s/10/112, No. 663, the Political Agent in Koweit to the First Assistant Resident in Charge of Residency in Bushire, Dec. 29, 1909.

للمصواب لو أنها قالت أن تلك هي سياسة الترك التي أتبعوها طويلا من اجل الحفاظ على سيادتهم على العرب، و اضاف أن الانجليز يحاولون بالطبع كسب ود العرب القاطنين في المنطقة الممتدة بين بغداد والبصرة ولكن ما قالته تلك الجريدة سخف محض . (١)

ولكن أقوال تلك الجريدة وشيلائها لم تكن الا انعكاسا لما تتداوله الاوساط الرسمية العثمانية حول اتهام بريطانيا بالمسؤولية عن تهريب الاسلحة للعراق ، وهو اتهام قديم العهد على ما يبدو ، فقد لاحظ السفير البريطاني في استانبول سيروا وكونور في فبراير ١٩٠٦ (محرم ١٣٢٤ هـ) " أن السلطات العثمانية في الخليج الفارسي ترسل للباب العالي باستمرار تقارير تتهمنا فيها بتشجيع تقديم السلاح للعرب الخارجين على حكم السلطان ، وتستثمر هذه الشكاوى بالتأكيد ، وربما ستصاغ بشكل رسمي وتقدم الى اذا لم تتخذ الاجراءات لقمع استيراد السلاح عبر الكويت " . (٢) هذا وقد ذكر المقيم السياسي البريطاني في بغداد من جانبه انه حرص خلال مقابلاته مع اعضاء كبار المسؤولين العثمانيين في العراق خلال شهر يونيه ١٩٠٨ م (جمادى الاولى ١٣٢٦ هـ) على القول بأنه سمع ما يثار من اهتمام بريطانيا بتجارة السلاح ، وانه شرح لذلك المسئول الجهود التي تبذلها السلطات البريطانية لوقف تلك التجارة . (٣)

N.A.R.S., RG 84, No. 257, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (١) at Const., July 29, 1912.

IOR, L/p+s/10/112, No. 116, Sir N. O'Connor to Sir E. Grey, Feb. 25, 1906. (٢)

PRO, FO 424/216, No. 55, Cons. Gen. Ramsay to Mr. G. Barclay, June 9, 1908. (٣)

ولقد قامت السلطات البريطانية بالفعل بجهود كبيرة لقمع تلك التجارة ويحسن قبل أن نلم بتلك الجهود ، أن ننوه بأن الهدف الكامن وراءها مرتبط بحرص بريطانيا على حماية وجودها في الهند من أى تهديد مهما قل شأنه . فكانت تحرص لذلك على الحيلولة دون وصول الاسلحة من الخليج عبر بلاد فارس الى القبائل القاطنة على الحدود الشمالية للهند ، والتي كان يصلها بالفعل الكثير من تلك الاسلحة من هذا الطريق . (١) وتسهيلا للوصول الى ذلك الهدف حرصت السلطات البريطانية على عدم وصول الاسلحة الى قبائل شط العرب والجانب الفارسي من الخليج خوفا من أن تأخذ طريقها مسننا هناك الى بلوشستان وافغانستان . (٢) وعلى هذا كانت السلطات البريطانية حرصا على مصالحها مخلصا جدا في جهودها الرامية لكبح تجارة السلاح في الكويت على حد قول القنصل الامريكى في بغداد . (٣)

ويظهر التدقيق من الوقائع صدق قول القنصل من جدية السلطات البريطانية في محاربة تهريب السلاح ، اذ أنها فرضت حصارا بحريا مشددا على الجانب الفارسي من الخليج (٤) ، كانت تفتش بموجبه السفن وتتصادر

N.A.R.S. RG 84, No. 15, Am. Cons. at Bag. to Am. (١)
Amb. at Const., March 14, 1910.

IOR, L/p+s/10/112, No. 1202, the Political Resident in (٧)
the Persian Gulf to Rear-Admiral R. Peirse, April 26.
1914.

N.A.R.S. RG 84, No. 15, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (٢)
at Const., March 14, 1910.

IOR, L/p+s/10/112, No. 38C, the Political Agent in Kuwait (٤)
to the Political Resident in the Persian Gulf , May
15, 1912.

ما تجده في بعضها من شحنات الاسلحة المهربة وتلقيها في البحر (١) ، كما كانت تقوم بأحراق السفن الشراعية المحلية التي تكشف اسلحة مهربة على شاطئها (٢) . وحاولت فوق ذلك كله أن تجبر سلطان سقط على اتخاذ بعض الاجراءات التي تحد من تدفق السلاح من وإلى أراضيه (٣) وسعت من جانب آخر إلى تلافي تهريب الاسلحة بصورة مباشرة من أوروبا إلى موانئ الخليج عن طريق الملاحقة القانونية للمؤسسات التجارية التي يثبت تورطها في إرسال تلك الشحنات ، ووضع بعض الترتيبات الاحترازية بالاتفاق مع شركات الشحن الملاحي الحاملة في الموانئ الأوروبية لمنع تسرب أية شحنة مشبوهة . (٤)

أما فيما يتعلق بالكويت على وجه الخصوص ، فقد أضيف إلى الهدف المصلحي الذي كان يدفع السلطات البريطانية لمحاربة تهريب السلاح في الخليج ، سبب آخر تمثل فيما سببه الضغط العثماني من حرج لتلك السلطات ، وهو ضعف رأينا بعض مظاهره فيما سلف ، ولذلك أخذت السلطات البريطانية ابتداءً من سنة ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) تؤكد على شيخ الكويت بضرورة التدقيق

N.A.R.S., RG 84, No. 13, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. (١) at Const., Feb. 42, 1910.

IOR, L/p+s/10/112, No. 46, the Naval Commander in- chief (٢) to the Sec. to the Gov. of India in the Marine Dept., May 29, 1912.

(٣) راجع تفاصيل ذلك في :

Busch, B.c., Britain and the Persian Gulf, 1894-1914, Berkeley, 1967, pp. 270-303.

IOR, L/p+s/10/112, No. 3419/1912, F.O. to I.O., Aug. 2, 1912. (٤)

الجدى للإعلان الذي أصدره سنة ١٩٠٠م (١٣١٧هـ) والقاضى بتحريم استيراد السلاح للكويت لأغراض تجارية. (١) ولكن لا يبدو أن جهودها فى هذا السبيل قد جاءت بنتيجة عاجلة ، فقد لاحظ الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت فى ديسمبر ١٩٠٩ (ذى الحجة ١٣٢٧هـ) أن الاسلحة النارية لازالت تباع علنا فى سوق الكويت ، وأن محلات جديدة قد أفتتحت مؤخرا لبيع وشراء الاسلحة (٢) ، مما يشير الى استمرار ازدهار تلك التجارة .

وقد دفع ذلك الوضع السلطات البريطانية الى تشديد الرقابة على السفن المتجهة الى الكويت لمنع وصول الاسلحة اليها ، الا أن ذلك لم يقض على تلك التجارة فورا ، بل أنها ظلت حية فى الكويت حتى أواخر سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ) اذ أستمر بعض التجار يتداولونها سرا ويطلقون شحنات مهربة سواء بعلم الشيخ أو بدون علمه . (٣) ولكن تلك الرقابة والضغوط البريطانية المستمرة على شيخ الكويت أدت آخر الامر الى تقلص حجم تلك التجارة تقلصا كبيرا ، اذ ذكر الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت فى أبريل ١٩١٤م (جمادى الاولى ١٣٣٢هـ) انه يقوم بتحقيقات مستمرة حول أستيراد وتصدير السلاح والذخيرة فى الكويت ، وأنه مقتنع بأن لا شئ من ذلك يحدث الآن عدا تصدير اثنتين او ثلاث بنادق وكلمة

IOR, L/p+s/10/112, No. 1942, the Political Resident in (١)
the Persian Gulf to the Sec. to the Gov. of India in the
Foreign Dept., Aug. 19, 1906.

IOR, L/p+s/10/112, Extracts from the diaries of the (٢)
Political Agent in Koweit Nos. 51 and 52 for two
weeksendng 22 nd 29 th Dec. 1909.

IOR, L/p+s/10/112, No. 2544, the Political Resident in (٣)
the Persian Gulf to the Sec. to the Gov. of India in
the Foreign Dept., Sep. 30, 1911.

قليلة من الذخيرة وفي فترات نادرة. (١)

وفيما يتعلق بموضوعنا ، يبدو أن تلك الاجراءات البريطانية قد أثرت على تسليح قبائل ولاية البصرة فرفعت أسعار ما تملكه من اسلحة وذخيرة ، فقد لاحظ المقيم السياسي البريطاني في بغداد خلال مروره في نهــــر دجلة في ربيع سنة ١٩١٤م (١٣٣١هـ) أن أسعار طلقات البنادق قد ارتفعت بشكل كبير ، إذ أصبح سعر الطلقة الواحدة بـ "قران" (٢) واحد أى ما يعادل أربعة بنسات بعد أن كان أفراد القبائل القاطنة هناك يشترون أربع أو خمس طلقات بالقران الواحد ، وهذا المقيم ذلك الوضع للحصار البحرى البريطانى فى الخليج الذى يعترف الجميع بنتائجه على حد قوله (٣) . كما ذكر المقيم نفسه فى شهر مارس ١٩١٤م (ربيع الثانى ١٣٣٢هـ) أن من التقى بهم من افراد القبائل خلال جولة قام بها فى نهـر دجلة قد شكوا له من أن أسعار البنادق قد ارتفعت ارتفاعا كبيرا ، حتى أصبح سعر البندقية الواحدة يتراوح من ست الى سبع ليرات بعد أن كان فى الماضى يتراوح بين ليرتين الى ثلاث ليرات . (٤)

(١) IOR, L/p+s/10/112, No. C-14, the Political Agent in Kuwait to the Political Resident in the Persian Gulf, April 15, 1914.
(٢) عملة عثمانية صغيرة تعادل ثمانية قروش فى حين أن الليرة الواحدة تقسم الى مائة قروش ، راجع : البازى ، مرجع مر ذكره ، ص ٦٩ .

(٣) IOR, L/p+s/10/212, No. P-1953/1913, Summary... March 1913, p. 7.

(٤) IOR, L/p+s/10/212, No. P-2097/1914, Summary... Feb and March 1914, p. 9.

وهكذا ، وعلى ضوء كل ما مر ، يمكن القول أن الشكوك العثمانية حول تورط بريطانيا بتوريد السلاح الى القبائل العراقية بشكل تامر كانت مبالغا فيها الى حد كبير . ولا يجب أن ننسى هنا أن المصالح البريطانية كثيرا ما تضررت من جراء الاضطرابات القبلية في ولاية البصرة ، وخاصة في لواء العمارة كما عرفنا ، فلا يعقل والحالة هذه أن تسهل السلطات البريطانية للقبائل الحصول على الوسائل التي تؤذى بها مصالحها ، وحسن التنويه هنا أيضا بأن القبائل كانت تجد مصادرا أخرى غير ما مر للحصول على السلاح ، فقد أقام اكراد إيران مصانع محلية للبنادق في كوند Kirind في جبال كردستان الإيرانية ، حيث يتسرب بعض انتاجها عبر الحدود الى القبائل العراقية ، التي كانت أيضا تفتنم الكثير من الاسلحة خلال المعارك التي تخوضها مع القوات الحكومية (١) ، أو مع القوى المحلية الاخرى ، فقد غنم المنتفق الفسلى بندقية من القوات الكويتية خلال معركة هدية التي جرت في مارس ١٩١٠ م (ربيع ١٣٢٨ هـ) (٢)

(١) لوديمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٣ ، ص ١٢٠٧ .

IOR, L/p+s/10/112, No. 1117, the Political Resident in the Persian Gulf to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign Dept. April 30, 1911.

قبائل الولاية والدول الأوروبية المنافسة لبريطانيا :

رأى إمبراطور ألمانيا ^{فلهلم} الثاني في الدولة العثمانية حليفا سياسيا محتملا لألمانيا ، واعتبرها مجالا مهيئا للتوسع الاقتصادي الألماني (١) . وقد ارتبطت الطموحات الاقتصادية الألمانية في الدولة العثمانية بسكة حديد بغداد الى درجة كبيرة . (٢) اذ أستطاع المصرف الألماني أن ينال من الحكومة العثمانية امتيازاً لإنشاء المرحلة الاولى من السكة الواقعة بين استانبول وانقرة في سنة ١٨٨٨ م (١٣٠٥ هـ) ، وهي المرحلة التي عرفت بسكة حديد الاناضول . ثم نال المصرف نفسه في سنة ١٨٩٨-١٨٩٩ م (١٣١٦ هـ) امتيازاً آخر لبدء العمل في مد تلك السكة نحو بغداد ، وامتيازاً مبدئياً لامتدادها في المنطقة الواقعة بين بغداد والبصرة . (٣)

ولم تتقبل السلطات الرسمية البريطانية ما حدث ، واعتبرتها الخشيعة من النتائج التي ستترب على بناء السكة المزمعة . فقد اعتبرت الحكومة البريطانية سكة حديد بغداد تحدياً دبلوماسياً لها واختباراً لقوة الاستراتيجية البريطانية ، وأخذت تلك الحكومة تعي بصورة متزايدة الاخطار التي تمثلها السكة على المصالح التجارية البريطانية في العراق نفسه (٤) . ولم تقتصر

(١) Holborn, H., A History of Modern Germany 1840-1945, London, 1969, p. 315.

(٢) Geiss, A., German Foreign Policy 1871-1914, London, 1976, p. 155.

(٣) Holborn, op.cit., pp. 314-5.

(٤) Cohen, op.cit., p. 33

مخاوف الحكومة البريطانية على الناحية الاقتصادية فقط ، ولكنها توجست خيفة من نتائج سياسية تترتب على انشاء السكة . اذ اعتقدت بأن الدولة التي ستبنى سكة حديد بغداد سوف تحرز نفوذا سياسيا في المنطقة تلك . وتوصلت الحكومة البريطانية الى قناعة مفادها أن المصالح البريطانية في العراق لن تصان الا بأحتكار بريطانيا لانشاء وتسيير ذلك الجزء من السكة الذي يجتاز العراق من نقطة تقع شمال بغداد الى الخليج العربي . (١)

ومما زاد من مخاوف السلطات البريطانية من تلك السكة ، ان الشركة الالمانية التي نالت امتياز انشاءها نالت في الوقت نفسه موافقة الحكومة العثمانية على السماح للمؤسسات التابعة للمصرف الالمانى بالتنقيب عن النفط في ولايتي الموصل وبغداد ، وكان ذلك بموجب اتفاقية وقمت في ديسمبر ١٩٠٣ م (شوال ١٣٢١ هـ) . (٢) وقد أدى ذلك الى تصليب بريطانيا في معارضتها لقيام الالمان بعد السكة المزمعة في المنطقة الواقعة جنوب بغداد . اذ ان بريطانيا نتيجة لتنافسها البحرى مع ألمانيا خلال تلك الفترة كانت قد طورت اسطولها فحولت بواخره من استخدام وقود الفحم الى النفط . فأدى ذلك الى ازدياد الاهمية الاستراتيجية لحقول النفط الفارسي التي كانت بريطانيا تستغلها حينئذ . (٣) وهي حقول كانت ستصبح على مرمى حجر من سكة الحديد المزمعة اذا ما نجح الالمان في ايصالها الى البصرة .

(١) Ibid, pp. 32, 52.

(٢) فريتز غروبا ، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق ، ترجمة فاروق الحريرى ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٣) Geiss, op.cit., pp. 155

ولم تتوقف الأنشطة الألمانية عند حد نيل الامتيازات ، وإنما تعدتسه الى خوض منافسة مكشوفة مع المصالح البريطانية العاملة في العراق . ففسي مجال النقل البحري اخذ خط هامبورج - أمريكا *Hamburg-American Line* يسير بواخوه الى البصرة ابتداءً من سنة ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) . وقد أدى ذلك الى كسر احتكار الخطوط الملاحية البريطانية لخدمات النقل البحري ، والتي نشوء منافسة بين الجانبين أدت الى انخفاض واضح في اجور الشحن من وإلى البصرة . (١) أما في الميدان التجاري الخالص فقد بذل الالمان جهوداً كبيرة لتنمية تجارتهم مع العراق ، ونالوا نجاحاً ملحوظاً في هذا الميدان . (٢) ويستدل على حجم هذا النجاح من الملاحظة التي أوردها القنصل الأمريكي في بغداد في سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) ، اذ قال ان العالم الخارجي من الناحية الصناعية يمثل في اذهان اغلب العراقيين بانجلترا وألمانيا وحدهما ، (٣) ويظهر هذا أن الالمان استطاعوا في فترة قياسية أن يثبتوا أقدامهم في السوق العراقية منافسين اكفاء للانجليز ذوي الخبرة الطويلة في تلك السوق .

ولم يفت السلطات البريطانية المختصة التنبيه لما يجري على الساحة العراقية . فأدركت ان ذلك الخطر التجاري " كانت له معان سياسية اضافية ، فتدفق البضائع الألمانية على بلاد ما بين النهرين يمكن أن يؤدي

(١) N.A.R.S., RG 84, "Foreign Trade Opportunities ", Am. Cons., Bag., Oct. 5, 1907.

(٢) N.A.R.S., RG 84, " 1907's Commercial Report", Am. Cons. Bag., June 25, 1908.

(٣) N.A.R.S., RG 84, " Report on Opportunity for American Hardware Sales", Am. Cons. Bag., Nov. 20, 1909.

بصورة متناسبة الى فقدان بريطانيا لنفوذها بين سكان المنطقة ، فتخسّر بذلك الفوائد السياسية التي ضمنها لها لحد الآن تفوقها التجاري وأفرادها بالامتيازات " . (١) ومن اجل تجنب تلك الاثار والحد منها استجابت السلطات البريطانية في لندن ، والهند للاحاح دبلوماسيها الحاملين في العراق على ابراز المظاهر الخارجية لمكانتهم في نظر سكان العراق . (٢)

ترتب على ذلك التنافس في ميداني الامتيازات والتجارة صراع دبلوماسي طويل ومرير بين ألمانيا وبريطانيا ، وليس من المهم هنا الولوج في تفاصيله ولكن المهم هو الاشارة الى أن تحدى الالمان للنفوذ البريطاني في الساحة العراقية لم ينسهم الحقيقة الماثلة أمامهم وهي رسوخ الوجود البريطاني الاقتصادي السياسي هناك ؛ ولعل هذا - ضمن عوامل عديدة - هو الذي دفع الدولتين المتنافستين الى الميل لايجاد حل وسط لمنافساتهما . وقد بدأ هذا الاتجاه أولا في مجال التنقيب عن النفط ، حين تم الاتفاق سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) بين المصرف الالمانى والمصرف الوطنى التركى وهو مصرف انجليزى - على التعاون المشترك في مجال التنقيب عن النفط فى الاراضى العثمانية . وكان ذلك الاتفاق نواة لتأسيس شركة النفط التركية فيما بعد . (٣) ولقد عجل من حدوث ذلك الاتفاق سمح المنافسة الامريكىة في هذا المجال . (٤)

(١) Cohen, op.cit., p. 54.

(٢) Ibid, p. 267.

(٣) غروبيا ، مرجع مر ذكره ، ج ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٤) Geiss, op.cit., p. 156.

أما القضية الأساسية في الصراع ، وهي سكة حديد بغداد ، فقد أعلن وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد غراي في مارس ١٩١١م (ربيع الأول ١٣٢٩هـ) أمام مجلس العموم أنه يرفض بحل قضية سكة حديد بغداد ، لأن التوصل إلى اتفاقية ترضى كلا من الدولة العثمانية وبريطانيا وألمانيا سيسبب سببا محتملا للصدام السياسي . (١) وعلى هذا جرت مباحثات طويلة بين ألمانيا وبريطانيا والدولة العثمانية ، وانتهت آخر الأمر بتوقيع سلسلة من الاتفاقيات بين الدول الثلاث خلال سنتي ١٩١٣ - ١٩١٤م (١٣٣١ - ١٣٣٢هـ) . (٢) وبالرغم من أن اتفاقيات سنتي ١٩١٣ و ١٩١٤م صانت وضع بريطانيا في الخليج ، وضمت أيضا سيطرتها على أية سكة حديد من البصرة إلى الكويت ، إلا أنها أعطت ألمانيا مع ذلك منطقة نفوذ تمتد جنوبا حتى البصرة . (٣)

وإزاء تلك المطامح الألمانية الواسعة في العراق ، ومنافستها الشديدة مع بريطانيا هناك ، وعزمها على مد سكة الحديد عبر ولاية البصرة ، قد يبدو من المنطقي الافتراض بأن ألمانيا ربطت حاولت كسب ود قبائل الولايات المتحدة لتقوية مركزها أمام بريطانيا . ولكن الدلائل تشير إلى عكس هذا ، إذ لم يرد في المصادر والمراجع أي شيء يثبت قيام ألمانيا بمحاولة من هذا القبيل

(١) Cohen, op.cit., p. 210.

(٢) زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط . ولادة دولتي سوريا ولبنان ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٥٦ .

(٣) Cohen, op.cit, p. 249.

ولو حدث شيء من ذلك لما اغفلته الوثائق البريطانية والامريكية التي كانت
مهمة بأيراد كل صغيرة او كبيرة تخص شئون القبائل . ولعل من الصوامل
التي دفعت بالالمان الى تجنب الاتصال بقبائل الولاية انهم كانوا يسعون
للوصول الى اهدافهم عن طريق التعاون مع السلطات الحكومية العثمانية .
فليس من المعقول لذلك ان يلجأوا للاتصال بالقبائل من وراء ظهرها ،
خاصة وانه ليست هناك ضرورة ملحة تبرر مثل ذلك الاتصال .

وهناك عامل آخر ربما جعل الالمان لا يحاولون الاتصال بقبائل ولاية
البصرة ، هو أن سكة الحديد المزمعة لم تكن قد وصلت حتى قيام الحروب
العالمية الاولى الى ولاية البصرة ، بل ولم تكن قد اقتربت منها بعد . فلم يكن
هناك احتكاك مباشر بين المصالح الالمانية والقبائل يتطلب قيام الالمان
بمحاولة تصفيته مع القبائل مباشرة ، كما فعلوا في مناطق اخرى ، فقد أشار
المقيم السياسي البريطاني في بغداد خلال نوفمبر ١٩١١م (ذى القعدة
١٣٢٩ هـ) الى قيام الالمان بالاتصال ببعض القبائل القاطنة في شمال
العراق من اجل تسهيل اعمالهم في مد خط سكة حديد بغداد في تلك
الانحاء . (١)

وثمة سؤال يفرض نفسه هنا وهو : اذا كان الالمان قد عزفوا عن الاتصال
بقبائل ولاية البصرة ، فلماذا لم يحاول بعض شيخ تلك القبائل الاتصال
بالالمان كما فعلوا مع البريطانيين ؟ من المعتقد أن هذا السؤال يجد
جوابه في حقيقة ان الوجود الدبلوماسي الالمانى في العراق كان حديث
النشأة ، اذ لم تفتتح قنصلية المانية عامة في بغداد ونياية قنصلية في

البصرة الا في سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) . (١) وهكذا فإن شيخ القبائل لم يكونوا قد القوا بعد اولئك الوافدين الجدد ، ولم يتح لهم أن يقدروا اهميتهم على المسرح السياسى ومدى فائدة الاستعانة بهم لدى السلطات العثمانية . بينما كانوا قد القوا الوجود البريطانى بينهم الذى امتد مئات السنين ، وجربوا فائدة الاستعانة بالبريطانيين فى حوادث كثيرة ماضية .

ولكن المعزوف الالمانى عن اقامة الاتصالات مع قبائل ولاية البصرة لم يستمر الى مالا نهاية . اذ مكادت الحرب العالمية الاولى تعلن فى أوروبا حتى لاحظت الجهات الرسمية البريطانية أن الالمان اخذوا يبذلون الكثير من الجهد والمال لتركيز وجودهم فى منطقة البصرة . (٢) وايد القنصل الامريكى فى بغداد صحة تلك الملاحظة و اضاف ان الهدف الواضح لذلك النشاط الالمانى الكبير هو بصورة رئيسية الحاق الاذى بالبريطانيين (٣) . ويمكن القول هنا ان ذلك النشاط الالمانى لا يعد خروجاً على قاعدة المعزوف من الاتصال بالقبائل ، اذ يبدو انه تم بالتنسيق مع السلطات الرسمية العثمانية فى سبيل كسب قضية مشتركة هى الحاق الهزيمة بالعدو البريطانى .

(١) Longrigg, op.cit, p.66.

(٢) مكى شبيكه ، العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الاولى - بيروت ، ١٩٧٠ ، ج ١ ، ص ١٦ - ١٧ .

(٣) N.A.R.S. RG 84, File No. 703, No. 18, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Nov. 4, 1914.

وإذا كانت ألمانيا هي المنافس الرئيسي لبريطانيا على الساحة العراقية حينئذ ، فإن روسيا يمكن أن تعتبر المنافس الثاني لبريطانيا في هذه المنطقة . إلا أن الاهتمام الروسي كان منصبا في هذه الفترة على بلاد فارس وليس على العراق . (١) ولعل هذا يفسر قلة المصالح التجارية الروسية في العراق حينئذ ، إذ تظهر التقارير الاقتصادية التي كان يرسلها القنصل الأمريكي في بغداد ضالة مساهمة روسيا في صادرات العراق ووارداته . وحتى في الميدان الفارسي لم تلبث المنافسة الروسية البريطانية أن خفت حدتها تدريجيا من جراء مخاوف الدولتين معا من ازدياد النشاط الألماني في المنطقة . وقد أدى هذا في النهاية إلى تسوية ما بين روسيا وبريطانيا من منافسات وخلافات بموجب اتفاقية سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) (٢) .

ويبدو أن عقد تلك الاتفاقية شكل مالا إضافيا دفع روسيا للامتناع عن القيام باتصالات مع قبائل ولاية البصرة التي تعتبر منطقة نفوذ بريطانية تقليدية . فبعد أن كانت هناك اتصالات بين بعض مشايخ القبائل والقنصل الروسي في بغداد في أواخر القرن الميلادي الماضي . (٣) ، خلت فترة البحث من أي ذكريات اتصالات مشابهة . ويؤيد كون الروس أمتنعوا عن القيام بنشاط بين قبائل ولاية البصرة احتراماً لاتفاقهم مع البريطانيين ، أنهم ظلوا محتفظين باتصالاتهم مع القوى المحلية في المنطقة الشمالية من العراق حيث

(١) Longrigg, op.cit., p. 66.

(٢) زين ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٣ .

(٣) لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم التاريخي ، ج ٤ ، ص ٢٢٨٣ .

كانت انظار مشايخ القبائل الاكراد ورجال الدين المسيحيين تتجه الى روسيا دائما لطلب المساعدة (١) كما يدل على ذلك التحرك بين القبائل الفارسية المحاذية لولاية البصرة ، فقد ذكر القنصل الامريكى فى بغداد فى أوائل سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) أن نائب القنصل الروسى فى الموصل قام بجولة بين قبائل منطقة الحدود العثمانية الفارسية حتى نهر الكارون جنوبا . (٢)

أما فرنسا فتظهر تقارير القنصل الامريكى فى بغداد خلال فترة البحث انها كانت ذات نشاط تجارى بارز فى العراق . الا أن خوفها من النفوذ المتزايد للالمان فى الدولة العثمانية دفعها مثل روسيا الى الاتفاق مع بريطانيا ، فعقد بينهما "الاتفاق الودى" سنة ١٩٠٤م (١٣٢٢هـ) ، صفت الدولتان بموجبه خلافتهما على مناطق النفوذ فى العالم . (٣) ولعل هذا هو السبب الكامن وراء عدم ورود أى ذكر فى المراجع والمصادر لنشاط فرنسى بين قبائل ولاية البصرة خلال فترة البحث . اذ اقتصر دور فرنسا على اهتمامات "ثقافية" من خلال علاقاتها بالمدارس والهيئات المسيحية الكاثوليكية فى العراق . (٤)

(١) Longrigg, op.cit., p.67.

(٢) N.A.R.S., RG 84, No. 11, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const , Jan. 21, 1910.

(٣) زين ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٣ .

(٤) Longrigg, op.cit., p.67.

وهكذا وعلى ضوء كل ما مر يمكن اقرار صحة الرأي الذي توصل له القنصل
الامريكي في بغداد حين قال :- رغم أن العرب في العراق يحطون السلاح
بأستمرار ضد بعضهم البعض وضد حكاهم فلا يبدوا أن أحداثا كهذه ناتجة
عن ايحاء مارسته حركة سياسية من خارج الحدود او عن تأثير قوة أجنبية
ولكن أسبابها محلية بحتة. (١) وإذا كان الأمر كذلك ، فيجدر التنبيه
هنا الى ضرورة النظر الى ما حدث من اتصالات بين بعض مشايخ القبائل
في الولاية وبعض الدول الاجنبية ضمن ظروفها التاريخية. ولا يحسن اعتبار
تلك الاتصالات حدثا شادا في تاريخ الدولة العثمانية خلال هذه الفترة
التي كثر فيها اتصالات القوى المحلية بالدول الاجنبية المختلفة كـ
لافتة للنظر.

N.A.R.S., RG 84, No. 146, Am. Cons. Gen. at Beirut to (١)
Am. Amb. at Const., April 30, 1908.

الفصل الخامس

دور قبائل الولاية في مقاومة الغزو
البريطاني للعراق خلال الحرب العالمية الأولى

احتلال القوات البريطانية مدينة البصرة سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤ م :

عرفنا فيما سبق المركز الاقتصادي والسياسي المتميز الذي تبوأتها بريطانيا في العراق منذ زمن بعيد ، وهو المركز الذي جعل السلطات البريطانية تعتبر ذلك القطر مجالا مقلقا لمصالحها ، تراقب باستمرار ما يجري في ساحته ، وتضع نصب عينها امكانية ايلوته لها في يوم ما . وذلك ما جعل مسؤولا كبيرا في وزارة الخارجية البريطانية يقول في سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) " اذا ما أصبح تقسيم الاملاك العثمانية في آسيا امرا واردا ، فان ما بين النهرين هو الجزء الذي يجب أن نركز انظارنا عليه " . (١) كما كانت الاوساط الرسمية في الوزارة الاخرى المهتمة بشئون المنطقة وهي وزارة الهند واضحة تماما في رؤيتها لضرورة خضوع العراق للحكم البريطاني المباشر أو غير المباشر حماية للوجود البريطاني في الهند والخليج العربي . (٢)

ولذلك كله كانت فكرة الغزو العسكري لولاية البصرة تدور في أذهان بعض الرسميين البريطانيين قبل سنوات بعيدة من نشوب الحرب العالمية الاولى . ففي أثناء أزمة العقبة بين بريطانيا والدولة العثمانية سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٦م (٣) طرحت فكرة احتلال البصرة للضغط على الدولة العثمانية ولكن

(١) Cohen, op.cit., p 238

(٢) Zeine, op. cit., p. 104.

(٣) حرصت السلطات العثمانية على اخراج سيناء من حدود مصر الخاضعة للاحتلال البريطاني ، فأحتلت القوات العثمانية في ذي القعدة ١٣٢٣هـ / يناير ١٩٠٦م موقع طابه عند رأس خليج العقبة ، فأدى ذلك الى توتر شديد في العلاقات بين الدولتين أستمر الى ان حلت المشكلة بعد عدة شهور عن طريق المفاوضات . راجع : عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

مجلس الدفاع الامبراطورى لم يقر الفكرة. (١) ثم عادت حكومة الهند لطرح الفكرة مرة ثانية سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) ولكنها اوضحت أن خطة تطبيقها غير نهائية، بل أنها ستعدل على ضوء الوضع السياسى السائد حين تنفيذها (٢) وعندما أخذ الوضع فى أوروبا يتجه للتأزم فى ربيع سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) تجدد الحديث عن الفكرة فى شهر أبريل (جمادى الاولى) من تلك السنة واخذت الجهات المختلفة تدرسها (٣)، حتى اندلعت شرارة الحرب فى أوروبا خلال شهر اغسطس (رمضان) فصدر قرار السلطات المختصة فى لندن باتخاذ الاجراءات العملية اللازمة للاستعداد لارسال حملة عسكرية نحو البصرة (٤).

ولقد اتخذت السلطات البريطانية ذلك القرار رغم أن الدولة العثمانية لم تدخل الحرب بعد ، ورغم أن الدبلوماسية البريطانية كانت حينئذ تبذل جهودا حثيثة لاقتناع المسؤولين العثمانيين بالوقوف على الحياد فى تلك الحرب أو تأخير قرارهم بالاشتراك فيها على الأقل. (٥) ولكن تلك الجهود ذهبت أدراج الرياح اذ تغلب الخوف من التحالف البريطانى الروسى على

(١) Cohen, op.cit., p. 52.

(٢) Ibid., pp. 208 - 209

(٣) عبدالعزيز عبد الغنى ابراهيم، السلام البريطانى فى الخليج العربى ١٨٩٩ - ١٩٤٧، الرياض، ١٤٠٢، ص ص ١٨٤ - ١٨٧.

(٤) IOR, L/p+s/10/462, No. M-O 1496, Admiralty to India Office, Aug. 25, 1914.

(٥) IOR, L/p+s/10/463, No. 14, Despatch from H.M. Ambassador at Const. summarising Events Leading up to Rupture of Relations with Turkey.

نفوس القادة العثمانيين ، واعتبروا ذلك التحالف مؤشرا يدل على أن مصير الدولة العثمانية سيكون التقسيم اذا ما انتصر الحلفاء ، بينما سيكون الحال عكس ذلك تماما اذا ما انتصرت ألمانيا (١) . ولهذا أرتموا في أتون الحرب في الثاني من نوفمبر ١٩١٤ (الثالث عشر من ذي الحجة ١٣٣٢ هـ) (٢) ، وندها اصدرت القيادة البريطانية وأمرها القائد الحملة المتمركزة في البحرين بمباشرة العمليات الحربية ضد العثمانيين (٣) . وجاءت هذه الاوامر في الوقت الذي

(١) زين ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٨

(٢) IOR, L/p+s/10/463, No. P- 4273/1914, Tel. From Viceroy to I.O., Nov. 3, 1914.

ورغم أن الوثائق الرسمية البريطانية - ومنها الوثيقة المشار اليها اعلاه - حددت يوم الثاني من نوفمبر ١٩١٤ باعتباره اليوم الذي بدأت فيه الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية ، الا أن بعض الكتاب البريطانيين اختلفوا فيما بينهم في تحديد اليوم الذي بدأت فيه الحرب . فقد ذكر بعضهم أن الحرب نشبت بين الدولتين في الحادي والثلاثين من أكتوبر ، راجع :

Wilson, op.cit., p.8.

وذكر البعض الآخر أن اليوم الذي نشبت فيه الحرب هو الأول من نوفمبر ، راجع :

Buchanan, G. The Tragedy of Mesopotamia, Hants, 1971, p.3.

كما ذكر البعض أيضا أن الحرب بين الدولتين اعلنت في الخامس من نوفمبر ، راجع :

Miller, W., Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, London, 1966, p. 524.

(٣) Clayton, G., Britain and the Eastern Question, Missolongi to Gallipoli, London, 1971, p. 233.

كانت فيه الحملة قد هيأت نفسها بالفعل للزحف بعد أستقرارها في البحرين منذ الثالث والعشرين من أكتوبر (الثالث من ذى الحجة) (١)، ولهذا زحفت تلك القوة على الفور نحو الشمال واحتلت مدينة الفارو عند مصب شط العرب في الخليج في السادس من نوفمبر (السابع عشر من ذى الحجة) (٢)، فكانت بذلك أول أرض عراقية خضعت للاحتلال البريطاني.

هذا وفي حين كان الجانب البريطاني قد أستعد لاحتلال البصرة، كانت القيادة العثمانية ترسل كل القوات المتيسرة لديها نحو الجبهة مع روسيا، ولم تعط للبصرة أهمية تذكر في خططها الحربية. إذ أنها اعتبرت العراق كله ساحة حرب من الدرجة الثالثة يمكن الدفاع عنها بقوات الدرك وحرس الحدود مع من ينضم لهم من القبائل. ولهذا لم يبق في البصرة والزبير والفارو من القوات النظامية الا ثلاثة الاف وستمئة جندي أغلبهم من جنود الاحتياط غير المدربين، وألف من رجال الدرك، تعززهم ثلاث بطاريات من المدفعية، وكان أغلب أولئك الجند في حالة مادية سيئة جداً مما سبب أستياءهم الشديد، حتى لقد حدثت في صفوفهم ستفاعة حالسنة هروب منذ اعلان التعبئة العامة. (٤)

(١) IOR, L/p+s/10/463, Tel. From Viceroy to I.O., Oct. 28, 1914.

(٢) البزاز، مرجع مر ذكره، ص ٦٧.

(٣) محمد أمين العمري، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨، بغداد، ١٩٣٥، ج ١، ص ٨٠.

(٤) IOR, L/p+s/10/462, No. 999, Tel. From Sir L. Mallet to F.O., Oct. 17, 1914.

ويبدو أن القيادة العثمانية حاولت تعويض هذا النقص في قواتها النظامية عن طريق دعمها بالمتطوعين من أبناء القبائل ، فقد وصل جاويد باشا والى بغداد وقائد القوات العثمانية الى البصرة ، وطلب من عجمي السعدون أن ينضم باتباعه للقوات التي أعدت للدفاع عن المدينة ، فأستجاب عجمي للطلب بعد أن أشرت بعض الشروط ، وتوجه بعد ذلك مع اتباعه الى البصرة فوصلها في الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩١٤م (الاول من ذي الحجة ١٣٣٢هـ) ثم أنضم للقوات الحكومية العسكرية بين البصرة والفاو استعدادا لصد الهجوم البريطاني المتوقع (١) . كما طلب أنور باشا وزير الدفاع العثماني في نوفمبر ١٩١٤م (ذى الحجة ١٣٣٢هـ) من الامير عبد العزيز آل سعود جمع قواته والتوجه بها لمساعدة القوات العثمانية في الدفاع عن البصرة ، ولكن الأمير اعتذر عن عدم تلبية الدعوة لانشغاله ببعض المشاكل الداخلية . (٢) وقد ضغطت السلطات العثمانية من جانب آخر على السيد طالب النقيب للقيام بالتأثير على أنصاره من شيوخ العشائر في البصرة للأشتراك في الاستعدادات الدفاعية الجارية ، ولكنه تهرب من الاستجابة على حد قوله . (٣)

(١) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٥٣ وما بعدها

(٢) R/15/25, No. c 48/49 of 1914, Political Agent, Kuwait, to the Political Resident in the P. G., Nov. 21, 1914.

(٣) IOR, R/15/5/25, Lie.Col.Sir P.Z.Cox to the Sec to the Gov of India in the Foreign and Political Dept., Enclosure No. 4, letter from Saiyid Talib to Sir P.Z. Cox, dated the 23rd Muharram 1333 (10/12/1914).

ولم تنفع كل تلك المحاولات فى صد الزحف البريطانى نحو البصرة ، لأن القوة الاساسية التى واجهته وهى القوة النظامية كانت قوة ثانوية ذات قيادة سيئة ومقاتلين غير متحمسين (١) . ولذلك ماكادت تلك القوة تصطدم بالفخزة فى السابع عشر من نوفمبر ١٩١٤ م (الثامن والعشرين من ذى الحجة ١٣٣٢ هـ) حتى تشتت المقاتلون من ابناء القبائل وهم مستاءون جدا من المعاملة التى تلقوها من رفاق السلاح الترك ، كما صدرت الاوامر للبقية الباقية من القوات النظامية بالانسحاب نحو البصرة بأقصى سرعة (٢) . اذ كان مزم جاويد باشا قد أستقر على الانسحاب من مدينة البصرة ، فغادرها بالفعل ومعه وكيل والى البصرة وقائد حاميتها صبحى بك ومن بقى معهم من القوات عن طريق النهر نحو القرنة فى الحادى والعشرين من نوفمبر (٣) ١٩١٤ م (الثالث من محرم ١٣٣٣ هـ) .

وقد أدى انسحاب القائدين العثمانيين بذلك الشكل غير النظامى الى نتائج سيئة فى مدينة البصرة ، اذ أخذ بعض أفراد العشائر يقومون بأعمال النهب والسلب فيها ، كما تخلف فى المدينة عدد من الجنود العثماني لا يدرون ماذا يفعلون . وقد وصل فى تلك الاثناء للمدينة عجمى

Branddon, Russell, The Siege, London, 1969, p. 23. (١)

IOR, L/p+s/10/463, No. 616, Tel. From Sir P. Cox to Foreign, Delhi, Nov. 25, 1914. (٢)

IOR, L/p+s/10/463, No. 47B, Tel. From Sir P. Cox to Foreign, Delhi, Nov. 21, 1914. (٣)

السعدون قادما من ميدان المعركة فحاول مواجهة الموقف بالحد من اعمال السلب والنهب، ثم جمع من تبقى من القوات الحكومية ورحل بهم نحو الشمال الى الخيمسية (١). ورغم ذلك فحين دخلت القوات البريطانية المدينة في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩١٤م (الرابع من محرم ١٣٣٣هـ) ورفضت فيها العلم البريطاني، وجدت هناك عدة مقات من الجنود الجرحى وكفيات من البنادق والمدافع (٢). وهكذا سقطت مدينة البصرة بقعقات السيوف لا بمبارزة حقة على حد تعبير أحد الكتاب (٣)، وانتهى فيها الى الابد الحكم العثماني بعد أن أستمتر قرابة ثلاثمائة وثمانين عاما. (٤)

ولا ريب أن سقوط البصرة كان نتيجة لسوء الاعداد والتخطيط الذي ارتكبه القيادة العسكرية العثمانية، ويكفي للتدليل على ذلك سوء القول بأن خبر سقوط الفاو بأيدي الغزاة لم يصل لـعلم القيادة في البصرة الا عن طريق الموظفين المدنيين الذين هربوا من تلك المدينة نحو البصرة (٥). ويبدو أن تلك القيادة كانت تحاول تغطية ضعفها عن طريق التعليق بالالهام، وانها كانت تخادع الناس بها، ففي الرابع عشر من

(١) النبهاني، مصدر مر ذكره، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) IOR, L/p+s/10/463, No. 606, Sir P. Cox to the Sec. of State for India, Nov. 23, 1914.

(٣) Millar, Ronald, Kut: The Death of an Army, London, 1969, p. 4.

(٤) عبدالقادر باش أعيان العباسي، البصرة في ادوارها التاريخية، بغداد، ١٩٦١م، ص ٦٩.

(٥) محمود شبيب، جوانب مشيرة من تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٢١، بغداد، ١٩٧٧، ص ٩.

ديسمبر ١٩١٤ م (السادس والعشرين من محرم ١٣٣٣ هـ) أبحر قائمقام سوق الشيخ لوالى بغداد يخبره بأن يوسف بن عبدالله السعدون تلقى أخباراً من أحمد الصانع أحد وجهاء مدينة البصرة تفيد بأن السفن الألمانية وصلت إلى الفار ، وأن وصولها أضر الانجليز إلى تحصيل معداتهم على ظهر السفن والانحساب إلى البحر هرباً من المواجهة. وقد أمر والى بغداد بنشر البرقية على الملأ ، فكان لها بين العامة وقع شديد بسبب حالة من الهياج في المدينة. (١)

وهنا يجدر بنا أن نلقى نظرة على لقوة الرئيسة التي كانت موجودة في البصرة ، وهى قوة السيد طالب النقيب وانصاره ، لنشرف على موقفها إذا دخل القوات الغازية إلى المدينة. والحق أن التعرف على موقف تلك القوة يعنى بدرجة أساسية التعرف على موقف زعيمها السيد طالب ، الذى كان رأى الاوساط البريطانية فيه شخصاً رأياً سيئاً لحد كبير (٢) ولكنهم رغم ذلك أجروا معه اتصالات حثيثة قبيل دخول الدولة العثمانية للحرب ، هدفها بحث امكانية تعاونه مع البريطانيين ، ولكن تلك الاتصالات لم تتمخض من اية نتيجة لاصرار السيد طالب على الحصول من الحكومة البريطانية على وعد بتعيينه شيخاً أو أميراً للبصرة تحت الحماية البريطانية بعد أن يتم احتلال المدينة من قبل القوات البريطانية (٣) . بينما لم تشأ السلطات البريطانية أن تمنحه مقابل مساعداته لها أثناء الحرب أكثر من ثلاثمائة

(١) N.A.R.S., RG 84, File No. 703, Am. Cons. at Bagdad, to Am. Cons. Gen at Const., Dec. 20, 1914.

(٢) محمود شبيب ، اسرار عراقية فى وثائق انجليزية وهربية والمالية ١٩١٨ - ١٩٤١ ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٣٩ .

(٣) IOR, L/p+s/10/463, No. 162, Tel. from British Cons. at Mohammarah to the Sec. to the Gov of India.

أمور هي : اعفاء بساتين نخيله الواقعة حول البصرة من الضرائب ، وحمايته من انتقام الترك ، والمحافظة على الامتيازات الموروثة له ولعائلته . (١)

وفي حين وصلت اتصالاته مع البريطانيين الى طريق مسدود ، كان السيد طالب يتعرض من جهة أخرى لضغط السلطات العثمانية لدفعه نحو التعاون معها ، ولذلك فضل مغادرة البصرة الى نجد متظاهرا بالسفلى لا قناع الامير عبد العزيز ال سعود بالاشتراك في الحرب الى جانب العثمانيين (٢) وقد جرت عليه مغادرته تلك غضب الجانبين معا ، ففي الوقت الذي أحالته السلطات العثمانية الى ديوان الحرب العرفي في بغداد بتهمة تدبير اغتيال فريد بك وصاحبه والاستعداد لتسليم البصرة للعدو البريطاني (٣) ، غضب منه البريطانيون لعدم موافقته على عروضهم ورفضوا الموافقة على رجوعه من نجد للبصرة بعد احتلالهم لها ، رغم تطلعه اياهم برسائل عديدة ، ورغم توسط الامير عبد العزيز ال سعود له عندهم (٤) . ثم انه سلم نفسه لهم بعد ذلك ، فنقلوه الى الهند ولم يعد الى العراق الا في سنة ١٩٢٠ (٥) (١٣٣٨ هـ) أما انصاره فقد انفرط شملهم بمجرد مغادرته للبصرة ، فلم

(١) IOR, L/p+s/10/463, No. 963S, Tel. from the Sec. to the Gov. of India, to the P.R. in the p. G.

(٢) شبكة ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٣ و ٣٤ و ٤١ و ٥٢ و ٥٣ . وانظر أيضا : فيض ، مصدر مر ذكره ، ص ١٨٨ - ١٩٩ .

(٣) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥٢٩ ، ٨ شوال ١٣٣٣ هـ .

(٤) IOR, R/15/5/25, Sir P. Cox to the Sec. to the Gov. of India (with Six enclosures).

(٥) Wilson, op.cit., p. 18.

يصرف لهم دور يذكر ضد الغزاة او معهم .

وكما اهتمت الحكومة العثمانية قبيل دخولها الحرب بكسب القبائل الى جانبها ، أهدت السلطات البريطانية اهتماما ماثلا بالفكرة في الفترة نفسها . ولكن ذلك الاهتمام خالطته تحفظات كبيرة من جهات عديدة ، فقد أوصى السفير البريطاني في استانبول حكومته في مايو ١٩١٤ م (جمادى الثانية ١٣٣٢ هـ) بالامتناع أو - على الأقل - تأجيل أي عمل من شأنه أن يؤدي الى غليان صربي عام يهدد سيطرة الحكومة العثمانية على ولاياتها الحربية في آسيا . في حين توصلت الاوساط الرسمية في لندن في رجب ١٣٣٢ هـ / يونيو ١٩١٤ م الى قناعة مفادها : " أن التعامل مع الاتراك أجدي من التعامل مع مجموعة من قادة الرعاع الخوانين الذين لا يصونون حرمة شيء على الإطلاق " (١) . وحتى بعد اندلاع الحرب العالمية في أوروبا ظلت بعض الجهات الرسمية البريطانية متخوفة مما أسمته " النهابون العرب " ، الذين هم - برأيها - مشكلة صعبة يمكن أن تشو في اية لحظة اذا ما دخلت الدولة العثمانية الحرب . (٢)

وقد شرح المقيم السياسي البريطاني في الخليج وجهة النظر تلك عند حديثه عن امكانية التعاون مع قبائل ولاية البصرة اذا ما دخلت الدولة العثمانية الحرب ، فكتب في العشرين من اغسطس ١٩١٤ م (السابع والعشرين من رمضان ١٣٣٢ هـ) قائلا : - " فيما يتعلق بالجزء الذي هو في محيطي

(١) عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم ، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي ، الرياض ، ١٤٠١ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) IOR, L/P+s/10/462, No. 991, the P.R. in the P.G., to the Sec. to the Gov. of India, Aug. 19, 1914.

يبدو أن تحريك هجوم عربي على البصرة وأثرة القبائل على ضفاف دجلة أمر سهل جدا . وليس من غير المحتمل في حالة كذلك أن المصالح البريطانية بل وكل المتحضرة في الحقيقة ، ستتضرر بدرجة متساوية . وسوف لن يكون هنالك تأثير كبير على مجرى الحرب ناتج عن أن القوة الحربية غير المهمة التي يسعى الباب العالي لجمعها وبأمل في إرسالها لاستانبول - طبقا للتقارير التي استلمتها - سوف تستبقى لافتراض دفاعية محلية . وهناك في الواقع احتمال كبير لثورة من جانب العرب بدون أي تدخل من جانبنا ، ووجب أن تكون سلامة السكان الاوربيين في البصرة وبغداد محل اهتمام أكثر جدية . " وطالب المقيم في النهاية بترحيل كل الاوربيين من البصرة وبغداد قبل القيام بالهجوم على البصرة لأن " احتلال البصرة سيكون إشارة البسود " لمصيان سلاح شامل على طول نهر دجلة ولهجوم على بغداد أيضا . . . " (١)

وقد كان العامل الاساسي في ثقة البريطانيين المفرطة بتحريك القبائل ضد الحكومة العثمانية حال دخولها الحرب عائدا لقناعتهم الراسخة بأفترض مفاده أن الاكثية الشيعية في وسط وجنوب العراق كانت مستاءة من الادارة العثمانية وانها سوف تفتنم الفرصة السانحة فتعلن الثورة (٢) . وكانوا يعدلون من ناحية ثانية على الجهد الذي يمكن أن يقوم به كل من شيخى الكهنسنت والمحمر في هذا السبيل ، ففى شهر سبتمبر

(١) IOR, L/p+s/10/462, No. 996, the P.R. in the P.G. to the Sec. to the Gov. of India, Aug. 20, 1914.

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٠ .

١٩١٤م (شوال ١٣٣٢هـ) أكد نائب الملك في الهند على قدرة الشيخين - من خلال نفوذهما في المنطقة الممتدة بين الفاو والقرنة - على إثارة عصيان عربي فعال في تلك المنطقة ، ولكنه أعرب عن عدم تحييده لسلوك هذا السبيل خوفاً على أرواح ومصالح الأوروبيين هناك (١)

ولكن تحفظ البريطانيون ازاء فكرة الاستعانة بقبائل ولاية البصرة لم يمنعه من القيام بهذا بعض الجهود لكسب ود تلك القبائل والحيلولة دون وقفها بوجه القوات البريطانية اذا ما زحفت لاحتلال البصرة. ففي سبتمبر ١٩١٤م (شوال ١٣٣٢هـ) اقترح المقيم السياسي البريطاني في الخليج على حكومته الموافقة على الايعاز لشيخ الكويت لاختيار مندوب جدير بالثقة من جانبه وارساله لمنطقة شط العرب. ويقوم هذا المندوب حال دخول الدولة العثمانية الحرب بتوجيه عشائر المنطقة وسكانها لعدم التصدي للسفن والقوات البريطانية المتجهة للمصرة ، ويستعين هذا المندوب على انجاز مهمته برسل يختارهم ويرسلهم من مقره في الفاو الى فلاحسى بساتين شيخ الكويت في المناطق المجاورة. (٢) وقد أقرت حكومة الهند هذا الاقتراح على ان لا ينفذ الا بعد صدور تعليماتها. (٣)

(١) IOR, L/p+s/10/462, No. 701S, The Sec. to the Gov. of India to the P.R. the P.G., Sep. 6, 1914.

(٢) IOR, L/p+s/10/463, No. CF 235, Major Knox to the Foreign Sec. to the Gov. of India, Sep. 14, 1914.

(٣) IOR, L/p+s/10/463, No. S804, the Sec. to the Gov. of India to Major Knox. Sep. 26, 1914.

ويتصل بهذا المسمى ، حرص السلطات البريطانية على تنظيم خدمة استخبارية في جنوب العراق عن طريق تجنيد عدد من العناصر العربية ، للقيام بالتأثير على سكان تلك المنطقة ، إضافة الى جمع المعلومات التي تهتم القيادة العسكرية البريطانية . ومن اجل ذلك قام مكتب الاستخبارات البريطانية في القاهرة باختيار بعض الاشخاص بدعوى انهم ممثلون لزعماء عرب مقيمين في القاهرة ووجههم الى مختلف المناطق العربية ، وخصص ثلاثة منهم لمنطقة الخليج ، حيث غادروا ميناء السويس في السادس والعشرين من اكتوبر ١٩١٤م (السادس من ذي الحجة ١٣٣٢هـ) متجهين الى بومباي ومنها يتجهون الى الكويت التي تقرر ان تكون مركز انطلاقهم لتنفيذ مهامهم . (١)

ويحسن أن نذكر هنا بأن الافتراض البريطاني القائل بأن القبائل ستعلن الثورة ضد الحكومة العثمانية بمجرد احتلال القوات البريطانية للبصرة ثبت أنه افتراض خاطيء كلياً ، فقد تم احتلال البصرة بالكيفية التي بينها ولكن تلك الثورة لم تنشب . وبالرغم من أن سكان المنطقة الممتدة بين الفاو والقرنة لم يجابهوا القوات البريطانية بمقاومة عنيفة ، إلا أن شيوخ تلك المنطقة ظلوا مخلصين للدولة العثمانية ، ولم يقدم الا أحد مشايخ القرنة وشيخ الزبير وشيخ قرية الهارثة المجاورة للبصرة تأييداً صريحاً للغزاة . وقد علل مسئول بريطاني عاش أحداث تلك الفترة موقف اقلية الشيوخ بأنه عائد لعدم تقديم البريطانيين ضمانات قاطعة لهم ، تنفي أي احتمال بعودة الترك المنسجيين في المستقبل ، ولذلك فضلوا أن يظلوا بعيدين عن التورط خوفاً من عودة الترك وانتقامهم . (٢)

IOR, R/15/5/25, Tel. No. 4D - C, Foreign, Delhi, to P.R.(I) Bushire, Nov. 2, 1914.

وقد وردت أسماء أولئك الاشخاص في هذه الوثيقة كالآتي : عبد المزيـز والعتيقة Elatika ومحيي الدين الخطيب .

ولكن أعراض الشيوخ عن البريطانيين لم يجعل هؤلاء يكفون عن التفكير في الاستفادة من تعاون القوى القبلية، بل أن احتلالهم للبصرة وأحتمال تطور عملياتهم الحربية نحو الشمال جعل ذلك التفكير أكثر جدية. ويبدو من ناحية أخرى أن تفوق القوة البريطانية الواضح وتمكنها من احتلال البصرة بسهولة قد أغرى بعض الشيوخ بتقبل فكرة الاتصال بهم، ومن ذلك ما أنفردت بذكره المصادر البريطانية عن الاتصالات التي جرت مع عجمي السعدون قريبا من الوقت الذي تم فيه احتلال البصرة (١). وقد روى أن عجمي هو الذي بادر بالاتصال بالبريطانيين حين أرسل معتمده محمد العصيمي لمقابلة السير برسي كوكس رئيس الضباط السياسيين المرافقين للحملة، فأوضح الرسول لكوكس أن زعيمه يتظاهر فقط بالتعاون مع الترك، وأنه يرفض في الاستسلام للبريطانيين وتسليمهم أربعة آلاف بندقية تركية موجودة لديه الآن. وقد علق البريطانيون نتيجة لذلك العرض أمالا واسعة على وقوف عجمي على الحياد إن لم يكن تعاونه الفعال معهم. (٢)

ولا تذكر المصادر البريطانية المطالب التي قدمها عجمي مقابل عرضه هذا، بل تكفي بالقول أنه ساوم دون أن تبين كنه المساومة (٣). ولكن يبدو أن المفاوضات حولها بين الطرفين عبر العصيمي وقنوات اتصال أخرى طالت ولم تصل إلى نتيجة محددة فأضطر كوكس لاخذ زمام المبادرة في الثلاثين من يناير ١٩١٥م (الرابع عشر من ربيع الأول ١٣٣٣هـ) حين أرسل لعجمي

(١) بل، مصدر مر ذكره، ص ١١ - ١٢.

(٢) Wilson, op.cit., p. 16.

(٣) Longrigg, op.cit., p. 79.

عارضا اجراء لقاء بينهما فى الشعبية، وألح على استلام الجواب خلال ثلاثة أيام لضيق الوقت . فكان الجواب الوحيد الذى تلقاه هو ان عجمى ينشئ أن تسوء سمعته اذا ماتغلى عن الترك بدون سبب ، وأنه سيجد مستقبلا العذر الذى يتركهم بسببه . وقد علل البعض هذا الرد الذى أنهى الاتصالات بين الجانبين بأن عجمى لم يكن قد حزم أمره وأختار الجانب الذى سيقف معه ، فهو وان كان لا يثق بالترك الا أنهم وعدوه باعطائه كل الاراضى السنية فى ولاية البصرة ، بينما لم يعد الانجليز الا بالقليل او بلا شئ على الاطلاق . وهو يشك أضافة لذلك بكونهم يعطون بالتنسيق مع خصمه اللدود السيد طالب النقيب وانصاره ولذلك أختار أن يرمى بثقله وللأبد بجانب الترك (١)

هذا ولم يقتصر سعى البريطانيين فى سبيل الاستعادة من القوى القبلية فى محاربة القوات العثمانية فيما وراء البصرة على محاولاتهم مع عجمى ، بل انهم كانوا يبحثون عن سبل أخرى توصلهم لنفس الهدف . فقد اجتمع "عزيز على المصرى" (٢) مع أحد المسئولين البريطانيين فى القاهرة فى ديسمبر ١٩١٤م (صفر ١٣٣٣هـ) وطرح عليه فكرة القيام بثورة فى العراق تكون نواتها أنصاره من الضباط العرب الماملين فى الجيش العثمانى بالعراق ،

(١) Wilson, op.cit., p. 19.

(٢) مصرى من أبوين شركسيين ، عمل ضابطا فى الجيش العثمانى ، وانضم لجمعية الاتحاد والترقى السريه وأصبح من أعضائها البارزين ، ولكنه اختلف معها وانخرط فى النشاط السرى العربى فى استانبول فأعتقل وحكم عليه بالاعدام ثم أعفى منه ورحل للقاهرة فى جمادى الاولى ١٣٣٢هـ / نيسان ١٩١٤م . انضم لثورة الحجاز سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م ولكنه اختلف مع القائمين عليها فرجع للقاهرة ومنها نفى الى اسبانيا الى نهاية الحرب العالمية ، وفى عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م عين رئيسا لركان الجيش المصرى ثم أقبِل وفرضت عليه الإقامة الجبرية ، توفي فى عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، راجع :

Khadduri, Majed, Arab Contemporaries, Baltimore, 1973, pp 7-13.

الذين سيستقطنون ولاء القبائل العراقية ويجندونها ضد الترك ، واهتمت السلطات البريطانية بالفكرة ، واجتمع السير بروسى كوكس بناءً على اقتراح عزيز المصري بأحد الضباط العراقيين في البصرة وهو " نوري السعيد " (١) وسأله عن تفاصيل الفكرة فأوضحها له ومرض عليه استعداداه للسفر لمقابلة بعض شيوخ القبائل . ولكن نائب الملك في الهند علق على ذلك بقوله ان مشروعا كهذا لا يمكن أن يكتب له النجاح لأن شيوخ القبائل ورجالها متخلفون الى حد بعيد ولن يعيروا انتباهها لدعاية شاب متحمس مثل نوري (٢).

ولقد كانت نفس الفكرة هي السبب الكامن وراء الرحلة التي قام بها رجل الاستخبارات البريطاني الشهير لورنس T.E. Lawrence الى مدينة البصرة ومحور اتصالاته هناك (٣) . ولكن تلك الرحلة لم تؤد أيضا الى أية نتيجة ملموسة ، وكان العامل الاساسي في هذا الاخفاق عائدا لرفض حكومة الهند البريطانية تقديم أي تعهد صريح للعرب مقابل تحركهم المنشود (٤) . وهذا ملجعلهم بلا ريب اكثر استجابة للجهود المضادة

(١) ولد في بغداد سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م ثم اصبح ضابطا في الجيش العثماني وشارك بنشاط في الجمعيات السرية العربية في استانبول وهرب قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى الى البصرة فألقى الانجليز القبض عليه عند احتلالهم البصرة ثم نفوه للهند وارسلوه من هناك الى مصر فالحجاز للاشتراك في ثورة الشريف حسين سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م وارتبط منذ ذلك الحين بالأمير فيصل بن الحسين الذي تولى عرش العراق واصبح نوري احد رجاله المقربين حتى انه تولى رئاسة الوزارة في العراق خمس عشرة مرة بين سنتي ١٣٤٩ - ١٣٧٧ هـ / ١٩٣٠ - ١٩٥٨ م . لقي مصرعه سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م . راجع : Gallman, W., Iraq under General Nuri, Baltimore, 1964, pp. 9-14.

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٦٢ و ص ص ٧٤ - ٧٦ .

(٣) فيضي ، مصدر مر ذكره ، ص ١٩٩ وما بعدها .

(٤) نظمي وآخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٤ .

التي كانت السلطات العثمانية تبذلها لكسب ود العراقيين عموماً والقبائل بشكل خاص، ولقد كانت حركة الجهاد تتوجها لتلك الجهود .

حركة الجهاد سنة ١٢٣٣هـ / ١٩١٥م :

لجأت السلطات العثمانية من أجل حشد القبائل للمساعدة في طرد القوات البريطانية من البصرة وماجاورها الى رجال الدين لاصدار الفتاوى باملان الجهاد . ولم يكن أمر الحصول على تلك الفتاوى من علماء " السنة " أمراً صعباً ، ولكن الصعوبة كانت في الحصول عليها من علماء " الشيعة " في النجف وكربلاء الذين كانوا يمارسون قدراً كبيراً من التأثير على قبائل ولاية ولاية البصرة ذات الاكثية الشيعية الواضحة . فعلماء المذهب الشيعي " الاثنا عشرى " (١) وهو السائد في العراق وايران لايعترفون بخلافته السلطان العثماني وهم يعتبرون تلك الخلافة وماسبقها من خلافة العباسيين والامويين خلافة فاسية سلبت ائمتهم حقهم الثابت في الخلافة والامامة (٢) . هذا بالإضافة الى ماكان يجده اولئك العلماء من مأخذ على بعض السياسات

(١) فرقة من فرق الشيعة تحصر حق الامامة في اثني عشر اماماً " مهصوماً " من آل البيت . والامامة عند هذه الفرقة ليست أمراً دينياً ولكنها نص من الله سبحانه حدد به اسماء الأئمة وأعرفهم تعريفاً يقرب من التسمية . وآخر الأئمة لديهم هو الامام محمد بن الحسن العسكري الذي " فاب " في سامراء وسيعود للظهور فيملاً الارض عدلاً . . راجع تفاصيل ذلك في: احمد محمود صبحي ، نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية ، القاهرة ١٩٦٩م .

(٢) فياض ، مرجع مذكوره ، ص ١١٤ .

العثمانية والتي نتج عنها أن كانت النجف وكربلاء عرضة للمضايقات في بعض الأحيان . (١)

ويبدو أن جهود اقناع العلماء الشيعة باعلان الجهاد قد بدأت قبل دخول الدولة العثمانية الحرب فعليا ، وقد أستعانت السلطات العثمانية لهذا الغرض ببعض النواب الشيعة الذين يمثلون ولاية بغداد في مجلس المبعوثان (٢) . ومقابل هذا بذل البريطانيون جهودا مضادة للتأثير على مواقف أولئك العلماء فعين سرب أحد النواب مهدى بك للبريطانيين أعبار تلك المساعي العثمانية ، كتب السفير البريطاني في استانبول الى نائب الملك في الهند في الثاني والعشرين من ذي القعدة ١٣٣٢ هـ / الأول من أكتوبر ١٩١٤ م يطلب منه التحقق بواسطة وكيل القنصل البريطاني في كربلاء من ميول العلماء ، ووجوب ممارسة وكيل القنصل التأثير عليهم لصالح بريطانيا من خلال استغلال انتفاعهم المادي ، من " وصية أوض " Oudh Bequest " (٣)

ومن الملفت للنظر هنا أن المحاولات العثمانية لاقتناع أولئك العلماء استغرقت وقتا طويلا اذا لم تصدر الفتاوى المطلوبة باعلان الجهاد الا في شهر

(١) فاروق صالح العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤ - ١٩٢١ م ،

البصرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٢ .

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢ .

(٣) IOR, L/p+s/10/463, Tel. P., Amb. Const., to Viceroy Oct. 1, 1914.

وأوض مقاطعة هندية توفي حاكمها سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م بعد أن كان قد عقد اتفاقية مع حكومة الهند أوصى فيها بأن توزع إيرادات ارثه على الشيعة الهنود ثم الفرس ثم العراقيين ، وخص العاكفين على الدراسات المذهبية بنصيب متميز ، وكان نصيب الشيعة العراقيين يتم توزيعه من طريق الممثلات البريطانية في العراق . راجع :

الشناوي ، مرجع مر ذكره ، ج ٢ ، ص ٨١٠ - ٨١٢ .

صفر ١٣٣٣هـ / يناير ١٩١٥م (١) . ورغم ذلك يظهر أن استجابة العلماء لم تكن بدرجة واحدة من الحماس، فعلى الرغم من أن معظمهم استجابوا للطلب الحكومي واستندوا في فتاواهم الى مبدأ يقره غالبية العلماء الشيعة وهو جواز القتال تحت راية الحاكم الفاضل اذا كان الغرض من القتال هو حماية الثغور الاسلاميه (٢) ، إلا أن القنصل الأمريكي في بغداد أشار في نوفمبر ١٩١٤م (ذى الحجة ١٣٣٢هـ) الى أن السلطات العثمانية تبذل جهوداً عظيمة من أجل اقناع من أسماه " زعيم كل المسلمين " في النجف لإعلان الجهاد ، إلا أنه رفض الاستجابة لأن الحرب الدائرة حرب لمصلحة الألمان وليست لمصلحة المسلمين . (٣) ولعل ذلك الزعيم الذي قصده القنصل هو السيد كاظم اليزدي - أبرز العلماء الشيعة - الذي ذكر ديكسون أنه قاوم الجهود العثمانية لاضفاء الصيغة الدينية على عملية صد الغزو البريطاني ، وادعى ديكسون أنه ترتب على موقفه ذلك أن القوات البريطانية التي كانت تزحف في العراق وجدت أربعة اخماس السكان يحملون لصدائهم (٤) ولكن بعض المراجع العربية تشير الى أن السيد كاظم ساهم في حركة الجهاد بأن أرسل ابنه وبعض اتباعه للاشتراك في حث القبائل على قتال الفزاة . (٥)

(١) Wilson, op.cit., p. 22.

(٢) فياض ، مرجع مذكوره ، ص ١١٤ .

(٣) N.A.R.S., RG 84, File No. 703, No. 18, Am. Cons. at Bag. to Am. Amb. at Const., Nov. 4, 1914.

(٤) Dickson, Kuwait..., p. 178.

(٥) الأسدي ، مرجع مذكوره ، ص ٦٢ .

واذا كان بعض العلماء لم يتحمسوا كفاية لدعوة الجهاد ، فإن بعضهم الآخر كان على العكس تماما ، اذ أظهر لتلك الدعوة حماسا كبيرا ، فلم يكتفوا باصدار الفتاوى وحسب ، بل شخصوا بأنفسهم لبحث القبائل على الاشتراك في الجهاد ، وحرصوا على أن يشاركوا فعليا في ميادين القتال ، وقد عرجوا على رأس من استجاب لهم من القبائل وساروا نحو الجبهات المختلفة (١) . وكان أبرزهم في هذا المجال وأكثرهم حماسة ونشاطا السيد محمد سعيد الحويبي الذي دفعته حميته الدينية الى رهن املاكه الخاصة من أجل تدبير نفقات المجاهدين الذين استجابوا له اثناء تطوافه في ديار القبائل داعيا للجهاد وحاشا على قتال الغزاة (٢) .

ويحسن هنا التعرف على مدى استجابة القبائل لنداء الجهاد ، فيلاحظ أن تلك الاستجابة مرت بطورين ، كانت في أولهما وهو الذي سبق صددور فتاوى العلماء ضعيفة بصورة واضحة ، حتى لقد اشار القنصل الامريكى في بغداد في برقيته المؤرخة في السادس من نوفمبر ١٩١٤م (السابع عشر من ذي الحجة ١٣٣٢هـ) الى ان السلطات المحلية أرسلت تعميما للقبائل القاطنة بين بغداد والبصرة تدعوها فيه لحمل السلاح ، ولكن تلك القبائل لم تستجب للدعوة ، وانخدع القنصل بما حدث فأعتقد ان ذلك مائد لصالح تلك القبائل للبريطانيين (٣) . أما في الطور الثاني الذي أعقب صددور الفتاوى فقد اختلفت الآراء في تقدير مدى تلك الاستجابة ، اذ أشارت جريدة ولاية بغداد الرسمية " الزوراء " الصادرة حينئذ الى أن الاستجابة كانت

(١) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٣ .

(٣) N.A.R.S., RG 84, File No. 793, No. 20, Am. Cons. at Bag. to Am. Emb. at Const., Nov. 6, 1914.

واسعة النطاق (١) ، وكرر هذا القول بعض الكتاب العراقيين المحدثين (٢) ، ولكن كاتباً بريطانياً كان معاصراً للأحداث ذكر أن صدى دعوة الجهاد كان ضعيفاً وأن القبائل التي استجابت لها كانت تواقفة للفنائم ليس إلا (٣) . كما أشار أحد شيوخ القبائل المعاصرين إلى أن تلك الاستجابة كانت غير متحمسة وانها تمت طاعة لعلماء الدين لا اقتناعاً بمساعدة الحكومة العثمانية (٤) .

ورغم كل ذلك، التعارض، فالذي لاشك فيه ان استجابة القبائل للدعوة كانت واضحة لدرجة اضطرت معها المراجع الرسمية البريطانية إلى محاولة تحليل أسباب تلك الظاهرة التي غيبت كل توقعاتها التي ذكرناها، آنفاً عن موقف القبائل . فقد فسروا وزير الهند الظاهرة بأنها تعود إلى اقتناع القبائل بأن التواكل يدافعون عن الاسلام، ولكن الوكيل السياسي البريطاني الذي كان في موقعه القريب من ساحة الأحداث يراقب مايجري من كتب نفى صحة ذلك التفسير وعزا أسباب تلك الظاهرة إلى عوامل متعددة، منها عدم معرفة القبائل للبريطانيين، وتعودهم لاجيال طويلة على الحكم العثماني ، ورضة مشايخ القبائل في الحفاظ على مصالحهم المرتبطة بالترك ، وطامع أفراد القبائل بالحصول على الفنائم، اضافة إلى مامارسته السلطات

(١) الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٤٩٣، ٢٢ محرم ١٣٣٣ هـ.

(٢) الاسدي، مرجع مر ذكره، ص ٩٠، وايضا : العمر، حول سياسية بريطانيا في العراق، ص ١٢ .

(٣) Longrigg, op.cit., p. 84.

(٤) فريق، المزهرة الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ م ونتائجها، بغداد، ١٩٥٢، ص ٣٨ .

العثمانية على بعض القبائل من ضغط واكراه (١) . في حين عزا البعض الآخر سبب تلك الظاهرة الى خضوع العرب لتأثيرات وكلاء الالمان والترك الذين أشاروهم ضد الانجليز (٢) . ومهما يكن من أمر ذلك التعارض في الاراء حول استجابة القبائل للجهاد ، فإن ما يهمنا الآن هو التعرف على مساهمتها الفعلية في المعارك التي جرت في الجبهات الثلاث المحددة بالبصرة وهي جبهة الشعبية وجبهة القرنة وجبهة عربستان .

ولا مفر من الحديث أولا عن جبهة الشعبية لانها الأهم من حيث حجم معاركها ونتائجها الحاسمة ، ويلاحظ هنا أن الكتاب اختلفوا حول مدى مساهمة القبائل فيها اختلافات كثيرة . اولها يتعلق بعدد القوات القبلية التي ساهمت في المعارك هناك ، ففي حين قدرها البعض بثمانية عشر ألف رجل (٣) ، رفع آخرون العدد الى عشرين الف رجل (٤) ، وبالغ احد الكتاب فجعل المشاركين من افراد القبائل ثلاثين ألف راجل وحشة آلاف فارس (٥) . ورغم كل ذلك التضارب فيبدو أن العدد كان كبيرا في بداية الامر ثم أخذ يتناقص قبل بدء المعارك تدريجيا نتيجة لانسحاب العديد من العشائر

(١) شبكة ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢١ - ١٢٥ .

(٢) Millar, op.cit., p. 4.

(٣) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ١١ . وأيضا : Wilson, op.cit., p. 33.

(٤) شكوى محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ط ٨ ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٣١ . وانظر أيضا :

Barker, A.J., The Neglected War, Mesopotamia 1914-18, London, 1967, p.67.

(٥) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٢ .

لأسباب أهمها النقص في التموين حتى أصبح العدد عند نشوب المعركة الحاسمة يتراوح بين عشرة وأربعة عشر ألف مقاتل (١) ، انضموا للقوات النظامية العشمانية التي كان عددها يتراوح بين سبعة آلاف وستمائة (٢) وأثنى عشر رجلاً (٣) . وقد كان أكثر من نصف أولئك المجاهدين ينتمون لقبائل المنتفق (٤) ، ولذلك فقد قسمت قوات المجاهدين ثلاثة أقسام ، قاد القسم الأول منها العلامة السيد محمد سعيد الحبيبي وقاد الثلث الثاني مجي السعدون بينما أوكلت قيادة الثلث الأخير لعبد الله الفالح السعدون (٥) .

ولقد كان البريطانيون يرصدون تطورات حركة الجهاد أولاً بأول ، ويبدو أنهم أرادوا تثبيط هم شيوخ القبائل ، فأصدروا رسالة تحذير لأولئك الشيوخ وصفوهم فيها بأنهم عكلاء ولا يمكن أن يستجيبوا للخطاب الذي يمكن أن يكون أفراد قبائلهم عرضة له . وأضافت الرسالة أن البريطانيين دخلوا الحرب مكرهين نتيجة لموافقات الألمان وتحريضاتهم للترك على ارتكاب الأعمال العدوانية ضدهم ، ولذلك فإن الحرب محصورة بين البريطانيين والترك ، وليس بين البريطانيين وبين العرب أي صراع ، كما أنهم لا ينوون إلا ساءة لذين العرب الذين عليهم بالمقابل أن يلزموا جانب الحياد في هذه الحرب (٦)

(١) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣١ ، وأيضاً شبكه ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٣ وأيضاً ؛
Barker, op.cit., p. 70.

(٢) Wilson, op.cit., p. 33.

(٣) Barker , op.cit., p. 70.

(٤) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ١١ وأيضاً : شبكه ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٣ .

(٥) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٣ .

(٦) Barker, op.cit., p. 50.

ويبدو انه لم يكن لتلك الرسالة تأثير كبير، ولذلك اصدر رئيس الضباط السياسيين المرافقين للحملة السير بوسي كوكس في الرابع عشر من فبراير ١٩١٥م (الثامن والعشرين من ربيع الاول ١٣٣٣هـ) بيانا اشد لهجة اوضح فيه نوايا بريطانيا الطيبة تجاه العرب ورفضتها في تحريرهم من الظلم التركي ، وأشار الى ان بعض الاشخاص قد خدعوا فأنضموا الى اعداء بريطانيا وحملوا السلاح بوجه قواتها . وأضاف أن " هذا البيان أصدر من اجل انذار كل الشيوخ والقبائل في ولاية البصرة ، ومضمونها الوحدات الإدارية للبصرة والقرن والعمارة والمنفق ، بأنه في حالة ابتعادهم عن طريق الصداقة والحياد وحملهم السلاح للتعاون مع العدو فإن أملاكهم الواقعة ضمن المنطقة الخاضعة للسيطرة البريطانية سوف تعتبر مصادرة للحكومة البريطانية" (١) . ولقد طبقت السلطات البريطانية اجراءات الحجز والمصادرة بالفعل على املاك عبد الله الفالح السعدون ومحمد العصيمي الواقعة في نواحي البصرة (٢) .

ولا يبدو ان كل تلك التحذيرات البريطانية قد أثرت على اقبال أنبسا والقبائل على التوجه نحو ميدان القتال ، ذلك التوجه الذي بدأ في اوائـل سنة ١٣٣٣هـ / أواخر سنة ١٩١٤م ، حيث بدأت المناوشات مع القوات البريطانية بمجرد وصول القائد العثماني العقيد سليمان بك العسكري الذي عين والياً للبصرة وقائدا لقواتها (٣) . وكان ذلك القائد كثير الثقة بالقبائل ، فبنى على تعاونها معه أمالا كبيرة ، وقد ركز جهوده على جبهة دجلة أول الامر ،

(١) Wilson, op.cit., p. 312.

(٢) الاوقات، السنة ٣، المجلد التاسع، العدد ٤٠، السبت ٢٥ آب ١٩١٧.

(٣) الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٤٩٥، ٧ صفر ١٣٣٣هـ.

فبعد وصوله الى مقر قيادته في العزيز في العشرين من ديسمبر ١٩١٤ م (الثاني من صفر ١٣٣٣ هـ) نظم قواته واخذ يناوش الغزاة المتمركزين في خطوطهم قرب القرنة . ولكن مقامه في الميدان لم يطل كثيرا اذ جرح في العشرين من يناير ١٩١٥ م (الرابع من ربيع الاول ١٣٣٣ هـ) ونقل الى بغداد للعلاج الذي استمر قرابة شهرين تعرض خلالها الموقف الحربى للجملود . فأخذت القبائل المحتشدة بالتقدم بل واخذ بعضها بالرجوع الى دياره (١) ، سيما وانهم كانوا يعانون من مشكلات الاعاشة والتموين ، ولا يهتمون خشونة بعض الضباط الترك وهجرتهم (٢) . تلك العجرفة التي جعلت احدهم يقول بمسمع من شيوخ القبائل بأن الجيش العثمانى سيتجه بعد تحريره البصرة نحو مهمة أخرى وهى تأديب قبائل دجلة والفرات ، فتصدى لـه أحد الشيوخ ورد عليه زدا عنيفا ، (٣)

تبدد الجملود الذى كان مخيما على الموقف بعودة سليمان العسكرى الى الميدان فى ربيع الثانى ١٣٣٣ هـ / مارس ١٩١٥ م (٤) ، وقد ركز القائد جهده هذه المرة على جبهة الفرات فشن بقطعاته النظامية ومجاهديه هجوما فى الاول من جمادى الاولى ١٣٣٣ هـ / السابع عشر من مارس ١٩١٥ م (٥) ، واحتل

(١) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٠

(٢) الاسدى ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٢ . وايضا : نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٠

(٣) الفرعون ، مرجع مر ذكره ، ص ٤٠ .

(٤) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣١

(٥) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥١٠ ، ٢٣ جمادى الاولى ١٣٣٣ هـ .

موقع " النخيلة " الواقع على ضفة الهمر ، ثم قدم قواته فى العاشر من أبريل (الخامس والعشرين من جمادى الاولى) الى " البرجسية " استعدادا لمهاجمة الشعبية (١) . وقد اعترض قادة المجاهدين على تلك الخطة ، واقترحوا على سليمان بك عدم توجيه الهجوم نحو موقع الشعبية الذى احكم البريطانيون تحصينه طوال الشهور الاربعة الماضية ، بل يكتفى بمحاصرة ذلك الموقع وشن الغارات المستمرة على خطوط المواصلات التى تربطه بالبصرة التى يجب أن تكون - برأيهم - هدفا للهجوم الاساسى . ولكن القائد التركى اعتبر تلك الخطة غير عملية واصر على توجيه الهجوم نحو الشعبية (٢) ، ورتب صفوفه للمعركة واضعا القوات النظامية فى القلب والمجاهدين على الجناحين (٣) .

وتختلف المصادر هنا أيضا فى تقدير الدور الذى لعبته القبائل خلال المعركة الحاسمة التى بدأت فى الصباح الباكر من يوم الحادى عشر من أبريل ١٩١٥م (السادس والعشرين من جمادى الاولى ١٣٣٣هـ) وانتهت بعد ذلك بثلاثة أيام . ففي حين اشادت الروايات العراقية بالبطولة التى أبدتها رجال القبائل والحماس الذى اظهروه خلال القتال (٤) ، مال بريطانى معاهد شهد الاحداث بنفسه الى التقليل من دورهم ، حتى ليقول انهم

(١) Barker, op.cit., p. 70.

(٢) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣١ .

(٣) Wilson, op.cit., p. 22.

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٤ . وايضا الفرعون ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٩ .

لم يقوموا بشيء إطلاقاً (١) ، ولكن وصفا تفصيليا للمعارك اوردده كاتب آخر
أظهر ان مقاتلي القبائل تحملوا عبئا كبيرا في كل ماجرى خلال تلك الايام
لا يقل عما تحملته القوات النظامية العثمانية (٢) . ويؤكد ذلك انهم قدموا
من الشهداء حوالي ثلاثة آلاف شهيد أو ما يعادل ربع مجموعهم الكلى تقريبا (٣) .

ولم يكن كل من شارك في تلك المعارك من شيوخ القبائل على درجة
واحدة من الاخلاص والحماس ، ففى حين وجد البعض فى ذلك التجمع الكبير من
روساء القبائل والشخصيات فرصة للمواثبات والمراجعات على حد قول احد
الشهود المعاصرين (٤) ، كان البعض الآخر يتقد حماسا واخلاصا . ومن
ذلك البعض عجمى السعدون الذى " غدا اسمه مضرب الامثال فى الشجاعة
والشهامة وحيكت حول اعماله أساطير كثيرة لا تزال تتناقل جيلا بعد جيل ،
فقد كان يهاجم المفارز البريطانية ولا سيما الخيالة منها فينقض عليها على
رأس فرسانه المتفكرين المنتشرين بمسافات متباعدة لتجنب تأثير نار المدافع
البريطانية وكان هؤلاء الفرسان يتجمعون فى لحظة الهجوم باشارة من عجمى
فيهجمون بسرعة البرق ، الخاطف فيوقعون بالبريطانيين خسائر فادحة ثم
يقودهم عجمى بسرعة مذهلة الى حيث تبطلهم الصحراء " . . . (٥)

(١) Wilson, op.cit., p. 23.

(٢) Barker, op.cit., pp. 70-76.

(٣) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٣ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٥) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣١ .

ولم تنفع تلك البطولات الفردية في تغيير طبيعة النتيجة المفجعة التي انتهت اليها معركة الشعبية وهي الهزيمة الكاملة للقوات العثمانية والقبائل الصاعدة لها ، لك الهزيمة التي هزت اعصاب القائد سليمان العسكرى ، فأقدم على الانتحار فى الرابع عشر من ابريل ١٩١٥ م (التاسع والعشرين من جمادى الاولى ١٣٣٣ هـ)^(١) وقد أسهبت المصادر البريطانية فى وصف مرافق انسحاب القوات العثمانية المندثرة نحو الناصرية من عمليات نهيب وسلب قام بها بعض أفراد القبائل للقوات المنسحبة^(٢) . ورغم أن ذلك العمل أمر مشجل لا يمكن تبريره ، الا انه يحسن بنا أن نتذكر هنا ان عطية الحصول على الخنائم عادة مترسخة فى وجدان الرجل القبلى لدرجة انه لا يستطيع أن يكف نفسه عن الاقدام عليها فى ساعة النصر حين يندفع لاحتواء ما تركه الخصم ، وفى ساعة الهزيمة حين يختلط الحابل بالنابل فيحمل احدهم ماتقع عليه يداه ، بخض النظر عما اذا كان عائدا لحليفه او خصمه ، فالعودة للاهل بيدين طيبتين خير من العودة بوفاض خال . ولا يجب أن نفعل هنا دور العداء الموروث فى نفس الرجل القبلى تجاه هذا العسكر المهيـزوم الذى طالما أذاقه الامرين ، فأن غطت سورة الحماس الدينى التى اتقادت مع دعوة الجهاد على هذا العداء فترة من الزمن ، فأن لحظة الهزيمة المرة سحبت ذلك الغطاء ثانية . ورغم كل هذا فأن من ساهم فى عمليات السلب والنهب هم القلة بينما حافظت الاكثية من القبائل على ولائهم

(١) Wilson, op.cit., p. 23.

(٢) Buchanan , op.cit., p. 11;

انظر أيضا : شبكه ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٥ وايضا :

Wilson, op.cit., p. 23.

وانسحبت الى الناصرية مع القوات العثمانية (١) . وهذا يناقض تماما ما ادعاه البعض من أن النتيجة الأكثر أهمية لمعركة الشعبية هي تحويل العرب الى حلفاء للبريطانيين (٢) ، وهو أمر استدحضه الوقائع التي ستمر بنا ، إضافة الى ما فيه من تبسيط ظاهر للاحداث .

ولقد أعان القوات البريطانية على تحقيق نصرها الحاسم في الشعبية الخدمة الاستخبارية المتفوقة التي حظيت بها ، وكان لوليها الكابتن ليتشمان الذي جعل من مدينة الزبير قاعدة يتعرف منها على آخر تحركات العدو (٣) ، من خلال المعلومات التي تصله عبر بعض قبائل البادية . اذ استطاع البريطانيون من خلال تحالفهم الوثيق مع حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح الحصول على ولاء بعض القبائل البدوية المرحلة بين ولاية البصرة والكويت مثل الظفير و" الجوارين " (٤) والشاهية من بني مالك ، وقد لعب العداء بين القبيلتين الاولى والثانية وعجمي السعدون دورا واضحا في انحيازهما للجانب البريطاني (٥) . وبدل هذا على أن العداوات القبلية كانت أقوى تأثيرا في نفوس بعض شيوخ القبائل في تلك الفترة من القضايا الدينية والوطنية

(١) نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٣٣ .

(٢) Pollard, A.F., A Short History of the Great War, 4th Edit, London, 1942, p. 104.

(٣) Wilson, op.cit., p. 35.

(٤) عشيرة من ثلاث الاجود من قبائل المنتفق ، تترحل في الصحراء الممتدة بين سوق الشيوخ والكويت طلبا للكلأ لمواشيها . انظر :

Dickson, The Arab of the Desert, p. 545.

(٥) شببكة ، مرجع مر ذكره ، ص ١٢٥ .

الكبرى، مثل الجهاد والدفاع عن أرض الوطن، وكفى بذلك دلالة على مستوى الوعي المتدنى .

هذا وفي حين كانت تلك الاحداث تجري على ساحة الشعبية، فلأن القرنه كانت مسرحا لاحداث مماثلة . فقد انسحبت القوات العثمانية من مدينة البصرة قبيل دخول البريطانيين لها واتجهت الى القرنة، حيث تحصنت هناك ، واستطاعت أن تضم الى صفوفها بعض قبائل المنطقة، فأصبحت القوة المدافعة عن المدينة تتكون من ست كتائب نظامية والـسف وثمانمائة رجل من القبائل وعشرة مدافع وقارب مدفعية (١) . ولكن تلك القوة لم تكن كافية لصد الهجوم الذي قامت به القوات البريطانية في التاسع من ديسمبر ١٩١٤م (العشرين من محرم ١٣٣٣هـ) فأحتلت خلاله تلك المدينة بعد أن أسرت الف ومائتين من المدافعين ، منهم القائد صبحى بك وكيل والى البصرة (٢) .

وحيث صدرت فتاوى علماء الدين باعلان الجهاد ازداد اقبال القبائل على الانضمام للقوات العثمانية المتمركزة قبالة القرنة، سيما وان بعض أولئك العلماء قد حضر شخصيا لنشر دعوة الجهاد بين قبائل المنطقة وحثها على الاشتراك فى اداء الواجب المقدس (٣) . وكما حصل فى الشعبية فأن بعض شيوخ القبائل كانت استجابتهم للجهاد استجابة مترددة . (٤) ولعل

(١) Branddon, op.cit., p. 31.

(٢) Longrigg, op.cit., p.79.

(٣) الاسدى، مرجع مذكوره، ص ٩٢

(٤) الطاهر، مرجع مذكوره، ص ٢٨٢ .

المناسبات والحزازات القبلية لعبت دورها هنا أيضا ، ففي حين اشتبك مريبي الوادي ومجيد الخليفة من مشايخ اليوم محمد في الجهاد مكرهين (١) ، فإن قالحا وحامتا وعبد الكريم ابنا صيهود وزين اليسر من مشايخ القبيلة نفسها شاركوا في الجهاد بحماس اهلهم لنيل اوسمة من السلطان العثماني (٢) .

ويبدو ان تلك القبائل المحتشدة خارج القرنة استطاعت بالفعل التضييق على القوات البريطانية المتمركزة هناك . اذ كانت تتسلل الى داخل المعسكرات البريطانية عبر الاسلاك الشائكة فتغنم ماتصل اليه ايديها وتقتل من تجده من الجند من ناحية ، وتشن الغارات الجريئة على الخطوط البريطانية فتصلى الجند البريطانيين المختبئين في خنادقهم بوابل من نيران بنادقها غير مابئة بنيران المدفعية التي تنصب عليها من ناحية أخرى ، وهي بين هذا وذاك تطور تكتيكاتها من آونة لأخرى حسب الغبرات التي تكتسبها من التعامل اليومي مع العدو (٣) . وحين كان الجيش البريطاني يخرج من تحصيناته وخنادقه كانت القبائل تقف له بالمرصاد فتلتحم معه في معارك ضارية كما حصل في معركة "الروطة" في اوائل ربيع الاول ١٣٣٣هـ / أواخر يناير ١٩١٥م (٤) ، حين خرج طابوران من مشاة العدو مع مدفعيين جبليين سريعى الطلقات ، فأوقعهم المجاهدون في كمين اشتبك معهم لمدة ساعتين أضلوا بعدها للتقهقر الى القرنة بعد أن تركوا ما يناهز المائة

(١) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦ .

(٢) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥٠٧ ، جمادى الاولى ١٣٣٣هـ .

(٣) Barker, op.cit., pp 61-62 .

(٤) فياض مرجع مر ذكره ، ص ١٥٣ . والروطة قناة شمال القرنة جعلها الاتراك خط دفاعهم الاول بعد سقوط القرنة ، راجع : نديم ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٧ .

من القتلى والجرحى (١) .

وقد رافق عودة القائد سليمان العسكرى الى الشعبية في ربيع الثاني ١٣٣٣هـ / مارس ١٩١٥م توسيع لنطاق العطيات في جبهة القرنة ، اذ شنت القوات النظامية والقبايل هجوما على القوات البريطانية في المدينة تزامنا مع الهجوم الذي شن في الشعبية في الحادي عشر من ابريل ١٩١٥م (السادس والعشرين من جمادى الاولى ١٣٣٣هـ) ، وقد بدأ الهجوم بقصف مدفعي مركز للمدينة استمر طوال ذلك اليوم ، وفي اليوم التالي تمكن المهاجمون من تفجير الجسر الذي اقامه البريطانيون لربط ضفتي نهر دجلة ، في الوقت الذي تسللت فيه اعداد من المجاهدين العرب الى بساتين النخيل المجاورة للمدينة مباشرة ، ولكن القصف المدفعي البريطاني اضطرهم للتراجع مؤقتا ، حيث قاموا مرة ثانية بمحاولة السيطرة على تلك البساتين دون نتيجة . وخلال ذلك استمر قصف المدينة طوال يومى الثالث عشر والرابع عشر من ابريل (الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من جمادى الاولى) ولكن القصف توقف في اليوم التالي (٢) . اذ يبدو ان اخبار هزيمة زملائهم في الشعبية جعلت الضباط الترك يقهون مما بدأوه من محاولة اقتحام القرنة .

(١) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥٠٠ ، ١٢ ، ربيع الاول ١٣٣٣هـ .

(٢) Barker, op.cit., p. 70.

ولكن ذلك لم يعن أن الحرب توقفت في جبهة القرنة ، فقد استمرت القبائل تتصدى للقوات البريطانية كلما حاولت التقدم شمال المدينة . ولما حاولت قوة نهريه للعدو مكونة من ثلاث سفن التقرب من أراضي قبيلة الازيمرق ، في اواخر جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ / اوائل مايو ١٩١٥م تجمعت قبائل المنطقة واصلحتها نارا حامية اضطرتها للتقهقر من حيث أتت (١) . ولقد كانت القبائل تخوف من فمار تلك المعارك الضاربة في ظروف سيئة غير مشجعة ، فالموون قليلة ومعاملة بعض الضباط الترك تتسم بالغلظة والبعد عن الحكمة (٢) . اذ ان احدهم حين رأى تراجع أفراد القبائل تحت ضغط نيران المدفعية البريطانية الحامية من موقع كانوا قد احتلوه ، كف عن قصف القوات البريطانية وسـول مدفعيته لقصف ابناء القبائل المتراجعين (٣) . ولا ريب أن أمثال تلك التصرفات الطائشة كانت تترك أسوأ الاثر في نفوس ابناء القبائل وتثبط من عزائمهم .

ولم تكن مجريات الاحداث في جبهة عربستان مختلفة كثيرا عما حدث في الجبهتين السابقتين ، فقد كان لدعوة الجهاد صدًى واسع بين قبائل تلك المنطقة ، حتى لقد قيل أن تأثير الدعوة هناك كان أوسع من مثله في العراق (٤) ، سيما وقد وصل لتلك الانحاء بعض علماء الدين من كربلاء

(١) الزوراء ، السنة ٤٧ ، المعداد ٢٥١٥ ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ .

(٢) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٤ .

(٣) Barker, op.cit., p. 70

(٤) Wilson, op.cit., p. 23.

والنجف لتخريض قبائلها على المساهمة في الجهاد (١) . ورغم تأثير اولئك العلماء الا أنه يمكن القول ان الشخصية الرئيسية في حركة الجهاد في عريستان كانت شخصية غضبان بن بنيه شيخ قبائل بني لام ، والذي بلغ به الحماس ان اعلن منح مكافأة تتألف من عدة قطع ذهبية لكل من يأتيه برأس جندي بريطاني او هندي (٢) . ويتناقض هذا الحماس مع ما روى من أن غضبانا ما لم قبل ذلك للتفاهم مع البريطانيين ، وكان واسطة ذلك التفاهم هو الشيخ خزعل شيخ المحمرة ، ولكن الوسيط ما طل غضبانا وسوف في وعوده مما أحسق المذكور وجعله يضع نفسه تحت تصرف السلطات العثمانية التي وعدته بتوليته على لواء العمارة مقابل تعاونه معها . (٣)

ولقد كانت نواة القوات العاملة في جبهة عريستان تتكون من كتيبتين تضمان ألفا وخمسمائة جندي ومائة فارس ومدفعي ميدان ، أوكلت قيادتها الى محمد فاضل باشا الداغستاني القائد التركي الذي كان في السبعين من عمره (٤) . وكان هدف تلك القوة هو كسب تعاون قبائل المنطقة للسيطرة على أنابيب النفط التي تمتد من حقول الانتاج الى مصفاة عبادان على شاطئ العرب ، ثم النزول مع نهر الكارون لتهديد مركز القوات البريطانية في شط العرب (٥) . وأثناء مرور هذه القوة في العمارة انضم لها غضبان

(١) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٩٢ .

(٢) Wilson, op.cit., p. 29.

(٣) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٢ .

(٤) Wilson, op.cit., p. 27.

(٥) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٤ .

ومن تبعه من القبائل وتوجه الجميع شرقا (١) ، حتى وصلوا الى مبعدة عشرين ميلا الى الغرب من مدينة "الأهواز" في الاسبوع الثاني من فبراير ١٩١٥ م (الاسبوع الاخير من ربيع الاول ١٣٣٣ هـ) (٢)

وعندما توغلت تلك القوة في أراضي عربستان على ذلك النحو انضمت لها القبائل العربية القاطنة هناك (٣) ، حتى بلغ مجموع أفراد القبائل المتعاونين مع القوات النظامية بين ثلاثة وخمسة الاف رجل على اختلاف في التقديرات (٤) . وقد أخذت تلك القوة زمام المبادرة في الهجوم فاندفعت منحدرة مع نهو الكارون باتجاه مدينة المحمرة ، ولكن القوات البريطانية استطاعت صدها فتراجعت نحو الأهواز (٥) . ثم شن عليها البريطانيون بعد ذلك الهجوم وجرت بين الطرفين معركة الامينية على بعد حوالي عشرة أميال من الأهواز ، حيث شنت القوات النظامية والقبائل للهجوم ، فأضطر المهاجمون الى التراجع بعد أن تركوا في ساحة المعركة كثيرا من معداتهم الحربية (٦) . وازافة الى ذلك خسروا اثنين وستين قتيلًا ومائة وسبعسة وعشرين جريحًا ، وكان العامل الرئيسي في ذلك النصر يعود الى قسوة

(١) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٣ .

(٢) Wilson, op.cit., p. 27.

(٣) الندواني مرجع مر ذكره ، ص ١٣٣ .

(٤) Wilson, op.cit., p. 33.

(٥) Glubb, J.B., Britain and the Arabs, London, 1959, p. 96.

(٦) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٣ .

الغزاة المحتلين من مناطق البصرة وماجاورها . ويجب القول هنا أن حركة الجهاد بحد ذاتها لم تخفق ، إذ هي استطاعت أن تستقطب أعدادا كبيرة من المجاهدين ، وتدفعهم إلى ميادين المعارك مستعدين للموت في سبيل دينهم ووطنهم ، حيث وضعوا أنفسهم تحت تصرف القيادة العثمانية التي لم تحسن الاستفادة منهم ، ولو توفر لهم مستلزمات القتال الكافية ، ولا وضعت لهم الخطط الحربية السليمة بما يكفل تحقيق الغرض الذي جاءوا من أجله ، فالأخفاق إذن كان أخفاقا للقيادة العسكرية والسياسية العثمانية بالدرجة الأولى .

وقد ترتب على ذلك الفشل مرارة جديدة أضيفت لطعم العلاقات بين القبائل والسلطات العثمانية (١) ، كان من عواملها ما أشرفنا إليه سابقا من احتكاكات جرت بين بعض الضباط الترك وبعض المشايخ . وقد عكست تلك الاحتكاكات عدم فهم الترك لنفسية أبناء القبائل العرب رغم حكمهم الطويل للمنطقة ، إذ ظلوا رغم كل تجاربهم يكتنون في أعماقهم احتقارا للعربي بل ولكل أبناء العناصر غير التركية (٢) . ورغم ما في هذا الرأي من مبالغة جرأها تحامل كاتبه البريطاني ، إلا أن ضابطا تركيا عبر عن ذلك الاحتقار بصراحة متناهية لمحدثيه البريطانيين (٣) . ولم يقف الأمر عند حدود المشاعر فقط ، بل تجسد في ممارسات عملية أحيانا ، فحين أرسل " حسين رهوف بك " على رأس كتيبة من الجند نحو الحدود الإيرانية عبر العراق ، أساء معاملته كل القبائل التي مر في ديارها ، مما أضطرها للشورى على تصرفاته الطائشة

Longrigg, op.cit. p. 85. (١)

Wilson, op.cit., p. 72 (٢)

Barker, op.cit., p.222. (٣)

فأصطدمت معه في شعبان ١٣٣٣هـ/يوليه ١٩١٥م وكبدته حوالي مائة قتيل من قوته (١) .

أدت تلك التصرفات واشباهها الى استثارة مكان الحقد الدفين في نفوس أبناء القبائل على القوات العثمانية، سيما وقد ظهر لهم بشكل مباشر مجز تلك القوات من صد القوات البريطانية الغازية فأستهانوا بها . ثم انقلبت تلك الاستهانة تدريجيا الى مضايقة، فأخذ بعض أفراد القبائل يهاجمون من انفراد من وحدته من افراد الجيش العثماني المارين عبر ديارهم لسلب اسلحتهم واموالهم، حتى أصبح اولئك الجنود بين نارين : نار القبائل التي تعترض طريقهم ونار القوات البريطانية التي كانت تطاردهم على حد قول ضابط عثماني عاش تلك الاحداث بنفسه (٢) .

وزاد في تأجيج مشاعر السخط في نفوس الناطقين من أبناء القبائل ما حدث في مدينة النجف ذات المكانة الدينية المهمة في نفوس أبناء الشيعة (٣) . فقد أشتط قائمقام تلك المدينة في مطاردة المجنديين الذين فروا من الخدمة في الجيش اثر هزيمة الشعبية، حتى انه فتش بيوت المدينة بحثا عنهم، مما أثار نكمة السكان فأصطدموا مع القوات الحكومية في قتال دموي استمر ثلاثة أيام بلياليها (٤)، انتهى بانتصار الاهليين

(١) الاسدي، مرجع مذكور، ص ٩٢ .

(٢) علي جودت، مصدر مذكور، ص ٣٤ .

(٣) Wislon, op.cit., p. 23.

(٤) الاسدي، مرجع مذكور، ص ٩٣ .

واخراج الحامية العثمانية والموظفين من المدينة في العاشر من رجب
 ١٣٣٣هـ / ٢٣ مايو ١٩١٥م (١). وقد تدخل بعض رؤساء القبائل فأرسلوا
 وفدا استطاع اقناع أهالي المدينة بالموافقة على ابقاء وجود رمزي للحكومة
 في مدينتهم يتصل بعودة القائمقام ومعه حرس صغير (٢). ورغم هذا الحل ،
 الا أن تلك الحادثة تركت أثرا سيئا في نفوس بعض علماء الدين في كربلاء
 والنجف ، حتى أنهم أرسلوا في سبتمبر ١٩١٥م (ذي القعدة ١٣٣٣هـ) للسير
 برسي كوكس عارضين اعلان البراءة من الولاة للترك ، ولكنهم أشرطوا
 شروطا "خيالية جدا" مقابل ذلك ، فأكتفى كوكس بأرسال هدايا من
 المال ردا على عرضهم (٣). ولم يوضح لونغريك الذي انفرد بالرواية ماهية تلك الشروط.

وجب القول هنا ان انتشار المجاعة خلف الخطوط العثمانية فـ

في تلك الوقت ساعد بلا ريب على انتشار النقرة في صفوف القبائل في العراق (٤).
 ولكن تلك النقرة لم تكن شاملة للجميع ، فقد ظل قسم لا يستهان به من القبائل
 على ولائه للحكومة العثمانية . كما لا يجب أن يتبادر الى الذهن ان القبائل
 التي انقلبت على العثمانيين انضمت آليا للجانب الاخر ومنحت تأييدها
 الى البريطانيين ، فسيوضح لنا عما قليل ان أغلبية تلك القبائل ظلت تنظر
 بعداء للغزاة ذوي العادات وطرائق العيش الغربية عنها كلية (٥). هذا

(١) عبد الرزاق الحسني ، ثورة النجف ، ط ٤ ، صيدا ، ١٩٨٢م ، ص ٣٠.

(٢) الاسدي ، مرجع مر ذكره ، ص ٨٨.

(٣) Longrigg, op.cit., p. 85.

(٤) نظمي ، مرجع مر ذكره ، ص ٥٢.

(٥) Wilson, op.cit., p. 35.

على الرغم من أن ما حصل بعد هزيمة الشعبية قد أغرى بعض المتريدين من شيوخ القبائل بالانضمام الى جانب بريطانيا (١)، بعد أن كانوا أول الأمر يخشون اتخاذ مثل هذه الخطوة خوفا من انتصار القوات العثمانية في تلك المعركة.

موقف القبائل من تحركات القوات البريطانية في لواء المنتفق :

أملت الضرورات الاستراتيجية على القيادة البريطانية في البصرة اتخاذ قرارها بأحتلال مدينة الناصرية لانها أنة امكانية أمام القوات العثمانية للانطلاق منها لتهديد البصرة (٢). كما أن تلك القيادة افترضت أن أحتلال تلك المدينة سوف يجعل قبائل المنتفق تعيل، للهدوء بما يقضى على أية امكانية لتعاونها مع القوات العثمانية كما حدث قبل معركة الشعبية (٣). ولذلك تقرر أن يتم سوق القوات البريطانية من القرنة الى الناصرية عبر هور الحمار ونهر الفرات الذي كان فيضانه في تلك الاثناء فيضانا استثنائيا يسهل حركة القوات البريطانية (٤). وفعلا أنطلقت تلك القوة في السابع والعشرين من يونيه ١٩١٥م (الرابع عشر من شعبان ١٣٣٣هـ) نحو هدفها (٥).

(١) شبكه، مرجع مر ذكره، ص ١٢٢.

(٢) Barker, op.cit., p. 90

(٣) Buchanan, op.cit., pp. 15-18.

(٤) Barker, op.cit., p. 91.

(٥) Buchanan, op.cit., p. 17.

ولقد كانت كل التقارير المتجمعة لدى القيادة البريطانية تشير إلى أنها ستلقى مقاومة من القبائل القاطنة على طريقها أكثر مما ستلقى من مقاومة الجيش النظامي العثماني (١) ، وذلك هو ما حدث بالفعل ، فبالإضافة إلى أفراد القبائل الذي كانوا يترصدون بالقوات البريطانية المارة عبر هور العمار فيتصيدون أفرادها ويسلبونهم (٢) ، وجد البريطانيون حين وصولهم إلى قرية "العكيكة" عند طرف الهور الشمالي أن أبناء قبائل المنطقة يحتلون بساتين النخيل ويصدونهم عن التقدم ، ولم تجد محاولة البريطانيين اقناعهم بالانسحاب ليفسحوا لهم المجال للصدام مع القوات العثمانية التي كانت تحتشد خلفهم (٣) .

ولم تكن تلك القوات النظامية تقف لوحدها ، بل كان يحتشد معها أيضا لصد تقدم القوات الغازية عدد من أفراد القبائل برأسة عجمي باشا السعدون (٤) ، الذي كان قد انسحب بعد هزيمة الشعبية إلى الخميسية وأقام بمعاونة بعض القوات العثمانية خطا دفاعيا هناك توقعوا لتقدم قوات الغزو من جهة البر ، ولكن الاخبار وصلتهم بأن العدو يتقدم عن طريق النهر فأنضموا عندها إلى القوات العثمانية المتمركزة في العكيكة (٥) ، وقد نال عجمي نتيجة استمراره في الولاء تقدير وتكريم السلطات العثمانية التي منحت له رتبة "ميرمران" (٦) .

(١) Wilson, op.cit., p. 54.

(٢) Branddon, op.cit., p. 53.

(٣) Wilson, op.cit., p. 54.

(٤) على جودت ، مصدر مر ذكره ، ص ٣٤ .

(٥) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٥٧ .

(٦) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥١٧ ، ١٣ رجب ١٣٣٣ هـ . ومير ميرمران كلمة فارسية الأصل تركية التركيب ، تعني باللغة العربية أمير الأمراء ، راجع : لغة العرب ، السنة ٥ ، ج ١ ، ص ٣٣ .

ولقد أستطاعت القوات العثمانية النظامية والقبائل الصمود في العكيكة ورد الهجمات البريطانية (١) ، الى أن تمكن البريطانيون من الالتفاف حول الخطوط العثمانية فأضطر الجيش العثماني للانسحاب من العكيكة وسوق الشيوخ خوفا من التطويق . وقد انفرد البعض بالإشارة الى أن من سبب للبريطانيين عملية الالتفاف هو " فرهود المغشفش " شيخ عشيرة " بنو خيقان " (٢) . وترجح صحة هذه الرواية وثيقة بريطانية أشادت بالمساعدة التي قدمها فرهود لقوات الاحتلال ، وقالت انه ربط مصير تلك القوات ، ولكنها لم تحدد نوعية الخدمات التي قام بها (٣) . ومقدر ما حققت القوات البريطانية بأحتلالها العكيكة والسوق من اندفاع للأمام ، بقدر ما زاد قلقها من التهديد الذي تشكله القبائل على عطوطها الخلفية . سيما وان القبائل لم تتعرض كالقوات النظامية لهزيمة على يد البريطانيين ، بل خرجت من العمليات الحربية بالمزيد من البنادق والذخيرة التي يتركها الجيش العثماني وراءه ، وذلك ما جعل القوات البريطانية عرضة للتطويق لو استطاع الترك الحصول على معاونة فعالة من تلك القبائل على حد قول احد المسئولين البريطانيين

(١) الزوراء ، السنه ٤٧ ، العدد ٢٥٢٣ ، ٢٥ شعبان ١٣٣٣ هـ .

(٢) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٥٧ ، وبنو خيقان عشيرة منضوية تحت لواء ثلاث بنى مالك من قبائل المنتفق ، ويقال انها تركية الأصل ، وهي تقطن المنطقة الواقعة جنوب سوق الشيوخ في نواحي العكيكة وكربة بنى سعيد والجبايش ، راجع : العزاوي ، عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(٣) IOR, L/p+s/10/458, No. 50, Office of the P.O., Basra, (٣) to the Officer in Charge, Cairo Section, Eastern Bureau, Sept. 9, 1916.

الذين شاركوا بالزحف نحو الناصرية (١) .

ويبدو أن ذلك، الوضع ، وما كان يقوم به افراد القبائل من غارات صفيرة على خطوط المواصلات البريطانية قد أثار حنق البريطانيين ضد أولئك الرجال البواسل الذين لم يكونوا في نظرهم أكثر من لصوص قتلة يتصفون بالخدر والجشع (٢) . ولذلك فلاعجب أن صب أفراد القوات البريطانية جام فضيهم على من يقع بأيديهم من أبناء القبائل حيث كانوا لا يتورعون من ضربهم وسلبهم أو التسلي بأطلاوة النار عليهم وحرق قراهم . (٣) وقد أثرت كل تلك الاعمال الوحشية على موقف عامة الناس من ذلك الجيش الغازي ، حتى أن العمال البسطاء امتنعوا عن القيام بأداء الخدمات اللازمة له خلال زحفه نحو الناصرية (٤) . وتناقض الشهادة السالفة التي أدلى بها مسئول بريطاني عاش الاحداث بنفسه ماقاله كاتب بريطاني متأخر من أن ولا تلك القبائل أمر قابل للشراء (٥)

اندفعت القوات البريطانية من سوق، الشيوخ نحو الخطوط الدفاعية الحصينة التي أقامها العثمانيون في " المجينية " الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات جنوب الناصرية والتي كان يدافع عنها أربعة الاف ومائتا جندي

(١) Wilson, op.cit., p. 57.

(٢) Ibid., p. 54.

(٣) Branddon, op.cit., p. 52.

(٤) Wilson, op.cit., p. 57.

(٥) Barker, op.cit., p. 91.

نظامي وستة مدافع وعدد كبير من أبناء القبائل ، في حين كانت القوات المهاجمة تضم أربعة آلاف وستمئة رجل وستة وعشرين مدفعا (١) . ومع تفوق المهاجمين في التسليح استعصى عليهم اختراق الخطوط الدفاعية العثمانية رغم تكرار الهجمات ، مما أضرهم للقيام بحركة التفاف عبر الهور خلف خطوط القوات العثمانية (٢) . وهذا أضر العثمانيون بالانسحاب الى الكوت عبر الشطرة ، ودخل البريطانيون الناصرية في الخامس والعشرين من يوليو ١٩١٥ (الثالث عشر من رمضان ١٣٣٣ هـ) (٣) .

وفي أثناء ما كانت المناوشات تدور حول " المجينية " ، كانت قوات عجمي تقوم بنشاط آخر ، فقد انسحب عجمي من المجينية بناء على أمر من القيادة العثمانية وعاد الى الخميسية حيث أكلت لقواته هناك مهمة السيطرة على الطرق الصحراوية الممتدة من الشعبية والزبير نحو الناصرية (٤) . وبدون أن تلك القوات أخذت تقوم أيضا بشن الهجمات على خطوط العدو الممتدة عبر هور الحمار ، وصد الهجمات البرية التي حاول العدو شنّها على الخميسية (٥) وقد جعلت نشاطات عجمي تلك البريطانيّين يفكرون في وسيلة للتخلص من خطره ، فأستطاعوا اغراء أخيه الأكبر وأحد أبناء عمه بالتعاون معهم ضده

(١) Wilson, op.cit., p. 60.

(٢) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٠

(٣) Wilson, op.cit., p. 61.

(٤) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٥٩

(٥) الزورا ، السنة ٤٧ ، ٢٥٢٥ ، ١٠ ، رمضان ١٣٣٣ هـ .

فذهب هذان الرجلان الى قاعدة عجمي في الخميسية أثناء ما كان خارجهما وحاولا السيطرة عليها ، ولكن عجمي عاد مسرعا حين وصله الخبر واستطاع الرد هما من قاعدته (١) . كما لجأ البريطانيون الى وسيلة أخرى لضعافه وهي تأجيج الصراعات القديمة التي كانت سائدة قبل الحرب بينه وبين بعض العشائر ، فقد قاموا بتسليح البدور والغزى والضمير بالأسلحة والذخائر الحربية للوقوف بوجهه . (٢)

ولم يعن سقوط مدينة الناصرية بيد البريطانيين انهاء حركة المقاومة القبلية في المنتفق ، بل العكس هو ما حدث ، إذ أصبحت الحامية البريطانية في الناصرية والمؤلفة من ثلاث كتائب مشاة (٣) ، شبه محاصرة في تلك المدينة ولا تتعدى سيطرتها حدود المدينة والأراضي المجاورة لها مباشرة على ضفتي النهر (٤) ، كما أصبح تأمين خطوط مواصلاتها النهرية مع البصرة شاقلا كبيرا للقيادة البريطانية (٥) . وفي خلال ذلك كانت القبائل التي تحدد بالمدينة تشن الغارات العنيفة على مواضع العدو والمتقدمة وتعود محملة بالغنائم (٦) ، مما كان يضطر القوات البريطانية للرد بأسلوب مماثل وهو الخروج في حملات سريعة لمعاكبة عشيرة ما في المنطقة المجاورة

(١) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢٦ .

(٣) Millar, op.cit., p. 64.

(٤) Wilson, op.cit., p. 79.

(٥) Buchanan, op.cit., p. 31.

(٦) الزوراء ، السنة ٤٧ ، العدد ٢٥٣٣ ، ٧ ذي القعدة ١٣٣٣ هـ .

للمدينة ثم العودة ثانية (١) . وقد انتهت جرتروود بل الدسائس والأموال التركية - الألمانية بتأجيل حالة العداء بين قبائل المنتفق ضد الوجود البريطاني هناك ، وأضافت أن الذي ساعد على نجاح تلك الدسائس هو الوجود العسكري العثماني القريب من مدينة الناصرية حتى لقد كان يمكن رؤية المخافر العثمانية المتقدمة من تلك المدينة ، بالإضافة الى ما سببته حالة الحصار الاقتصادي من أزعاج للقبائل التي قل في نفس الوقت انتاجها من الارز لعدم توفر الماء الكافي (٢) .

أما عن الاوضاع في المركز الاداري والقبلي الثاني في لواء المنتفق وهو مدينة الشطرة ، فإن أفراد العشائر المحيطة بها ما أن سمعوا بسقوط البصرة بيد الغزاة حتى هبوا لمحاصرة القوة العثمانية الموجودة في المدينة ثارا لما جرى من وقائع سبق أن المصابها (٣) . ولكن غيبن العبيد شيخ عشيرة العبود استطاع أن يكف ايدي الثائرين ، ويدير اخراج الموظفين والعساكر من المدينة وتفسيرهم لهنداد ، فأصبحت الشطرة هادئة تحسبت حكمه . ثم تبع ذلك قيام حركة الجهاد ومساهمة عشائر الفراف بها ، وما أعقبها من سقوط الناصرية بيد الغزاة وانسحاب القوات العثمانية منها نحو الشطرة حيث لم يطل مكثها هناك ، وإنما انسحبت نحو الكوت بعد أن صدر قرار حكومي بتعيين شيخون العبيد قائما للمدينة في رمضان ١٣٣٣ هـ / يولييه ١٩١٥ م . وقد عاد النفوذ العثماني للقوة في منطقة الفراف في أوائـل سنة ١٣٣٤ هـ / اواخر سنة ١٩١٥ م حين استطاعت الجيوش العثمانية محاصرة

(١) Buchanan, op.cit., p. 81.

(٢) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٧ .

(٣) انظر الفصل الاول ، ص ص ٢٢٥ - ٢٢١

البريطانيين في الكوت ، سيما وان العثمانيين كانوا قد أوفدوا للمنطقة القائد مظهر باشا الشرکسى ومعه بعثة دينية من النجف برئاسة السيد على التبريزى لحث العشائر على الولاء للحكومة ، وقد أدى التأثير الدينى مقرونا بالهدايا والأموال دورا كبيرا فى كسب ود شيوخ تلك العشائر . (١)

واذا كان موقف تلك العشائر نحو العثمانيين قد شابه قدر من عدم الولاء ، فان موقفها من البريطانيين كان عداوا صريحا لا لبس فيه . اذ لما حاول البريطانيون ارسال نجدة من الناصرية عبر الخراف لمحاولة فك الحصار العثمانى من قواتهم فى الكوت ، تجمعت عشائر المنطقة حتى بلغ عددها سبعة عشر ألف رجل واشتبكت مع تلك النجدة فى قتال بلغ من عنفه وشراسته أن استخدم فيه السلاح الابيض (٢) . فأضطرت تلك القوة للتوقف فى ربيع الاول ١٣٣٤هـ / يناير ١٩١٦م وأخير قائدها الجنرال غورنج Goringe مقر القيادة العامة بأن عشائر الخراف تقف سدا منيعا أمام تقدم قواته نحو الكوت . ففوضته القيادة بالانسحاب الذى لم يدخل من صدام آخر . اذ هاجمت قوة من العشائر تضم خمسة آلاف رجل القوات المنسحبة وكبدتها ثلاثمائة وثلاثة وسبعين قتيلاً بينما خسرت العشائر حوالى ألف شهيد (٣) .

وهكذا ظلت منطقة الخراف وعشائرها بعيدة عن السيطرة البريطانية الى أن دخلت القوات البريطانية بقيادة الجنرال مود Maude بغداد فى جمادى الاولى ١٣٣٥هـ / مارس ١٩١٧م . فأنصرفت السلطات البريطانية

(١) الطاهر ، مصدر مر ذكره ، ص ٣٧٨ - ٣٨٠ .

(٢) محمود ، مرجع مر ذكره ، ص ٢١٢ .

(٣) قباض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦٤ .

لمعالجة هذه المشكلة، وأصبحت عملية إخضاع العشائر في منطقة الخراف تشغل حيزاً كبيراً من اهتمامها. فلقد حدد نائب الملك في الهند في برقية أرسلها لرئيس الضباط السياسيين العرب برسي كوكس المهتم بالحاجلة لقوات الاحتلال بعد سقوط بغداد، ومن بينها إخضاع القبائل في المنطقة الممتدة بين الكوث والناصرية، ولكن نائب الملك اشترط أن يتم ذلك الإخضاع باتباع الوسائل السياسية. (١)

وكما كانت مشكلة الخراف تبرز، السلطات البريطانية في هذا الوقت، فإن زعماء تلك المنطقة كان يؤرقهم من جانب آخر الوضع الذي آلوا إليه بعد دخول البريطانيين بغداد. فقد عشى خيون العبيد من انتقام السلطات البريطانية وفضل مغادرة الشرطة إلى أراضي " بني ركاب" للاحتياط بالشيخ عبدالله الفالح السعدون الذي كان يقيم هناك رافضاً الخضوع للسلطة المحتلة (٢). ولكن توطد دعائم الاحتلال البريطاني في العراق وانعدام الأمل في عودة الترك إليه جعل عبدالله يفكر في الاستسلام للسلطات المحتلة، غير أنه لم يشأ أن يكون استسلامه غير مشروط، فأخذ منذ أوائل سنة ١٩١٨م (١٣٣٦هـ) يفاوض السلطات البريطانية ممثلة في العرب برسي كوكس (٣). وارجح أن تلك المفاوضات تمت عن طريق قريبه ومستشاره " ضاري الفهد السعدون " الذي وصل لبغداد في ربيع الثاني ١٣٣٦هـ /

IOR, L/p+s/10/516, No. 389 S, Viceroy to Sir, P. Cox, (١) Apr. 26, 1917.

(٢) الطاهر، مصدر مذكور، ص ٣٨٠.

(٣) Dickson, Kuwait..., pp. 218-219.

يناير ١٩١٨ م وحل ضيفا على الحاكم الملكي العام لمدة ثمانية عشر يوما قبل أن يعود أدراجه الى الناصرية (١). والظاهر أن تلك المفاوضات لم تسفر عن نتيجة فقد ظل عبدالله الفالح متمنعا عن الخضوع للسلطة المحتلة حتى يناير ١٩١٩ م (ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ) (٢).

وحين مال عبدالله الفالح الى التفاوض ، حذا نزله "خيون العبيد" حذوه فسافر الى بغداد برفقة ضاري في رحلته سالفة الذكر . ويبدو أن حظه مع السلطات البريطانية لم يكن كحظ صاحبه ، فقد أعادت تلك السلطات تعيينه حاكما على الشطرة . ولعل سبب ذلك هو التطورات التي حدثت في مدينة الشطرة بعد مفادرتة لها ، إذ عين البريطانيون أحد منافسيه لإدارة المدينة ولكنه أخفق في احكام سيطرته على عشائر المنطقة التي انقسمت بين مويد له ومويد لخيون وقامت بينها المعارك (٣) . وهكذا عاد خيون لحكم مدينة الشطرة مرة ثانية ولكن تحت السيادة البريطانية هذه المرة ، ورغم ذلك فلأن القوات البريطانية لم تدخل الشطرة بالفعل الا في يناير ١٩١٩ م (ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ) (٤)

ولو انتقلنا من جانب "الجزيرة" عبر الفرات الى جانب "الشامية" ، لوجدنا أن حركة المقاومة ضد البريطانيين بعد احتلال الناصرية ظلت مشتعلة الاوار يقود لواءها عجمي باشا السعدون ، الذي رحل بعد سقوط الناصرية

(١) العرب، السنة ٢، المجلد ٢، العدد ٢٠، ١١ ربيع الثاني ١٣٣٦ هـ/ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٨ م، ص ٢.

(٢) Dickson, Kuwait..., p. 219.

(٣) الطاهر، مصدر مذكور، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٤) Dickson, Kuwait..., p. 219.

من " الخميسية " الى " الرملية " وهى نقطة تتوسط بين السماوة و" الخضر " (١) . ومن مقره الجديد واصل عجمى محاولات لاستقطاب القبائل وحشد لها للوقوف الى جانب العثمانيين ، حيث اصاب فى هذه الفترة بعض النجاح مع قبائل البادية حين انضم له قسم من قبيلة الصجمان التى كانت قد رحلت من ديارها فى الاحساء أو آخر سنة ١٩١٥م (أوائل سنة ١٣٣٤هـ) واتجهت نحو أطراف العراق (٢) . ولكن جهوده مع القبائل المتوطنة لا يبدوا انها لاقت نفس النجاح ، فبالرغم من الاحوال التى استمرت يلقاها من الترك ، ودعايته التى تركزت على كفر البريطانيين فقد أفست جهوده لامبالاة القبائل والدعاية البريطانية المضادة (٣) .

ولم تقتصر فعاليات عجمى فى هذه الفترة على الدعاية للعثمانيين فقط ، بل أستمرفى العمليات الحربية ، فحين حاول البريطانيون التقدم من الناصرية نحو الشمال ، ترك بعض القوات قاعدته فى " الرملية " بقيادة أخيه سمود وتوجه ومن معه الى نهر الفرات لصد القوة البريطانية المتقدمة على ظهور السفن (٤) . وكانت تلك القوة تضم بعض أبناء القبائل المواليين لبريطانيا يقودهم " على المنصور السعدون " ، فنشبت معركة عنيفة بين الطرفين أصيب خلالها على

(١) النبهانى ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٠ . والخضر مدينة صغيرة تقع على ضفة نهر الفرات اليسرى على بعد حوالى ثمانية أميال جنوب مدينة السماوة ، وهى مركز ناحية تتبع اداريا قضاء السماوة ، وسميت بالخضر نسبة لضريح الخضر الموجود بها ، راجع :
لوريمر ، مرجع مر ذكره ، القسم الجغرافى ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) IOR.R/15/5/25, No. C-3 of 1916, P.A., Kuwait, to P.R in the P.G., Feb. 2, 1916.

(٣) Longrigg, op.cit., p. 85.

(٤) النبهانى ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٠ .

السعدون بعدة جراح ، كآفاته عليها السلطات البريطانية فيما بعد بمنحه "وسام الهند للخدمة الممتازة" (١) . وفي أثناء ذلك كانت قوة برية بريطانية تضم بعضا من الضعيف والهدور تزحف نحو الرملية ، ولكن المدافعين عنها استطاعوا صدّها أيضا ، فأضطرت القوات البريطانية بعد ذلك لاستخدام الطائرات لقصف قاعدة عجمي في الرملية . (٢)

ولقد ظل عجمي في موقعه على أطراف الصحراء يتعاون مع أمير حائل ابن الرشيد في تهريب المواد الغذائية إلى القوات العثمانية مخترقا أسوار الحصار الاقتصادي الشديد الذي فرضته السلطات البريطانية ، مما جعل تلك السلطات ترد على أنشطته العدائية تلك بمصادرة أراضيه الزراعية وأراضى أقاربه المؤيدين له (٣) . ولكن ذلك لم يؤثر عليه بل استمر في ولائه للدولة العثمانية التي تخرج موقف قواتها في دجلة أوائل سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ) فأضار عجمي عندها لنقل مقره من الرملية لأطراف النجف (٤) . وحتى حين سقطت بغداد في جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / مارس ١٩١٧م وانسحبت القوات العثمانية نحو الشمال ، ظل عجمي على اتصال معها عبر الصحراء ولم يدع شروعا في تأليب قبائل البادية ضد البريطانيين (٥) . ولم يستجب (١) العرب ، السنة ١ ، العدد ١٢٥ ، ١١ ربيع الأول ١٣٣٦هـ / ٢٥ كانون الأول ١٩١٧م ، ص ٢ .

(٢) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦٠ .

(٣) Philby, H. ST.J.B., Arabian Days, London; 1948, p.115.

(٤) النبهاني ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦١ .

(٥) Wilson, op.cit., p.269.

خلال ذلك، لعرض تلقاه من الضباط العراقيين المنتمين الى " جمعية العهد " (١) وفحواه الانفصال عن العثمانيين وتكوين نواه لجيش عراقي مستقل، كما لسم تغره الرشوة البريطانية التي عرضت عليه والبالغة مائتي الفدرويه (٢). وأخيرا وبعد اعلان هدنة مدروس بين العثمانيين والحلفاء في الرابع والعشرين من محرم ١٣٣٧هـ/ الثلاثين من اكتوبر ١٩١٨م انسحب الى الاناضول حيث منحه السلطات التركية اقطاعات واسعة هناك (٣) ورفض في سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م عقودا كاملا منحه آياه سلطات الاحتلال البريطاني في العراق (٤)، فضلا ان يعيش في ظل حلفائه القدماء الى أن وافته المنية سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م (٥).

موقف القبائل من تقدم القوات البريطانية في لواء العمارة :

قررت القيادة البريطانية احتلال مدينة العمارة، واوكلت تنفيذ ذلك لقوة نهريه اتخذت من القرنة قاعدة لها، ولما استكملت استعداداتها انطلقت في اخر مايو ١٩١٥م (السابع عشر من رجب ١٣٣٣هـ)، وقد نجحت تلك القوة في تحقيق هدفها، فدخلت مدينة العمارة بعد ثلاثة أيام، دون أن تلقى

(١) جمعية سرية أسسها في استانبول في اوائل ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م عزيز علي المصري، واقتصرت عضويتها على الضباط العرب المائلين في الجيش العثماني وكان جلهم من العراقيين، راجع: جورج انطونيوس، بقطة العرب، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٩٧.

(٢) محمود، مرجع مر ذكره، ص ٢١٧.

(٣) النبهاني، مصدر مر ذكره، ص ١٦٤.

(٤) Wislon, op.cit., p. 19.

(٥) فياض، مرجع مر ذكره، ص ١٥٨.

أية مقاومة من القبائل المقيمة على ضفتي نهر دجلة بين القرنه والعمارة (١) . ولا يدعو ذلك للاستغراب اذا عرفنا ان أبرز شيخين في تلك المنطقة وهمما عربيي الوادي ومجيد الخليفة كانا قد انفصلا عن القوات النظامية والقبلية التي كانت تستعد للدفاع عن القرنة قبل سقوطها بأيدي البريطانيين وماداً الي ديارهما . واغذا يكاتبان من هناك رئيس الضباط السياسيين السمر برسي كوكس ولذلك أظهرها بعد احتلال البريطانيين مدينة العمارة فرحاً كبيراً (٢) . ويجدر التنبيه هنا الى ضرورة تلمس أسباب مثل تلك المواقف في الوعي المتدنئ الذي يحل المصالح القبلية الضيقة فوق ماعداها .

وهكذا فقد وجدت القوات الخازية تعاطفا واضحا من بعض قبائل لواء العمارة ، لم يقف عند حدود عدم مقاومتها فقط ، بل تعدى ذلك الى التعاون الايجابي معها . فقد أقدم بعض أبناء تلك القبائل على أداء بعض المهام الحربية للقوات البريطانية لقاء ما تمنحهم أياها من مكافآت مالية (٣) . ولكن ذلك التعاطف لم يكن واضحا في اوساط القبائل القاطنة شمال مدينسة العمارة ، والعامل الاساسي في ذلك هو موقف غضبان البنية شيخ بنى لام . فعلى الرغم من حدوث احتكاكات بينه وبين القوات العثمانية أدت لانفصاله عنها أثناء عملية الانسحاب من عربستان ، الا أنه تجنب دخول مدينة العمارة التي احتلها البريطانيون واتجه الى الشمال نحو قرية كميت (٤) . وسقط

(١) Wislon; op.cit., p. 19.

(٢) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ١٦ .

(٣) تشارلس طونزند ، محاربتى في العراق ، ترجمة عبد المسيح وزير ، بغداد ، ١٩٢٣ ، ص ٦٢ .

(٤) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٣ .

عشرين الف رجل من أتباعه ، والقي وجوده هناك ضغطا على شيخ كميست وهو من بنى لام أيضا ، وكان ميالا للتعاون مع البريطانيين لولا وجود غضبان بقره (١) . ونتيجة لذلك الموقف الميال الى العداء شمال مدينه العمارة مباشرة ، فإن الوجود البريطاني هناك كان غير فعال من الناحية الادارية (٢) .

ومن اجل معالجة هذه المشكلة حاولت السلطات البريطانية فى العمارة التفاهم مع غضبان ، ولدينا روايتان عن تلك المحاولة ، تقول الاولى أن السلطات البريطانية أوكدت ضابط الاستخبارات المعروف ليتشمان الى محل اقامة غضبان حاملا معه ثلاثمائة الف روبية قدمها له ، فرفض غضبان الهدية قائلا : اننى لست بحاجة الى المال واذا كان فرضكم هونيل صداقتى فأنى امنحكم أياها دون مقابل . (٣) أما الرواية الثانية فتفيد بأن غضبان دعى للحضور الى مدينة العمارة ، وان كل ما كان يهمه بعد وصوله لها هو المساومة على ما ستدفعه له السلطات البريطانية لقاء تعاونه معها . ومضت هذه الرواية بالقول ان الاتفاق أوشك أن يتم بين الطرفين لولا أن علم غضبان بأن البريطانيين يشترطون لاتمام الصفقة ابقاء أبنه فى مدينة العمارة ليكون شبه رهينة بأيديهم ضمانا لتنفيذ غضبان شروط الاتفاق ، وقد رفض غضبان قبول هذا الشرط رفضا حازما وعاد الى كميست (٤) ولكن

(١) Barker, op.cit., p. 104.

(٢) Wilson, op.cit., p. 79.

(٣) الندوانى ، مرجع مذكوره ، ص ١٣٣ .

(٤) Barker, op.cit., p. 104.

مقامه هناك، لم يطل كثيرا على اية حال اذ صاحب ثلاثة الاف من اتباعه،
واتجه نحو الشمال حيث انضم ثانية لحلفائه العثمانيين في اوائل رمضان
١٣٣٣هـ/اواسط يولييه ١٩١٥م (١).

ويبدو ان شيوخ بني لام لم يلتزموا جميعهم بموقف رئيسهم الا على
غضبان، فبعد احتلال العمارة وانسحاب القوات العثمانية منها نحو مدينة
الكوت، اظهر الشيوخ القاطنون في المنطقة الممتدة بين المدينتين المذكورتين
موقفا عدائيا تجاه العثمانيين. ولكن ذلك الموقف لم يستمر طويلا، فقد
حدثت بعد ذلك تطورات دعت اولئك الشيوخ لاعادة النظر في مواقفهم
منها تشكيل السلطات العسكرية العثمانية لمنظمة اسمها "عسكروا طسبي"
تضم المتطوعين من ابناء القبائل الذي يضحون مرتبا شهريا قدره ليرتان
لكل فارس وليرة واحدة لكل راجل. وقد عزز تشكيل هذه المنظمة من
وضع القوات العثمانية واخذت تقوم بمبادرات لغرض سيطرتها جنوبي
مدينة الكوت، فأغرى ذلك شيوخ بني لام بالتقرب الى العثمانيين مجددا،
واعلنوا خضوعهم في اواخر شعبان ١٣٣٣هـ/اوائل يولييه ١٩١٥م (٢). وفي
هذا الوقت تماما مرض مشايخ عشيرة الازيرق على القيادة البريطانية
استعدادهم لتجنيد ثلاثة آلاف محارب من افراد عشيرتهم ووضعهم تحت
تصرفها لصد أي هجوم مضاد قد يفكر العثمانيون بشنه على مدينة العمارة (٣).
ولن تفهم دوافع اولئك المشايخ التي دعيتهم لتقديم هذا العرض الا اذا

(١) الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٥٢٥، ١٠ رمضان ١٣٣٣هـ.

(٢) الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٥٢٣، ٢٥ شعبان ١٣٣٣هـ.

(٣) محمود، مرجع مذكور، ص ٢٢٦.

أعدنا للذاكرة العداء المريبين الايزق وبنى لام والذي أستمر سنين طويلة قبل الحرب العالمية الاولى ،

ويبدو ان اشراف قبيلة بنى لام على مدينة العمارة من الشمال ، وتذبذب موقفها تجاه الطرفين المتحاربين ، قد جعلها القائد العام للقوات البريطانية في العراق ، يلح على ضرورة التقدم من العمارة نحو الشمال لوضع حاجز من القوات البريطانية بين العثمانيين وتلك القبيلة (١) . ولتحقيق هذا الهدف تقرر الزحف نحو مدينة الكوت التي لاتبعد عن الحدود الادارية لولاية البصرة الا بأربعة أميال فقط (٢) ، فأنطلقت القوات البريطانية منسنة العمارة في الاول من سبتمبر ١٩١٥م (الحادي والعشرين من شباط ١٣٣٣هـ) ، واستطاعت دخول الكوت في الثلاثين من سبتمبر ، (العشرين من ذي القعدة) ، بعد أن عجزت القوات المدافعة عنها والمكونة من ثمانية الاف جندي نظامي وثلاثة الاف فارس عربي من التصدي للقوات البريطانية المهاجمة التي كانت مؤلفة من ثلاثة عشر الف جندي (٣) .

والملفت للنظر هنا أن قوات الغزو الزاحفة لم تصطدم بمقاومة معلنة من القبائل الساكنة على طريق زحفها نحو الكوت ، اذ كان أبناء القبائل يرفعون الرايات البيضاء على خيامهم دليلا على استسلامهم ، ويتظاهرون بموالة الطرف الخالب (٤) . ولكنهم حين يجن الليل كانوا يمدون للنشاط

(١) Buchanan, op.cit., p. 23.

(٢) Wilson, op.cit., p. 79.

(٣) Buchanan, op.cit., p. 25.

(٤) الكولونيل كيرسي ، حرب العراق ، ترجمة فخري عمر ، بغداد ، بدون تاريخ

فإنه يهين المعسكرات ويهاجمون الوحدات البريطانية المنعزلة ، حتى اضطرت القيادة البريطانية لتخصيص لواء من الفرسان مهمته حراسة طريق موصلاتها البرية (١) . كما كان طريق الامداد النهري عبر دجلة ذو الاهمية الفائقة للقوات المتقدمة عرضة لهجمات مماثلة ، حتى أن المسئول البريطاني عسمن الطلاحة النهرية في العراق ، حينئذ ذكر بأن السفن البريطانية كانت تصحب دائما بحرس مسلحين ، وتصفح بالأواح من الحديد لتجنب رصاص المتصيدين " العرب ، ولا يمكن لأحد من الموجودين على ظهورها النزول الى الشاطئ في أي موقع الا بحراسة عدد من الجنود المسلحين الذين يتولون صد أي هجوم مفاجئ " (٢)

وقد اعقب سقوط الكوت بيد البريطانيين هدوء مشوب بالترقب في صفوف قبائل المنطقة ، لم تخف ملاحظته عن عيني أحد كبار الموظفين البريطانيين الذي جاء من لندن لتفقد احوال القوات البريطانية في العراق ، ففي نوفمبر ١٩١٥ م (محرم ١٣٣٤ هـ) فكتب قائلاً : ان ذلك الهدوء سينقلب رأساً على عقب عند أول هزيمة تتعرض لها القوات البريطانية ، وسيهب أبناء القبائل لمضايقة القوات المتقهرة ونهبها (٣) . ولقد صدق حدسه سريعاً حين تعرضت القوات البريطانية المندفعة نحو بغداد لهزيمة قاسية في " سلمان باك " (٤) فأضطرت للتراجع الى مدينة الكوت وحاصرتها القوات العثمانية

(١) فياض مرجع مر ذكره ، ص ١٦٤ .

(٢) Buchanan, op.cit., p. 59.

(٣) شبكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢١ .

(٤) هي العاصمة الفارسية القديمة " أيسخون " والتي سماها العرب المدائن ، وتقع الى الجنوب من مدينة بغداد ، ويوجد بها قبر الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه فسُميت المدينة باسمه على السنة العامة ، ولفظة " باك " فارسية تعني الطاهر أو النقي ، راجع :

هناك (١) . وهو الحصار الذي أدى إلى أن يصبح الموقف أكثر خطورة ففي
الخطوط البريطانية الخلفية الواقعة جنوب الكوت نتيجة لنشاط القبائل المعادية (٢)
فبمجرد أن سمعت القبائل بأمر الحصار حتى تجمع ما بين ألفين إلى ثلاثة
آلاف مسلح من أفرادها على ضفتي نهر دجلة في قرية " الشيخ سعد " واخذوا
يعترضون مرور السفن البريطانية (٣)

كما هانت النجدة البريطانية التي أرسلت على عجل من العمارة عن
طريق البر لمحاولة فك الحصار عن القوات البريطانية في الكوت من مضائق
قبيلة بني لام في على الغربي والشيخ سعد ، والتي عززها العثمانيون بقوة
من فرسانهم ، فأخذ الجميع يشنون الغارات على جناحي تلك النجدة طوال
مدى سيرتها نحو الكوت (٤) . ولم تستطع تلك النجدة أن تفعل شيئا للقوات
البريطانية المحاصرة في الكوت ، والتي اضطرت للاستسلام للقوات العثمانية
في التاسع والعشرين من أبريل ١٩١٦ (٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٤ هـ) (٥) .
ولقد اجب ذلك الاستسلام بلا ريب عداء القبائل للقوات البريطانية ،
وجراها عليها ، حتى لقد قال مسئول الاستخبارات البريطانية في العمارة
في سبتمبر ١٩١٦ م (ذي القعدة ١٣٣٤ هـ) ان حركات السطو التي قام بها

(١) البزاز، مرجع مذكوره، ص ٧٢

(٢) Great Britain Naval Intelligence Division, Iraq and Persian Gulf, London, Sept. 1944, p. 271.

(٣) Buchanan, op.cit., p. 135.

(٤) Barker, op.cit., p. 186.

(٥) فياض ، مرجع مذكوره، ص ١٦٢ .

أفراد القبائل في اللواء مكنتهم من السيطرة على الاف البنادق وكميات ضخمة من الاعتدة البريطانية (١) .

ولا يعنى كل ذلك ان قبائل اللواء جميعها أظهرت العداء للبريطانيين، فلقد ظلت بعضها مخلصه لهم، بل وساهمت في بعض الحملات التي قامت بها القوات البريطانية سواء لمحاولة فك الحصار عن الكوت او لمعاقبة بعض القبائل المتعاونة مع القوات العثمانية (٢) . هذا بالرغم من ان السلطات العثمانية كانت قد انتهجت اسلوب الشدة تجاه من يقع بأيديها من الشيوخ المتعاونين مع قوات الفزو، وكانت لا تتردد في تنفيذ عقوبة الاعدام فيهم (٣) . وتحسن الإشارة هنا الى أن القوات العثمانية نالت في هذا الوقت نصيباً من عمليات المضايقة والنهب التي يقوم بها أفراد القبائل، وقد دفع ذلك احد القواد العثمانيين أن يقترح على البريطانيين بصورة غير رسمية في صيف سنة ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) أن يعقد الجيشان المتحاربان هدنة مؤقتة ينصرفان خلالها لمعاقبة قبائل المنطقة حتى اذا حل الشتاء، انصرف الجيشان لقتال بعضهما دون أن يضايقهما طرف ثالث، ولكن القيادة البريطانية رفضت هذا الاقتراح (٤) .

ولم يحل الجمود المقيم على الموقف العسكري، اذ استعاد البريطانيون زمام المبادرة أوائل سنة ١٣٣٥هـ / اواخر سنة ١٩١٦م، فتقدمت قواتهم

(١) Buchanan, op.cit., p. 140.

(٢) محمود، مرجع مر ذكره، ص ٢٢٦ .

(٣) الزوراء، السنة ٤٨، العدد ٢٥٦٧، ٩ رجب ١٣٣٤هـ .

(٤) Great Britain Naval Intelligence Division, Iraq and Persian Gulf, p. 271.

من العمارة بقيادة الجنرال مود Maude وطردت القوات العثمانية من الكوت في ربيع الاول ١٣٣٥هـ / يناير ١٩١٧م. (١) ولكن ذلك لم يوهن مزيج أفراد القبائل الذين كانت استهانتهم بالبريطانيين تزداد بأزدياد تقدم الجيش الزاحف، كما أزدادت الغارات الليلية التي يشنونها لنهيب ماتقع عليه أيديهم من اسلحة وعتاد وخيل البريطانيين (٢). وقد بلغت بهم الجرأة حد أن وصلت غاراتهم الى خيمة طعام قائد الحملة في قلب مخيم القوات البريطانية (٣). ورغم ما في تلك الغارات من ارباك للقوات الفارسية، فإن القيادة البريطانية لم تفكر في القيام بتأديب مرتكبي تلك الحوادث من افراد القبائل، لعدم كفاية ماديها من الفرسان من ناحية، وخوفاً من أن يودي ذلك الى تأجيج حالة العداء ضدها بين القبائل مما يجرها الى صدامات واسعة معها تحرفها عن هدفها الاساسي وهو دحر القوات النظامية العثمانية دحراً نهائياً من ناحية أخرى (٤).

ولم تكن حركات المقاومة القبلية مقصورة على الغارات الليلية الصغيرة، بل انها عبرت عن نفسها أحياناً بشكل واسع وطني، كما حدث عند دخول القوات البريطانية لمدينة الحى جنوب الكوت في الحادي عشر من يناير ١٩١٧م (السابع عشر من ربيع الاول سنة ١٣٣٥هـ). اذ دخلت القوات

(١) البزاز، مرجع مر ذكره، ص ٧٤

(٢) Wilson, op.cit., p. 214.

(٣) Buchanan, op.cit., p. 156.

(٤) Wilson, op.cit., p. 207.

المكونه من فرقة فرسان تلك المدينة بعد معركة صغيرة خاضتها مع العشائر المتجمعة خارجها ، واستقرت تلك القوة في المدينة يومين تزودت خلالها بالموءن الغذائية ثم انسحبت عائدة . فكان أنسحابها ايذاًنا بتوتر الجو من حولها ، اذ تجمع أهالي المدينة والعشائر المجاورة وساروا في اثر القوة المنسحبة ، واخذوا بمهاجمتها ، فدار قتال عنيف بين الطرفين سقط فيه من البريطانيين أربعة وعشرون رجلا بين قتيل وجريح قبل أن تتمكن القوة من الابتعاد (١) .

ولم تغلح غارات القبائل ولا دفاع القوات النظامية العثمانية في صد القوات البريطانية عن دخول بغداد في الحادى عشر من مارس ١٩١٧ م (السابع عشر من جمادى الاولى ١٣٣٥ هـ) (٢) . وبذلك رجحت كفة الميزان لصالح الفزة البريطانيين ، ولم يعد لمعارضة القبائل فى حوض نهر دجلة الجنوى وجود بارز ، واضطر الشيوخ المناوئين لبريطانيا هناك الى تقديم خضوعهم (٣) . أما أبرز أولئك الشيوخ المناوئين وهو فضيلان البنية فليبدو ان مقامه مع القوات العثمانية بعد التحاقه بها ثانية كما عرفنا لم يطل كثيرا . والأرجح ان انفصاله الثانى عنها تم بعد سقوط الكسوت الاول بيد القوات البريطانية فى خريف سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م وما أمقبه من انسحاب القوات العثمانية الى بغداد ، لأنه كان فى ربيع سنة ١٩١٦ م

(١) Ibid., p. 214.

(٢) Buchanan, op.cit., p. 166.

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦٥

(١٣٣٤ هـ) مقيما عند الحدود الفارسية . حيث ذهب له Philby هناك واستطاع أقناعه ببيع عشرة آلاف رأس من الغنم للقوات البريطانية بمبلغ مائة ألف روبية (١) . ورغم ذلك فإنه فضل بعد سقوط بغداد أن يتجه إلى المحمرة ويحتجى بشيخها خزل المرداو، ومكث هناك إلى أن تشكل الحكم الوطني في العراق، في سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١ م فعاد للعمارة ثانية . (٢)

وهكذا بعد أن انما بنشاط القبائل في مقاومة تقدم القوات الفارسية في لوائى المنتفق والعمارة، يسعنا أن نقول أن اغلب قبائل اللوائين كانت معارضة للغزو البريطاني ، وبذلت ما بلاققتها من جهود لمقاومة ذلك الغزو، مع الاقرار بتفاوت واضح بين ما بذلته قبائل اللوائين من جهود في هذا السبيل . ولو قدر للسلطات العثمانية أن تتوصل إلى تفاهم أوثق مع تلك القبائل - وهى مهمة ليست سهلة على أية حال - لكان يمكن للحركة أن تؤدى دورا أكبر فى العمليات الحربية، أن لم ينجح فى صد الغزو البريطانى لنجح فى تكبيد العدو وخسائر أكبر من تلك التى تحملها فى سبيل احتلاله للعراق، وهى خسائر بلغت - حسبما اعلنه السياسى البريطانى ونستون تشرشل فى مجلس العموم - مائة ألف أصابة وثلاثمائة وخمسين مليون جنيه استرلينى (٣) . ولكن ذلك لم يحدث مع الاسف، فنجح البريطانيون فى ازاحة الحكم العثمانى من العراق إلى الابد، ذلك الحكم الذى عبر كاتسب

(١) Philby, op.cit., pp. 123 - 125.

(٢) الندوانى، مرجع مر ذكره، ص ١٣٤ .

(٣) Buchanan, op.cit., p. 260.

أبناء القبائل الفائقة على التحرك السريع سواء على ظهور الخيل أو على أقدامهم (١) .

ولم يقدر لتلك القوة في النهاية أن تحقق هدفها ، وما كان بإمكانها ذلك ، بعدد ها القليل ومدفعيها الاثني والـمـسـافة الشاسعة التي تفصلها عن قاعدتها الأساسية . ولكنها ظلت صامدة في مواقعها تصارع القسـوات البريطانية وتمتص كثيرا من تعزيزاتها الى أن بلغت أبناء الهزائم التي منيت بها القوات العثمانية في جبهتي الشعبية والقرنة وتقهقر تلك القوات من القرنة نحو العمارة (٢) . فتخوفت القبائل من انتقام البريطانيين واخذت بالتفرق عن القوة النظامية ، (٣) التي اضطرت للانسحاب نحو العمارة ، ولكنها علمت أن تلك المدينة سقطت بيد الغزاة فأبتعدت عنها واتجهت نحو الشمال الى الخطوط العثمانية (٤) . هذا في الوقت الذي كانت فيه قسوة بريطانية تسير على اثرها من الاهواز نحو العمارة (٥) .

وهكذا بعد أن القينا نظرة على ماجرى في الجبهات الثلاث يمكن القول أن الاخفاق كان مصير الحركات الحربية التي اشتركت فيها القبائل مع القوات النظامية العثمانية ، إذ لم تحقق هدفها الاساسي وهو طرد

(١) Wilson, op.cit., p.29.

(٢) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٥٤ .

(٣) Wilson, op.cit., p. 39.

(٤) الندواني ، مرجع مر ذكره ، ص ١٣٣ .

(٥) Wilson, op.cit., p.47.

عراقي عن مشاعر طائفة كبيرة من العراقيين تجاهه حين قال : انه لم يكن
استعماراً ، فلقد كان العرب والترك أمة واحدة ، يعيشون تحت علم واحد ،
ويرتبطون بدين واحد يوحد مشاعرهم ، ولا عبرة بما يقال عن تأخر العراق في
ظل الحكم العثماني ، اذ لم يكن العراق اكثر تأخراً من الاناضول التركي . (١)

(١) طالب مشتاق ، اوراق أيامي ١٩٠٠ - ١٩٥٨ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ج ١ ،

لَفْصُ السَّارِ

مَوْقف قِبائِل وِلَايَةِ البَصْرَةِ مِنَ الإِدَارَةِ
العَسَكْرِيةِ البَرِيطَانِيَةِ قَبْلَ إِعْلَانِ الِهُدْنَةِ

أكدت المراجع العليا البريطانية منذ البداية على الطابع المؤقت لاجراءات الادارية التي تتبع في الاراضي المحتلة في العراق (١)، لأن " الاراضي المحتلة عسكريا ليست ممتلكات لبريطانيا ولا هي أراضي تابعة لها... وادارتها مؤقتة فقط" (٢). ثم أن المحتلين ملزمون أدبيا بتنفيذ اتفاق دولي يتعلق بإدارة الاراضي المفتوحة زمن الحرب، وهو اتفاقية لاهاي (٣) The Hague Convention التي "جعلت" حكومة جلالته ملزمة بتطبيق القوانين الموجودة في الاراضي المحتلة، ولكنها اذا وجدت ان تلك القوانين القائمة غير ملائمة فيمكنها ادخال تعديلات مناسبة اذا رأت ذلك ضروريا" (٤). وهي قد رأت ذلك بالفعل، لأن للمتطلبات الحربية ضرورات قد تتعارض مع نصوص ذلك القانون الدولي، فأتجهت سلطات الاحتلال نحو انشاء هيكل اداري جديد يوفق قدر الامكان بين قواعد ذلك القانون وبين خطط القيادة العسكرية. وبموجبه كانت الافضلية تعطى دائما للمتطلبات الحربية حسب

(١) IOR, L/p+s/10/513, No. 81737/14, the Under-Sec. of State, F.O., to the Under-Sec. of State, I.O. Dec. 15, 1914.

(٢) IOR, L/p+s/10/513, No. M 44833, Under-Sec. of State, I.O., Dec. 22, 1915.

(٣) عقد في لاهاي في هولندا مؤتمران، الاول منهما التزم في سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م وحضرته ست وعشرون دولة، وتوصل الى اتفاقية تسن تخص الاولى منهما قواعد الحرب البرية والثانية قواعد الحرب البحرية. والتزم الثاني في سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م وحضرته أربع وأربعون دولة. وكان من جملة نتائج التأكيد على الاتفاقيتين اللتين توصل لهما المؤتمر الاول. راجع :

Encyclopeadea Britannica, 1970s' Edition, Vol. 10, p. 1113.

(٤) IOR, L/p+s/10/513, No. 39139/15, the Under-Sec. of State, F.O., to the Under Sec. of state, I.O., Apr. 13, 1915.

(٥) Wilson, op.cit., p. 143.

تعليمات الحكومة البريطانية التي نصت على : "أن الإدارة المدنية يجب أن توضع تحت إشراف السلطات العسكرية . . . ويكتفى في الوقت الحاضر بحد أدنى من الاجراءات الادارية ، ذلك الحد الذي يكفى لحفظ النظام ويقوم بما تتطلبه القوات العسكرية . أما تعديل القوانين وادخال الاصلاحات فيجب أن يكتفى بأقل قدر ممكن منه . ولا ترغب حكومة صاحب الجلالة أن تثار قضايا إدارية كبيرة أو متناقضة حتى يبعد الخطر التركي" (١).

ولما كانت القوات البريطانية التي احتلت العراق تابعة لحكومة الهند ، فقد ظهر لدى سلطات الاحتلال في بداية الأمر اتجاه واضح للتطبيق النموذج الهندي في الإدارة والاستعانة بموظفين هنود على نطاق واسع وقد لفت ذلك نظر السير مارك سايكس M.Sykes موفد الحكومة البريطانية الذي وصل للعراق من لندن في نوفمبر ١٩١٥م (محرم ١٣٣٤هـ) ، فحذر من مخبة السير في ذلك الاتجاه ، وأضاف أن الضرورة قد تتطلب الاستعانة بالموظفين الهنود والخبرة المكتسبة في الهند ، ولكن ذلك يجب أن يكون اجراء مؤقتا ، لأن تقاليد العراق تختلف كلية عن تقاليد الهند (٢) . ولا شك ان تلك الملاحظة بنيت على أساس واقع لا يمكن انكاره وهو ان العراقيين رغم كل الخلافات فيما بينهم ذوو عقلية استقلالية قوية بصورة بارزة (٣).

ولم يكن ذلك هو الاتجاه الوحيد الذي مالت سلطات الاحتلال في العراق الى تبنيه في البداية ، بل كان هنالك حديث من أمراشد خطورة وهو

(١) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦٦ .

(٢) شبيكه ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢٢ .

(٣) Bray, op.cit., p. 170.

"تهنيد" ولاية البصرة. والواقع أن تلك الفكرة كانت تتداولها بعض الأوساط في الهند منذ سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م (١). وقد تكرر الحديث عنها سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م حين كان المهندس البريطاني الشهير السير ولكوكس يقوم بتنفيذ بعض مشاريع الري في العراق، اذ قدمت مقترحات بجلب الاف من الهنود لفلاحة الارض المستصلحة. وقد كان لتلك المقترحات صدى سيء في نفوس العراقيين حينئذ (٢) وفي الايام الاولى التي تلت الاحتلال البريطاني للبصرة اعاد ارنولد ولسن A. Wilson طرح الفكرة ثانية، وطالب باعتبار الاراضي المحتلة مستعمرة للهند تديرها الحكومة الهندية وتوطن فيها الافا من أهالي البنجاب الذين تتشابه ظروف الزراعة والري في موطنهم الاصل مع ظروفها في العراق. وقال أن العراق الذي يقطنه الآن قرابة المليون نسمة يمكن أن يستوعب خمسة وعشرين مليون نسمة اذا ما طور. وأشار الى الفوائد السياسية والحربية التي ستجنيها قوات الاحتلال اذا تم توطين البنجابيين هناك. وتوقع الا يلقى المشروع أية معارضة من سكان العراق العرب (٣).

ولا يخفى ماكن وراء ذلك المشروع من هدف سياسي واضح، اذ أن أولئك المستوطنين الغرباء سيعتمدون في وجودهم وبقائهم على سلطات الاحتلال التي ستشهرهم سيفاً مسلحاً على رقاب أهالي البلاد العرب فيما اذا تحركوا

(١) ابراهيم، السلام البريطاني، ص ٢٠٠ - ١٩٧.

N.A.R.S., RG 84, No. 12, Am. Cons. at Bag., to Am. Amb. (٢) at Const., Feb. 8, 1910.

IOR, L/p+s/10/463, (Unnumbered), A. T. Wilson to Colonel (٣) Yate (member of House of Commons), Nov. 28, 1914.

ضدها (١) . ولكن السير مارك سايكس لاحظ في تقريره الذي رفعه اثر زيارته المذكورة للعراق ، خطورة ذلك المشروع وحذر السلطات العليا في لندن من مضية المشروع في تنفيذه (٢) ، في حين كانت حكومة الهند لا تخفي رغبتها في اتمام ذلك التنفيذ (٣) . ولكن وجهة نظر سايكس وشايعيه هي التي رجعت في النهاية ، ففي الرابع عشر من مارس ١٩١٧م (التاسع عشر من جمادى الاولى ١٣٣٥هـ) قرر مجلس وزراء الحرب في لندن War Cabinet تشكيل لجنة لمناقشة مستقبل الادارة البريطانية في العراق ، وقد قررت تلك اللجنة في اول اجتماع لها بعد خمسة ايام من تشكيلها أن تدار الاراضي المحتلة في العراق من قبل الحكومة البريطانية مباشرة وليس من قبل حكومة الهند (٤) .

وقد أدى اخفاق تلك الفكرة الى جعل سلطات الاحتلال تتبذع نظاما خاصا لادارة الاراضي المحتلة في العراق ، لم يكن هنديا خالصا ولا عثمانيا خالصا ، ولكنه احتفظ بلامح من كلا النظامين ، مع مراعاة الواقع المحلي بقدر كبير (٥) . فبراعة رجال الاستعمار البريطاني تظهر في قدرتهم

(١) نوار، تاريخ العرب المعاصرين، ص ٤٦٠ .

(٢) شبكة ، مرجع مر ذكره ، ص ٢٢٢ .

(٣) Philby, op.cit., p. 105.

(٤) Kedourie, Elie, In the Anglo - Arab Labyrinth, Cambridge, 1976, p. 174.

(٥) Wilson, op.cit., p. 68.

على استنباط الانظمة من الظروف السائدة في المنطقة التي يحلون فيها (١) .
ولقد اوكل التطبيق العملي لذلك النظام في المناطق المحتلة المختلفة
الى ضباط سياسيين يتبعون " رئيس الضباط السياسيين " الذي كان مقره في
البصرة أول الأمر ثم أنتقل الى بغداد بعد احتلالها في مارس ١٩١٧ م .
(جمادى الاولى ١٣٣٥ هـ) (٢) ولم تستعن الادارة الجديدة بمن بقي من
الموظفين العثمانيين في العراق الا في اضيق الحدود ، خوفا من ولائهم
للعهد السابق ، وابتعادا عن الطرق التي ورثوها من الادارة السابقة والتي
لا تناسب المقاييس الادارية الجديدة ، واستجابة لاعتراضات الملاك وشيوخ
القبائل على بعضهم (٣) . وهذا يشير الى ما كانت توليه السلطات المحتلة
من أهمية بالغة لاسترضاء القبائل ، فلتر اذن كيف جرى التعامل بين الطرفين .

سلطات الاحتلال والقبائل : الادارة والأمن والقضاء

رأينا في الفصل السابق ، مأسمة القبائل من مشاعب لقوات الغزو البريطاني ،
سواء أثناء اشتراكها في حركة الجهاد العامة أو ماثلا ذلك من مقاومة
فردية . ولذلك فلا عجب أن كان موقف ضباط الحملة وجنودها من تلك
القبائل متسما بقدر واضح من العداء ، ولكن ذلك العداء لم يترك أثرا كبيرا
على مواقف سلطات الاحتلال تجاه القبائل ، لأن من اوكلت لهم مهمة
التعامل المباشر معها هم الضباط السياسيون لا الحربيون . (٤) ولقد حرص
اولئك الضباط السياسيون بصورة تلفت النظر - في سبيل انجاح مهمتهم -

(١) Foster, op.cit., p. 52.

(٢) Wislon, op.cit., pp. 148-149.

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٦٩ .

(٤) Wilson, op.cit., p. 144.

على اقامة أوثق. العلاقات مع الوسط القبلى الذى يحلون فيه . فتجد هـم فى حركة دائبة بين زيارات لشيخ القبائل فى مضاربهم (١) ، او تنظيم رحلات صيد مشتركه معهم (٢) ، او اقامة دعوات خاصة لهم (٣) ، أو دعوات رسمية عامة بمناسبة الاعياد البريطانية (٤) . اذ كان من الواجبات المقررة على الضباط السياسيين ومعاونيهم استضافة الوجهاء وشيوخ القبائل واقامة الدعوات العامة لهم (٥) . وهم فى خلال ذلك كله يراقبون ويدققون فى التفاصيل ويدونون الملاحظات لرفعها فيما بعد فى تقارير الى مرجعهم الا على ، حيث تكون هناك محلا للدراسة والمقارنة من قبل بعض المختصين الذين ترأسهم جرترود بل (٦) .

ولم يكن ذلك التوجه وليد مبادرات شخصية أقدم عليها الضباط السياسيون من تلقاء أنفسهم ، ولكنه كان مبدأ مقرا من مبادئ الادارة الجديدة ، وهو مبدأ يهدف لايجاد اكبر قدر من التأثير فى شيخ القبائل من خلال الاحتكاك المباشر بهم وبأفراد قبائلهم لاجتذاب قلوبهم وتبديد نفورهم من الحكومة الجديدة المسيحية (٧) . ويعد هذا التوجه مناقضا تماما للاسلوب العثمانى السابق المبني على أنمزال الموظفين الرسميين عن السكان فى القلاع

(١) Philby, op.cit., p. 117-118.

(٢) Wilson, op.cit., p. 157.

(٣) Buchanan, op.cit., p. 145.

(٤) Dickson, Kuwait..., p. 180.

(٥) IOR, L/p+s/10/516, No. 24738-14/45, Lieut.-Col. Wilson to the Sec. to the Gov. of India, Nov. 6, 1918.

(٦) Wilson, op.cit., pp. 157-158.

(٧) Longrigg, op.cit., p. 82.

الحكومية المحصنة (١)، استعلاء منهم على المواطنين الذين يحكمونهم (٢). ولعل من هذا الباب حرص السلطات البريطانية على انتقاء ضباط سياسيين مناسبين للعمل في المناطق المحتلة في العراق، حتى أن وزارة الهند قالت: - ان " هدفنا هو تزويد كوكس بكادر حسن الاطلاع على اللغسة والعادات العربية، وعلى الادارة والقوانين التركية" (٣). ولم يكن كوكس من جانبته يتهاون في التمسك الصارم بهذا الهدف، اذ كان يرفض قبول أى مرشح للعمل في ادارة الاحتلال في العراق مالم يكن طما باللغة العربية، خاصة حين يكون مجال عمله المنتظر ذا صلة مباشرة بالأهلين العرب (٤).

وقد اتسع حرص سلطات الاحتلال على معرفة منسوبها للغة العربية فشمل الجنود العاملين في صفوف القوات المحتلة. اذ شجعت أولئك الجند على تعلم لغة البلاد التي يعملون فيها، واخذت تعطى مكافأة مقدارها ثلاثمائة روبية لمن يستطيع منهم تعلم الكلام باللهجة العامية العراقية وألف روبية لمن يتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية الفصحى (٥). هذا ويتضح

(١) Dickson, Kuwait..., p. 173; Philby, op.cit., p. 114.
 (٢) عبد الرحيم عبد الرحمن، النظم الادارية العثمانية في البلاد العربية. مقال في: مجلة الدارة، السنة ٩، العدد ١، شوال ١٤٠٣ هـ/ يوليو ١٩٨٣ م، ص ١١٢.

(٣) IOR, L/p+s/10/462, (Unnumbered), Tel. from Sec. of State for India to Viceroy, March 30, 1917.

(٤) IOR, L/p+s/10/516, No. 1612, Sir P. Cox, Bag., to I.O., London, May 13, 1917.

(٥) العرب، السنة ٢، المجلد ٢، العدد ٨٤، ١٩ أيلول ١٩١٨ م/ ٢ ذى الحجة ١٣٣٦ هـ، ص ٤.

هذا الميل من قبل المحتلين للانسجام مع البيئة المحلية والتكيف مع العادات القبلية السائدة في مثل آخر أكثر وضوحاً . فقد بنى الكابتن ديكسون الضابط السياسى البريطانى فى سوق الشيوخ " مضيافاً " من القصب على عادة شيوخ العشائر فى المنطقة ، وكان يعقد فيه مجلسه الاسبوعى المقرر مع شيوخ المنطقة ، ويستقبل فيه يومياً الضيوف من أبناء العشائر (١) .

أما وقد عرفنا أن الاحتكاك المباشر بالقبائل والتكيف مع بيئتها وتقاليدها مبدأ مهم من مبادئ خطة الادارية التى أتبعتها السلطات المحتلة ، فيجد ربنا أن نتعرف على تلك الخطة برمتها . وهى خطة روى أنها أستوحيت من خطة السير روبرت ساندمان Sir Robert Sandeman التى طبقت على إقليم بلوجستان فى شمال الهند (٢) . وهى تقضى بالاعتصار على توجيه الشؤون السياسية للقبائل ، وترك شئونها الداخلية بأيدي شيوخها الذين وإن كان يتم توجيههم من قبل الضباط السياسيين إلا أنهم أصرار بالمحافظة على عاداتهم القبلية الموروثة (٣) .

ولاشك أن نجاح هذه الخطة يتطلب وجود قبيلة متماسكة ، يسهل على المحتلين توجيه شيخها ، ويسهل على شيخها ضبط أمورها الداخلية ، ولذلك كانت توجيهات لندن لسلطات الاحتلال فى العراق تقضى بضرورة المحافظة على النظام القبلى فى المناطق المحتلة (٤) ، وهى توجيهات ترجمتها

(١) Dickson, Kuwait ..., pp. 178 - 179.

(٢) فياض، مرجع مر ذكره، ص ٧٥ وأيضاً البزاز، مرجع مر ذكره، ص ٨٢ .

(٣) Pennell, T.L., Among the Wild Tribes of the Afghan Frontier, London, 1975, p. 61.

(٤) IOR, L/P+s/10/515, No. P 1315, Sec. of State for India to Viceroy, March 29, 1917.

السلطات المحتلة في العراق الى سياسة عبر عنها نائب الحكم الملكي المصطفى في بغداد بقوله : - ان " سياستنا في العراق بالنسبة الى العشائر هي الحفاظ عليها وتنميتها " (١) . و اضاف ذلك النائب ان كل الجهود قد بذلت لتركيز السلطة في داخل كل قبيلة بيدي شيخ كبير واحد تحييط به عادة مجموعة كبيرة من المتنافسين (٢) . وكانت سلطات الاحتلال لا تتورع أحيانا عن الضرب على ايدي اولئك المتنافسين بقوة في سبيل تأييد سلطة الشيخ الفرد (٣) ، الذي يتم اختياره غالبا حسب درجة ولائه للسلطات المحتلة . (٤) ولذلك فلم يكن يفترض دائما أن يكون الشيخ المختار هو الاقوى والاكبر بين المتنافسين من شيوخ القبيلة ، بل قد يكون أحيانا شيخا ضعيفا ولكن سسه " حسن النية " (٥) ، تجاه سلطات الاحتلال بالطبع .

وانسجاما مع مبدأ تعزيز النظام القبلي ، فقد أبدت السلطات البريطانية حرصا على عدم تفتيت الكيانات القبلية . وكان ذلك عندما ناقشت موضوع الأسس العامة التي ستتبع في ادارة الاراضي العراقية المحتلة بعد احتلال بغداد في مارس ١٩١٧ (جمادى الاولى ١٣٣٥ هـ) . فبعد احتلال بغداد بعثت وزارة الهند برقية الى نائب الملك في الهند ، حددت تلك الأسس ، ومن جمعتها مايلي :

(١) العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ، ص ٥٢ .

(٢) Wilson, op.cit., p. 295.

(٣) Dickson, op.cit., p. 173.

(٤) الأسدي ، مرجع مذكور ، ص ١٠٩ .

(٥) Wilson, op.cit., p. 144.

- ١ - تدار الاراضي المحتلة في العراق من قبل الحكومة البريطانية مباشرة وليس من قبل حكومة الهند .
 - ٢ - ستبقى ولاية البصرة بصورة دائمة تحت الادارة البريطانية ، وتكون حدودها من الشمال والشرق هي الناصرية ، شط الحى ، الكوت ، وبصرة .
 - ٣ - ستكون ولاية بغداد دولة عربية يحاكم محلي تحت الحماية البريطانية فى كل شىء ماعدا الاسم . ولن يكون لهذه الدولة علاقات مع الدول الاجنبية ، بل سيعتمد القناصل المقيمون فيها من قبل الحكومة البريطانية .
 - ٤ - تظل ادارة ولاية البصرة مستقلة عن ادارة ولاية بغداد ، رغم أن حاكمها البريطانى سيكون تابعا للمندوب السامى البريطانى المقيم فى بغداد (١) .
- وقد اعترضت حكومة الهند على تلك الاسس المقترحة ، واسهبت فى تفصيل أسباب اعتراضاتها ، ومن تلك الاعتراضات قولها :- " ونحن نقترح أن تكون الحدود التى تقر فى النهاية قبلية قدر الامكان وليست جغرافية وحسب ، أى أنها بعبارة أخرى يجب أن تتبع لاتقطع الحدود القبلية الرئيسية فى تلك المنطقة - ان تجربتنا فى الهند أظهرت ان من المرغوب فيه جعل القبيلة كلها بصورة لالبس فيها تحت ادارة واحدة ، وان أى شكل من اشكال التوجيه الثنائى يتعارض مع ادارة قبلية مرضية " (٢) .
- أما برسى كوكس ، رئيس الضباط السياسيين فى العراق ، فقد شارك فى الاعتراض على الاسس المقترحة بقوله :- " لن يكون هناك خلال فترة الحرب

(١) IOR, L/p+s/10/516, No. P-1315, the Sec. of State for India to Viceroy, March 29, 1917.

(٢) IOR, L/p+s/10/462, No. 44 of 1917, Gov. of India to the Sec. of State for India, May 25, 1917.

قائدا جيش في الادارة العليا للاراضي المحتلة ولا رئيسا ضباط سياسيين .
واننى مسئول أمام قائد الجيش والحكومة عن الادارة المدنية لكلا الولايتين . . .
ان من المناقض بصورة واضحة لمصالح السكان ولعمادى حكومة جيدة معاملة
القضايا المتماثلة الناشئة في الولايتين الاثنتين بصورة مختلفة " . (١)

وازاء كل تلك الاعتراضات وضحت وزارة الهند موقفها بالقول : - " ان حكومة
جلالته ترغب أن تؤكد لكم على الفور انها لا تفكر باقامة ادارة عربية في الحال
على أساس المبادئ المشار اليها في برقيتى المؤرخة في التاسع والعشرين
من مارس . انها تدرك بصورة كاملة أن الموقف العسكرى يتطلب ابقاء أيدى
قائد الجيش ورئيس الضباط السياسيين طليقة ، ولكن ما يجب عليهم ~~ال~~
الالتزام به هو عدم عمل ما يمكن تجنبه أثناء الاحتلال العسكرى مما يضر
بتطبيق المبادئ المذكورة اعلاه فى فترة تاليه ، وبالاخص اقامة نظاميين
اداريين منفصلين للبصرة وبغداد . ومن اجل فهم واضح لهذه النقطة
فانه يمكن لكوكس الاستمرار فى التشاور مع قائد الجيش كما هو الحال لحـد
الآن ، الى أن تدرس المشكلة برمتها ويقدم تقرير عنها من قبل اللجنة
التي اقترحها هو نفسه . ان قضايا مثل المجالس الادارية ، ونظام قضائى
دائم ، وتنظيم الهجرة الهندية ، الخ ، ستستبقى للدراسة من قبل اللجنة .
وخلال ذلك فإن حدا أدنى من الفعالية الادارية يجب توفيره لانه ضرورى
للمحافظة على النظام ولمواجهة احتياجات القوات المحتلة . ان تعديـل
القوانين وادخال الاصلاحات يجب أن يبقيا ضمن أضيق الحدود الممكنة . . . " (٢)

(١) IOR, L/p+s/10/516, No. 1903, Sir P. Cox, Basra, to India Office, London, May 29, 1917.

(٢) IOR, L/p+s/10/516, No. P- 1854, Sec. of State for India to Viceroy, Foreign Dept., May 10, 1917.

ومن أجل توفير ذلك الحد الأدنى ، فقد عمدت سلطات الاحتلال الى تعيين " ضابط سياسى " فى المدن المحتلة الكبرى مثل البصرة والناصرية والعمارة ، و " معاون ضابط سياسى " فى المدن الاقل اهمية مثل سوق الشيوخ والقرنة . أما المعيار الذى يتم على أساسه تعيين أولئك الضباط او معاونيهم من عدمه فقد حددته برسى كوكس حين ذكر أن تعيين ممثل بريطاني مقيم ضرورى حيث تقام حامية بريطانية ثابتة ، لكى يتعامل مع القضايا السياسية الكثيرة التى تنشأ فى منطقته . (١)

أما المناطق التى لا توجد فيها مثل تلك الحامية فكان امرها يتترك لشيخ القبائل ، حيث يتم اختيار شيخ اكبر قبيلة فى الناحية ويعين بمنصب " مدير ناحية " ، بمرتب شهري مقداره خمسة عشر جنيهاً أسترلانيا . فيجعله ذلك التعيين مستعداً للموافقة على الفور على أى أمر تصدره له السلطات البريطانية ، خوفاً من أن يفقد العائد المالى الشهري والفخر الشخصى له ولقبيلته بحمله لقب " مدير " (٢) . ورغم ان ذلك التعيين كان يقابل بشىء كبير من التذمر من قبل الشيخو المبعدين من السلطة والذين هم فى الغالب الشيخو الحقيقيون للقبيلة (٣) ، الا أن الدعم الكامل الذى كانت تقدمه السلطات البريطانية للشيخ المعين وتوجيهه قدر المستطاع لتجنب مايشير نعمة الشيخو المنافسين كانا يحولان دون تطور الامور بشكل سيء . ومقابل ذلك الدعم كان على الشيخ " المدير " أن يقوم بواجبات محددة مثل جمع الضرائب وحفظ النظام وحسم المنازعات الفرعية والاشتراك مع الضابط السياسى

(١) IOR, L/p+s/10/513, (Unnumbered), Tel. from Viceroy to the Sec. of State for India, Jan. 9, 1915.

(٢) Wilson, op.cit., p. 295.

(٣) الاسعدى ، مرجع مر ذكره ، ص ١١٠ .

الذي يتبعه في حسم المنازعات الكبرى ، وتوفير العمال من أبناء القبائل
للاعمال العامة مثل كرى القنوات وتمهيد الطرق . (١)

كما أنشطت سلطات الاحتلال بشيوخ القبائل المتعاونين معها واجبا
آخر هو المساعدة في احكام الحصار الاقتصادي على المناطق الواقعة
تحت سيطرة القوات العثمانية . فبعد احتلال القوات البريطانية لمدينة
البصرة مباشرة طبقت السلطات المحتلة اجراءات الحصار على نحو صارم
وظل الحال كذلك الى أن احتلت القوات الغازية الناصرية والعمارة والكوت ،
فأدت السلطات المحتلة ان الحصار أصبح غير ضروري . ولكن تلك السلطات
اعادت فرض الحصار ثانية في فبراير ١٩١٧م (جمادى الاولى ١٣٣٥هـ) ،
وحاولت أن يكون تنفيذه محكما قدر الامكان . ومن اجل ذلك عينت
ضابطا للحصار في مدينة البصرة ، من أبناء العراق الوحيد ومنفذ واردة
مهمته أن يقيم تحت اشرافه لقاط تفتيش مسلحه على الطرق الخارجة من
البصرة ، لتقوم بمنع خروج أية بضاعة من المدينة ما لم تكن مزودة بأذن موقع
من الضابط . وكانت نسخة من ذلك الأذن ترسل الى الضابط السياسي
او معاونه في المدينة المتجهة لها البضاعة ، ليتم الابراق الى ضابط
الحصار في البصرة ، اشعارا له بوصول البضاعة كاملة الى وجهتها دون أن
يتسرب منها شيء الى أراضي العدو . وفي حالة عدم وصول الاشعار
البرقي لايفرج ضابط الحصار من الضمان المالي الذي قدمه له صاحب
البضاعة المفادرة . أما المناطق التي لا يوجد فيها ضابط او معاون فلم

(١) Wilson, op.cit., p. 295.

تكن ترسل لها الاكيمات محدودة جدا من البضائع، وكان يكتفى بتوقيع شيخ القبيلة على اشعار الوصول بدلا من توقيع الضابط السياسى او معاونه (١) .

ومن الاجراءات الاخرى التى لجأت لها، السلطات المحتلة للمزج بين النظامين الادارى والقبلى اشراك القبائل فى مسئولية حفظ الأمن، فقد أصبح شيخ كل عشيرة مسئولا عن أمن الطرق البرية والنهرية التى تمر فى دياره (٢) .

كما أصبحت كل عشيرة تتحمل بصورة جماعية المسئولية الجنائية فى حالة اقسام أحد أفرادها على ارتكاب جريمة ما فى اراضى العشيرة (٣) . وبالرغم من أن تلك الاجراءات كانت تسهل على الشيوخ " العذراء " مهام عملهم، الا أنها لم تكن تفى بالمرام كلية، اذ كان كل مدير بحاجة الى قوة تنفيذية فعلية يستعملها عند الحاجة لغرض تنفيذ قراراته على سكان الناحية التى يديرها . فهو لا يستطيع استخدام قوة عشيرته فى ذلك المجال خوفا من صدامات قبلية كانت سلطات الاحتلال حريصة على تجنبها، كما انه لا يستطيع الاستعانة بالقوات البريطانية . فقد كانت قيادة القوات البريطانية تحرص على تفادي الارباك الناشئ من تكليف القوات النظامية بمواجبات غير حربية تحرفها عن هدفها المحدد ، ولذلك كله عمدت السلطات المحتلة الى انشاء قوات نظام محلية (٤) . وضمت القوات الجديدة الكثير من ابناء القبائل وهى على نوعين

(١) IOR, L/p+s/10/515, No. 11563/10 - 90, the Deputy Chief Political Officer, Basra, to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign and Political Dept., Simla, Aug. 27, 1917.

(٢) بل، مصدر مذكور، ص ٧٦ .

(٣) العرب، السنة ١، العدد ١٢٠، ٥ ربيع الاول ١٣٣٦ هـ / ١٩ كانون الاول

١٩١٧ م، ص ٢٠ .

(٤) IOR, L/p+s/10/513, No. 39 I-A., the General Officer Commanding Force "D", Basra, to the General Staff, May 2, 1915.

"السواري" أو قوات الفرسان ، و" الشبانة " أي القوات المشاة أو المحملية بالقوارب (١) .

وقد تم انشاء قوات السواري ، اول الأمر في لواء المنتفق سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م ، وكانت نواتها تتألف من أربعين خيالا من أفراد القبائل ولذلك حملت هذه القوة اسم "خيالة المنتفق" . (٢) وفي السنة نفسها انشا ديكسون الضابط السياسي في قضاء سوق الشيوخ قوة مشابهة واوكل لها مهمة تسيير الدوريات اللازمة لحفظ الأمن في المنطقة المجاورة لتلك المدينة (٣) . أما قوات الشبانة فكانت بداية انشائها في السنة نفسها أيضا في القرنة والعمارة ، وقد تزايد عدد أفرادها حتي بلغوا خمسمائة رجل . وكانت مهامها التخفيف من أعباء القوات الحربية البريطانية بتولي حراسة الطرق البرية والانهاك الملاحية وحماية مخازن الذخيرة البريطانية ، ثم تطورت تلك المهام لتشمل القبض على المجرمين ومنع الاضطرابات القبلية والاسهام في جمع الضرائب (٤) وبالإضافة الى كل تلك الخدمات فلا يخفى ما في انشاء تلك القوات من هدف سياسي يتمثل في السعي لكسب قلوب أفراد القبائل وربطهم بعجلة الادارة المحتلة . (٥)

(١) Dickson, Kuwait...., p. 168

(٢) هاري سندر سن ، مذكرات سندر سن باشا ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ٢٠١٥ ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٦٥ .

(٣) Dickson, Kuwait...., p. 170 .

(٤) Wilson, op.cit., p. 67 .

(٥) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٨ وايضا العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ، ص ٢٥ .

ويتصل بالناحية الامنية موضوع انتشار الاسلحة بين القبائل ، فـقـد استمر في هذه الفترة حرص السلطات البريطانية على قمع حركة تهريب السلاح ، وجعلت مدينة البصرة مركزا للشرطة المؤكدة بطلب المهمة (١) . حيث قامت تلك الشرطة بقيادة احد الضباط البريطانيين بمواصلة مساعيها للحد من حركات تداول السلاح ، ولكن ظروف الحرب حدثت من نجاح تلك المساعي (٢) . فكثر تداول السلاح في المناطق المحتلة حتى أصبح سعر البندقية خمسة جنيهات استرلينية بعد أن كان سعرها قبل الحرب يتراوح بين مشرين وخمسة ومشزين جنيتها . وكان ذلك بسبب استيلاء أفراد القبائل على اعداد كبيرة من بنادق الجيشين العثماني والبريطاني ، سواء من ساحات المعارك أو أثناء الفارات التي تشن على المعسكرات . وقد ناقشت سلطات الاحتلال فيما بينها فكرة دزع سلاح القبائل ، فوجدت ان ذلك الأمر لا يمكن أن يتم دون استخدام القوة ، وفضلت ازاء ذلك الاعلان عن استعدادها لشراء البنادق والاعتدة من الراغبين ببيعها . وتمكنت من هذا الطريق من شراء عدة مئات من البنادق ، ولكن ذلك الاجراء ثبت انه مضر أكثر مما هو نافع ، لان المبالغ التي دفعت في شراء تلك البنادق أعيد استغلالها ثانية في شراء بنادق أجود (٣) . فأضطرت سلطات الاحتلال نتيجة لذلك الى الاكتفاء بوضع بعض القيود على حمل السلاح ، فحظرت حمله في المدن أو في المناطق التي يجري فيها القتال بين الجيشين البريطاني والعثماني (٤)

(١) IOR/L/p+s/10/513, No. 766B, Lieut.-Col. Sir P. Cox to the Gov. of India, Apr. 8, 1915.

(٢) IOR/L/p+s/10/513, No. 78. of 1915, Gov. of India to the Sec. of State for India, March 5, 1915.

(٣) Wilson, op.cit., p. 259.

(٤) العرب السنة ١ ، العدد ٢٧ ، ١٤ ذى القعدة ١٣٣٥ هـ / ١ أيلول ١٩١٧ م ،

وشمة سوءال يطرح نفسه هنا وهو : ألم تفكر سلطات الاحتلال - وهي ترى تلك القبائل الكثيرة العدد والجيدة التسليح - في الاستعانة بالصاخرة ببعضها في المعارض الدائرة ضد الجيش العثماني ، خاصة في المرحلة التي تلت سقوط بغداد واستقرت خلالها السلطة البريطانية في اغلب المناطق الجنوبية من العراق ؟ وقد أجاب "غلوب" على هذا السؤال بالنفي ، ونعى على سلطات الاحتلال عدم تفكيرها في ذلك الأمر ، لأن القبائل العراقية كانت في رأيه ذات خبرة واسعة في القتال ضد القوات العثمانية ، وكان يمكن أن تقوم في هذا المجال بدور أكثر أهمية من الدور الذي قامت به القبائل العربية في مساندة زحف جيوش الجنرال اللسنبي Allenby في فلسطين (١) . ولكن كاتبنا آخر ذكر أن تلك الفكرة كانت مطروحة للبحث بالفعل بعيد احتلال بغداد ، فقد أرسلت وزارة الحرب البريطانية في مايو ١٩١٧م (رجب ١٣٣٥هـ) تعليمات إلى قائد القوات في العراق الجنرال مود تقضي بدراسة امكانية الاستفادة من القبائل العربية الصديقة على غرار ما كان يجري في بلاد الشام الجنوبية . ولكن رد فعل مود كان غير متحمس ، حين ابرق للوزارة قائلاً : - ان السلام والهدوء هما الامران المطلوبان بصورة ملحة من العرب في هذا الوقت ، وهما لايتوفران الا بوجود ادارة تنتهج الوداء القبائـل الموالية والقمع ازاء القبائل المعارضة ، ثم أن قيمة العرب القتالية ضئيلة . وقد أيد في رأيه السير برسي كوكس رئيس الضباط السياسيين ، مما جعل السلطات في لندن تصرفه النظر عن تلك الفكرة (٢) . وقد أيد "ولسون" ، الذي

(١) Glubb, Britain and the Arabs, pp. 100 - 101.

(٢) Busch, B. C., Britain, India and the Arabs 1914 - 1921, Berkeley, 1971, p. 147.

عاش أحداث تلك الفترة وشارك في صنعها ، صحة تلك الرواية ، وضاف أن الجنرال مود تردد في قبول تلك الفكرة تحسبا من أية ظروف يمكن أن تنشأ نتيجة لاستعداد القبائل لتغيير ولائها في أية لحظة ، ونتيجة لولع القبائل بالحصول على الغنائم (١) .

هذا ومن ناحية أخرى ، انشغلت السلطات المحتلة بأمر وثيق الصلة بإدارة المتبعة في المناطق القبلية . إذ كانت تعرف مدى الجهد الذي بذلته الحكومة العثمانية لاقتناع أو قسرا أبناء القبائل على مراجعة المحاكم العثمانية في قضاياهم دون أن يحقق ذلك الجهد نتيجة تذكر (٢) . ولذلك رأت السلطات البريطانية أن من غير الحكمة محاولة تطبيق القوانين المولفة من مزيج من القوانين العثمانية والهندية في ديار القبائل كما تطبق على أبناء المدن (٣) . ولكن ذلك لم يعن أن تترك المناطق القبلية دون قانون معين تحتكم إليه ، فمن المعروف أن للقبائل أنظمة خاصة موفقة في القسـدم للمتقاضى وإقرار الحقوق حسب العادات القبلية الموروثة (٤) . وقد فكرت السلطات المحتلة بعد فترة وجيزة من احتلال البصرة بتقنين تلك الأنظمة وتطبيقها بين القبائل ، ولكن حكومة الهند رأت أن الوقت مازال مبكرا لوضع مثل ذلك القانون العرفي Code of Customary law (٥) .

(١) Wilson, op.cit., p. 263.

(٢) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٣٩ .

(٣) Wilson, op.cit., p. 68.

(٤) الطاهر ، البدو والعشائر ، ص ١٦ - ١٧ .

(٥) IOR, L/p+s/10/513, No. 4726, Viceroy to India Office, Jan. 26, 1915.

ولكن عدم اقرار وضع ذلك القانون في البداية ،لم يعن تجاوز العادات والاعراف القبلية ،فقد أوكل الى الضباط السياسيين تشكيل مجلس قبلى لحسم أية قضية بين المتخاصمين من أبناء القبائل بموجب العادات القبلية السائدة ،والتي لم تكن تختلف كثيرا بين منطقة وأخرى في المبادئ الأساسية وان كانت تختلف في بعض الجزئيات (١) . ولم تلبث الموافقة أن صدرت على تشريع قانون يحوى مبادئ "التقاضي بين القبائل ،سمى" نظام دعاوى المشافير المدنية والجزائية" ،وصادق عليه القائد العام لجيش الاحتلال فى ربيع الثانى ١٣٣٤هـ/فبراير ١٩١٦م .وبموجب ذلك القانون كانت معالجة القضايا القبلية تتم على درجتين ،اولاهما تشكيل مجلس التحكيم القبلى لمعالجة القضية المعروضة حسب القواعد القبلية المتبعة ،فاذا لم يفلح المجلس فى الوصول الى نتيجة يقرها الطرفان المتنازعان ،تنتقل القضية الى الدرجة الثانية وهى أن يقوم الضابط السياسى بغرض الحل الذى يراه صوابا حسب قناعاته الشخصية وبعد الاستئناس برأى شيوخ القبيلة (٢) . ولم يكن الضباط السياسيون يتورعون فى سبيل فرض الحل الذى أرتأوه عن استخدام القوة المتاحة لديهم او التهديد باستخدامها (٣) .

وقد نجح ذلك النظام نجاحا كبيرا ،اذ أدى الى تهدئة القبائل التى طبق عليها ،وجعلها ميالة لتصفية ما يثور بينها من قضايا تحت إشراف الضباط السياسيين (٤) . ومقدر ما كان ذلك النظام متفقا الى حد بعيد

(١) Wilson, op.cit., p. 69.

(٢) بل ،مصدر مذكوره ،ص ٥٥ .

(٣) Dickson, Kuwait..., pp. 175 & 194.

(٤) Wilson, op.cit., p. 69.

مع رغبات افراد القبائل وعاداتهم المألوفة منذ زمن قديم، بقدر ما أراح الضباط السياسيين البريطانيين بأن رفع عن كواهلهم حملاً ثقيلاً (١) . ومن الطريف الإشارة هنا الى أن بعض أولئك الضباط السياسيين استخدموا نظام التقاضي القبلي ليس في تصفية النزاعات بين الاطراف القبلية فقط ، بل أنهم استخدموه أحياناً لحل خلاف نشب بين طرف قبلي من ناحية وسلطات الاحتلال من ناحية أخرى (٢) . ومن المفيد هنا التنبيه الى أن تطبيق ذلك النظام لم يكن شاملاً كل المناطق القبلية فقد مر بنا في الفصل السابق (٤) أن اغلب لواء المتفق ظل خارج السيطرة الفعلية لسلطات الاحتلال حتى مابعد فترة بحثنا .

وكما أرضى تطبيق ذلك النظام القبائل وشيوخها ، فإنه أرضى لدرجة كبيرة الاوساط الدينية الشيعية ، لانه كان ينص على طلب مساعدتها في حل بعض القضايا عند الحاجة (٤) . وكانت المساعدة تتمثل بإرسال الخصمين الى كربلاء والنجف ليقوم علماء الدين بتحليلهم اليقين في مراقب الأئمة على بن أبي طالب والحسين والعباس أبني علي رضي الله عنهم (٥) ولا يخفى ما في ذلك الاجراء من فائدة كبيرة للسلطات المحتلة ، فهو اجراء سهل وسريع لحسم القضايا مهما كانت درجة تعقيدها ، اذ يخسب

(١) العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ، ص ٣٧ .

(٢) Dickson, Kuwait..., p. 199.

(٣) انظر الفصل الخامس ، ص

(٤) Wilson, op.cit., 69.

(٥) Dickson, Kuwait..., p. 177.

الطرف الآثم غالباً من مغبة أداء اليمين في تلك المواقف فيكشف بذلك كذبه ويسهل تمييز الحق من الباطل . وهو من ناحية أخرى وسيلة لتوثيق الصلات مع علماء الدين في النجف وكربلاء ، الذين حرص بعضهم على تعزيز علاقاتهم مع السلطات المحتلة في هذا الوقت ، حتى انهم بادروا لارسال برقيات التهنئة الى ملك بريطانيا بمناسبة سقوط بغداد بيد القوات الغازية (١) . هذا ومن ناحية أخرى درج الضباط السياسيون أيضاً على الاستعانة بـ " السادة " (٢) المحليين الذين كانوا يقيمون في مناطقهم في حسم ما ينشب من خلافات قبلية ، وفي حل المشاكل الفقهية مثل قضايا الموارث والطلاق وغيرها من الشؤون الشخصية . (٣)

سلطات الاحتلال والمشكلة الزراعية : الارض والرى والضرائب :

ورثت سلطات الاحتلال البريطاني ادارة مناطق ولاية البصرة ، وورثت معها بالنتيجة مشاكل عديدة ، لحل من اعقدها المشكلة الزراعية بشقيها — المتراطيين : الارض والضرائب . ففيما يتعلق بالارض كانت المشكلة تتمثل في الصراع بين شيوخ القبائل على التزام المقاطعات في لواء العمارة ، والنزاع بين مالكي الارض القانونيين الذين يحملون سندات الطابو وشاغلي الارض الفعليين

(١) Wilson, op.cit., p. 243.

(٢) السادة هم من ينتسبون الى آل البيت ، وكان بعضهم يقيمون بين القبائل ويتمتعون بمكانة كبيرة ، حيث يرجع لهم ابناء القبائل في كثير من أمورهم الشخصية والعامة . راجع : الطاهر ، البدو والعشائر ، ص ١٧ .

(٣) Dickson, Kuwait..., pp. 198 & 213.

من ابناء القبائل في لواء المنتفق . ولم تخف صعوبة المشكلة وتعقيداتهما على سلطات الاحتلال ، فالتزمت جانب الحذر ، وتجنبنا اتخاذ أى اجراء عاجل لمعالجة المشكلة ، تجنباً لاثارة أى طرف من الاطراف القبلية ضدها من ناحية ، والتزاماً منها بتوجيهات السلطات العليا في لندن من ناحية أخرى . اذ نصت تلك التوجيهات على وجوب التزام سلطات الاحتلال في العراق بتنفيذ القوانين العثمانية في المجال الزراعي (١) .

وقد بادرت سلطات الاحتلال الى تعيين هنري دويس Dobbs مفوضاً للإيرادات الحكومية Revenue Commissioner ، واوكلت له من ضمن مهامه الأخرى التعامل مع مشكلة الاراضي الزراعية ودراسة مختلف جوانبها (٢) . ولمعاونته في هذا المجال انشأ دويس قسماً ملحقاً بإدارته على نمط ادارة الثابو العثمانية نفسها وزوده بالمساحين والفنيين اللازمين لتسييره (٣) .

ويبدو أن دراسة هنري دويس للمشكلة قاده الى الاقتناع بضرورة المحافظة على الوضع الراهن . ففي لواء العمارة ، وبعد شهر من احتلاله ، رفع دويس الى قيادة جيش الاحتلال تقريراً ضافياً عن وضع الاراضي الزراعية هناك . وقد اوضح فيه ان كل تلك الاراضي تقريباً تعود ملكيتها للدولة

(١) IOR, L/p+s/10/847, No. 128145/M.E. 44a, the Under-Sec. of State, F. O., to the Under-Sec. of State, I.O., Sep. 19, 1919.

(٢) Wilson, op.cit., p. 256.

(٣) IOR, L/p+s/10/514, No. 2422, the Hon'ble Lieut. Col. Sir P.Z. Cox, Basra, to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign and Political Dept., Simla, May 22, 1916.

"أميرية"، وانها منووحة للعلتزمين بموجب عقود التزام . و اضاف : " أن غالبية التلزميات ستنتهى فى مارس ١٩١٦ أو مارس ١٩١٧ ، وبعد ذلك ستكون الاراضى والمياه - من الناحية التقنية - تحت تصرف الحكومة . وسنواجه بمشكلة فيما لو انهيئت العقود فى وقت أبكر لان نظام التلزم الثانى الواسع ، والمعتقد سوف يفسد " (١) فجاءه رد تلك القيادة عاجلا ، وهو يفيد بأنها لا ترغب الاقلا فى اطلاق ملتزمى الاراضى او التدخل فى حقوق النزاع على أى وجه (٢) . وتنفيذ هذا التوجه فقد أستدعى رئيس الضباط السياسيين ملتزمى المقاطعات فى ذلك اللواء واخبرهم ان السلطات البريطانية ستدعمهم يستمررون فى استثمار مقاطعاتهم شريطة أن يتحلوا بالسلوك الحسن (٣) . اذ اتعد شرط السلوك الحسن ذريعة لمعاقبة من ناوأوا الاحتلال عن طريق تقليص اراضيهم أو مصادرتها كلية . (٤)

أما فى لواء المنتفق فقد كان الوضع أكثر تعقيدا من أن تنفع فيه سياسة المحافظة على الوضع الراهن ، ففي الاجزاء التى خضعت لسلطة الاحتلال الفعلية من ذلك اللواء لم يكن بالامكان تهدئة القلق العام السائد بين القبائل الا اذا تم الوصول الى تسوية الدعاوى المتضاربة حول ملكية الاراضى بين عائلة " آل سعدون " والقبائل (٥) . فالفرق الاول كانوا يحملون سندات

(١) IOR, L/p+s/10/458, No. 26-C, Mr. Dobbs to the Gen. Staff- Intelligence, Basra, July 2, 1915.

(٢) IOR, L/p+s/10/458, No. Ig.- 812, the Army Commander to Mr. Dobbs , Revenue Commissioner, July 3, 1915.

(٣) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٤ .

(٤) عبد الرزاق الطاهر ، الاقطاع والديوان فى العراق ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ١٩ - ٢٠ .

Dickson, the Arab of the Desert, p.(٥) 559.

الطابو ويدعون أنهم لم يستلموا ايجارا عن أراضيهم من شاغليها منذ عشر سنوات (١) ، ويطالبون السلطات المحتلة أن تلتزم جانب القانون فتحصل لهم - بالقوة اذا استلزم الأمر - حقوقهم من المستأجرين (٢) . في حين كان شاغلو الأرض يدعون بالمقابل أن معظم الاراضى التى يطالبون بها الفريق الاول اراضى أصريه . ومما زاد فى صعوبة المشكلة انه لم تكن هنالك عقود ايجار حديثة بين المالكين والمستأجرين الا فى حالات معدودة ، كما أن الاراضى لم تكن مثبتة المساحة بصورة دقيقة فى سندات الطابو ، اذ يحدد السند فى اغلب الحالات حدود الارض ويبين أن مساحتها خصصت دونما فقط بينما تكون المساحة الفعلية الواقعة ضمن تلك الحدود الاف الدونمات . (٣)

وقد وقعت سلطات الاحتلال ازاء ذلك الوضع فى مأزق حرج ، فهى لا تريد - لاسباب سياسية وعسكرية - اغضاب ال سعدون ، ولكنها لا تقدر على تأييد حقوقهم القانونية بقوة السلاح ضد مستأجرى أراضيهم من أبناء القبائل التى هى حريصة أيضا ولنفس الاسباب على استمالتهم . كما كانت القيادة العربية تعترض على التورط فى أية قضية يمكن أن تودى الى اثاره المتاعب مما يوقعها من انجاز هدفها الرئيسى وهو دحر القوات العثمانية . ونتيجة لكل هذه العوامل المتشابكة توصلت السلطات الى فئاة مفادها أن حل تلك المشكلة حلا نهائيا لا يمكن أن يتأتى لها فى زمن الحرب ولكنها كانت تدرك ، رغم هذا ضرورة تحريكها بشكل ما لتهدئة الوضع فى اللواء (٤) .

(١) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨١ .

(٢) Philby, op.cit., pp. 115-116.

(٣) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨٢ .

(٤) Philby, op.cit., p. 116.

ولهذا لجأت الى اتباع اجراءات توفيقية تهدف الى استرضاء الطرفين المتنازعين بصورة مؤقتة (١) ، مثل الاعلان الذى أصدره القائد العام لقوات الاحتلال فى سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م والذى حظى بموجبه على المحاكم نظر أية قضية تتعلق بتقرير ملكية الاراضى الزراعية الا بعد الحصول على موافقته (٢) . ومن تلك الاجراءات أن قررت السلطات فى بعض الحالات تعيين مخصصات مالية لبعض ملاكى الاراضى بدلا من واردات أراضيهم انتظارا للتسوية النهائية . (٣) كما انها لجأت فى حالات أخرى الى تحصيل الرسوم من المستأجرين على أساس مساحة الارض المثبتة فى السند لا المساحة الواقعة ضمن الحدود فعلا . (٤)

وإذا كانت تلك الاجراءات التى أتبعها المحتلون فى لوائى العمارة والمنطق قد أدت الى تهدئة الخواطر ، فلم تقم القبائل بأية اضطرابات خطيرة بسبب مشكلة الارض كتلك التى تعودت السلطات العثمانية على مواجهتها (٥) . فإن المحتلين لم يستطيعوا تجنب بعض الاحتكاكات مع قبائل هذين اللوائين بسبب قضية أخرى تتعلق بالزراعة ، وهى التعايش بين الملاحة البريطانية فى نهري الفرات ودجلة وعملات الري التى تقوم

(١) Longrigg, op.cit., p. 82.

(٢) IOR, L/p+s/10/847, No. 31435, Acting Civil Commissioner in Mesopotamia to the Under Sec. of State for India, Oct. 12, 1919.

(٣) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٧ .

(٤) فياض ، مرجع مر ذكره ، ص ١٨٢ .

(٥) Wislon, op.cit., p. 256.

بها القبائل لحقولها . ففي نهر الفرات كانت العشائر القاطنة على ضفافه جنوب مدينة سوق الشيوخ قد بنت منذ زمن طويل سدة بدائية في المكيكة لرفع منسوب مياه النهر خلفها حوالي ثلاثة أقدام ، فتمكن بذلك من ري حقول الأرز وهو من المحاصيل التي تتطلب كمية وفيرة من المياه . ولكن القوات البريطانية عندما احتلت الناصرية في رمضان ١٣٣٣ هـ / يوليو ١٩١٥ م قامت بتدمير تلك السدة لتأمين خطوط امدادها النهرية مع البصرة . وقد أدى ذلك الى الاضرار بمزارع الأرز في مساحة واسعة تقع على القنوات الممتدة شمال السدة ، مما اضطر السلطات المحتلة لاسترضاء العشائر المتضررة باعطائها تعويضات مالية عن الخسائر التي لحقت بها . ولم تنسر تلك السلطات في هذه المناسبة أن تخصم بالتعويض العشائر الموهدة لها وتحرم منه العشائر التي قاومت زحف قواتها . (١)

وقد تفاقم الوضع في تلك المنطقة في السنة التالية ، ولم ينقذ حقول الأرز هناك لجوء العشائر الى وضع سدود في مجارى القنوات المتفرعة من النهر الرئيسى لرفع منسوب المياه فيها وايصاله الى الحقول . وقد تحملت العشائر نتيجة لذلك خسائر فادحة يمكن تصور حجمها من معرفة أن عشيرة صغيرة واحدة فقدت حقول أرز تساوى قيمتها أربعين ألف روبية . وترتب على ذلك انتشار شعور من الغضب والاستياء بين عشائر المنطقة ضد الحكم البريطانى ، لم تخفف منه الاجراءات التي قامت بها السلطات المحتلة مثل اعانة الشيوخ المتضررين اعانات مالية كبيرة ، وتوزيع بذور

IOR, L/p+s/10/458, No. 50, Office of the Chief P.O. , (١)
Basra, to the Officer in Charge, Cairo Section, Eastern
Bureau, Sep. 9, 1916.

القمح عليهم لزاعتها بدلا من محصول الأرز المفقود ، لأن زراعة القمح لا تحتاج الى كمية كبيرة من المياه كزراعة الأرز . (١)

ومما زاد من استياء العشائر في تلك المنطقة أن السلطات المحتلة بدأت بحفر قناة ملاحية تعمق مجرى النهر وتسحب كمية أكبر من المياه (٢) . فتكتلت العشائر وأعلنت معارضتها الصريحة للمشروع (٣) ، واضطرت السلطات البريطانية لإقامة حامية عسكرية في العكيكه لمواجهة احتمالات تطور الموقف (٤) . في الوقت الذي سعى فيه الضابط السياسي في سوق الشيوخ لدى أحد رجال الدين المحليين ووسله لدى تلك العشائر المعارضة لإقناعها بأن ترى أولا الأثر الفعلي الذي ستسببه القناة على ري مزروعاتها . فإذا ظهر أن ذلك الأثر كبير بحيث يعوق زراعتها فإن لها كامل الحق في أن تعيد بناء سدودها المعتادة لرفع منسوب المياه وسقي حقولها بينما توجه السلطات البريطانية سفنها الى سلوك سبيل ملاحي آخر عبر الهور (٥) . وبسبب ذلك التسوية المقترحة كانت كافية لانهاء قلق العشائر .

أما في لواء العمارة ، فقد أرسلت قيادة الجيش البريطاني في العراق برقية الى الضابط السياسي في العمارة في يولييه ١٩١٥ م (شعبان ١٣٣٣ هـ) وجهت نظره لامكانية تطوير نهر دجلة باعتباره مراً ملاحياً مهماً بالنسبة لها ، وأضافت تلك البرقية قائلة :- " أنت تعلم أن وجهة نظر قائد الجيش

Ibid. (١)

Philby, op.cit., p. 113. (٢)

Dickson, Kuwait...p.214. (٣)

Philby, op.cit.,p. 113. (٤)

Dickson, Kuwait...,p. 214. (٥)

هي أن السيطرة على القبائل العربية ستصان بصورة كبيرة جدا عن طريق المعالجة الجيدة لقضية الري، وأن من الأهمية الفائقة جعل تلك القبائل ترى بأن مصالحها متوافقة مع مصالحنا". (١) وبعد يومين زادت القيادة وجهة نظرها أيضا بالقول أن قائد الجيش "طلب من حكومة الهند إرسال مهندسين وطواقم من المختصين بشئون الري للنظر في الأعمال اللازمة لتنظيم المياه التي تذهب الآن من دجله هباءا إلى الأهوار وتنظيم عطية الري لأغراض الزراعة. أن التدفق غير المنظم في القنوات العديدة لا يعنى التفريط بالمياه التي يمكن الانتفاع منها لاستصلاح أراضى أكثر للزراعة فحسب، ولكنه يديم الأهوار أيضا ويجعل النهر ينخفض بصورة خطيرة في أشهر معينة، وسيشكل ذلك خطورة عسكرية إذا ما توقفت الامدادات عن القوات، بالإضافة إلى أنه يعرقل تدفق التجارة شمالا وجنوبا. أنه (قائد الجيش) يرغب بالتوضيح للقبائل بطريقة مناسبة أن تنظيم المياه - حتى لو نقص حجمها في القنوات العديدة وانخفض مستواها - ضرورى لمصالحها، وهو يرغب في جعلها ترى أن ذلك سيفيدها...". (٢)

وقد تحفظت وزارة الهند على فكرة هذا المشروع لأسباب سياسية وعسكرية وفضلت أرجاء تنفيذه لحين اتضاح الرؤية حول مستقبل العراق، ولكنها وافقت رغم ذلك على إيفاد السير جورج بوكانان Buchanan للعراق

(١) IOR, L/P+s/10/458, No. Ig.- 803, The General Staff, Intelligence, Basra, to Captain Leachman, July 1, 1915.

(٢) IOR, L/p+s/10/458, No. Ig. - 812, the Army Commander to Mr Dobbs, Revenue Commissioner, July 1, 1915.

لتقديم المشورة الفنية لسلطات الاحتلال حول تحسين الملاحة في نهــــر
دجلة (١) . وقد باشر بوكاتان حال وصوله للعراق في إجراء الدراسات على
مجرى النهر ، ثم قدم تقريراً مفاده أن تحسين الملاحة في فصل "الصيهد" (٢)
أمر ممكن عملياً ، وذلك من طريق تخفيف حدة الانعطافات في مجرى النهر
وإزالة العوائق الموجودة في مجراه وإنشاء سدود مؤقتة على أفواه القنوات
العديدة التي تسحب المياه منه . وقد اعترفت قيادة الجيش بصحوبة تنفيذ
تلك المقترحات دون حرمان القبائل من كمية كبيرة من المياه اعتادت سابقاً على
سحبها لأغراض ري مزارعها ، كما اعترفت بأن فكرة إنشاء السدود على أفواه
القنوات قد أثارت بعض "الجدل" (٣) . ولم يكن ذلك الجد في حقيقته
إلا اعتراض القبائل بشكل حاد على تنفيذ تلك الفكرة بعد أن تسربت إليها
أخبارها ، مما اضطر رئيس الضباط السياسيين لايفاد جون فليبي وجرتود بيل
لمحاولة اقناع شيوخ القبائل بسحب اعتراضاتهم (٤) . ثم قام هنري دويس
ومراقبوه بمحاولة أخرى في هذا السبيل كادت أن تؤدي بأرواحهم على

IOR, L/p+s/10/513, No. P-3903 , Sec. of State for India (١)
to Viceroy, Oct. 30, 1915.

(٢) "الصيهد" عند أهل العراق نقص المياه الجارية في الأنهار إما بالتبخر
وإما بالنضوب ، ويكون ذلك في أيام اشتداد الحر في الصيف ، والظاهر
أن اللفظة فصيحى لأن الصيهد في اللغة شدة الحر والصيهد الفلاة
التي لا ينال ماءؤها . . . راجع :

لغة العرب ، السنة ٢ ، ج ٥ ، ذى القعدة وذى الحجة ١٣٣٠ هـ / تشرين
الثاني ١٩١٢ ، ص ٢١٣ .

IOR, L/p+s/10/458, No. 1543/11/Q, The General Officer (٣)
Commanding Force "D", Basra, to the Chief of General
Staff, Simla, May 27, 1916.

Philby, op.cit., pp. 119-120. (٤)

أيدي رجال القبائل الغاضبين (١) .

وقد قابلت حكومة الهند اعتراضات قبائل لواء العمارة بحزم فأبرقت الى قائد الجيش البريطاني في العراق، قائلة :- " لا يمكن أن يسمح للاعتراضات السياسية بالوقوف في طريق الانشاء بسبب الأهمية القصوى للمعاملات في دجلة . أن العرب ذوي العلاقة يجب أن يعوضوا أو يجبروا على الخضوع ، ويجب أن تجري الاستعدادات من أجل هذه الغاية " (٢) . ويد وأن الترهيب المادي والترهيب عن طريق التهديد باستخدام القوة قد أدبا دورهما في اقناع الشيوخ الرافضين بالتخلي من مواقفهم ، خاصة وأنه جرى البحث من ترتيبات فنية يمكن أن تبقى كمية كافية من المياه تحت تصرفهم لاستخدامها في أغراض الري . (٣) وقد اعترف ولعمرون رغم ذلك ان المشروع كله تم الاقدام عليه دون دراسة فنية كافية فأدى الى الاضرار بحقول الأرز حتى باتت مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية جرداء . (٤)

ومن المرجح ان ذلك كان عاملا من العوامل التي أدت الى نقص انتاج المواد الغذائية في المناطق المحتلة واتجاه السلطات الى استيراد كميات

(١) Buchanan, op.cit., p. 103.

(٢) IOR, L/p+s/10/458, No. 50569, The Chief of General Staff, Simla, to the General Officer Commanding, Basra Apr. 26, 1916.

(٣) IOR, L/p+s/10/458, No. 1543/11/Q, the General Officer Commanding Force "D", Basra, to the Chief of General Staff, Simla, May 27, 1916.

(٤) Wilson, op.cit., p. 293.

كبيرة من الحبوب من الهند (١) ولعل من تلك العوامل أيضا نقص الايدي العاملة في الزراعة نتيجة لاتجاه الكثير من ابناء القبائل للعمل في المشاريع الانشائية للسلطات المحتلة فقد سحب مشروع انشاء السكة الحديدية بين البصرة والعمارة مثلا كل الرجال القادرين على العمل تقريبا من حقولهم في منطقة القونة (٢) . ونتيجة لكل ذلك قل انتاج الحبوب بصورة مضطردة حتى بلغت كمية الانتاج سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م ربع ماكانت عليه في سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م (٣) . وقد حاولت سلطات الاحتلال معالجة الأزمة من طريق تبني خطة لزيادة الانتاج الزراعي (٤) ، وقامت بتوزيع البذور الكافية لزراعة مساحات أوسع من الاراضي (٥) . بالإضافة الى انها قررت تعويض المزارعين عما لحق بهم من أضرار ناتجة عن العمليات الحربية التي جرت خلال السنوات الثلاث التي اعقبت احتلال البصرة . (٦)

واذا كنا قد المنا بنجاح سلطات الاحتلال في تجاوز التعقيدات الناشئة عن مشكلتي الارض والري ، فقد بقي علينا أن نتعرف على كيفية تعاملهم مع مشكلة ثالثة ترتبط بالمشكلتين السالفتين ، ألا وهي جباية الضرائب المقررة على القبائل . تلك المشكلة التي عرفنا سابقا انها سببت الكثير من الصدامات الدمية بين القوات العثمانية والقبائل . ويبدو أن أمر تلك

(١) Philby, op.cit.,p. 119.

(٢) Wilson, op.cit.,p.291.

(٣) وميض نظمي وآخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٧٩ .

(٤) IOR, L/P+S/10/516, No. 1612, Sir P. Cox to I.O., London, May 13, 1917.

(٥) العرب ، السنة ١ ، العدد ١٢٢ ، ٧ ربيع الاول ١٣٣٦هـ / ٢١ ديسمبر ١٩١٧م ، ص ١ .

(٦) العرب ، السنة ١ ، العدد ٩١ ، ٣٠ محرم ١٣٣٦هـ / ١٥ نوفمبر ١٩١٧م ، ص ١ .

الصدامات لم يكن خافيا على السلطات المحتلة ، ولذلك فقد أعرضت عن أمر جباية الضرائب من القبائل أول الامر (١) . ثم حين ترسعت دعائم وجودها في المنطقة المحتلة بدأت التعامل مع موضوع الضرائب بحذر (٢) ، فقد عينت هنرى دويس مفوضا للواردات الحكومية واوكلت له مهمة دراسة أمر الضرائب ووضع الأسس التي يتم على ضوئها أستيفاءها (٣) . وبعد الدراسة توصل دويس الى قناعة مفادها أن أفضل سبيل تسلكه السلطات البريطانية هو عدم المساس بالنظام المالي العثماني المعقد لجباية واردات الارض والضرائب الاخرى (٤) . ولقد جاءت تلك القناعة بلازئب متفقة مع توجيه حكومة الهند القاضي بابقاء نظام واردات الارض القائم في المناطق المحتلة غير معكرو قدر الامكان . (٥)

ويبدو ان الضباط السياسيين وسامديهم الذين أوكل لهم أمر تطبيق ذلك النظام في المناطق المحتلة المختلفة قد زودوا بتعليمات تقضى بأن يكونوا مرئيين أقصى غاية المرونة في جمع الضرائب المقررة ، حتى لا ينفروا القبائل وحتى يكسبوا ودها من ناحية ، وحتى يظهروا الحكم الجديد بمظهر المتساهل الذي لا يثقل كاهل المزارعين بالضرائب عكس الحكم السابق من ناحية ثانية . ففي لواء العمارة أجرى بعد الاحتلال احصاء تقريبي عما يمكن أستيفاءه من الضرائب من كل مقاطعة ، ثم تمت مقارنته بالمبالغ المقررة في العقود التي

(١) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٨

(٢) Longrigg, op.cit., p. 83.

(٣) Wilson, op.cit., p. 70.

(٤) Philby, op.cit., p. 93.

(٥) IOR, L/p+s/10/515, No. P- 1315, Sec. of State for India to Viceroy, March 29, 1917.

أبرزها الملتزمون والموقعة بينهم وبين الحكم السابق، ورفعت جميع التقديرات إلى قائد الجيش البريطاني في العراق، الذي أقر ما أقترح فيها من تخفيضات بلغت حد نصف المبالغ المقررة في العهد العثماني، وقد تم أخبار الشيخ بأن هذه التقديرات وقتية إلى أن يتم إجراء تقديرات أكثر اتقانا، كما أضيفت في نفس الوقت الديون المتراكمة للدولة في ذمة الشيخ الطنزين من السنوات السابقة. وفوق ذلك فقد قامت السلطات المحتلة بإجراء تخفيضات أخرى خلال شتاء سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م - ١٩١٦م (١).

أما في منطقة سوق الشيخ فإن ديكسون الضابط السياسي هناك، تدرج في الخطوات التي أتبعها لجمع الضرائب، إذ ترك في أول الأمر استيفاء الضرائب المقررة على الحبوب كالأرز والحنطة والشعير "العشور" والضرائب على المواشي، وركز نظره على الضريبة المقررة على النخيل وهي روبية واحدة على كل نخلة. ولكون السلطات العثمانية قد أتلفت كل السجلات الرسمية قبل انسحابها، فقد قر عزمه على أن يطلب من كل عشيرة مبلغا أسما لقاء الضريبة على نخيلها، ثم يضاعف ذلك المبلغ في السنة التالية ويضاعفه في السنة التي تليها وهكذا. فإن أعترضت عشيرة ما على تلك المضاعفة غيرها بين الدفع وبين القيام بعملية أعصاه دقيقة لنخيلها. ثم انه بدأ بتطبيق طريقته تلك على العشائر الصغيرة القليلة الأهمية حتى يضمن عدم قدرتها على معارضة ما يقرره. وهو خلال ذلك كله لم يكن يتورع في سبيل اتمام العملية بسلام - عن اللجوء إلى الخداع والعدا منه والاسترضاء، أو أن يتظاهر بالتصلب أحيانا فيضع بعض الأشخاص في السجن لحين مجيء من يتوسط لهم عنده، ولكنه مع ذلك لم يسلم من مضايقات المتذمرين من دفع الضرائب التي كادت أحيانا أن تؤدى بحياته. (٢)

(١) بل، مصدر مذكور، ص ٢٥.

(٢) Dickson, Kuwait..., pp. 170-172.

وفي مناقشة القرنة استطاع الضابط السياسي هناك أن يقوم بجباية الضرائب المقررة دون أن يواجه مشاكل جديدة ، وقد نجح أن يجبي منها خلال سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م ما يقارب العشرة آلاف جنيه أسترليني ، وهو مبلغ يفوق ما استلمت السلطات العثمانية جبايته من تلك المنطقة في أي وقت مضى (١) . ولكن ذلك النجاح الذي حققته سلطات الاحتلال في جباية الضرائب من مناطق العمارة وسوق الشيوخ والقرنة قابله أخفاقها الكامل في اتمام تلك المهمة في أغلب مناطق اللواء المنتفق . إذ لم تستطيع السلطات المحتلة كما عرفنا فرض سيطرتها على أغلب قبائل ذلك اللواء المتحصنة في أهوارها غير المطروقة سابقا أو وراء قنواتها الكثيرة التي تعوق تحرك القوات في أراضيها . ولذلك اضطر البريطانيون كما فعل أسلافهم من قبل للاغضاء في هذه الفترة عن جباية الضرائب المقررة على تلك القبائل أنتظارا للوقت الملائم (٢) . ولا ريب أن العامل الأساسي الذي جعلهم يقفون هذا الموقف هو رغبتهم في تجنب أو عصيان قبلي قد يضع عبئا إضافيا على كاهل القوات البريطانية التي كانت تنازل القوات العثمانية في ساحات القتال . (٣)

ورغم استثناء أغلب مناطق المنتفق ، فإن المبالغ التي أمكن لسلطات الاحتلال جبايتها من لوائي البصرة والعمارة وقضاء سوق الشيوخ كانت ضخمة (٤) .

(١) Wilson, op.cit., p. 292.

(٢) Ibid., pp. 294- 295.

(٣) Dickson, Kuwait..., p. 171.

(٤) Wilson, op.cit., p. 283.

ويبدو ذلك واضحاً من مقارنة تلك الجباية مع مقدارها أيام الحكم العثماني ،
 ففي سنة ١٣٢٨-١٣٢٩هـ / ١٩١٠-١٩١١م استطاعت السلطات العثمانية جباية
 ما مجموعه خمسمائة وسبعة وعشرين ألفاً ومائة وخمسة وسبعين جنيتها استرلانيا
 بينمنا، استطاعت السلطات البريطانية في سنة ١٣٣٦ - ١٣٣٧هـ / ١٩١٨-
 ١٩١٩م جباية ما مجموعه مليون وأربعمائة وواحد وستين ألفاً وسبعمائة وخمسة
 وعشرين جنيتها استرلانيا (١) . ولعل مرد تلك الزيادة الكبيرة التي قاربت
 الثلاثة أضعاف يعود لدقة الجباية أكثر مما يعود الى الزيادة في نسبة
 الضريبة ، اذ مر بنا أن الضرائب قد خفضت في كثير من الاحيان عما كانت
 عليه في العهد العثماني . ولو أن سلطات الاحتلال زادت من نسبتها
 لكان لذلك رد فعل يتمثل بمعارضة القبائل وربما بعضائها كما كانت تفعل
 سابقاً ، في حين أن السلطات المحتلة لم تواجه بأى عصيان من هذا القبيل (٢) .
 ولا يجب أن نفل في النهاية القول بأن عامل الولاة للسلطات المحتلة
 او العداء لها قد لعب دوره هنا أيضاً ، فأثر على مقدار الجباية من منطقة
 لمنطقة ومن عشيرة لعشيرة ، اذ تمتع الشيوخ الموالون بأعفاءات كبيرة بينمنا
 ثقلت الضرائب على المنضوب عليهم من الشيوخ (٣) .

(١) وميض نظمي وآخرون ، مرجع مر ذكره ، ص ٧٨ .

(٢) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٥ وانظر أيضاً :
 Wilson, op.cit., p. 71.

(٣) الظاهر ، مرجع مر ذكره ، ص ١٩ - ٢٠ .

التأثيرات الجانبية للاحتلال على الوضع القلي :

يضاف الى ما المناب به من أنظمة مباشرة وضعتها سلطات الاحتلال موضع التطبيق في ديار القبائل تأثيرات غير مباشرة حضارية واقتصادية تركت في نفس الوقت أثارا كبيرة على أبناء القبائل ، فبهرتهم أو أرضتهم أو أشعرتهم بالعجز عن مواجهة ذلك المحتل الغريب . ولعل أبرز تلك التأثيرات منظر الفعاليات الحربية البريطانية الكبيرة بمعداتها المتطورة واسلحتها الحديثة (١) . وهو منظر لم تر القبائل مثله من قبل ، ففي أكبر معاركها مع الجيوش العثمانية لم يحتشد أمامها أكثر من عشرة آلاف جندي نظامي (٢) . كما أنبهرت تلك القبائل بلا ريب بالانضباط الذي كانت تلتزم به غالبا تلك الاعداد الكبيرة من الجند ، وهو أمر لم تتعوده من الجنود العثمانية في كثير من الأحيان . (٣)

والأمر الثاني الذي ترك قدرا كبيرا من التأثير في أذهان أبناء القبائل هو خطوط السكك الحديدية التي بنتها القوات البريطانية لخدمة مجهودها الحربي . فمدت غطا من القرنة حتى العمارة ابتداء تشغيله في نوفمبر ١٩١٦م (محرم ١٣٣٥هـ) ثم واصلت مداه بعد ذلك بين العمارة والكوت . كما مدت غطا آخر بين البصرة والناصرية وياشرت تشغيله في ديسمبر ١٩١٦م (صفر ١٣٣٥هـ) (٤) . وقد ذكرت جرتروود بل أن تلك الخطوط ساهمت

(١) Longrigg, op.cit., p. 93.

(٢) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج ٨ ، ص ٥٣ .

(٣) البزاز ، مرجع مر ذكره ، ص ٨٧ .

(٤) Wilson, op.cit., p. 192.

في تهدة القبائل بشكل عجيب . (١) ولعل مرد ذلك ناحيتان ، الأولى هي تسهيلها لحركة الجند البريطاني الكثير بأسلحته الحديثة أمام أنظار أبناء القبائل ووسط ديارهم ، والثانية هي أنبهار أبناء القبائل بقدرة هؤلاء المحتلين على انجاز هذا المشروع الغريب الذي لم يعرفوه قط من قبل .

هذا ومن ناحية أخرى ، أدى تدفق قوات الاحتلال على ولاية البصرة ومارافقها من حركة انشاءات واسعة في الطرق والسدود وبناء المعسكرات وماشابه الى توفر السيولة النقدية في أيدي أبناء القبائل الذين انخرط كثير منهم في تلك الاعمال (٢) . بينما انصرف بعض أبناء القرى لبيع منتجاتهم الحقلية من زراعية وحيوانية لافراد القوات البريطانية المارة في الطرق ، والانهار عبر أراضيهم (٣) . في حين لجأت سلطات الاحتلال الى شراء أعداد كبيرة من مواشى القبائل لتوفير الاغذية للقوات البريطانية في العراق حيث تتم خلال عامي ١٣٣٤ و ١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ و ١٩١٧ م فقط شراء مايقرب من ألف بقرة وخمسين ألف رأس من الغنم . (٤) واذا علمنا أن سعر السوق السائد حينئذ لرأس الغنم الواحد كان عشرة روبيات (٥) ، أستطعنا تقدير الكميات الكبيرة من النقود التي تم تداولها بين أيدي أفراد القبائل ، حتى أصبحوا

(١) بل ، مصدر مر ذكره ، ص ٧٨ .

(٢) IOR, L/p+s/10/458, No. 50, Office of the Chief P.O., Basra, to the Officer in Charge, Cairo Section, Eastern Bureau, Sep. 9, 1916.

(٣) Philby, op.cit., p. 121.

(٤) Wilson, op.cit., p. 294.

(٥) Philby, op.cit., p. 125.

يشعرون بالحيرة في كيفية انفاقها ، اذ أصبح أحدهم يكسب في الشهر
أكثر مما كان يكسبه في السنة (١) وقد ساهم في ذلك أيضا ارتفاع أسعار
الحبوب بشكل صار نال تلك الفترة . (٢)

وقد ترتب على ظاهرة توفر السيولة النقدية ازدهار التجارة في ولاية
البصرة ، حتى أن البضائع التي استوردت لتلك الولاية خلال سنة ١٣٣٤هـ /
١٩١٦م زادت قيمتها على ما استورد سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م لولايات
العراق الثلاث مجتمعة (٣) . ولكن النتيجة الأهم لتلك الظاهرة هي الشعور
الساذج الذي لا ريب أنه انتشر بين البسطاء من أبناء القبائل بالامتنان
لهذه السلطة الجديدة التي تدفق مع قدومها الخير بين أيديهم فلم يعد
كثير منهم يشمر بالعوز والحاجة مع ما يسببانه من توتر بالغ في نفس
الإنسان يجعله عرضة للثورة والانفجار عند أول احتكاك . ولكنهم أصبحوا
بدلاً من ذلك مشغولين في الكسب المادي ، فالشيوخ يبيعون محاصيلهم
الزراعية ومواشيهم بأثمان عالية ، والأفراد يمارسون الأعمال اليدوية بأجور
مجزية ، أو يبيعون منتجاتهم الحقلية بأثمان مرتفعة . وحين يتوفر المال
يقل غالباً الميل للتفكير بالمشاكل الأخرى ،

وبالإضافة إلى كل ذلك حرصت السلطات المحتلة على تقديم بعض
الخدمات العامة لأبناء المناطق المحتلة . إذ أنها كانت تدرك الأهمية

(١) Wilson, op.cit., p. 292.

(٢) العرب، السنة ١، العدد ١١٤، ٢٧، صفر ١٣٣٦هـ / ١٢ ديسمبر
١٩١٧م، ص ١.

(٣) Wilson, op.cit., p. 146.

السياسية المرتبطة بتقديم هذه الخدمات (١) ، والتي ستؤدي الى رفع مكانتها في اعين الاهلين . وعلى هذا أخذت السلطات المحتلة تدرس فكرة فتح مستوصفات صحية في مراكز بعض المدن ، وتسمى لتوفير الاعتمادات المالية اللازمة لذلك . (٢) وقد انتهت تلك الدراسة الى قرار بفتح مستوصفات في كل من الناصرية والعمارة والقرنة وقلعة صالح ، على أن تغطي نفقاتها من الإيرادات التي تجبي من المنطقة المفتوحة . ففتحت تلك المستوصفات بالفعل وكانت نتيجة عملها مرضية . (٣)

أما في الجانب التعليمي ، فقد قررت سلطات الاحتلال بعد سيطرتها على البصرة أن تقدم اعانة مالية من الإيرادات العامة للمنطقة المفتوحة الى مدرسة البعثة التبشيرية الأمريكية في البصرة . ومقابل هذه الاعانة تخصص هذه المدارس برنامجها التعليمي لتخريج العدد اللازم من المعلمين لإدارة المدارس الابتدائية التي كانت السلطات المحتلة تزعم فتحها . وقد تخرج من تلك المدرسة بالفعل المعلمون اللازمون للمدارس الابتدائية التي فتحت في مدينة

IOR, L/p+s/10/513, P-3676/1915, His Excellency the Viceroy (Foreign and Political Dept.), Simla, to His Majesty's Sec. of State for India, London, Oct. 8, 1915. (١)

IOR, L/p+s/10/515, No. D-10-36, the Hon'ble Surgeon-General H. Hathaway, Deputy Director, Medical Services, Indian Expeditionary Force "D", Basra, to the Chief of the General Staff, Army Head quarters, India, Delh, Oct. 28, 1915. (٢)

IOR, L/P+s/10/515, No. 2424, the Hon'ble Lieut. Col. Sir P. Cox, Basra, to the Sec. to the Gov. of India in the Foreign and Political Dept., May 22, 1916. (٣)

البصرة وفي الزبير وابي الخصيب ، كما تخرج بعد ذلك المدرسون اللازمون للمدارس التي تم فتحها في كل من الناصرية والقرنة والعمارة . (١)

وبالرغم من كل ذلك ، ظلت السلطة الجديدة مكروهة في اعماق نفوس الرجل القليل الى حد بعيد ، وظل الشيخ يعتبرونها عدوا يعنى أى تقدم يحققه انقاصا لقوتهم ومكانتهم (٢) . ولكنهم كانوا مضطرين لقبول وجود هذه السلطة باعتباره أمرا واقعا لا مفر منه ولا يجدى الخلاف معه شيئا ، خاصة وأنه واقع نتجت عنه بعض الفوائد التي سبقت الإشارة إليها . ولا يجب هنا افعال الاثر الذي تركته " الهدايا " المالية التي كانت سلطات الاحتلال تقدمها للكثيرين من شيوخ القبائل ، وكانت تصرف من مخصصات الخدمات السريية الموضوعة تحت تصرف رئيس الضباط السياسيين . ويمكن تقدير حجم تلك " الهدايا " من الإشارة الى أن حكومة الهند اقترحت ان تحدد تلك المخصصات بحيث لا تتجاوز عشرة آلاف روبية شهريا ، ولكن السلطات العليا في لندن امتنعت على ذلك ، ورأت اطلاق يد رئيس الضباط السياسيين بالصرف دون التقيد بمبلغ معين مادامت العمليات الحربية مستمرة (٣) .

(١) IOR, L/p+s/10/517, No. P-2960/17, Administrative Report.

(٢) فياض، مرجع مر ذكره، ص ١٧٠ .

(٣) Wilson, op.cit., p. 219.

(٤) IOR, L/p+s/10/513, No. 4667/14, Sec. of State for India to Viceroy, Dec. 2, 1914.

أما وقد وصلنا الى هذه المرحلة ، فيحسن بنا أن نقارن مقارنة سريعة بين الادارتين العثمانية والبريطانية في موقفهما تجاه القبائل . وأول ما يلفت النظر هنا هو أن الادارة العثمانية انتهجت خطأ صدامياً واضحاً ضد القبائل ، اذ كانت سياستها المقررة هي السعى لتحطيم النظام القبلي واحلال التعامل المباشر بين الفرد والحكومة محله . وهي سياسة حفزت القبائل للتصدي لها دفاعاً عن كيانها تجاه الخطر المحدق به ، فدخل الطرفان بالنتيجة في صراع دموي طويل العنا بمجرباته في الفصول السابقة . بينما كان الخط الذي أتبعه البريطانيون على العكس من ذلك تماماً ، فهو خطط استرضائي اتجه نحو تعزيز النظام القبلي وكسب ود القبائل لتوجيهها لخدمة مصالح الاحتلال . وتفرع من ذلك ان سلطات الاحتلال سعت لتقوية مركز الشيخ في قبيلته بالوقوف الى جانبه ضد المنافسين من داخل القبيلة في حين كانت السياسة المفضلة للسلطات العثمانية هي تشجيع المنافسات الداخلية بين مشايخ كل قبيلة من أجل أضعافهم جميعاً ، وهي سياسة جرت الى صدامات دموية بين الشيوخ المتنافسين لم تسلم القوات الحكومية من الاكتواء ببعض شرورها المتطايير .

ولقد وضع الموظفون الرسميون العثمانيون حاجزاً بينهم وبين أبناء ولاية البصرة واغلبيتهم من أبناء القبائل ، فأبتعدوا عنهم تعالياً وتكبراً مما طبع العلاقة بين الطرفين بطابع من انعدام التفاهم والشك . في حين حرص الموظفون البريطانيون على الانسجام مع البيئة التي حلوا فيها ، فأقاموا أوسع العلاقات مع شيوخ القبائل وداوموا على الاتصال بهم ، كى يتوصلوا الى فهم عقلية الناس الذين يحكمونهم من ناحية ، وليمارسوا من خلال العلاقات الشخصية التي يبنونها معهم اكبر تأثير ممكن في نفوسهم من ناحية

أخرى ، وما يؤدى الى كسب ثقتهم وجعلهم أكثر استجابة لما يطرحونه عليهم من افكار ومخططات تخدم مصلحة الاحتلال قبل أى شىء آخر .

وفى حين فشل العثمانيون فى معالجة مشكلتى ملكية الارض والضرائب لاصرارهم على تطبيق أنظمة وتشريعات لم تتل قبول أفراد القبائل ، حتى أصبحت تلك المشكلتان محور صدام دائم ودوى بين الطرفين . استطاع المحتلون البريطانيون بالمقابل بما مارسوه من مرونة ودهاء ومراعاة للوقائع الماثلة دون التمسك بأهداف مثالية بعيدة النال أن يكسبوا ثقة الكثير من رؤساء القبائل حول الإجراءات التى اتبعوها فى هذين المجالين . فتمكنوا نتيجة لذلك من تجسيد الخلافات حول ملكية الاراضى ، واستطاعوا أن يجلبوا من الضرائب أضعاف ما كانت تجبها السلطات العثمانية دون أراقة دماء ودون متأخرات تدور سنوها فى دفاتر الحسابات دون فائدة ودون أمل فى تحصيلها يوما ما .

ونتيجة لذلك كله ، فقد أصبحت كثير من القبائل تحت ظل سلطة الاحتلال من الوسائل التى اعتمد عليها المحتلون لحماية الامن العام والاستقرار فى الولاية من خلال الوظائف الادارية التى أسندت لشيوخها ، وباعتماد مبدأ المسؤولية الجنائية القبلية لا الفردية ، وبتقنين العادات القبلية فى التقاضى لحل المشاكل المحلية دون الحاجة الى اللجوء للقوى الحكومية . فى حين كانت القبائل وثوراتها المتصلة هى المشكلة الامنية الرئيسة فى أيام العهد العثمانى التى أستنزفت الكثير من موارد الدولة فأنهكتها ماديا واساءت لها معنويا حين كشفت ضعفها الكبير أمام مواطنيها .

الحياة

الخاتمة :

ملخص لاهم نتائج البحث

انشغلت السلطات العثمانية منذ دخل العراق في عداد املاكها سنة ١٥٣٤/٩٩٤١م بالمشكلة القبلية. ويمكن اعتبار تلك المشكلة احدى التحديات التي واجهها الحكم العثماني في هذه البلاد. اذ كان اغلب سكان العراق من القبائل، بادية كانت او متوطنة. كما أن عدم استقرار الحكم في العراق منذ سقوط الدولة العباسية فيه أدى الى تعزيز النظام القبلي، وجعله في أغلب الاحيان منافسا لسلطة الدولة المركزية او بديلا لها. وقد أدرك المسؤولون العثمانيون طبيعة ذلك التحدي، وحاولوا مواجهته والتغلب عليه بما يتيح استقرار الحكم الجديد، ويمكن السلطات الحكومية من التفرغ لمواجهة الاخطار الخارجية المحيطة بتلك المنطقة حينئذ. وكان ابرز تلك الاخطار هو الخطر البرتغالي في الخليج العربي والخطر الفارسي الرابض على الحدود الشرقية للدولة.

وقد قامت تلك السلطات - من اجل الوصول لهذه الغاية - بالعديد من المحاولات الجادة التي الممنا بها. ولعل ابرز تلك المحاولات هي خطة الوالي المصلح مدحت باشا لمعالجة مشكلة الاراضي الزراعية التي كانت جذر اغلب الوحدات القبلية. وقد صادفت تلك الخطة نجاحا بارزا في المناطق التي امكن تطبيقها فيها على نطاق واسع. ولعل مامر علينا اثناء فترة البحث من هدوء سكان لواء البصرة وتحللهم النسبي من صرامة الروابط القبلية كان أحد ثمار تطبيق تلك الخطة، ولكن اللوائين الآخرين في الولاية وهما العمارة والمنتفق لم ينعموا بمثل تلك النتيجة، اذ لم تسمح الظروف الموضوعية السائدة فيهما بتطبيق نظام الطابو تطبيقا سليما يشبه تطبيقه في لواء البصرة وبعض الوية ولاية بغداد. ونتيجة لذلك أستمر الصراع الدامي في لوائى العمارة والمنتفق بين القبائل والسلطات الحكومية

من ناحية ، أو بين بعض تلك القبائل وبعضها الآخر من ناحية أخرى وكان محور ذلك الصراع هو الأرض والضرائب الزراعية . ورغم أن السلطات العثمانية حاولت معالجة هذين الأمرين من خلال إرسال اللجان المتوالية لولايات العراق المختلفة - ومن ضمنها ولاية البصرة - إلا أن الحلول التي اقترحتها تلك اللجان لم تجد طريقها إلى التطبيق العملي . وربما كان السر الكامن وراء ذلك هو انشغال السلطات الحكومية في مشاكل عديدة داخليا وخارجيا ، مما لم يتيح الفرصة لها لوضع تلك الحلول موضع التطبيق .

وفي غضون ذلك ، وصل الاتحاديون إلى الحكم في عاصمة الدولة . وكانت فترة حكمهم فترة قلق وعدم استقرار في حياة الدولة العثمانية إذ كثرت فيها الاضطرابات الداخلية . واحتدمت المنافسات الحزبية ، وتكررت الانقلابات في عاصمة الدولة . كما ازدادت فيها الاحتكاكات والمشاكل مع الدول الأوروبية الطامعة في أملاك الدولة . إذ أرادت تلك الدول استغلال فرصة عدم الاستقرار الداخلي في الدولة العثمانية لفرض إرادتها عليها وسلخ بعض أراضيها ، كما حدث في ليبيا والبلقان وأرمينيا . وقد رافق ذلك وترتب عليه ظهور أزمة مالية عانت منها الدولة ولمست بعض مظاهرها في ثانيا البحث . وربما كان من أسبابها إضافة إلى نكبات الحروب الخارجية اتساع الانفاق على المشاريع الضرورية العاجلة مثل مشاريع السكك الحديدية وتحديث أسلحة الجيوش وماشابه ذلك .

وليس من المألوف أن تتوقع من الحكومة الجديدة وهي في خضم تلك المشاكل الكبيرة والمعقدة أن تتفرغ تفرغا كاملا لمعالجة المشكلة القبلية ، سواء في ولاية البصرة أو غيرها من ولايات

الدولة . ولذلك شاهدنا في الفصلين الاول والثاني زيادة بارزة في اضطرابات قبائل لواءى العمارة والمنتفق . فعلى الرغم من أن الرجل القبلى العادى لم يهتم كثيرا بالانقلاب الدستورى في عاصمة الدولة ، اذ أن امثال هذه الأمور بعيدة تماما عن ادراكه ، الا ان القبائل في ذينك اللوائين استغلت عدم استقرار الحكم في عاصمة الدولة لجنى بعض المكاسب . اذ استمرت في موقفها الرافض لدفع الضرائب الحكومية المستحقة عليها ، وواصلت صراعاتها الدموية على الارض والنفوذ .

ولايعنى ذلك أن الحكم الجديد وقف مكتوف اليدين ازاء الاوضاع القبلية المتردية في ولاية البصرة . فبالرغم من الانشغال بالمشاكل العامة المذكورة آنفا ، ورغم أن الدلائل تشير الى عدم وضع جمعية الاتحاد والترقى لتصور عام لمعالجة المشكلة القبلية قبل استلامها الحكم ، ورغم قلة خبرة زعمائها في الشؤون السياسية والادارية ، الا أن حكومة الجمعية قامت ببعض المحاولات لمواجهة الوضع القبلى المتردى . ولعل أهم ما فعلته تلك الحكومة في هذا المجال هو تأكيدها على فرض سلطة الدولة على القبائل واخضاعها عنوة لقوانين الدولة وخاصة ما يتعلق منها بالضرائب . وقد عملت في سبيل ذلك على تعزيز القوات العسكرية العاملة في العراق وتحديثها تسليحا وتدريباً وتنظيماً رغم الفاشقة الاقتصادية التى أشرنا اليها . ولقد كان توجيهها ذاك منسجماً مع مطالبة الاوساط المتعلمة في العراق باستخدام القوة في اخضاع القبائل لسلطة الدولة باعتبار انه الوسيلة الوحيدة المتاحة . وهى مطالبة لمسا تردها فيما نشرته الصحف الصادرة حينئذ في العراق من مقالات وتعليقات

ولم تقتصر تلك المحاولات على الجانب الحربى فقط، بل كانت للحكومة الجديدة محاولات ايجابية مثل تشكيل اللجان المختلفة وايفادها للعراق لدراسة الوضع واقتراح الحلول الملائمة له . وقد اكدت توصيات تلك اللجان على ضرورة معالجة مشكلة الارض الزراعية على الاسس نفسها التى تضمنتها خطة مدحت باشا . كما حاولت السلطات العثمانية فى هذه الفترة ايضا ادخال اصلاح على طريق استيفاء الضرائب . اذ رأينا ما فعله الوالى المصلح حسين ناظم باشا بهذا الخصوص فى لواء المنتفق بالذات . ولاريب أن ذلك الاجراء قد أبعد السلطات الحكومية عن الاحتكاك المباشر مع القبائل حول الضرائب دون تكريط بالمقابل فى حقوق الدولة .

ولكن كل تلك المحاولات بشقيها الحربى والسلمى لم تؤد الى نتيجة حاسمة فى معالجة المشكلة القبلية . فنتيجة لضعف القسومات العسكرية الحكومية العامة فى العراق حينئذ ، والضائقة المالية التى تعاني منها الحكومة لم يتح للسلطات أن تستكمل خطتها فى اخضاع القبائل عنوة ، ولا توفرت لها الوسائل الكافية لتطبيق المقترحات المتعلقة بمشكلة الاراضى . علما بأن الطرفين الحربى والسلمى وجهان لعملة واحدة ، ولا يمكن أن يوجد احدهما دون أن يعزز الآخر ويسنده وهكذا ظل الوضع القبلى متوترا ، تكثرت فيه الصراعات والمعارك الدموية ، الى أن قامت الحرب العالمية الاولى وانضمت الدولة العثمانية فى اتونها .

ومما زاد فى تأزم الوضع القبلى فى الولاية خلال فترة البحث بروز ظاهرة جديدة للعيان . وتمثلت تلك الظاهرة فى سعى الفئات السياسية المختلفة الى جر القبائل الى طلبة السياسة . فقد أدى احتدام

الصراع السياسى بين الاتحاديين وخصومهم فى عاصمة الدولة الى امتداد
 ذيل ذلك الصراع الى ولاية البصرة . ومما سهل عملية الامتداد تلك
 وجود شخصية السيد طالب النقيب زعيم مدينة البصرة ذى المظامح
 الواسعة التى تستهدف بناء كيان سياسى يتربع على قمته ويتخذ مركزه
 فى البصرة . فكان من الطبيعى والحالة هذه أن يقف السيد طالب
 فى طليعة المعارضين للحكومة الاتحادية .

وقد أدرك السيد طالب أن قواه الذاتية قاصرة عن ايماله الى
 هدفه النهائى، وعرف أن القوة الرئيسة فى محيطه هى القوة القبلية
 المناوئة غالباً للسلطة المركزية . وعلى هذا وجه اهتمامه لاستقطاب
 تلك القوة مستغلاً ميلها الموروث للتخلص من أية سلطة مركزية بعيدة
 عنها . وبذل السيد طالب جهوداً كثيرة لاستقطاب شيوخ القبائل وتوحيدهم
 خلفه . ولكنه نسي فى غمرة نشاطه هذا أن القبائل بعيدة بأدراكها
 واهتماماتها عن ميدان العمل السياسى . وغفل عن ملاحظة نفسـهـم
 القبائل فى ممارسة أنشطة جماعية مع القوى والقبائل الاخرى الا فيما
 ندر، وحرصها على قصر نشاطاتها داخل اطار القبيلة المتفرد بالمنزل
 عن غيره . ثم أن تلك القبائل اذا كانت تنفر من الخضوع لحكومة
 مركزية تبعد عنها مئات الاميال ولا تكلفها الا دفع مبلغ مالى سنوى
 على شكل ضريبة، فإنها اكثر نفورا من الخضوع لزعيم محلى قريب
 منها ولا يتميز عن شيوخها بشيء . بل ربما رأى الشيوخ أنفسهم
 اكثر منه قوة وجدارة .

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن اوساط جمعية الاتحاد والترقى
 لم تشأ أن تترك التحرك فى الميدان القبلى حكراً على السيد طالب

فى ولاية البصرة خاصة وفى ولايات العراق عامة . وقد الممنا فى الفصل الرابع بتلك المصالح ، وتعرفنا ايضا على المكانة السياسية المتميزة التى احتلتها بريطانيا هناك ، ولاحظنا النفوذ الواسع الذى صارت تمارسه فى نواحى مختلفة . وهو نفوذ لم يكن ابن يومه وانما جاء نتيجة لخطة طويلة النفس اتبعتها السلطات البريطانية منذ أن بدأ تغلغلها فى الساحة العراقية على أيدي مندوبى شركة الهند الشرقية .

وقد اغرت تلك المكانة السياسية المتميزة ممثلى بريطانيا فى العراق قبل فترة البحث بالتدخل فى الشئون الداخلية للدولة ، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين شيوخ القبائل والسلطات الحكومية ، اثناء الازمات الكبرى التى تنشأ بين الطرفين . فكان أولئك الممثلون يقيمون أنفسهم فى الاحداث باعتبارهم وطاء تارة وحماة لشيوخ القبائل تارة ثانية او نصحاء للسلطات الحكومية تارة ثالثة وهم فى كل هذا يتذرعون بحرصهم على حماية مصالحهم التجارية أو حماية ارواح مواطنيهم المسافرين عبر العراق او القاطنين فى بعض مدنه . ويبدو أن وقائع التدخل تلك التى جرت فى الماضى كانت معروفة للملأ فأغرت بعض شيوخ القبائل بمواصلة الاتمال بالجانب البريطانى اثناء فترة البحث .

وكانت اهداف تلك الاتمالات تتراوح بين طلب الحماية البريطانية بصورة صريحة ، او نشدان " نصح " الممثل البريطانى المعنى ، او طلب الضغط البريطانى على السلطات العثمانية من اجل تحقيق مطلب قبلى معين . ومن الطبيعى القول هنا بأن تلك الاتمالات لم تكن نابعة عن ود خالص يكنه شيوخ القبائل لبريطانيا ، ولا هى نتيجة لقناعتهم

بـ " عدالة " بريطانيا كما زعم بعض البريطانيين ولكنها - كأغلب أعمال شيوخ القبائل - يستهدف تحقيق هدف مصلحي للشيخ أو لقبيلته دون اعتبار كثير للوسيلة التي يتحقق عن طريقها هذا الهدف ويبدل هذا على القصور الواضح في الوعي السياسي لأولئك الشيوخ، لأن استعراء الأجانب على دولتهم ، حتى وإن خدم مصالحهم الضيقة على المدى القريبه فإنه يعود عليهم آخر الامر بأوخم العواقب .

وإذا كانت السياسة البريطانية في العراق ميالة في الفترة السابقة للتدخل في الأحداث القبلية كما عرفنا ، فإن الدلائل التي تجمعت لدى تشير الى انها تراجعت عن اتباع هذه السياسة في فترة البحث . اذ يلاحظ على كل الاتصالات التي جرت بين شيوخ القبائل وممثلي بريطانيا في العراق والتي وصلتنا أخبارها ، أن شيوخ القبائل كانوا هم المبادرين بالاتصال . كما انهم لم يلقوا في اغلب الاحيان استجابة مشجعة . فقد كان رد الممثلين البريطانيين في العراق على الطلبات التي قدمت لهم بخصوص " الحماية " أو " النصح " أو " التوسط " هو اعلان تمسكهم بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العثمانية ، او اهمال تلك الطلبات دون رد .

ولاحاجة للقول هنا أن اعلان ممثلي بريطانيا في هذه الفترة عن تمسكهم بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية يحوى الكثير من الخداع السياسي . فالهدف الذي يهيم أولئك الممثلين بالدرجة الاولى هو صيانة المصالح البريطانية في العراق وتطويرها وحين يتطلب ذلك الهدف التدخل في الاوضاع القبلية كانت السلطات البريطانية لاتتورع عن التدخل دون اى اهتمام بمصلحة الدولة العثمانية كما حدث في الفترة السابقة للبحث . وحتى في فترة البحث نفسها

وجدنا السلطات البريطانية تتدخل فى الاحداث القبلية حين تطلب مصالحها ذلك. فقد ضغطت على السلطات العثمانية ضغطا ثديدا من أجل معاقبة القبائل التى تعرضت للمصالح البريطانية فى ولاية البصرة وهى تتمثل سرا - من ناحية ثانية - مع بعض شيوخ القبائل لتوفير الحماية لتلك المصالح من وراء ظهر السلطات الحكومية، كما مربنا .

أما عن السبب الذى جعل السلطات البريطانية تتحفظ فى صلاتها مع القبائل خلال فترة البحث فهو كما من فيما رآته تلك السلطات من ازدياد واضح فى قوة القبائل وتناميها الى الدرجة التى يمكن معها أن تشكل تهديدا للمصالح البريطانية فى الولاية. فقد كثرت فى هذه الفترة حوادث اطلاق النار على السفن البريطانية العاملة فى نهر دجله، وما كان يرافق تلك الحوادث من توقف الملاحة فى ذلك النهر. وهو أمر كان يؤثر تأثيرا كبيرا على المصالح التجارية العاملة فى بغداد والبصرة، وأغلبها بريطانية، كما انه يضر بسمعة بريطانيا ويقلل من مكانتها فى اعين السكان. ونتيجة لهذا رأت السلطات البريطانية أن تلتزم التحفظ موقفا حيال اتصالات شيوخ القبائل بها، لأنها اعتقدت أن أى تجاوب ايجابى معها يعد موافقة ضمنية على مسلك القبائل او تشجيعا لذلك المسلك ثم أنها رأت أن أية مساعدة تقدمها للقبائل قد تزيد من قوة تلك القبائل على حساب الحكومة العثمانية. وقد تصبح هذه القوة القبلية امرا واقعا لا يمكن تجنب المصدام معه حين تشكل ولاية البصرة لبريطانيا فى يوم من الايام حسب خططها المفروقة والمبينه .

وينطبق ذلك المبدأ المصلحى ذو الوجهين على موقف السلطات البريطانية تجاه موضوع تهريب الاسلحة من الخليج الى قبائل ولايته

البصرة . اذ لم يكن لدى السلطات البريطانية اعتراض مبدأى على وصول تلك الاسلحة الى أيدي افراد القبائل، الامر الذي يضعف في النهاية السلطة العثمانية ويسهل زوالها من ولاية البصرة حين تحين الساعة المنتظرة . ولكن حين تضررت المصالح البريطانية من جراء اضطرابات القبائل رأت السلطات البريطانية أن تقيد حرية وصول الاسلحة الى ايدي افراد القبائل . وقد زاد من جدتها في هذا الاتجاه بالاضافة الى ذلك حرصها على مصالحها في المنطقة الشمالية من الهند . فقد أصبحت كميات كبيرة من الاسلحة تنفق الى أيدي أفراد القبائل القاطنة على الحدود الشمالية للهند ، واخذوا يستخدمونها في شن الفارات على مراكز الوجود البريطاني هناك . وازاء هذا رأت السلطات البريطانية ان تقاوم بفاعلية ذلك التهديد لوجودها في الهند ، وهي درة التاج البريطاني حينذاك .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فأن السلطات العثمانية في فترة البحث لم تكن غافلة عما يجري في السر من اتصالات بين بعض شيوخ القبائل والسلطات البريطانية . ولهذا كانت تتخذ كل ماباقتها من اجراءات لمنع حدوث امثال تلك الاتصالات . ليس مع بريطانييها لوحدها وانما مع ممثلي كل الدول الاجنبية الاخرى أيضا . ولكن السلطات الحكومية اخذت احيانا نتيجة لتشككها المفرط - تنسب حدوث الاضطرابات القبلية الى أسباب تحريضية خارجية ، في الوقت الذي كانت تدرك فيه الاسباب المحلية الكامنة خلف تلك الاضطرابات وربما وجد هذا الشك من جانب السلطات الحكومية بعض العذر اذا تذكرنا ان تلك السلطات كانت على اطلاع تام على الاطماع الخارجية في اراضيها ، وخاصة الاطماع البريطانية في ولاية البصرة وارض العراق عموما .

وتحب الإشارة هنا الى أن محاولة بعض شيوخ القبائل الاتصال بالسلطات البريطانية لجنى بعض المكاسب لم تكن محاولة فريدة من نوعها في محيطها العام . ففي الفترة التي نحن بصددتها كثرت امثال تلك الاتصالات بين الشخصيات والقوى السياسية في ولايات الدولة المختلفة من جانب وبين العديد من الدول الاوربية من جانب آخر . ومن ناقلــــة القول الإشارة الى أن حدوث تلك الاتصالات يدل على افراط في حسن النية يقرب من درجة السذاجة من جانب القائمين بها في نوايا الدول الاوربية المختلفة . وهو دليل على تدنى مستوى الوعي باطماع تلك الدول في الاراضي العثمانية . هذا مع وجوب التحرز باستثناء بعض الاتصالات التي تمت بسوء نية مقصود وادراك كامل لنتائجها على وجود الدولة العثمانية ومصيرها .

ويلاحظ على تلك الاتصالات ايضا انها اقتضرت على الجانب البريطاني دون غيره من الدول الاوربية الاخرى المنافسة لبريطانيا في مضمار الاستعمار . ويمكن سبب هذا في نجاح بريطانيا الملحوظ في التفوق على منافساتها الاوربيات في الساحة العراقية عموما وولاية البصرة خصوصا . وهو نجاح أدى الى اعتراف ضمنى من جانب الدول المنافسة لبريطانيا بمكانتها المتميزة هناك . وقد ساعد على التوصل لهـذا الاعتراف التفاهات التي تمت بين الدول الاوربية قبيل فترة البحث كالاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م والاتفاقية الروسية البريطانية سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م . ولم يقتصر هذا الاعتراف على هاتين الدولتين فقط بل نجد أن الدولة العثمانية نفسها وحليفاتها المانيا لاتجدان غضاة في الاعتراف بالمصالح البريطانية في ولاية البصرة في سنوات ١٣٢١-١٣٢٢هـ / ١٩١٣-١٩١٤م .

وفى غضون هذا الوقت سحت الفرصة المناسبة التى انتظرتها —
 بريطانيا طويلا لضم ولاية البصرة . فقد قامت الحرب العالمية الاولى
 فى اوربا بين بريطانيا وحليفاتها من جانب والمانيا وحليفاتها
 من جانب آخر . وقد ترجع للمسؤولين فى الحكومة العثمانية ان مصلحة
 الدولة تقتضى وقوفهم الى جانب المانيا . وماكادوا يتحركون فى هذا
 الاتجاه حتى اعلنت بريطانيا وحليفاتها الحرب على الدولة العثمانية
 واصدر المسؤولون البريطانيون اوامرهـم بالتحرك للقوة البريطانية
 المعدة سلفا والمتمركزة فى البحرين، والا تجاه شمالا لمباشرة
 الاعمال الحربية ضد القوات العثمانية وصولا الى هدف احتلال البصرة
 وضمان المصالح البريطانية فيها وفيما جاورها من مناطق .

وكانت السلطات العثمانية حين بدأت نذر الحرب تلوح الافق
 قد باشرت الاستعداد للحرب فى جبهة البصرة توقعا لهجوم بريطانيا
 يشن من هذه الناحية . وادراكا من تلك السلطات لعدم كفاية القوات
 النظامية الموجودة هناك للقيام لوحدها بهذه المهمة فقد عولت على
 استقطاب القبائل وحشدها للوقوف الى جانب القوات النظامية . وقد
 استجابت بعض القوى القبلية للأوامر الحكومية وشاركت فى المعارك
 التى جرت بين القوات الغازية والقوات المدافعة فى المنطقة الممتدة
 بين الفار والبصرة . ولكن لا القوات النظامية ولا القبائل استطاعت
 صد الزحف البريطانى المتفوق فى الاعداد والعدد، مما أدى الى سقوط
 مدينة البصرة فى أيدي الغزاة فى محرم ١٣٢٣هـ / نوفمبر ١٩١٤م .

وازاء هذا التطور ، وحرصا على حشد كل طاقات السكان المحليين
 لصد الغزو ، اعلنت السلطات العثمانية الجهاد لاسترداد البصرة
 من أيدي الغزاة وطردهم خارج اراضى الدولة وقد تجاوب مع مسعى

الحكومة هذا أغلب علماء الدين في العراق بمختلف مذاهبهم تجاوبوا كبيرا ، فأصدروا الفتاوى باعتبار القتال ضد الغزاة البريطانيين جهادا في سبيل الله . وكان لهذه الفتاوى مدى واسع بين أبناء القبائل ، فتقاطرت جموعهم نحو ميادين القتال في الشعبية والقرنة ومريستان ، يتقدمها بعض علماء الدين .

ومن الطبيعي القول أن الحماس وحده لا يمكن أن يحقق نصرافـــــــــــــــــي المعارك الحديثة ما لم تواكبه الكثير من المستلزمات الماديــــــــــــــــة . ولم تك تلك المستلزمات متوفرة بصورة كافية للمجاهدين المستعدين لخوض المعارك . فلم يكن التموين يتم بصورة مناسبة ، ولا كـــــــــــــــــان التسليح بالمستوى المطلوب ، وذلك لانشغال الدولة في عدة جهـــــــــــــــــات قتال في وقت واحد . كما أن القيادة الميدانية العثمانية لم تتمتع بالاستقرار اللازم ، ولا كانت خططها معهـــــــــد سلفا بصورة مناسبة لماشرة القتال على الفور . ولأحاجة للقول أن المتطوعين وخاصة من رجــــــــــــــــال القبائل كانوا أقل قدرة على تحمل الانتظار الممل من القــــــــــــــــوات النظامية . خاصة وقد رافق ذلك الانتظار نواحي القصور المشار إليها آنفا . وقد أدى ذلك الانتظار الى انحباب بعض أفراد القبــــــــــــــــائل وعودتهم الى قراهم قبل مباشرة القتال أما من ظل منهم ينتظــــــــــــــــر المعركة فقد عم القلق بينهم ودفعهم للاحتكاك مع بعض ضباط الجيــــــــــــــــش النظاميين ، فترتب على ذلك نتائج غير مشجعه في مجال التعــــــــــــــــاون بين جناحي القوى العثمانية ، النظامي والقبلي .

ومع كل هذا ، فإن المجاهدين من أبناء القبائل لم يبــــــــــــــــخوا بدمائهم حين نشب القتال أخيرا ، وأظهروا كثير من الشجاعة ، وقدموا حوالى ربع عددهم الكلى شهداء في ساحة معركة الشعبية . ولكــــــــــــــــن

تلك البطولة واليساله لم تغير شيئا في النتيجة النهائية للمعركة
وهي هزيمة الجيش العثماني والمجاهدين. وتعزى تلك الهزيمة بصورة
رئيسية الى تفوق الجانب البريطاني في التسليح والخطط المعقدة.
وقد أثرت تلك الهزيمة القاسية على سير الاحداث في ساحتى المعارك
الاخرين في القرنه وعربستان وبما أدى في النهاية الى انسحاب
القوات العثمانية وتراجعها ، وتشتت المجاهدين من أبناء القبائل
الملتفين حولها. ومن الطبيعى القول هنا أن حركة الجهاد ذاتها
لم تفشل بدليل انها استطاعت أن تحشد خلفها الالاف من أبناء القبائل.

وقد كشفت احداث حركة الجهاد مظهرين من مظاهر الوعى المتدنى بين
بعض افراد القبائل. واول هذين المظهرين هو قيام بعض افراد القبائل
بنهب الجنود العثمانيين المنسحبين من ميدان المعركة بعد الهزيمة.
وتصرف هؤلاء الناهبين يمثل استجابة لعا هو مفروس في نفسية الرجل
القبلى من حب للحصول على الغنائم سواء كانت هذه الغنائم من ممتلكات
حلفائه أو اعدائه المنكسرين. والمظهر الثانى هو عدم تناسل
التارات والاحقاد القبلية حتى في ظروف جهاد دينى عام. اذ انحسرت
بعض القبائل الى صفوف الاعداء وتعاونت معهم نتيجة لانضمام اعدائها
القبليين التقليديين الى حركة الجهاد في الجانب المقابل. ويمكن
القول هنا أن هذين المظهرين لم يكونا عامين لكل القبائل، بدليل
استمرار الكثير منها على الولاء للحكومة العثمانية والقتال الى
جانبها مدة طويلة بعد انفضاض حركة الجهاد الدينى ، والى ان انسحبت
القوات العثمانية من الاراضى العراقية بعد اعلان الهدنة العامه
في محرم ١٣٣٧هـ / اكتوبر ١٩١٨م.

وقد حرصت سلطات الاحتلال البريطاني قبل اعلان الهدنة المذكورة على تشكيل ادارة فى المناطق التى خضعت لسيطرتها الفعلية بعد انحاب القوات والادارة العثمانية . وتشكل تلك المناطق ولايسة البصرة باستثناء أكثر المناطق القبلية فى لواء المنتفق التى استعصى على القوات البريطانية دخولها الى مابعد اعلان الهدنة ويلاحظ على ادارة الاحتلال تلك أمران ، اولهما الطابع المؤقت لاجراءاتها الادارية ، اذ كانت السلطات البريطانية تدرك جيدا ان مصير تلك الاراضى لايمكن ان يتقرر من الناحية القانونية الا بمعاهدة ملح بين الطرفين المتحاربين حسبما تنص على ذلك اتفاقية لاهى والامر الثانى هو أن تلك الادارة شكلت من أجل تحقيق هدف رئيسى هو توفير أكبر قدر من الهدوء بين سكان المناطق المحتلة بجانب القيادة العامة لقوات الغزو الدخول فى صدامات جانبية مع أولئك السكان . الامر الذى يشنت جهدها ويعيقها من تحقيق هدفها الرئيسى وهو دحر الجيش العثمانى واخراجه من الاراضى العراقية .

ومن أجل الوصول الى ذلك الهدف أيضا بذلت السلطات المحتلة جهودها لاسترضاء القبائل وكسب رضاهم . واتخذت من هذا المبدأ عدة إجراءات ، ومن تلك الاجراءات تقريب رؤساء القبائل المواليين واناطة الادارة بهم فى مناطقهم واغداق الرواتب والالقباب الرسمية عليهم . كما اعترفت بأنظمة التقاضى القبلى وقننتها ، واعتمدت مبدأ المسئولية الجنائية الجماعية عما يرتكبه ابناء القبائل فى أعمال تسيء للادارة العامة . كما انها اوعزت الى رجال ادارتها المبثوثين فى المناطق القبلية بالتمشى قدر امكانهم مع التقاليد القبلية ، خاصة حين لايتعارض ذلك مع المصالح الحقيقية لادارة الاحتلال .

أما فيما يتعلق بالمشكلتين الرئيسيتين المسببتين للاضطرابات القبلية في غالب الأحيان، وهما الضرائب وملكية الأرض الزراعية فقد رأت سلطات الاحتلال أن خير ما تفعله هو الإبقاء على الانظمة العثمانية السارية المفعول، ويمثل هذا اقترارا من سلطات الاحتلال بأنها لا تملك بديلا أفضل، كما يمثل أيضا موعثرا على رغبتها في تجنب الصدام مع القبائل إذا ما هي استحدثت انظمة جديدة غير مألوفة لديها . وحتى في تنفيذها لانظمة الضرائب العثمانية سلكت سلطات الاحتلال سبيل استرضاء القبائل، فلم تصر على جباية كل أنسواع الضرائب المقررة دفعة واحدة . واكتفت أول الامر بالمطالبات بمبالغ صغيرة تزداد تدريجيا سنة بعد سنة - ثم أنها بدأت بجباية الضرائب من القبائل الصغيرة التي لا تستطيع لضعفها أن تتجرا على معارضة أوامر سلطات الاحتلال - ولم تنس سلطات الاحتلال في هذا المجال أيضا ان تحابى انصارها فتخفف عنهم الضرائب، وتشد على منس ناوواها بزيادة الضرائب عليهم . كذلك جمدت سلطات الاحتلال النظر في أي نزاع حول ملكية الأرض الزراعية الى ما بعد انتهاء الحرب تجنباً لاتخاذ موقف قد يودي بها الى الصدام مع القبائل .

ويلاحظ هنا ان سلطات الاحتلال أستطاعت الى حد كبير تحقيق هدفها هذا، فقد ظلت اغلب القبائل في المناطق الخاضعة لحكمها الفعلي هادئة رغم اضطراب الأوضاع من حولها، ورغم قربها من ميادين القتال. وقد يغرى هذا الواقع البعض بالقول ان سلطات الاحتلال كانت أكثر قدرة على التعامل مع القبائل من مثيلاتها في العهد العثماني . ولكن الانصاف يدعو للقول ان مقارنة حكم في بدايته مع حكم أذنت شمس بالمغيب يجعل المقارنته غير موضوعية الى حد كبير . فالحيوية

التي يتسم بها حكم جديد عادة لاتقارن بالترهل الذي يلحقـــــــــــــــ
حكما مرت عليه مئات السنين . ولايجب أن ننسى هنا أيضا العوائـــــــــل
المساعدة التي سهلت لادارة الاحتلال الوصول الى هذه النتيجة ، مثل
الانبهار الذي سيطر على اذهان رجال القبائل وهم يرون تفوق الاله
الحربيه التي جلبها الغزاة معهم . اضافة الى ماترتب على اعمال
الانشاءات والخدمات والمشتريات التي تطلبتها قوات الاحتلال مســــــــــن
فوائد مادية عادت على كثير من ابناء القبائل.

ورغم كل هذا لا يمكن القول ان تمكن ادارة الاحتلال من تحقيق هدفها في تهدئة اغلب القبائل الخاضعة لحكمها قد تم بمسورة نهائية مطلقة - اذ لم يعد الامر أن يكون هدنه طويلة بعض الشيء بين الطرفين - فما كادت الحرب تضع اوزارها وتحرر سلطات الاحتلال من الخشية من عرقلة المجهود الحربى البريطانى فى العام حتمى كشفت عن وجهها الحقيقى وطرحت سياسة الاسترضاء جانبا واخذت تمارس صنوها من الاستبداد . وقد أدى ذلك الى ثورة القبائل العراقية ضدها ثورة عارمه هى " ثورة العشرين " والتي تقع احداثها خارج فترة بحثنا فلا داعى للإفاضة فى الحديث عنها .

المصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

(٤٧٤)
أ - المصادر

أولا : الوثائق
أ - الوثائق العثمانية

Basbakanlik Arsivi - Istanbul:-

١ - وثائق غير منشورة

1308, No. 95263

1309, No. 99070

1309, No. 97512

1309, No. 97593

1309, No. 5348

1309, No. 100156

1309, No. 5551

1309, No. 98736

1309, No. 98254

1309, No. 98563

٢ - وثائق منشورة :-

الزوراء ، جريدة ولاية بغداد الرسمية :

السنة الرابعة والعشرون ، العدد ٢١ ، ١٥١٦ ، ذى الحجة ١٣٠٩ هـ

السنة الثلاثون ، العدد ٢٢ ، ١٨١٣ ، ذى الحجة ١٣١٦ هـ

السنة الحادية والثلاثون ، العدد ١٧ ، ١٨٢٨ ، ربيع الآخر ١٣١٧ هـ

السنة الثانية والثلاثون ، العدد ١٧ ، ١٨٦٨ ، صفر ١٣١٨ هـ

السنة السابعة والأربعون ، العدد ٢٤٩٥ ، ٧ ، صفر ١٣٣٣ هـ

العدد ١٢ ، ٢٥٠٠ ، ربيع الأول ١٣٣٣ هـ

العدد ٢ ، ٢٥٠٧ ، جمادى الأولى ١٣٣٣ هـ

العدد ٢٣ ، ٢٥١٠ ، جمادى الأولى ١٣٣٣ هـ

العدد ٢٨ ، ٢٥١٥ ، جمادى الثانية ١٣٣٣ هـ .

(٤٧٥)

العدد ١٣، ٢٥١٧ رجب ١٣٣٣ هـ
العدد ٢٥، ٢٥٢٣ شعبان ١٣٣٣ هـ
العدد ١٠، ٢٥٢٥ رمضان ١٣٣٣ هـ
العدد ٨، ٢٥٢٩ شوال ١٣٣٣ هـ
العدد ٧، ٢٥٣٣ ذى القعدة ١٣٣٣ هـ
السنة الثامنة والاربعون، العدد ٩، ٢٥٦٧ رجب ١٣٣٤ هـ

ب - الوثائق البريطانية

١ - وثائق غير منشورة :

Foreign Office (F.O.), Public Record Office,
424/215:- London.

No. 30

No. 61

No. 83

424/216:-

No. 17

No. 55

424/219:-

No. 18

No. 20

No. 23

No. 27

No. 50/492

No. 272

424/224:-

No. 38

No. 45

424/226:-

No. 34

No. 35

No. 39

No. 43 dated July 26, 1911

No. 43 dated Aug. 10, 1911

No. 95

424/237:-

No. 11

No. 137

No. 155

424/238:-

No. 16

No. 26

(६४४)

No. 27

No. 30

No. 34

No. 223

424/239:-

No. 39

No. 40

No. 41

No. 43

424/240:-

No. 52

424/258:-

No. 296

India Office Records, (I.O.R.), London.

R/15/5/7:-

Turkish Arabia, Apr. 1908.

Turkish Arabia, May 1908.

Turkish Arabia, July 1908.

Turkish Arabia, Aug. 1908.

Turkish Arabia, Sep. 1908.

Turkish Arabia, Oct. 1908.

Turkish Arabia, Dec. 1908.

(६४४)

R/15/5/25:-

No. 2306

No. 1000/1910

No. C-25/C-26

No. 109/111 of 1911

No. C 48/49 of 1914

(Unnumbered, Lieut.-Col. Sir P. Cox to the Sec.
to the Gov. of India in the Foreign and Political
Dept. (with six enclosures).

No. 4 D-C

No. C-3 of 1916

L/P + S/10/112:-

No. 6 AF

No. 102 - 1462xIVK

No. 3045

No. 182 - 1462xIVK

No. 1

No. 1942

(Unnumbered), S.S. Mobarak to L.C.S.P. Cox.
The diaries of the P.A., Kowiet, Nos. 51 & 52.

No. 663

No. 116

No. 1202

No. 38C

No. 46

No. 3419/1912

No. 2544

No. C-14

No. 1117

L/p+s/10/188:-

No. 43/62

No. 736/37

No. 212

(Unnumbered), Summary of Events in Turkish
Iraq during the months of Apr. and May 1910.

(Unnumbered), Summary of Events in Turkish
Iraq during the month of June 1910.

(Unnumbered), Summary of Events in Turkish
Iraq during the month of July 1910.

L/p+s/10/212:-

No. P-211/1912

No. P-600/1912

No. P-1093/1912

No. P-1575/1912

No. 2325A

No. P-2840/1912

No. P-3133/1912

No. P-3602/1912

No. P-4424/1912

No. P-4798/1912

No. P-311/1913

No. P-688/1913

No. P-1213/1913

No. P-1953/1913

No. P-2358/1913

No. P-2785/1913

No. P-3105/1913

No. P-3800/1913

No. P-4285/1913

No. P-4691/1913

No. P-5054/1913

No. P-1916/1914

No. P-2097/1914

No. P-2492/1914

No. P-2937/1914

No. P-4029/1914

L/p+s/10/271:-

No. 20

L/p+s/10/458:-

No. 26-C

No. 50

No. Ig. - 803

No. Ig. - 812

No. 1543/11/Q

No. 50569

L/p+s/10/462:-

No. 38

No. 39

No. 459R

No. 701S

No. 991

No. 996

No. 999

No. M-Q 1496

No. 44 of 1917

(Unnumbered), Tel. from Sec. of State for India
to Viceroy, March 30, 1917.

L/p+s/10/463:-

No. 14

No. 47B

No. 162

No. CF 235

No. 606

No. 616

No. S804

No. 963S

No. P-4273/1914

(Unnumbered), Tel. from Amb., Const., to Viceroy,
Oct. 1, 1914.

(Unnumbered), Tel. from Viceroy to I.O., Oct. 28,
1914.

(Unnumbered), A.T. Wilson to Col. Yate, Nov. 28,
1914.

L/P+S/10/513:-

No. 81737/1914

No. M 44833

No. 39139/15

No. 766B

No. 78 of 1915

No. 4726

No. P-3903

No. 4667/1914

No. 39 I-A.

No. P-3676/1915

(Unnumbered), Tel. from Viceroy to the Sec. of
State for India, Jan. 9, 1915.

L/p+s/10/514:-

No. 2422

L/p+s/10/515:-

No. P-1315

No. 11563/10-90

No. D-10-36

No. 2424

L/p+s/10/516:-

No. 389S

No. 1315

No. 1612

No. P-1854

No. 1903

No. 24738 - 14/45

L/p+s/10/517:-

No. P-2960/17

L/p+s/10/847:-

No. 31435

No. 128145/M.E. 44a.

Bidwell, R., (editor), The Affairs of Kuwait, Vol. 2,
London, 1971.

The Affairs of Arabia, Vol. 2,
London, 1971.

Great Britain Naval Intelligence Division, Iraq and the
Persian Gulf, London, Sep. 1944.

ج - الوثائق الأمريكية غير المنشورة

National Archives and Records Service, Washington, Record
Group 84:-
(Unnumbered), How Taxes collected from Land and
other sources in Bagdad, Dec. 9, 1909.

No. 329

No. 146

No. 23

No. 136

No. 370

No. 24

No. 199

No. 478

No. 36

No. 614

No. 42

No. 1052

No. 610

(Unnumbered), Brief Resume of Bagdad's Trade in 1909.

No. 47

(Unnumbered), ~~Private~~ letter from the American Consular Agent at Basra to American Consul at Bagdad, Nov. 20, 1909.

No. 11 dated Jan. 21, 1910.

No. 12 dated Feb. 24, 1910.

No. 13

No. 78

No. 12 dated July 7, 1910

No. 172

No. 367

No. 371

No. 501

No. 376

No. 63

No. 29

No. 15

No. 448

No. 291

(Unnumbered), Tel. from American Vice Consul at
Bagdad to Dr. Blunt, Apr. 15,

No. 19A

(Unnumbered), Bagdad Annual Report for 1909,
Apr. 28, 1910

No. 18

No. 19

No. 11 dated May 26, 1910

No. 326

No. 320

No. 357

No. 360

No. 363

No. 47/28

No. 471

No. 365

File No. 861, No. 66

File No. 861, No. 85

File No. 610, Foreign Trade of the Bagdad Con-
sular District in 1913.

File No. 800, American Consul at Bagdad to
American Ambassador at Constantinople, May 22,
1913.

American Consul at Bagdad to American Charge
d' Affaires at Constantinople, July 28,
1913.

American Consul at Bagdad to American Charge
d' Affaires at Constantinople, Sep. 25,
1913.

American Vice Consul at Bagdad to American
Ambassador at Constantinople, March 5,
1914.

American Vice Consul at Bagdad to American
Ambassador at Constantinople, March 18,
1914.

American Consular Agent at Basra to American
Vice Consul at Bagdad, June 19, 1914.

No. 32

File No. 810, American Consul at Bagdad to
American Ambassador at Constantinople, March 17,
1913.

American Consul at Bagdad to American Amba-
sador at Constantinople, April 15, 1913.

American Vice Consul at Bagdad to American
Ambassador at Constantinople, Feb. 25,
1914.

(888)

American Vice Consul at Bagdad to American
Ambassador at Constantinople, July 15,
1914.

No. M-467

No. M-C-327

No. M-450

No. M-C-441

No. 64

No. 8

No. 86

(Unnumbered), Foreign Trade Opportunities, Oct.
5, 1907.

(Unnumbered), 1907's Commercial Report, June 25,
1908.

(Unnumbered), Report on Opportunity for American
Hardware Sales, Nov. 20, 1909.

No. 257

File No. 850, No. 68

File No. 703, No. 18

No. 20

American Consul at Bagdad to American Consul-
General at Constantinople, Dec. 20, 1914.

- ١ - ابن الضملاص، ولاية البصرة ومسلموها، بغداد، ١٩٦٢.
- ٢ - احمد نور الانصاري، النصرة في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، ط٢، بغداد، ١٩٧٦.
- ٣ - سليمان فيضي، في فمرة النضال، بغداد، ١٩٥٢.
- ٤ - طالب مشتاق، اوراق أيامي، ج ١، بيروت، ١٩٦٨.
- ٥ - عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، ج ١، بيروت، ١٩٧٢ (ط١ - ط٢).
- ٦ - علي جودت، ذكريات علي جودت ١٩٠٠ - ١٩٥٨، بيروت، ١٩٦٧.
- ٧ - محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ج ١، ط٢، القاهرة، ١٣٤٤.
- ٨ - محمد رشيد سعد، قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين، بومباي، ١٣٢٥هـ.
- ٩ - ناجي شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ - ١٩٧٤، ط٢، بيروت، ١٩٧٥.
- ١٠ - يعقوب سرقيس، مباحث عراقية، جز ١، بغداد، ١٩٤٨.

١ - بل ، جرترود ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخليلي ، ط٢ ، بيروت ١٩٧١ .

٢ - طونزند ، تشارلس ، محاربتى فى العراق ، ترجمة عبد المسيح وزير ، بغداد ، ١٩٢٣ .

- ٣ - فائق، سليمان ، تاريخ المنتفق ، ترجمة محمد خلوصي الناصري ، بغداد ،
١٩٦١ .

ج - المؤلفات الاجنبية :-

- 1- Buchanan, G. The Tragedy of Mesopotamia, New York
1974.
- 2- Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, 2nd imp.,
London, 1958.
The Arab of the Desert, 3rd imp,
London, 1959.
- 3- Philby, H. ST. J., Arabian Days, London, 1948.
- 4- Wilson, A.T., Loyalties, Mesopotamia 1914-1917, New
York, 1969.

ب - المراجع

أولا : المؤلفات :

أ - المؤلفات العربية :

- ١ - احمد محمود صبحي ، نظرية الامة لدى الشيعة الاثنا عشرية ، القاهرة ،
١٩٦٩ .
- ٢ - أمين الريحاني ، الاعمال الكاملة ، المجلد الخامس ، تاريخ نجد الحديث ،
بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٣ - توفيق برو ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤ ،
القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٤ - جاسم محمد الخلف ، جغرافية العراق ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- ٥ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ٦ - حامد البازي ، البصرة في الفترة المظلمة ، بغداد ، ١٩٦٩ .
- ٧ - حسن الاسدي ، ثورة النجف على الانجليز ، بغداد ، ١٩٢٥ .
- ٨ - حسين بن أحمد البراق ، تاريخ الكوفة ، النجف ، ١٩٦٠ .
- ٩ - حسين جميل ، الحياة النيابية في العراق ، ١٩٢٥ - ١٩٤٦ ، بغداد ،
١٩٨٣ .
- ١٠ - حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٦٢ .
- ١١ - حسين محمد القهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي
١٨٦٩ - ١٩١٤ ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- ١٢ - حميد احمد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ،
بغداد ، ١٩٧٩ .
- ١٣ - خالد حمود السعدون ، العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ - ١٣٤١ ،
الرياض ، ١٤٠٣ .
- ١٤ - خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩ .
الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ط ٢ ، بيروت ،
١٩٧٧ .
- ١٥ - زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي
سوريا ولبنان ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- ١٦ - ساطع الحمصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- ١٧ - سعاد ماهر ، مشهد الامام علي في النجف ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ .
- ١٨ - شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ط ٨ ، بغداد ،
١٩٧٤ .

- ١٩- صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ٢، بيروت، ١٩٥٧.
- ٢٠- عادل البكري، تاريخ الكويت، بغداد، ١٩٦٧.
- ٢١- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، بغداد، ١٩٥٥.
- عاشائر العراق، ج ٤، بغداد، ١٩٥٦.
- ٢٢- عبد الجبار العمر، مصرع الكولونيل لجمان، بغداد، ١٩٨٣.
- ٢٣- عبد الجبار ناجي، الامارة المزيديّة، بغداد، ١٩٧٠.
- ٢٤- عبد الجليل الطاهر، البدو والعشائر في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٥٥.
- ٢٥- عبد الحسين جواد السريحي، الاقليم الوظيفي لمدينة القرنة، بغداد، ١٩٧٧.
- ٢٦- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط ٣، بغداد، ١٩٦٧.
- ٢٧- عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف، ط ٤، صيدا، ١٩٨٢.
- ٢٨- عبد الرزاق الطاهر، الاقطاع والديوان في العراق، القاهرة، ١٩٤٦.
- ٢٩- عبد الرزاق الهلالي، قصة الارض والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطن العربي، بيروت، ١٩٦٧.
- ٣٠- عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٧١.
- ٣١- عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي العراق، القاهرة، ١٩٦٧.
- تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، ١٩٦٨.
- تاريخ العرب المعاصر - مصر والعراق، بيروت، ١٩٧٣.
- العلاقات العراقية الايرانية، القاهرة، ١٩٧٤.

- ٣٢ - عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية ، دولة اسلامية مفترى عليها ،
جزءان ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ٣٣ - عبد العزيز عبد الفنى ابراهيم ، حكومة الهند البريطانية والادارة فى
الخليج العربى ، الرياض ، ١٤٠١ .
- السلام البريطانى فى الخليج العربى ، الرياض ، ١٤٠٢ .
- ٣٤ - عبد القادر باش أعيان ، البصرة فى ادوارها التاريخية ، بغداد ، ١٩٦١ .
- ٣٥ - عبد الكريم الندوانى ، تاريخ العمارة وعشائرها ، بغداد ، ١٩٦١ .
- ٣٦ - عبد الله فياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٧٥ .
- ٣٧ - عبد الله الناصر ، تاريخ السعدون ، النجف ، ١٩٤١ .
- ٣٨ - عبد الله النفيسى ، دور الشيعة فى تطور العراق السياسى ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ٣٩ - على الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ١ ، بغداد ،
١٩٦٩ ، وج ٢ ، ١٩٧١ .
- ٤٠ - عمر عبد العزيز عمر ، دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، بيروت ،
١٩٨٠ .
- ٤١ - فاروق صالح العمر ، حول سياسة بريطانيا فى العراق ١٩١٤ - ١٩٢١ ،
البصرة ، ١٩٧٧ .
- ٤٢ - فاضل حسين وآخرون ، تاريخ العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- ٤٣ - فتوح عبد المحسن الخترش ، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية -
الكويتية ١٨٩٠ - ١٩٢١ ، الكويت ، ١٩٧٤ .
- ٤٤ - فريق المزهرفرعمون ، الحقائق الناصعة فى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ،
بغداد ، ١٩٥٢ .
- ٤٥ - ليث عبد المحسن الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فى العراق ، ط٢ ،
بغداد ، ١٩٨١ .

- ٤٦- محمد أمين العمري ، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ،
ج ١ ، بغداد ، ١٩٣٥ .
- ٤٧- محمد توفيق حسين ، نهاية الاقطاع في العراق ، بيروت ، ١٩٥٨ .
- ٤٨- محمد سعيد كمال (جامع وناشر) ، الازهار النادية في اشعار البادية ،
ج ٥ ، الطائف ، بدون تاريخ .
- ٤٩- محمد علي قطبان ، دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر ، القاهرة ،
١٩٧٩ .
- ٥٠- محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- ٥١- محمد مختار باشا ، كتاب التوقيعات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية
بالمسنيين الافرنكية والقبطية ، المجلد الثاني ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٥٢- محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس ، المجلد
الثالث ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ .
- ٥٣- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، المجلد الحادي عشر ، بيروت ،
١٩٥٦ .
- ٥٤- محمود شبيب ، جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر ، بغداد ،
١٩٧٧ .
- اسرار عراقية في وثائق انجليزية وعربية والمانيشنة
١٩١٨ - ١٩٤١ ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- ٥٥- محيي الدين صابر ولويس مليكه ، البدو والبدواسة ، سرس الليان ، ١٩٦٦ .
- ٥٦- مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ،
القاهرة ، ١٩٧١ .
- ٥٧- مصطفى علي العتوم ، عربستان ، عمان ، بدون تاريخ .

٥٨ - مصداقي كاظم المدافعة ، نصوص الوثائق العثمانية عن تاريخ البصرة ،
البصرة ، ١٩٨١ .

٥٩ - مكي شبكة ، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى ،
ج ١ ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٦٠ - منذر عبد الكريم البكر ، الجذور التاريخية لعروبة الاهواز قبل الاسلام ،
البصرة ، ١٩٨١ .

٦١ - وميض نظمي وآخرون ، التطور السياسي المعاصر في العراق ، بغداد ،
بدون تاريخ .

٦٢ - يوسف كركوش الحلي ، تاريخ الخلة ، القسم الاول ، النجف ، ١٩٦٥ .

ب - المؤلفات المعربة

١ - انطونيوس جورج ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس ،
بيروت ، ١٩٦٢ .

٢ - سند رسن ، هاري ، مذكرات سند رسن باشا ، ترجمة سليم طه التكريتي ،
ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٢ .

٣ - عبد الحميد (السلطان) ، مذكراتي السياسية ، (لم يذكر اسم المترجم) ،
ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٤ - غروبا ، فريتز ، رجال ومراكز قوى في بلاد الشرق ، ترجمة فاروق الحريري ،
ج ١ ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٥ - كستر ، م . ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ،
بغداد ، ١٩٧٦ .

٦ - كيرسي ، حرب العراق ، ترجمة فخرى عمر ، بغداد ، بدون تاريخ .

٧ - لوريمر، ج. ج. ، دليل الخليج ، القسم الجغرافى ، ٧ أجزاء ، ترجمة ديوان
حاكم قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ
القسم التاريخى ، ٧ أجزاء ، ترجمة ديوان حاكم قطر ، الدوحة ،
بدون تاريخ .

٨ - لونفريك ، ستيفن ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة
جعفر الخطاطبة ، بغداد ، بدون تاريخ .

ج - المؤلفات الاجنبية

- 1- Ahmad, F., The Young Turks; the C.U.P. in Turkish Politics 1908- 14, London, 1969.
- 2- Avery, P-, Modern Iran, London, 1965.
- 3- Barker, A., The Neglected War, Mesopotamia 1914- 18, London, 1967.
- 4- Branddon, R., The Siege, London, 1969.
- 5- Bray, N. Shifting Sands, London, 1934.
- 6- Buckingham, J., Travels in Mesopotamia, Hants, 1971.
- 7- Busch, B., Britain and the Persian Gulf 1894-1914, Berkeley, 1967.
- Britain, India and the Arabs 1914-1921, Berkeley, 1971
- 8- Clayton, G., Britain and the Eastern Question: Missolonghi to Gallipoli, London, 1971.

- 9- Cohen, S., British Policy in Mesopotamia 1907-14,
London, 1976.
- 10- Cook, M., (editor), Studies in the Economic History
of the Middle East, London, 1970.
- 11- Encyclopaedia Britannica, 1970's edit., Vol.10.
- 12- Fisher, S., The Middle East, A History , 2nd edit.,
New York, 1968.
- 13- Foster, H., The Making of Modern Iraq, 2nd edit.,
New York, 1972.
- 14- Gallman, W., Iraq Under General Nuri, Baltimore,
1964.
- 15- Geiss, A., German Foreign Policy 1871-1914, London,
1969.
- 16- Glubb, J., Britain and the Arabs, London, 1959.
War in the Desert , London, 1960.
Arabian Adventures, London, 1978.
- 17- Harris, G. (and others), Iraq, its People Its Society,
its culture, New Haven, 1958.
- 18- Holborn, H., A History of Modern Germany 1840-1945,
London, 1969.
- 19- Issawi, C. (editor), The Economic History of Middle
East 1800- 1914, Chicago, 1966.

- 20- Kedourie, E., In the Englo - Arab Labyrinth,
London, 1967.
- 21- Khadduri, M., Arab Contemporaries, Baltimore, 1973.
- 22- Lewis, B., The Emergence of Modern Turkey, London,
1968.
- 23- Lloyd, S., Twin Rivers, Bombay, 1961.
- 24- Longrigg, S., Iraq 1900 - 1950, Beirut, 1968.
- 25- Millar, R., Kut: the Death of an Army, London,
1969.
- 26, Miller, W., Ottoman Empire and its Successors 1801 -
1927, London 1966.
- 27- Musil, A., The Manners and Customs of the Ruala
Bedouins, New York, 1928.
- 28- Nieuwenhuis, T., Politics and Society in Early Modern
Iraq, the Hague, 1982.
- 29- Pennell, T., Among the Wild Tribes of the Afghan
Frontier, 2nd imp., London , 1958.
- 30- Penrose, E., Iraq: International relations and
National development, London, 1978.
- 31- Pollard, A., A Short History of the Great War,
4th edit., London 1942.
- 32- Thesigar, W., The Marsh Arabs, 2nd imp., London,
1964.

- 33- Tuson, P., The Records of the British Residency and Agencies in the Persian Gulf , London, 1979.
- 34- Young, G., Iraq: Land of Two Rivers, London, 1980.
- 35- Zeine, Z., The Emergence of Arab Nationalism, 3rd edit., New York, 1973.

ثانيا : البحوث والرسائل العلمية :

أ - باللغة العربية

- ١ - بحوث الندوة العلمية العالمية الثالثة لمراكز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، الكتاب الثاني ، : الانسان والمجتمع في الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٧٩ .
- ٢ - حسين هادي الشلاه ، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٠ .
- ٣ - محمد احمد محمود ، احوال المشائر المراقية العربية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٤ - ١٩١٨ ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .
- ٤ - محمد هليل الجابري ، أمانة المشعشين ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧٣ .
- الحركة القومية العربية في العراق ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

ب - باللغة التركية :

- 1- Aksin, S., 31 Mart Vakasi Uzerinde bir Inceleme
(13 - 27 Nisan 1909), Doktora Tezi ,
Istanbul University.
- 2- Baghdadi, A., Muhammed Ali Sah Devrinde Osmanli-Iran
Siyasi ili.skilari Ve Iran Daki ic
Olaylar (1907 - 9), Doktora Tesi, Istanbul
University.

ثالثاً : الصحف والدوريات :

- أ - الاوقات (صحيفة اصدرتها سلطات الاحتلال البريطاني في البصرة) .
السنة الثالثة ، المجلد التاسع ، العدد ٤٠ ، ٤٥ ، آب ١٩٢٧ .
- ب - الجزيرة (صحيفة يومية تصدر في الرياض) .
السنة العشرون ، العدد ٣٩٥٦ ، ١٩ ، شوال ١٤٠٣ هـ .
- ج - الدارة (مجلة فصلية تصدر في الرياض) .
السنة التاسعة ، العدد الاول ، شوال ١٤٠٣ هـ .
العدد الثاني ، محرم ١٤٠٤ هـ .
- د - الرقيب (صحيفة كانت تصدر في بغداد) .
السنة الاولى ، العدد ٥ ، ٤ صفر ١٣٢٧ هـ / ٢٥ شباط .
١٩٠٩ .

- العدد ٢٤، ١٣ ربيع الأول ١٣٢٧هـ / ١٥ نيسان ١٩٠٩م.
 العدد ١٦، ١٥ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ / ٦ مايس ١٩٠٩م.
 العدد ٢٢، ١٧ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ / ١٣ مايس ١٩٠٩م.
 العدد ٢٩، ١٨ ربيع الثاني ١٣٢٧هـ / ٢٠ مايس ١٩٠٩م.
 العدد ٨، ١٩ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ / ٢٦ مايس

١٩٠٩م.

- السنة الثانية، العدد ١٠، ٢٠ ربيع الأول ١٣٢٨هـ / ٣١ مارث ١٩١٠
 العدد ٢٣، ١٠ ربيع الأول ١٣٢٨هـ / ٥ نيسان ١٩١٠م.
 العدد ١٢، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ / ٢٩ مايس

١٩١٠م.

- العدد ٢٥، ١٣ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ / ٣ تموز ١٩١٠م.
 العدد ١٥، ١٩ شعبان ١٣٢٨هـ.

هـ - الزراعة العراقية (مجلة فصلية كانت تصدر في بغداد) ،

المجلد الرابع، ج ٣، تموز، وأب، وأيلول ١٩٤٩م.

و - صدى بابل (صحيفة كانت تصدر في بغداد) .

السنة الأولى، العدد ١٨، ٤١ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ.

السنة الثانية، العدد ٦، ٥٢ شعبان ١٣٢٨هـ.

العدد ٢٠، ٥٤ شعبان ١٣٢٨هـ.

العدد ١٢، ٦١ شوال ١٣٢٨هـ.

العدد ٢٥، ٦٤ شوال ١٣٢٨هـ.

العدد ٤، ٩٣ شعبان ١٣٢٩هـ.

العدد ٢٥، ٩٦ شعبان ١٣٢٩هـ.

السنة الثالثة، العدد ١٠٧، ١٣، ذى القعدة ١٣٢٩ هـ.

السنة الرابعة، العدد ١٥٥، ١٧، شوال ١٣٣٠ هـ.

العدد ١٨٩، ٢٥، جمادى الثانية ١٣٣١ هـ.

العدد ١٩٥، ٨، شعبان ١٣٣١ هـ.

العدد ١٩٦، ١٥، شعبان ١٣٣١ هـ.

السنة الخامسة، العدد ٢١٤، ٣، ذى الحجة ١٣٣١ هـ.

العدد ٢٢٣، ٢٨، صفر ١٣٣٢ هـ.

السنة السادسة، العدد ٢٥١، ١٣، رمضان ١٣٣٢ هـ.

ز - العرب (صحيفة اصدرتها سلطات الاحتلال البريطاني في بغداد) .

السنة الاولى، العدد ٢٧، ١٤، ذى القعدة ١٣٣٥ / ١ / ايلول

٠م١٩١٧

العدد ٩١، ٣٠، محرم ١٣٣٦ هـ / ١٥ تشرين

الثاني ٠م١٩١٧

العدد ١١٤، ٢٧، صفر ١٣٣٦ هـ / ١٢ كانون

الاول ٠م١٩١٧

العدد ١٢٠، ٥، ربيع الاول ١٣٣٦ هـ / ١٩

كانون الاول ٠م١٩١٧

العدد ١٢٢، ٧، ربيع الاول ١٣٣٦ هـ / ٢١

كانون الاول ٠م١٩١٧

العدد ١٢٥، ١١، ربيع الاول ١٣٣٦ هـ /

٢٥ كانون الاول ٠م١٩١٧

السنة الثانية ، المجلد الثاني ، العدد ٢٠ ، ١١ ربيع الثاني ١٣٣٦ هـ / ٢٤

كانون الثاني ١٩١٨ م .

العدد ٢٠ ، ٨٤ ذى الحجة ١٣٣٦ هـ / ١٩ أيلول ١٩١٨ م .

ج - لغة العرب (مجلة شهرية كانت تصدر في بغداد) .

السنة الاولى ، ج ١ ، رجب ١٣٢٩ هـ / تموز ١٩١١ م .

ج ٢ ، شعبان ١٣٢٩ هـ / آب ١٩١١ م .

ج ٣ ، رمضان ١٣٢٩ هـ / ايلول ١٩١١ م .

ج ٧ ، محرم ١٣٣٠ هـ / كانون الثاني

١٩١٢ م .

ج ١١ ، جمادى الاولى ١٣٣٠ هـ / نيسان

١٩١٢ م .

السنة الثانية ، ج ٢ ، شعبان ١٣٣٠ هـ / آب ١٩١٢ م .

ج ٣ ، رمضان ١٣٣٠ هـ / ايلول ١٩١٢ م .

ج ٥ ، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٣٠ هـ /

تشرين الثاني ١٩١٢ م .

ج ٦ ، محرم ١٣٣١ هـ / كانون الاول ١٩١٢ م .

ج ٨ ، ربيع الاول ١٣٣١ هـ / شباط ١٩١٣ م .

ج ١٠ ، جمادى الاولى ١٣٣١ هـ / نيسان

١٩١٣ م .

ج ١١ ، جمادى الاخرة ١٣٣١ هـ / ايار ١٩١٣ م .

- السنة الثالثة، ج ١، رجب وشعبان ١٣٣١هـ/ تموز ١٩١٣م.
- ج ٧، صفر ١٣٣٢هـ/ كانون الثاني ١٩١٤م.
- ج ٨، ربيع الاول ١٣٣٢هـ/ شباط ١٩١٤م.
- ج ٩، ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/ آذار ١٩١٤م.
- ج ١٠، جمادى الاولى ١٣٣٢هـ/ ابريل ١٩١٤م.
- ج ١١، جمادى الاخرة ١٣٣٢هـ/ أيار ١٩١٤م.
- السنة الرابعة، ج ٣، ايلول ١٩٢٦م.
- السنة الخامسة، ج ١، يناير ١٩٢٧م.
- ج ٩، آذار ١٩٢٧م.
- السنة الثامنة، ج ٣، اذار ١٩٣٠م.
- ج ٤، نيسان ١٩٣٠م.

سید

FO 424/219

XC/a 012818

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

104

171

Inclosure 1 in No. 119.

Consul Crew to Sir G. Lophth.

(No. 23.)

Sir,

Bussorah, April 29, 1909.

VERY little news of an authentic nature has reached me from up-river since the 18th April, the date of the postscript to my despatch No. 23 of the 15th April last.

The defterdar, who seemed anxious to push up stores and ammunition to Amara, informed me on the 18th April that the river was safe, and that Lynch's steamers, the "Khalifa" and the "Mejidieh," could leave under the escort of the "Kazimi," but stated that he accepted no responsibility for their safety. The arrangements for protecting these vessels, however, appeared inadequate, and the "Kazimi," having no river steering gear, was not considered suitable as a convoy. The idea of dispatching Lynch's steamers was therefore abandoned.

In the meantime Fahh and Abdul Kerim-es-Seyhood and Ghadlan made overtures for peace to the Bussorah vilayet, but, as military operations were in progress, they were not entertained, and matters were left to Yousuf Pasha to settle. The local authorities having learnt that Fahh and Abdul Kerim-es-Seyhood had deposited their valuables with Hamoud-el-Jabbar, Sheikh of Medina, the acting commodore left for Medina, and the "Kilid Suhur" proceeded there from Kurna. On the vessel's arrival the Turks opened fire on the Arabs, and discharged their cannon, presumably in the air. I am informed that, on inquiry, the report about the hidden treasure was found to be incorrect, and a certain Sheikh Salim having intervened, and invited all parties to a feast, peace was speedily made, and the acting commodore informed the authorities that the incident had been satisfactorily settled, whereupon Sheikh Salim was dispatched to Bussorah to receive the thanks of the Imperial Government.

News was received here that the Arabs were getting up ammunition from the coast, and that caravans were passing by way of Zobeir and the Euphrates. Troops were dispatched from Bussorah and Zobeir to intercept, but no caravans were found. Shamil Pasha, the commandant, told me later that some of his men had heard that a caravan had been seen, but nothing authentic was known of the matter.

As Lynch's steamers were not proceeding, the authorities got the "Kazimi" down from Amara to take up stores and ammunition. This vessel reported that Yousuf Pasha had entered Amara, that there had been some fighting, that the Allu Mohamed had been defeated and standards captured by the Turks, but that the Beni Lam were still intact, and massed in large numbers above the town. The "Kazimi" left again on the 24th April with 100 soldiers, stores, and ammunition, and on arrival at Shattra on the 25th April the Arabs, led by Fahh-es-Seyhood, opened fire on her and killed and wounded five people. The Arabs displayed thirty standards, and must have attacked in considerable force.

Arrangements have been made with the Ottoman Bank for providing £T. 15,000 for military expenses. The director of the bank tells me that £T. 7,000 have already been paid, and a "havale" for the remainder is awaited from the Ministry of Finance. The Customs have, I hear, been instructed to pay their receipts into the vilayet treasury for the same purpose.

On the 24th April the defterdar informed my dragonman that things were now quiet on the Tigris, that the muqtas of Kumait and Jarah had been leased to the son of Fahh-al-Ghadban, and that the other leases would shortly be arranged. The subsequent attack on the "Kazimi" shows that the defterdar was too optimistic, and I am informed that on the 26th April he wired to the Grand Vizier, at the request of the administrative council, asking that Yousuf Pasha might be superseded, as his inactivity in military matters had greatly encouraged the Arabs. The telegram also stated that trade was at a standstill, and that frequent complaints were made by the British consul at Bussorah about the interruption of river navigation.

I visited the defterdar myself with the commander of His Majesty's ship "Sphinx" on the 28th April, in response to his invitation to congratulate him on the accession of the new Sultan, and he then said that the Turks had had another brush with the Arabs at Mejr Kebir on the 27th April, and had severely punished them, but again no details had been received. The defterdar added that the river above Amara was now quiet, and that navigation would be restored in a few days. The troops from the north, intended to reinforce Yousuf Pasha, had apparently been defeated elsewhere, owing to the disturbances in Asia Minor. Both the defterdar and the commandant assured me that the trouble was over, and that there would be

لکھنؤ، ۱

مرفق ١ لرقم ١١٩
القنصل كروالى السيرج . لوثر

البصرة ، ٢٩ أبريل ١٩٠٩

(رقم ٢٣)

سيدى ،

أخبار قليلة جدا ذات طبيعة موثوقة وصلتني منذ ١٦ أبريل ، وهو تاريخ ابراد رسالتى رقم ٢٢ المؤرخة ١٥ أبريل الحالى . ان الدفترار الذى يبدو متلفا لارسال المؤن والذخائر للعمارة أخبرنى فى ١٨ أبريل أن النهر كان آمنا ، وان باخرتى لنج " الخليفة " و " المجيدية " يمكن أن تضادرا بمرافقة " كاظمى " ، ولكنه اعلن انه لايتحمل مسئولية سلامتهما . ان ترتيبات حماية هذين المركبين تبدو غير كافية على أية حال ، ولا تعتبر " كاظمى " ملائمة للمواكبة لانها ليس لها جهاز توجيه نهري . ولذلك فإن فكرة ارسال باخرتى لنج تخلق عنها .

وفى غضون ذلك قدم فالح وعبد الكريم الصيهود وفضبان عروضاً للسلام الى ولاية البصرة ، ولكن لم ينظر فيها ، لأن العمليات العربية دائمة ، وتركت الامور ليوسف باشا ليبت فيها . ولأن السلطات المحلية علمت ان فالحا وعبد الكريم الصيهود قد أودعا مقتنياتهما الثمينة لدى حمود الجبر شيخ المدينة ، فإن القائد البحرى وكالة فادرالى المدينة بينما اتجهت " كيلد سهر " الى هناك من القرنة . ويوصل المركب فتح الترك نيرانهم على العرب واطلقوا مدفعهم ، فى الهواء على وجه الافتراض . أخبرت بأنه بعد التحقيق وجد أن الاشاعة حول الكنز المخبأ كانت غير صحيحة وان المدعو الشيخ سالم (الخيون) تدخل فدعى كل الاطراف لمأدبة

فصعد السلام بسرعة ، وأخبر القائد البحري بالوكالة السلطات بأن الحادث قد سوي على نحو مرضي ، وعندئذ أرسل الشيخ سالم إلى البصرة لاستلام شكر الحكومة الامبراطورية .

استلمت أخبار هنا تفيد بأن العرب كانوا يحصلون على الذخائر من الساحل ، وأن القوافل كانت تمر بطريق الزبير والفرات . أرسل جنود من البصرة والزبير لاعتراضها ، ولكن لم يعثر على قوافل . أخبرني القائد شامل باشا بأن بعض رجاله سمعوا بأن قافلة قد شوهدت ، ولكن لم يعلم شيء موثوق من الأمر .

ولأن بواغرنج لم تستأنف رحلاتها فإن السلطات جعلت " كاظمي " تنحدر من العمارة لتصعد بالموءن والذخيرة . أفاد هذا المركب بأن يوسف باشا دخل العمارة ، وبأنه كان هناك بعض القتال ، وبأن البومحمد قد هزموا ، وأن قواعد أستولى عليها من قبل الترك ، ولكن بنى لام لازالوا لم يمسوا ، وهم يحتشدون بأعداد كبيرة أعلى المدينة . غادرت " كاظمي " ثانية في الرابع والعشرين من أبريل مع مائة جندي وموئن وذخيرة ، ومن بعد وصولها الشطرة (قلعة صالح) في الخامس والعشرين من أبريل فإن العرب يقودهم فالح الصيهد فتحوا عليها النيران فقتلوا وجرحوا خمسة أشخاص . كان العرب يرفعون ثلاثين راية مما يعنى انهم هاجموا بقوة كبيرة .

أخذت ترتيبات مع البنك العثماني لتوفير خمسة عشر ألف ليرة تركية للمنفقات الحربية . وقال لي مدير البنك بأن سبعة الاف ليرة قد دفعت بالفعل ، وأن حوالة الباقي لازالت منتظرة من وزارة المالية . سمعت بأن الجمارك وجهت لدفع مبالغها المستلمة في خزينة الولاية لنفس الغرض .

في الرابع والعشرين من أبريل أخير الدفتردار مترجمي بأن الأحوال في دجلة كانت هادئة ، وأن مسقاطعتي كيت والجزرة قد لزمنا إلى أبعد من عهد الخضبان ، وأن بثمة التزيمات ستترتب عما قليل . يظهر الهجوم التالي على " كاظمي " أن الدفتردار كان متفائلا جدا ، وقد أخبرت بأنه أبرق ، في السادس والعشرين من أبريل إلى الصدر الأعظم ، بناء على طلب المجلس الإداري ، لمتنسا إبدال يوسف باشا ، لأن عدم فعاليته في الأمور العسكرية شجعت العرب بصورة كبيرة . بينت البرقية أيضا أن التجارة كانت في حالة توقف تام ، وأن شكاوى متكررة قدمت من قبل القنصل البريطاني في البصرة حول قطع الملاحة النهرية ،

لقد زرت شخصا الدفتردار مع قائد سفينة جلالته " سفنكس " في الثامن والعشرين من أبريل ، استجابة لدعوته لتقديم التهنئة له بمناسبة تنصيب السلطان الجديد ، فقال حينئذ أن الترك كانت لهم معركة قصيرة أخرى مع العرب في المجر الكبير في السابع والعشرين من أبريل ، وعاقبهم بقسوة ، ولكن لم تعط تفاصيل مرة أخرى . أضاف الدفتردار بأن النهر اعلى العمارة هادي* الآن ، وأن الملاحة ستعاد خلال بضعة أيام . أن الجنود الذين هم من الشمال واعدوا لتعزيز يوسف باشا قد صرفوا بصورة واضحة نحو مكان آخر نتيجة للاضطرابات في أسيا الصغرى . كل من الدفتردار والقائد اكدا لي أن المشكلة انتهت . . .

60 424/238

XC/ADY/3718

COPYRIGHT NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

26

Enclosure in No. 37.

Consul Crow to Sir G. Louth.

(No. 16. Confidential.)

Baara, March 15, 1912.

Sir,

WITH reference to my telegram No. 12 of the 12th instant, reporting the visit of Sheikh Fahh-al-B-unaych, brother of Sheikh Ghadlan of the Beni Lam tribe, and his request for British protection and assistance for the Arab tribes from Kut to Kurna in their differences with the Turkish Government over the question of "muqata'as" or Government land contracts, I have the honour to state that the Arab sheikhs represented by Fahh-al-B-unaych in this matter are 450 in number and all their adherents.

My visitor, who had disguised himself in the dress of a dervish and was accompanied by one attendant, informed me that the Arab tribes detested the present Turkish Government and intended to revolt. Their programme was to plunder Amara and other places, seize Baara and stop the river navigation, at all events for the Turks. Two months ago Fahh and Ghadlan had put to death their uncle Shohih, who had been appointed by the Government as sheikh of the "muqata'as." Since then the Beni Lam had occupied the following "muqata'as" lands and still hold them:—

Numeiy, Nehr Sa'ud, Es Sa'adiah, Ali Sherji, Ali Ghauri, El Nughais, Towerji, Souk Jendul and Abu Fiharaya. They were determined not to pay taxes either for these lands or their cattle. They owed the Government at present arrears of taxes valued at 142,000 liras and had already collected that amount from the sheikhs and lease-holders but would not hand over any of it unless the Government agreed to their terms. They had, however, informed the Mutensarif of Amara that if the Government leased them the "muqata'as" for a period of fifteen years, they would pay up 100,000 liras of the amount due, otherwise a revolt would ensue.

He also informed me that he had visited the Hantifik sheikhs and found that they hated and detested the Turkish Government as much as they did themselves. He mentioned Ajeymi the son of the late Sadoun Pasha, whom he had met in his encampment at Jabel-el-Hughair, a place distant about three days journey on foot from Baara between Souk-el-Sliyoukh and Zuhair. Ajeymi, he said, had about 2,000 armed horsemen with him besides other Arabs and would certainly attack Baara shortly and revenge himself on Seyyed Talib Bey, whom he considered partly responsible for the betrayal and death of his father Sadoun. He added that Ajeymi would not unite with Seyyed Talib Bey in the general Arab movement for this reason.

Sheikh Fahh stated that he and his brother Ghadlan had received a letter from Seyyed Talib Bey some months ago asking for their support and adherence to him as their chief and representative, and suggesting that they should all sign a manifesto to that effect and state that they accepted the leadership of Seyyed Talib Bey and no other. Fahh said that the Beni Lam refused to do this as their aims and objects were different and they preferred to act independently.

As reported in my telegram, Fahh asked the British Government to protect and assist the Arab tribes in their differences with the Turkish Government and enquired whether we could advise the Turks to accede to their demand about leasing the "muqata'as" to them for fifteen years.

His statement and petition appear to me to be of considerable importance. The mere fact of Sheikh Fahh's risking his personal safety alone in Baara in order to see me and talk the matter over frankly, points to the sincerity of the Arab feelings towards ourselves and the implicit faith they place in our friendship. It would not do to alienate them at the present juncture, and I feel that a rebuff or a cold reception might cost us dearly later if their plans materialise, and it is quite possible they may in view of the weakness of the Turkish authorities. I therefore undertook to lay their petition before His Majesty's Government with all reserve, informing him at the same time that I could hold out no hope of a favourable reply and that we could not interfere in the internal affairs of the Turkish Government, with whom we maintained friendly relations. I looked at it from the Arab's point of view as I thought he would understand me better if I said we were guests in Turkey and could not encourage disloyalty to our hosts. He seemed to comprehend this and approved. I also urged him to submit their differences direct to the Turkish authorities either here or at Constantinople.

To this he replied that Kutchuk Said Pasha had been their friend, but he did not know where he was now and they had no one at Constantinople while, as regards the local authorities, direct negotiations were hopeless and had often been tried and failed and they would settle their dispute, if necessary, with the sword. He also remarked

C 10 - 1000

ملحق رقم ٢

مرفق للمرقم ٣٧

القنصل كرو الى السيرج . لوشر

البصرة ، ١٥ مارس ١٩١٣

رقم ١٦ - سرى

سيدى ،

اشارة الى برقيتى المرقمة ١٢ فى ١٢ الجمارى والتي نقلت خبر زيارة الشيخ فالح البنية شقيق غضبان شيخ قبيلة بنى لام ، والمليح الحماية والمساعدة البريطانية للقبائل العربية بين الكوت والقرنة فى خلافاتها مع الحكومة التركية حول قضية " المقاطعات " او عقود الاراضى الحكومية ، لى الشرف أن أعرض ان الشيوخ العرب الذين يمثلهم فالح البنية فى هذه القضية هم أربعاء وستون مع كل مشايخهم .

ان زائرى الذى تنكر فى هيئة درويش وكان مصحوبا بأحد الخدم ، اخبرنى بأن القبائل العربية تمقت الحكومة التركية الحاضرة وتنوى الثورة . ان برنامجها هو نهب العمارة واماكن أخرى ، والاستيلاء على البصرة وهايقاف الملاحة النهرية أمام الترك مهما يحدث . قبل شهرين مضيا قتل فالح وغضبان عمهما شبيب الذى عين شيخا " للمقاطعات " من قبل الحكومة . ومنذ ذلك الحين احتل بنو لام " مقاطعات " الاراضى التالية ومازالوا يحتفظون بها :-

نميت [كميت] ، نهر سعد ، السعدية ، على الشرقى ، على الخروى [الغربى] ، النخيس ، تويرج (الدويرج) ، سوق جندل ، وابوجريو . انهم مصممون على عدم دفع الضرائب سواء من هذه الاراضى ، او عن مواشيهم . انهم مدينون للحكومة فى الوقت الحاضر بمئات ضرائب تقدر بمائة واثنين وستين الف ليرة ، وقد جمعوا

سابقا هذا المبلغ من الشيوخ والطزمين ، ولكنهم لن يسلموا شيئا منه ما لم توافق الحكومة على شروطهم . لقد أخبروا - على اية حال - متصرف العمارة بأنه اذا لزمتهم الحكومة " المقاطعات " لفترة خمس عشرة سنة فإنهم سيدفعون من المبلغ المستحق لغاية مائة الف ليرة ، والا فإن الثورة ستنشب .

لقد أخبرني أيضا بأنه زار شيوخ المنتفق فوجد أنهم يكرهون الحكومة التركية وهمقتونها بنفس الدرجة التي هم (بنى لام) عليها . لقد ذكر عجمي ابن الراحل سعدون باشا ، الذي قابله في مخيمه في جبل المقير ، وهو مكان يبعد عن البصرة سيرا على الاقدام حوالي ثلاثة أيام ويقع بين الزبير وسوق الشيوخ . قال أن مع عجمي حوالي تسعة الاف فارس مسلح إضافة الى بقية العرب ، وأنه سيهاجم البصرة بالتأكيد قريبا ويشار لنفسه من السيد طالب بك الذي يعتبره مسئولا جزئيا عن التفرير بوالده سعدون ووفاته . وأضاف أن عجمي لن يتحد مع السيد طالب بك في الحركة العربية العامة لهذا السبب .

ذكر الشيخ فالح انه واخاه فضيان قد استلما رسالة من السيد طالب بك قبل عدة أشهر مضت ، تطلب دعمهم ونصرتهم له باعتباره زعيمهم وممثلهم وتقترح أن يوقعوا جميعا على مضبطة تتضمن ذلك المعنى وتعلن أنهم قبلوا قيادة السيد طالب بك وليس أحد غيره ، قال فالح أن بنى لام رفضوا أن يفعلوا ذلك لأن اهدافهم وبواعثهم مختلفة ولا أنهم يفضلون أن يعملوا مستقلين .

وكما روى في برقيتي ، طلب فالح من الحكومة البريطانية أن تحمى وتساعد القبائل العربية في خلافاتها مع الحكومة التركية وسأل عما اذا كنا . نقدر على نصح الترك بقبول طلبهم حول تلزيم " المقاطعات " لهم لخمس عشر سنة .

ان افادته والتماسه بيدوان لى متصفين بأهمية كبيرة . ان مجرد
واقعة مخاطرة الشيخ قالح بسلامته الشخصية وحيدا فى البصرة من أجل
رويتى ومناقشة الامر معى بصراحة يدل على اخلاص شاعر العرب نحونا
والثقة المملقة التى يضعونها فى صداقتنا . ليس من المرغوب فيه تنفيرهم
فى هذا الظرف ، واننى أشعر أن صدا او استقبالا باردا يمكن أن يكلفنا
غالبا فيما بعد اذا ماتحقت خططهم ، وذلك ممكن تماما نظرا لضعف
السلطات التركية . ولذلك تعهدت أن أضع - بكل تكتم - التماسه أمام
حكومة جلالته ، وأخبرته فى نفس الوقت بأننى لا أملك أملا فى رد ايجابى
وبأننا لانستطيع التدخل فى الشئون الداخلية للحكومة التركية التى نحافظ
على علاقات ودية معها . لقد نظرت للأمر من وجهة نظر عربية لانى فكرت
بأنه سيفهمنى بصورة أفضل لو قلت أننا ضيوف فى تركيا ولا نستطيع تشجيع
عدم الولا لمضيفينا . بدأ أنهم فهم هذا وأقره . لقد حثثته أيضا على احوالة
خلافاتهم بصورة مباشرة الى السلطات التركية سواء هنا او فى القسطنطينية .
رد على هذا بأن كوتشك سنعيد باشا كان صديقهم ، ولكنه لا يعرف
أين هو الآن وانهم ليس لهم أحد فى القسطنطينية ، فى حين كانت
المفاوضات المباشرة - فيما يتعلق بالسلطات المحلية - بدون أمل وقد
جربت أحيانا وفشلت ، وانهم سوف يحسمون نزاعهم بالسيف اذا كان ذلك
ضروريا . . .

Enclosure in No. 140.

Consul Gross to Sir G. Loderer.

(No. 39.)

Sir,

Basra, June 20, 1913.

WITH reference to my telegram No. 47 of the 16th instant the Rev. J. Van Een, who is well acquainted with Ajeymi bin Sadun, informed me that he had received a communication from the Montifi Bbeikh to the effect that "he could not turn back to Abul Char, inasmuch as he would imperil his reputation with the Arabs. He could not stay where he was, as his expenses were £ T. 100 a-day, and his Arabs were getting impatient. The only thing left for him to do was to go forward and attack Basra, and that soon." He asked Mr Van Een to enquire from me what the attitude of the British Government would be in case he attacked and was successful.

As instructed in your telegram No. 19, Mr. Van Een was informed that there was no reply.

His Majesty's consul at Mohammerah informed me on the 17th instant that he learnt from Haji Reiss that Ajeymi had communicated ten days previously with the sheikhs of Howait at Mohammerah in order to ascertain their attitude if he killed Seyyed Talib Bey. Major Haworth said that, according to Haji Reiss, Ajeymi's main object was enmity to Talib, but that finding the two sheikhs were supporting him he would do nothing. Haji Reiss also stated that Sheikh Mularek was bound to support Talib Bey, since it was very largely on his account that Talib was instrumental in catching Sadun. Major Haworth also said that, according to information received that day from Sheikh Khazal, Ajeymi was hiring houses in Basra in which to locate his armed men, and that the commandant was conniving at the operation. I made immediate enquiries locally which confirmed the report and showed that Hamed, brother of Ajeymi, who is a friend of Ferid Bey the commandant, was in fact about to visit Basra and that Salim Khayun had bought a house for him in the Seymour bazaar for £ T. 650, besides renting a second house, and that Ajeymi's armed followers had free access to these premises. I brought the facts to the notice of the vali unofficially and pointed out that Ferid Bey was alleged to be assisting Ajeymi in his intrigues and that such action was likely to cause trouble in the town. The vali denied all knowledge of the house transaction or of Ferid Bey's conduct in the matter, and said that Basra was free and people could come and go as they liked. Hamed Ajeymi's brother arrived with fifty armed followers on the 19th instant and installed themselves in the houses prepared for them. They now appear at the doors of these premises fully armed and circulate with their arms in the bazaar.

A new element has been introduced into the situation by the appearance of Abdul Razak and Alakullah Bey, sons of Fakh Pasha Sadun, and Ibrahim Bey, son of Mual Pasha Sadun, who arrived from Montifi on the 15th instant. They are relatives of Ajeymi but hostile to him on account of the robbery of their uncle's (the late Mised Pasha) money by Ajeymi and his brother Hamid, which I reported in my despatch No. 50 of last year. If the two rival factions of the Sadun family are thus allowed to establish themselves in Basra it seems not unlikely that a collision may at any moment occur in the town between their armed followers, who already, it is said, exchange threatening glances and point their rifles at one another. The armed partisans of both sides parade the streets without opposition and even carry their arms when they enter the Serai. The vali's attention has been drawn to this state of affairs, which is a distinct menace to public security, but he ignores it and takes no steps to check it. Public rumour has it that Ajeymi's followers are even spreading a report that certain people here wish to hand over the town to "the unbelieving foreigners." The fanatical element is small in Basra, but such reports can serve no good purpose and may influence the ignorant classes and stir them to a breach of the peace. It is stated that the vali has several times requested Ferid Bey to expel Ajeymi from the neighbourhood, but that the military commandant turns a deaf ear to these requests, and it is hinted in some quarters that he has received money from Ajeymi. In any case he sent men and mules to Zobeir to escort Hamed to Basra.

The local authorities seem to be taking no measures to reassure the public by assuming control of the situation which grows more threatening every day, and the continuance of these disturbing elements in the town causes profound unrest and discontent with the local government. Under the circumstances it appears highly imprudent of the vali to close his eyes to the situation or to aggravate it by failing to assert his authority. According to my information the military commandant, Ferid Bey, is much to blame.

۲۰ جون ۱۳۳۲

ملحق رقم (٣)

مرفق للرقم ١٤٦

القنصل كرو الى السيرج ، لوثـ

البصرة ، ٢٠ يونيه ١٩١٣

(رقم ٣٩)

سيدى ،

اشارة لبرقيتى رقم ٤٧ فى السادس عشر من الشهر الجارى ، فان الكاهن ج . فان أيس ، الذى هو على معرفة شخصية جيدة مع عجمى بن سعدون ، أخبرنى بأنه أستلم رسالة من شيخ المنتفق مفادها انه " لا يستطيع الرجوع الى ابو فار نظرا لانه لا يرغب فى تهريض مكانته بين العرب للخطر . ولا يستطيع البقاء حيث هو لان نفقاته مائة ليرة تركية يوميا ، ولأن عربيه غدا نافذى الصبر . الشئ الوحيد المتبقى لديه ليفعله هو التقدم للامام ومهاجمة البصرة ، وهو ما سيحدث عاجلا " . لقد طلب من السيد فان أيس أن يستعلم منى عما سيكون عليه موقف الحكومة البريطانية فى حالة مهاجمته للبصرة ونجاحه فى ذلك .

كما أترتم فى برقيتكم رقم ١٩ ، أخبر السيد فان أيس بأنه ليس هنالك

جواب .

أخبرنى قنصل جلالته فى المحمرة فى السابع عشر الجارى بأنه علم من حاجى ريس أن عجمى تراسل قبل عشرة أيام مع شيخى الكويت فى (٢٠) المحمرة من اجل التحقق من موقفهما اذا هو قتل السيد طالب بك . قسأل الميجور هوارث نقلا عن حاجى ريس أن الهدف الرئيسى لعجمى هو عداؤه لطالب ،

ولكن لانه وجد الشيخين مؤيدين له (لطالب) فانه لن يفعل شيئا . بين
الحاجي ريس أيضا أن الشيخ مبارك طزم بتأييد طالب ، لانه من أجله
بدرجة كبيرة جدا ساعد طالب في القبض على سعدون . قال الصجور هوارث
أيضا انه ، طبقا لمعلومات استلمت ذلك اليوم من الشيخ خزعل ، كان عجمي يؤجر
بيوتا في البصرة ليقم فيها رجاله المسلحين ، وان القائد كان يتستر على العملية .
أجريت محليا تحقيقات عاجلة اكدت الرواية وأظهرت ان حمد شقيق عجمي ،
والذي هو صديق القائد فريد بك ، كان على وشك زهارة البصرة وان سالم
الخيون اشترى له منزلا في سوق السيمر بستمائة وخمسين ليرة تركية مالا
على استئجار منزل ثان ، وان أتباع عجمي المسلحين نالوا حرية الوصول لهذين
المبنيين . لقد وضعت الحقائق أمام نظر الوالي بصورة غير رسمية وأوضح
أن فريد بك زعم بأنه يساعد عجمي في مكائده ، وان عملا كهذا يحتمل أن يسبب
قلقا في المدينة . انكر الوالي اية معرفة له بصفقة المنزل او بتصرف فريد
بك في الامر ، وقال أن البصرة مدينة مفتوحة وبأماكن الناس أن يجيئوه
ويذهبوا كما يشاءون . وصل حمد شقيق عجمي مع خمسين مسلح من اتباعه
في التاسع عشر من الشهر الجاري وحلوا في المنزلين المعدين لهم . انهم
يظهرون الان على ابواب هذين المبنيين كالمى التسليح ويدورون بأسلحتهم
في السوق .

طرا عنصر جديد على الوضع بظهور عبد الرزاق بك وعبد الله بك ابني فالح
باشا السعدون وابراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون ، الذين وصلوا من
المنتفق في الخامس عشر الجاري . انهم اقرباء عجمي ولكنهم مهادون لسه
بسبب سرقة اموال عمهم (الراحل مزيد باشا) من قبل عجمي وشقيقه حميد ،
والتي رويتها في رسالتي رقم ٥٠ في السنة الماضية . اذا ماسح هكذا للزمرتين
المتنافستين من عائلة ال سعدون بالتواجد في البصرة فلا يبدو من غير المحتمل

أن يحدث تصادم في المدينة في أية لحظة بين اتباعهم المسلحين ،الذين
قبل بالفعل انهم يتبادلون نظرات التهديد ويصوبون بنادقهم على بعضهم
ال بعض . ان الانصار المسلحين لكل جانب يتنزهون في الشوارع بدون
معارضة ،وحتى أنهم يحملون اسلحتهم حين يدخلون السراى . وجهه
انتباه الوالى لحالة الامور هذه والتي هي تهديد واضح للأمن العام ،
ولكنه تجاهلها ولم يتخذ خطوات لضبطها . تفيد أشاعة عامة بأن اتباع
عجمي ينشرون أيضا رواية مفادها أن بعض الناس هنا يرضون بتسليم
المدينة لـ" الكفار الاجانب" . أن العنصر المتعصب صغير في البصرة ،ولكن
روايات كهذه لا يمكن أن تستخدم هدفا طبييا ممكن أن تؤثر في الطبقات
الجاهلة وتحرضها على الاخلال بالأمن . لقد اعلن بأن الوالى رجا فريد
بك عدة مرات ترحيل عجمي من الجوار ،ولكن القائد العسكرى اعارأذنا
صما للالتماسات ، ويلمح في بعض الاوساط الى أنه استلم نقودا من عجمي .
لقد أرسل على أية حال رجالا وميخالا الى الزبير لمرافقة حمد الى البصرة .

لا تبدو السلطات في سبيلها لاتخاذ خطوات لاعادة طمأنينة
العموم بتولى السيطرة على الموقف الذى يفقد ومهددا كل يوم ، واستمرار
هذه العناصر المزعجة في المدينة يسبب قلقا عميقا واستياء تجاه الحكومة
المحلية .تحت هذه الظروف يبدو من الخليش أن يفضى الوالى عينه من
الموقف او جعله يتفاقم من خلال فشله في فرض سلطته . طبقا لمعلوماتى
فأن القائد العسكرى فريد بك ملوم جدا . . .

15/5/2

ROOM 12.12.12.12

ROOM 12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

12.12.12.12

سرى أغسطس ١٩٠٨

بلاد العرب التركية

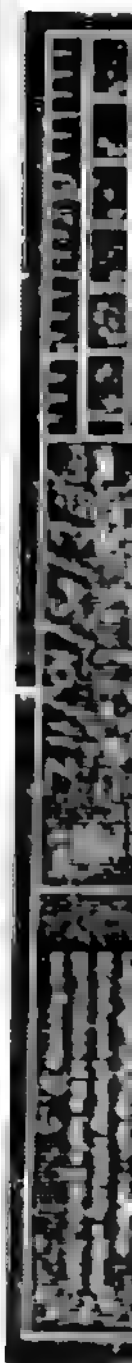
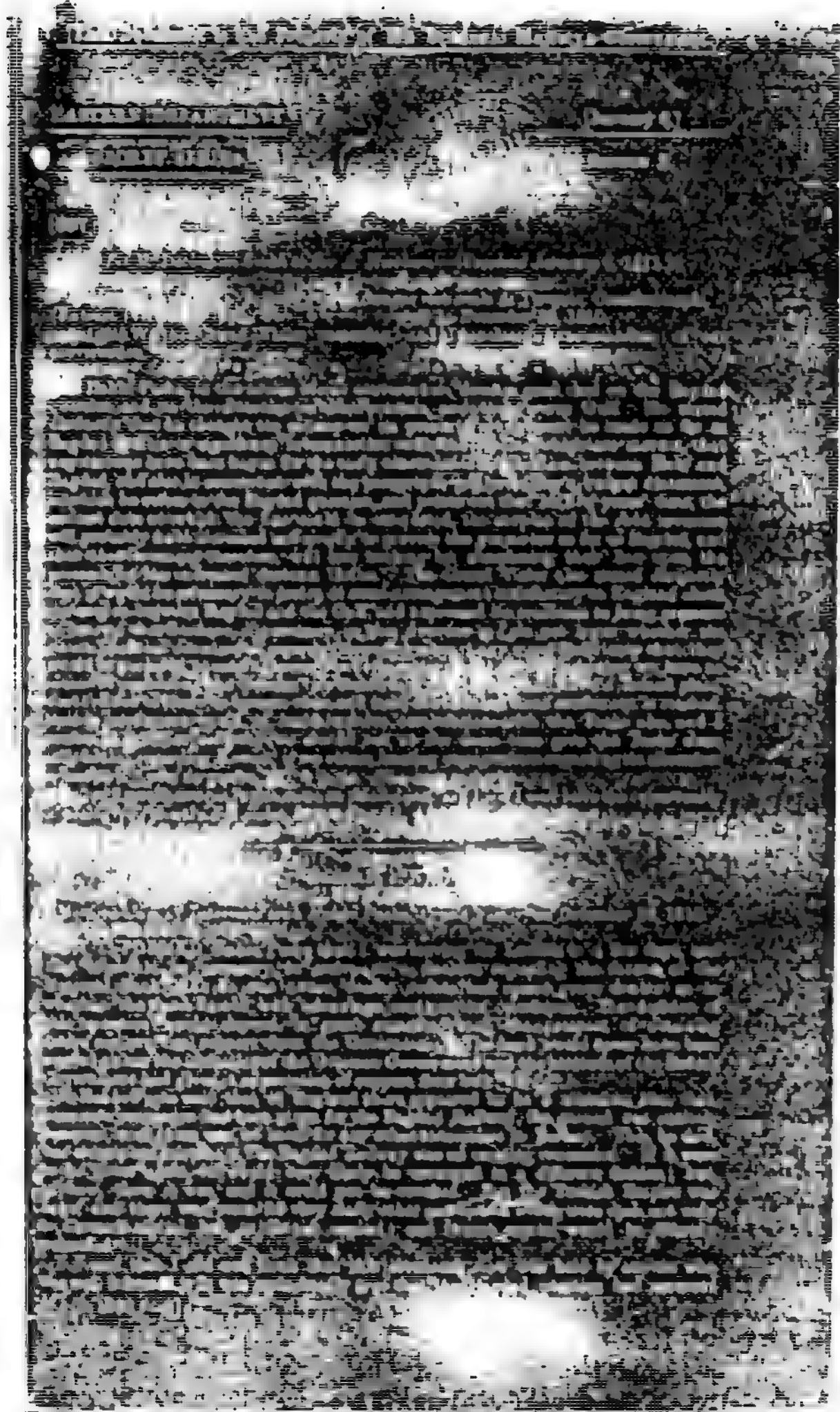
١٤١ - (راجع الفقرة ٨١ ، مايو ١٩٠٨) . فى التاسع من يونيه ، خاطب المقيم السياسى فى بلاد العرب التركية السفارة البريطانية فى القسطنطينية فى موضوع الهجوم على " بلوس لنج " حاثا على معاقبة فضبان ونقل والى البصرة الذى كان مساندا لفضبان ؛ أشار الرائد رمزى الى أن سبيل العمل الوحيد المتاح الذى يمكن أستخدامه من قبل الحكومة البريطانية لحماية المصالح البريطانية هو الضغط على الباب العالى للاهتمام الجدى بتلك الهجمات . لقد أوضح بأنه ليس للعرب بين البصرة وبغداد شكوى ضد الحكومة البريطانية ، وانهم هاجموا سفنا بريطانية لأسباب سياسية فى الواقع . وإذا ما أصر على العقوبة فأنهم سيتركون البريطانيين لحالهم فى المستقبل .

فى السادس عشر من يونية أمر السير أ . غرى المستر باركلى ليستعلم من الرائد رمزى عما اذا كان يعتقد أن العقوبة يمكن أن تنزل بفضبان خلال هذا الفصل وبدون صعوبة كبيرة جدا . اعتقد السير غرى بأن نتائج إضافية ذات طبيعة غير مرفوب فيها يمكن أن تتلوأرسال قوة تركية كبيرة الى المنطقة المجاورة المعنية . فى رسالة مؤرخة فى الخامس والعشرين من يونية الى السفارة البريطانية ، رد الرائد رمزى بأنه يقدر تماما خطورة عمليات حربية كبيرة تسبب مخاوف لفارس وقبائل الحدود الفارسية . وقد اعتقد - على أية حال - بأن الشطر سوف لن يوجد اذا قصر الترك جهودهم على معاقبة فضبان ، وإذا ماتم اغبار الحكومة الفارسية ووالى بشتكوه وشيخ المحمرة من قبل الممثلين البريطانيين بأن التحرك ضد فضبان قد أتخذ بموافقة الحكومة البريطانية بسبب هجومه على بواخرها .

١٤٢ - (راجع الفقرة ٥٩، أبريل ١٩٠٨) . في الثالث والعشرين من مايو، بعث المستر باركلي الى السير أ. فري تقريرين من قنصل صاحب الجلالة البريطانية في جدة، يتعلقان بعدم أمان طريق جدة - مكة نتيجة لعداء البدو لسكة حديد الحجاز.

في مايو، دنت من المدينة (المنورة) زمرة كبيرة من البدو، مكونة جزئيا من قبيلة بنى علي من العوالي، وحدث صدام بين رجال القبائل والقوات التركية بقيادة عثمان باشا محافظ، متصرف المدينة وقائدها.

وصلت المدينة فيما بعد تعزيزات من القوات التي تنشأ سكة الحديد، كما أرسلت مساعدة إضافية من جدة.



ملحق رقم (٥)

(هذه الوثيقة ملك لحكومة صاحب الجلالة البريطانية)

(٦ يناير)

شعبة ٣

القسم الشرقي

السلسلة السرية

(٦٣٧)

رقم ١

السير هـ . بابنجتون سمث الى السير أ . نيكولسن (استلمت في ٦ يناير ١٩١١) البنك الوطني التركي - القسطنطينية .

(مقتطف)

٣٠ ديسمبر ١٩١٠

ان حقى باشا ، فى أثناء محادثتنا ، أسهب مطولا فى قضية بغداد والوضع فيما بين النهرين والخليج الفارسى . لقد اعلن بجلاء انه يعتقد أن السكة الحديدية بأساسها الحالى يجب أن تمتد لغاية بغداد . أن هذا ذو مغزى لارتباطه بالروايات المتداولة عن أن المفاوضات قد بدأت من اجل الانشاء المبكر للخط بين حلف وبغداد ، ولارتباطه بفقرات من عرض جاويد باشا للميزانية والتي أشار فيها لقضية بغداد ، وأوضح انه فى مدة خمس سنين ، وهو التاريخ الأقرب الذى يمكن اكمال الخط خلاله ، فإن الفائض من دين الدخل الحكومى يحتمل أن يزيد لدرجة كافية لتوفير الضمان حتى بغداد ، وان الالمان لذلك لن يخسروا شيئا بالتخلى عن رهنهم عند العمل بالرسوم الجمركية العزادة . صرح الصدر الاعظم بوضوح أيضا بأنه سيكون من الضرورى الوصول الى ترتيب ما موزى لانجلترا حول الجزء الواقع بين بغداد والخليج ،

واظهر استعداد ه لممارسة ضغط لدفع الالمان فى هذا الاتجاه ان كان ذلك ضروريا . اننى لا اعلم اذا ما كان الوضع السياسى العام فيما يتعلق بالمانيا يجعل من المرجح الان انها ستكون مستعدة للوصول الى تفاهم ، ولكنه من الجلى ، فى المقام الاول ، اننا لانملك وسائل منع الخط الالمانى من الوصول الى بغداد ، وان من المحتمل فى المقام الثانى ان الخلاف سيصبح حادا اكثر فأكثر ما لم يتم الوصول لتسوية ما . أن تسوية كهذه ستحسن ، فى حدود ذاتها ، علاقاتنا مع الترك أيضا ، واننى لاعترف بأعلى لا أرى لماذا يجب الا نعطى فى نفس الوقت الترك بعض الارضاء فيما يتعلق بالكويت ، اذا ما حصلنا على تعهدات ملزمة فيما يتعلق بتحويل ملكيتها أو استخدامها كـ " ميناء " حربي .

لن اكتب المزيد ، على أية حال ، من هذا الموضوع ، لأنى أمل أن أجد فرصة لروايتك قريبا فى لندن .

ملحق بالرقم ١

مذكرة من المقابلة مع حقى باشا ، الصدر الاعظم ، فى ٢٩ ديسمبر ١٩١٠
أخبرت حقى باشا بأننى سأفادر الى لندن خلال بضعة أيام ، وأنه سيكون من الضروري الوصول الى قرار فيما يتعلق بمستقبل البنك الوطنى .
حسبما هو مطلع فإن الاحداث الحاضرة زادت من الشكوك القائمة حول ما اذا كان من المفيد للبنك أن يواصل عملياته . أن القرار حول هذه القضية سيعتمد ، بدرجة كبيرة ، على امكانية الحصول على مساندة فعالة و عملية من الحكومة . لم يكن البنك ليبدأ قط لو لم تعطه دعوة الحكومة العثمانية وموقف الحكومة البريطانية توقعا بالموازرة من كليهما .

قال حقي باشا يبد وأن هنالك فكرة خاطئة في انجلترا وهي انـه ، بسبب الامتياز الذي منح لسكة حديد بغداد ، فإن الارض اشغلت كلية وليس هنالك متسع لاي مشاريع أخرى في تركيا . قال ان هذا خطأ كامل . فسكسة حديد بغداد امتياز موجود ، ولو منح مرة ثانية فإن من المرجح جدا انه كان سيرتب بطريقة مختلفة ، ولكنه وجد على أية حال ولا يمكن الخافوه . ولكن الامبراطورية التركية واسعة ، وهنالك متسع لمشاريع كثيرة جدا مفتوح ليس لرأس المال الالمانى فقط ولكن لرأس المال البريطانى ، وسيرغب برأس المال البريطانى بأخلاص .

قلت بأننى لا اعتقد بأن الفكرة الخاطئة هذه يتشبه بها أى أحد مطلع جيدا . انه لحق لاشك فيه بأن قضية بغداد لها اهمية كبيرة مسلم بها فى العلاقات بين انجلترا وتركيا والمانيا ، لذاتها ولعلاقتها أيضا بالوضع فيما بين النهرين والخليج الفارسى عموما على حد سواء . اذا أمكن تسوية قضية بغداد بطريقة مرضية ، فأننى مقتنع بأن ذلك سيكون له تأثير رافع على العلاقات بين البلدان الثلاثة ،

قال حقي باشا ان قضية الكويت كانت مصدر الحساسية التركية ازاء النشاط البريطانى فى ذلك الجزء من العالم . تكلم فى هذا الموضوع بقوة . قال انه يعتبر النشاط البريطانى فيما يتعلق بالكويت جائرا بدون شك من الكويت تحت الحماية البريطانية ، رغم انه ليس هنالك محمية بالمعنى الفنى للكلمة ، اصبحت مركزا لحركة السلاح المهرب ، ومصدرا لنزاع مستمر مع جيرانها . وطالما وجدت حالة الامور الشاذة هذه ، فمن المستحيل استعادة السلام والنظام فى هذا الجزء من العالم . تشبه الكويت شوكة مفروسة فى ضلع تركيا ، والنشاط البريطانى هناك اكثر من أى مكان آخر خلق الشكوك فى نوايا بريطانيا نحو طابين النهرين .

قلت اننى غير مطلع على تفاصيل القضية ، ولكن أيا كان الخطأ او الصواب فى هذه القضية ، فإن معاليه يعلم جيدا بصورة تامة أن النشاط البريطانى فيما يتعلق بالكويت لم يكن موجها ضد تركيا ، ولكن ضد أمكانية وقسوع الكويت بأيد أخرى . قال الصدر الاعظم انه يدرك ذلك تماما ، ولكن العمل الذى اتخذه فى سبيل الدفاع ضد دولة أخرى نفذ فعليا وكأنه ضد تركيا . لم يكن بأية حال من مصلحة تركيا او رغبتها السماح لاية دولة أخرى أن تركز نفسها هناك . وحتى فى ظل النظام القديم ، فإن عبد الحميد لم يسمح للالمان بالحصول على محطة فحم فى البحر الاحمر . والنظام الجديد سيكون اكثر قوة أيضا فى مقاومة حصول كهذا . اذا ما كان هنالك أى شك حول هذا فإن تركيا ستقبل بأخذ تعهدات رسمية حول استخدام الكويت محطة بحرية . قال بأن المسألة فى رأيه يحتمل أن تكون قابلة للتسوية اذا كانت هنالك نية طيبة لدى الجانبين ، ولكنه أشتكى بأنه لم يكن قادرا على الحصول على مناقشة صريحة وكاملة للقضية والتي هى الشرط الاول للتفاهم .

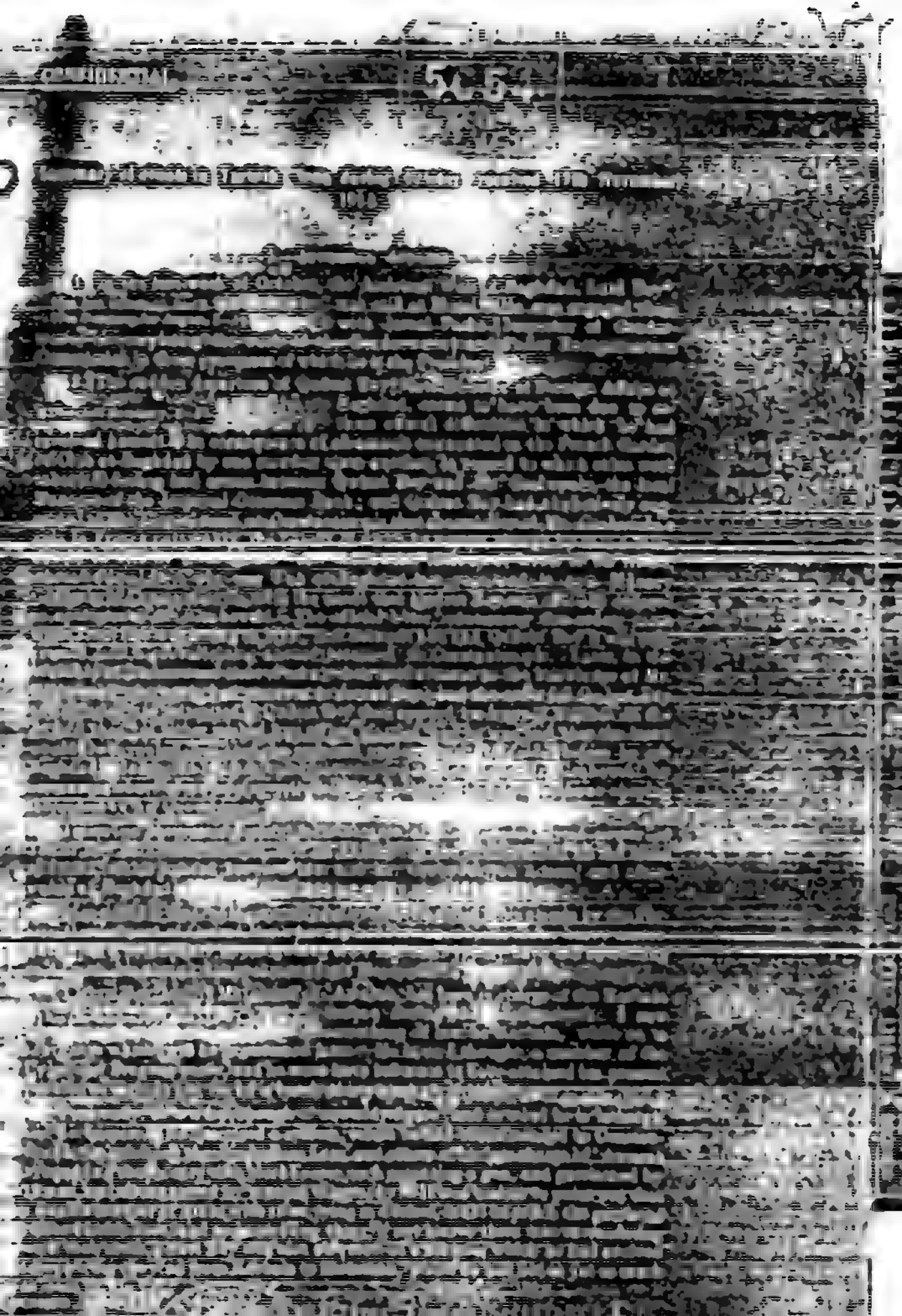
قلت بأن المسألة ليست واحدة من انا مهيا لابتداء رأى ما فيها ، ولكننى رأيت بأسف شديد الحساسية المفرطة للرأى التركى حيال النشاطات البالغة البراءة والشرعية للشحن والا بحار البريطانيين فى الخليج . أشرت الى المقالة الجديدة لاسماعيل محقى بابان ، التى أعتبر فيها وجود الشحن البريطانى فى البصرة وتوسع التجارة البريطانية هناك أمرين مهيئين ودليلين على نوايا شريرة ، فى حين كان من الجوهرى لرغاء القطر بصورة واضحة الترحيب بالشحن والتجارة اللذين يستطيعان القدوم مهما كانت جنسيتهما .

رد حقى باشا بأن المقالات الصحفية لا يجب أن تؤخذ على محمل
الجد كثيرا . لقد عاد اسمايل حقى بايان للتو من بغداد والبصرة ،
وما أثر فيه أكثر من أى شىء آخر هو قضية الكويت .

عاد بعدها الصدر الأعظم لقضية سكة حديد بغداد . قال أن الالمان
يجب السماح لهم باكمال الخط حتى بغداد ، ولكنه مدرك تماما أنه وراء
بغداد سيكون من الضروري ايجاد ترتيب مائرضى انجلترا . لم يستطع قول
ماهو الحل الدقيق الذى سيكون مفضلا . ان لدى الالمان " حقوقا مكتسبة"
موكدة ، ومن الواضح أن أى ترتيب يجب أن يكون موضوعا لمفاوضات ، ويجب
على المصالح المهمة صياغة المقترحات . ستكون الحكومة التركية متلهفـة
للوصول الى تسوية ، وستكون مستعدة للضغط على الالمان لـ هذا الغرض .
أحد الحلول سيكون جعل الخط جنوب بغداد عطا دوليا ، والحل الآخر
هو وجوب أن يكون الخط للحكومة التركية ، وتتم ترتيبات مناسبة مع المصالح
المهمة لتوفير رأس المال .

فيما يتعلق بموقف تركيا عموما ، قال مؤكدا ان من غير المرغوب فيه
جدا فى رأيه اعطاء اية دولة بمفردها نفوذا وحيدا أو متفوقا فى الشئون
التركية . انه يرفض بالبقاء على ملاقات جيدة مع كل العالم ، ومصالح تركيا
تكمن فى الحصول على المساعدة لتطويرها من كل الدول على حد سواء .

تكلت بعدئذ ثانية عن وضع البنك . قلت أن البنك لم يتلق حتى
الان دليلا عمليا على رغبة الحكومة بمساعدته . لا حسابات حكومية أعطيت
لنا ، والحساب شبه الرسمي الوحيد الذى لدينا هو حساب لجنة الاسطول .
قرض القسطنطينية رتب فقط بعد المناقسه مع بنوك أخرى ، وبعد نضال استمر
عدة أشهر . سألت عما إذا كان بمقدوره اعطائى أية تأكيدات عن مساعدة
عملية فى المستقبل يمكن أن أضعها أمام أصدقائى فى لندن . قال حقى باشا
أنه فيما يتعلق بالحسابات الحكومية فإن أيديهم مغلولة لحد بعيد . . .



خلاصة اعداء العراق التركى خلال اكتوبر (استلمت فى ١٧ نوفمبر) ١٩١٣

١ - الشؤون الداخلية

١ - فى الاسبوع من اكتوبر، كان مساعد والى بغداد ، لطفى بك ، مايزال فى الموصل ، انه منعهك هناك مع جمال باشا ، مفتش الدرك ، فسمى اكمال عمل لجنة اعادة تنظيم الدرك والشرطة فى تلك المناطق والتسى هورئيسها .

٢ - بيد و الرحيل المفاجي* لقدرت بك المدير السابق للشؤون الخارجية فى بغداد ناشئا عن مشاكل رسمية خلية كان متورطا فيها هو نفسه . نتيجة لتهمج ارتكب فى المطعم او النادى الفرنسى فى بغداد من قبل احد الاعضاء ضد اخر ، ونتيجة لالتزام كل واحد منهما لجانب نشأ شعور غير ودى بين قدرت بك والمستر غرابوفسكى المدير المحلى للبك ، الامبراطورى العثمانى . واقتراح قدرت بك ، بحقد طى الحكومة فى القسطنطينية وجوب التحقيق بصورة صارمة بشرعية حق المستر غرابوفسكى بالجنسية الفرنسية التى يتمتع بفوائدها رغم انه بولندى الأصل . عليه كتب المستر غرابوفسكى لصديقه احمد جمال بك الذى كان واليا لبغداد فى السنة الماضية ، وهو الان الحاكم العسكرى للقسطنطينية ، فترتب على ذلك أن أمر قدرت بك رسميا بالاعتذار للمستر غرابوفسكى . وصلت الرسالة الرسمية التى تحوى هذا الامر حين كان لطفى بك واليا بالنيابة ، وبقيت طى الكتمان بينه وبين قدرت بك ،

وارسل جواب مراوغ للقسانطينية . أخيرا ، في ولاية محمد زكي باشا ،
نما غير عملهما الى المستر غرابوفسكي الذي التجأ ثانية الى جمال بك ،
فكرر الامر لقدوت بك بالاعتذار . طالب قدوت بك عندئذ أجازة على اساس
أن والده يمرض بتزويجه ، فقيل له بأن الاجازة ستؤمن ولكن الاعتذار
المطلوب يجب أن يتم قبل مغادرته بغداد ، في النهاية ، وبعد محاولة
غير مجددة لاسترضاء المستر غرابوفسكي عن طريق تأكيدات أقل من الاعتذار ،
نزع قدوت بك عن بغداد ، دون الامتثال لأوامر حكومته .

ذكرت هذه الحقائق غير المهمة بسبب القوة الكبيرة الحالية لجمال
بك في القسطنطينية وباعتبارها توضح العلاقات الوثيقة التي وجدت بينه
وبين المستر غرابوفسكي في أضنه وفي بغداد فيما بعد .

من الممكن ، كما يعتقد عموما في بغداد ، أن تكون للشكاوي من قبل
الحكومة الفارسية ضد فرض قدوت بك ضرائب ثقيلة على الرعايا الفرس تمهيدا
للاعتراف بجنسيتهم ، بعض الاثر في اغتفائه المفاجئ من مابين النهرين .

٣ - سرى بك ، متصرف العمارة الى عهد قريب ، كان مسئولا عن لواء
كربلاء . خلال الشهر الماضي ، رأيت في كربلاء . حينما كنت في رحلة هناك ،
ستذكر لاحقا . انه ، كما أظن ، عضو في حزب الاتحاد والترقي ، ويحتسب
أن يكون ذا نفوذ حتى يصل الى مركزه الحالي في عمر مبكر كهذا ، إذ أنه
بالكاد في الثلاثين .

انه شخصا شديد التأنيق في ملبسه رغم انه ذو بنية ضخمة ، وبليد وضيق
عظمي في عقلية . لقد وصف نظاما ، أوصى به القسطنطينية لانضواء
بني لام الجامعين وغيرهم خلال مسئولياته السابقة في العمارة عن طريق
ترصيع الريف بحصون صغيرة ، ينصب مدفع على كل منها ، ويقام فيه خمسة

عشر رجلا ، وترتبط بأبراق لاسلكي . انه من غير المجدي الاشارة الى
أن أقل عدد من العرب ببنادقهم ، متريصين في خنادق ، يمكن أن يسجنوا
حاميات الحصون ويشلوها عن الحركة ، ان لم يجيعوها حتى تستسلم . — مع
اسلحتها ، كان سرى بك فصيحاً أيضاً في خدلة وضعها لتأمين الطريق
من كربلاء الى شفاثة ، لم يقم بالكثير منها حتى يمكن رؤيته لحد الان .

CONFIDENTIAL

Mr. B.

CONFIDENTIAL

CONFIDENTIAL

CONFIDENTIAL

ملحق رقم (٧)

سري

المستتر بهيو مونت للمسير أدارد فرى (استلمت في ٢٩ يولييه ، ١٩٤٥)

ب. ظ. (

(رقم ٤٥٩) ر.

القسانطينية ، ٢٩ يولييه ١٩١٤

مايلي من الضابط القنصلى فى البصرة ، رقم ٦٨ بتاريخ الأس :
" كتب مجمى املى خاتمة لمترجمى طالبا منه أن ينقل لى رسالة من كاتبه . تقول الرسالة أن رجالا متنفذين كثيرين ، بضمنهم والى بغداد ، نصحوا مجمى بالبقاء هادئا ، ولكنه عازم على مهاجمة البصرة وقتل طالب مالم يذعن لمطالبه . ان طرد الوالى أمر مرض ، ولكنه يجالب أيضا بموت طالب ونفى انصاره . وتختتم الرسالة بالتماس الرد . أجبت بأننى لا املك فى الأمر ما أفعله .

" خلال الاسبوع الأخير كان هنالك الكثير من السرقات فى اطراف البصرة . نسبت تلك (السرقات) رسميا ، ولكن بصورة خاطئة على الارجح ، الى مجمى (مجموعتان لم تحمل شفرتها) . يبدو الوالى كارها لاتباع سياسة قمعية . هذا عائد جزئيا بلا ريب لنقص فى (مجموعة ساقطة : الشجاعة ؟) ، ولكن جزئيا ، فيما اعتقد ، لذكاء استثنائى . وهو عازم مع ذلك على جعل مجمى (؟) من مكانه الحالى الذى لا يبعد مسافة ساعات كثيرة من البصرة " .

١
٢٣٢
No. 43.

American Consulate,

Bagdad, Turkey, 31st March 22.

Honorable John G. A. Leishman,

American Ambassador,

Constantinople, Turkey.

Sir:-

I have the honor to confirm my telegram of 25th March, reading as follows:-

"ARAB TRIBES LOCATED BETWEEN ALIGARH AND GOWNA
"ON TIGRIS RIVER IN STATE OF INSURRECTION. BRITISH
"RAIL STEAMER ON VOYAGE TO BASSORAH WAS FIRED ON AT
"KOSBIT ON SEVENTEENTH MARCH. SAME STEAMER DURING
"RETURN VOYAGE WITH BRITISH CONSUL GENERAL AT BAGDAD
"ON BOARD WAS ATTACKED AND FIRED AT FOUR TIMES
"BETWEEN KALATBAHAN AND AYARA. NO CASUALTIES ARE
"REPORTED. I AM INFORMED BY THE AGENT OF THE LYON
"COMPANY THAT IN CONSEQUENCE OF EXISTING INSECURITY
"HE HAS TELEGRAPHED HIS DIRECTORS RECOMMENDING
"SUSPENSION OF SERVICE. DISTURBANCES ARE DUE TO
"ILLEGALITY AND DISCREDIT PRACTICES OF TURKISH
"AUTHORITIES IN AMANA AND BASSORAH. IT IS REPORTED
"THAT NOTWITHSTANDING MILITARY AUTHORITIES BAGDAD
"ARE PREPARED TO TAKE MEASURES AGAINST INSURGENTS
"THE BRILL VISION DISCOURAGING ACTION AND FURTHER
"RESPONSIBILITY OF MILITARY AUTHORITIES IF TROOPS
"FIRE ON INSURGENTS. UNLESS INTERESTING STEPS ARE SOON
"TAKEN THE SITUATION MAY BE VERY SERIOUS. INASMUCH AS
"THREATENED INTERRUPTION OF RIVER TRAFFIC WILL AFFECT
"AMERICAN COMMERCIAL INTERESTS SERIOUSLY I PRAY THE
"EMBASSY WILL MAKE STRONG REPRESENTATION. KIND."

125

The disturbances to which my telegram referred are a recurrence of those reported in Consul Magelsen's despatch No. 22, dated April 30th 1902, but, according to present advices, Sheikh Ughdhan and his tribe have not yet taken the offensive and the attacks reported in my telegram were perpetrated by other tribes.

Since the date of my telegram practically every steamer which has passed through the disturbed area has been attacked, and the new Turkish steamer "AA DAD" belonging to the Farafish Administration on her downward voyage to Basorah on the 23rd inst., had two men killed and seven wounded.

This steamer had a guard of troops on board and also a small quickfiring gun and it is reported that they returned the fire of the insurgent Arabs.

I understand that the Turkish authorities here have not been instructed to take punitive measures against the tribes in question but they are doing what they can to protect river traffic.

The British mail steamers are sailing irregularly, their movements being regulated by the presence of other steamers to convey them through the disturbed reaches of the river. They, also, have a small guard of troops on board.

These disturbances have disorganised river traffic by native sailing craft and a considerable number of boats loaded with liquorice root for the Messageries and Forster Company are held up down river and are unable to proceed.

The irregularity of the steamer sailings is also having an adverse effect on the shipment of wool, carpets and skins destined for the United States.

These disturbances are becoming an annual incident and their nature is becoming more and more serious every year.

Until the Turks here have sufficient force, and the authority to use it, such up-risings will continue at regular intervals to the serious detriment of foreign trade and/

3.

and/
communication.

I have the honor to be, Sir,

Your obedient servant,

American Vice-Consul, in charge.

ملحق رقم (٨)

رقم ٤٢

القنصلية الامريكية

بغداد ، تركيا ، ٣١ مارس ١٩٠٩

جون ج . آ . ليشمان المحترم

السفير الامريكي ، القسطنطينية ، تركيا

سيد ،

لى الشرف أن أوكد برقيتى المورخه فى الخامس والعشرين من مارس
المقروءة كمايلى :-

" القبائل العربية القاطنة بين على الغربى والقرنة على نهر دجلة فى حالة
عصيان مسلح . باخرة البريد البريطانية فى رحلتها للبصرة أطلقت عليها
النار فى كميت فى السابع عشر من مارس . نفس الباخرة خلال رحلة العودة
وعلى ظهرها القنصل البريطانى العام فى بغداد هوجمت وأطلقت عليها
النار أربع مرات بين قلعة صالح والعمارة . لم يبلغ عن وقوع اصابات . أخبرنى
وكيل شركة لنج بأنه نتيجة لانعدام الأمن القائم فقد أهرق لحدرائس
موصيا بتعليق الخدمة . ان الاضطرابات نتيجة للممارسات العاجزة والفاصلة
للسلطات التركية فى العمارة والبصرة . روى انه بالرغم من أن السلطات
العسكرية فى بغداد أعدت لاتخاذ الاجراءات ضد العصاة فإن الصدر
الاعظم يعيق التحرك ويضع عبء المسئولية على السلطات العسكرية
اذا ما أطلق الجند النار على العصاة . مالم تتخذ خطوات فعالة على
الفر فأن الموقف يمكن أن يصبح خطيرا جدا . ولأن اعاقه حركة النهر

المهدد بها سوف توتر جديا على المصالح التجارية الامريكية فأنني أرجو
أن تقوم السفارة بتقديم احتجاجات قوية . بيرد . " ،

ان الاضطرابات التي أشارت لها برقيتي تكرر لتلك التي ذكرت في رسالة
القنصل ماجلسون رقم ٢٣ المؤرخه في العشرين من أبريل ١٩٠٨ ، ولكن طبقا
لأبناء عالية ، فإن الشيخ فضان وقبيلته لم يتخذوا موقف الهجوم بعد ، وان
الهجمات المذكورة في برقيتي ارتكبت من قبل قبائل أخرى .

منذ تاريخ برقيتي فإن كل باخرة مرت فعليا بالمنطقة المضطربة
قد هوجمت ، وان الباخرة التركية الجديدة " بغداد " العائدة للإدارة الحميدية
في رحلتها النازلة للبصرة في الثالث والعشرين الجاري قتل عليها رجلان
وجرح سبعة .

فهمت بأن السلطات التركية هنا لم تزود بالتعليمات لاتخاذ اجراءات
تأديبية ضد القبائل المعنفة ، ولكنها تفعل ما تستطيع لحماية الحركة النهرية .
بواخر البريد البريطاني تعمل بصورة غير منتظمة لأن حركاتها ترتبط
بوجود بواخر أخرى لتواكبها عبر المرحلة المضطربة من النهر . ان لها أيضا
حماية صغيرة من الجند على ظهورها .

ان هذه الاضطرابات أفسدت نظام الحركة النهرية بالمراكب الشراعية
المحلية وبعدد كبير من القوارب المحطة بمقرق السوس لشركة انسدراوس
وفوربس المتوقفة أسفل النهر وفيه القدرة على التقدم .

ان عدم انتظام البواخر المبحرة له أيضا تأثير غير ملائم على شحـن
الصوف والسجاد والجلود المتجهة الى الولايات المتحدة .

ان هذه الاضطرابات أصبحت حاداً سنوياً ، واخذت طبيعتها تصبح
اكثر خطورة سنة بعد سنة .

والى أن يكون لدى الترك هنا قوة كافية وسلطة لاستخدامها ، فإن
انتفاضات كهذه سوف تستمر على فترات منتظمة بسبب الأذى للتجارة
والمواصلات الأجنبية ،

لى الشرف ياسيدى أن اكون خادمكم المطيع .

نائب القنصل الأمريكى والقائم بعمله .

No. 19
F.T.

68

A. M. K. R. A. T. I.

Baghdad, Turkey, April 7, 1910.

Mrs. Oscar C. S. S. S.

American ...

...

Sir:-

I have the honor to submit herewith details of the situation at Shahr, based on a report made to me by the American ... Mr. John Van Nes, who has lately left Baghdad for the United States. Mr. Van Nes was in Shahr at the time of the ... and his account is therefore ... in substance:

Shahr is ... about 1000 people located on the Shahr-el-Bai, ... from the Tigris. It stands about in the center of a district called by the Arabs "Montefik", ... "confederation". This confederation ... which were ruled by the ... About 40 years ago the ... was called on by one of the ... to ... disturbances; since that time ... have ... the ... the Government attempted to collect ... who reside ... and ... officers were badly ... the Govern- ... they likewise re- fused to pay taxes. ... the ... the Turks ... disturbances and collect taxes out from the ... of An- ... after great difficulty, succeeded in turning one tribe against another ... the back of the rebellion.

During last ... September, 1909--- Yusuf ... to subdue the tribes and collect the back taxes. After strenuous ... where he at- tained the ... of every ... of the desert and swamp ... was ... placed in command of the ... Yusuf Dahan at the ... of soldiers ... Upon his arrival there, he collected all the ... and bound ... the Turkish government.

About a quarter of a mile outside Shahr is a small tribe of Arabs called the ... is named ... the policy of Yusuf ... another by favorable

والحمد لله

...able time with regard to land leases. All of this
 ... the chief of another tribe of Arabs near "Antia,
 ... about 100 miles. ... Yusuf Pasha his
 ... the lease of the dis-
 ... Yusuf Pasha on the 10th
 ... to assault the fort of
 ... the place for a
 ... maltreated and sent back.
 ... Yusuf Pasha placed two
 ... the enemy, ... the in-
 ... the in-
 ... small tribe number-
 ... and expected to lo
 ... at least
 ... to assist
 ... firing on the part of
 ... the soldiers and ... on the Arabs, was re-
 ... heavy fire. At this moment the left
 ... to flee from the Turkish
 ... drawn in another di-
 ... At this moment also broke
 ... The United Arab
 ... Turkish sol-
 ... fire upon them. Major
 ... and two lieutenants,
 ... were killed. 34
 ... broke ranks
 ... arch 17th, the
 ... kept up a heavy fire
 ... from the ... of
 ... After nightfall
 ... rushed the town from
 ... the night they kept
 ... well protected
 ... sent on all
 ... tribes did most of
 ... Turkish soldiers also
 ... Yusuf Pasha ordered
 ... of
 ... code to the exten
 ... next day ... informa-
 ... consist from the
 ... given in unity; he said
 ... that the ... then the
 ... refused to agree
 ... for three
 ... tribe asked him to
 ... but were
 ... arch 16th, under the
 ... and everywhere noticed
 ... the ...
 ... believe all
 ... to ...
 ... to ...
 ... but this task is

70

-----3-----

a tremendous one, and will to my mind require at least 10,000 soldiers. And the soldiers should be from other parts of the country---Anatolia, Albania and Syria. The Turkish authority is ridiculed everywhere except in the towns, but from half way between Haereih and Mesorah everything is quiet and the roads are safe. I hear, Yusuf Pasha will be court-martialed, and that matters are to remain in statu quo till the arrival of Yushia Pasha, the new Wali of Bagdad*.

(Signed) J. Van Rie.

Yusuf Pasha is reported at Beirut, on his way to Bagdad.

S. R. Fode, the Acting American Consular Agent at Mesorah, writes, in connection with the Shatra situation:

"The position is certainly serious for the Turks; but they have always shown to such resource in getting out of similar difficulties, that I am doubtful whether they will go to the expense of sending a Division of troops (into the swampy lanes) at such an unfavorable time of the year. The spring rises are shortly due, and the Arabs can disappear in their canoes like mist---if they find a force sent against them too strong to be successfully attacked. If the Turks really intend to subdue the Mont-fik, the only time of the year in which they can open to success fully is in the Autumn, when operations can be carried out in the open (not in the Hail) and the water is low. In the spring, when the water is high, the country is a mass of swamp and flooded country."

"I have private information that Plague has appeared at Basrah, Persian Gulf, as soon as this is certain, I will telegraph you".

(Signed) Sam'l Fode.

Grove apprehension is felt in official circles at Bagdad that the disturbances in South Mesopotamia may gradually increase, till they take the form of an organized revolutionary movement against Turkish authority. The neighboring Persians, and continued rumors of Turkish trouble on the Persian frontier, seem to have a distasteful effect on the mind of Eastern Arabia.

Mawab Ali Khan, a Shia, now living at Bagdad, but who once resided at Behbahan, and who is acquainted with the Persian religious leaders who make their headquarters at the Holy Office of Najaf and Kerbela, told me this week that an ecclesiastical order had been issued by the Holy Office at Najaf, urging all Shia Persians to arm themselves and drive the Turks out of Persia. This war, to be a Holy one, would of course involve all who fell fighting, and insure their souls passage to Paradise. Mawab Ali Khan is one of the Indian Princes, descendants of the King of Aund, whom the British exiled here many years ago. I tell the reader for that it is worth.

I have the honor to be, Sir,

Your obedient servant,

American Consul.

بغداد ، تركيا ، ٧ أبريل ١٩١٠

أوسكار س. ستراوس . المحترم

السفير الامريكي ، القسطنطينية ، تركيا

سيدى ،

لى الشرف أن أقدم هنا تفاصيل الوضع فى الشطرة ، مستمدة من تقرير اعدده لى المبشر الامريكي جون فان ايس الذى غادر البصرة مؤشرا الى الولايات المتحدة . السيد فان ايس كان فى الشطرة وقت حدوث المعركة ولذلك فان روايته موثوقة بلا ريب . وجوهر مايقوله :-

" الشطرة مدينة يقطنها زهاء خمسة آلاف نسمة وتقع على شط الحسى على بعد حوالى عشرين ميلا من الفرات . انها تقوم تقريبا فى مركز اقليم يسمى العرب "المنتفق" وتعنى "الاتحاد" . هذا الاتحاد يتألف من العديد من القبائل التى كانت الى مايقرب من خمسين سنة مضت تحكم من قبل عائلة آل سعدون . قبل حوالى اربعين سنة مضت دعيت الحكومة التركية من قبل احد الشيوخ لانهاء الاضطرابات ومنذ ذلك الحين احتلت القوات التركية الاقليم اسما على الأقل . قبل خمس سنين حاولت الحكومة ان تجبى الضرائب المتأخرة من عرب حكام القاطنين فى سوق الشيوخ . كانت المحاولة فاشلة ، وهزم مخلص باشا واثنى عشر فوجا على نحو مخز . بعد ذلك رأت القبائل الاخرى أن الحكومة غير قادرة على فرض مطالبها فرفضت بالمطل دفع الضرائب فى ربيع سنة ١٩٠٩ . حاول الترك ثانيا فاشلة لانهاء الاضطرابات القبلية وجمع الضرائب المستحقة على العرب حول مدينة

العمارة الواقعة على دجلة . نجح القائد العسكري يوسف باشا بعد صعوبات جمة في توجيه إحدى القبائل ضد الأخرى وبهذه الوسيلة قصم ظهر العصيان .

خلال رمضان الأخير ، سبتمبر ١٩٠٩ أرسل مصطفى باشا إلى منطقة الفراف لإخضاع القبائل وجمع الضرائب المتأخرة . وبعد أن بدأ إجراءات عنيفة في الحي انحدر إلى الناصرية ، حيث هاجم عرب الأزهر ، ومن المشير لدهشة أي من حسنى الإطلاع على تجهيز العرب القاطنين في الصحراء والهيرانه هزم . سحب مصطفى باشا بعدئذ ، وعيّن يوسف باشا لقيادة القوات التركية في إقليم المنتفق . تقدم يوسف باشا في الحال نحو الشطرة مع خمسة أفواج من الجند وسرية مدفعية واحدة ، جمع بعيد وصوله هناك كل الشيوخ المجاورين وجعلهم يقسمون على تأييد الحكومة التركية .

هناك عشيرة صغيرة من العرب على بعد حوالي ربع ميل خارج الشطرة تدعى السناجر وشيخها يسمى خيون العبيد . كانت سياسة يوسف باشا في العمارة هي توجيه قبيلة ضد أخرى من طريق شروط . موافقة فيما يتعلق بتلزم الأرض . على الخافور شيخ عشيرة أخرى من العرب قرب الشطرة تملك حوالي ألفي بندقية وعد يوسف باشا بمساندته في حالة إعطائه التزام مقاطعة خيون . وعلى ذلك أرسل يوسف باشا في الثاني عشر من مارس (١٩١٠) خمسة عشر دركيا لمهاجمة قلعة خيون بهدف استخلاص المكان للخافور . عمل الدركيون بخشونة واميدها . في الصباح التالي ، الثالث عشر من مارس ، وضع يوسف باشا فوجين من الجند ومدفعين في الخنادق خارج الشطرة ، ووضع على الجناح الأيمن مائتي فارس تركي ، وبين الفرسان والمشاة وضع " البوشمخي " ، عشيرة صغيرة

تملك حوالي مائتين وخمسين بندقية . لقد توقع يوسف باشا بأنه سيواجه
بمعرب السناجر لوحدهم ، ولكن خلال ساعة واحدة جاء خمسة الاف عربى
آخرو على الاقل من كل الاتجاهات لمساندة السناجر . بعد ساعة من اطلاق
النار من جانب الجند وهجومهم على العرب الذين تراجعوا تحت نار كثيفة ،
فى هذه اللحظة تظاهر الجناح اليمى للعرب بالهرب أمام الفرسان الترك
الذين حول انتباههم بهذه الطريقة فى اتجاه آخر . فر البوشمخى فى
هذه اللحظة أيضا متخلين عن القوات التركية . طوقت القوات العربية
المتحدة الآن الفوجين من الجند الترك وصبت عليهما نيران حامية . قتل
الرائد عبد القادر أفندى واحد النقباء وملازمان اثنان وواحد وثلاثون
جنديا من القوة التركية وجرح أربعة وثلاثون . خرق الجنود الترك الآن
الانظمة وهربوا عائدين الى الشرطة . طيلة نهار الثالث عشر من مارس
واصل الترك الذين احتلوا الشرطة ثانية اطلاق نار كثيف من قلعتهم
على حافة المدينة ومن منارة المسجد ومن ثكناتهم . بعد حلول الليل
التأمت القوات العربية ثانية وهاجمت المدينة من جانب غير محروس . واصلت
طوال الليل اطلاق النار ، ومع ذلك فأن القوات التركية قاست القليل لكونها
معتمة جيدا خلف جدران طينية . عند طلوع نهار الرابع عشر من مارس
أبتدأ نهب السوق واستمر ذلك طوال النهار . قامت عشرينا السناجر
والبوشمخى باكثر النهب ، وقيل أن الجند الترك ساعدوهم أيضا . حوالي
الرابعة بعد الظهر أمر يوسف باشا قواته بوقف اطلاق النار ، وفى الحال
تقريبا انسحب معظم العرب المسلحين من الشرطة . استمر النهب على أية
حال لشطر طويل من الليل . سرقت بضائع تصل قيمتها لثلثمائة ألف دولار .
أخبر خيون فى اليوم التالى يوسف باشا بأنه سيكف عن الهجوم وعن مزبذ
من النهب اذا ما منح العفو ، ووضع شرطا آخر على أية حال هو ترحيل

البوشمخي من الشرطة . رفض يوسف باشا الموافقة على هذين الشرطين .
اعلنت هدنة لثلاثة أيام ، روى بأن عشيرة تدعى بنى ركاب كانت فـي
الطريق لموازرة الحكومة ، ولكنها أوقفت بأمر من السلطات .

يعرض المستر فان ايس علاوة على ذلك :-

" فادرت المدينة (الشرطة) فسي السادس عشر من مارس تحسنت
حماية مرشدين قبلين (عرب) ، وفي كل مكان لاحظت تصميما على الاعمال
العدائية تجاه الحكومة ، بهدف أن يصبحوا مستقلين . اننى اعتقـد
بأن كل القبائل متحدة بقوة ومصمة على طرد الحكومة التركية . يخطط
الترك الآن لجلب قوة اكبر ومحاولة اخضاع العرب . ولكن هذه المهمة
ضخمة وسوف تتطلب في اعتقادي ستة عشر الف جندي على الاقل . ويجب
أن يكون الجند من اجزاء أخرى من البلاد . . . الاناضول والبنانيا وسوريا .
ان السلطة التركية عرضة للمخربة في كل مكان عدا المدن ، ولكن ابتداء
من منتصف الطريق بين الناصرية والبصرة كل شيء هادي . والطرق آمنة .
سمعت بأن يوسف باشا سوف يحاكم أمام مجلس عسكري ، وان الأمور ستظل
في وضعها الراهن حتى وصول ناظم باشا والى بغداد الجديد " .

(توقيع) ج . فان ايس

.....

أعلن بأن ناظم في بيروت في طريقه لبغداد .

.....

المستر دودز النائب الموقت للوكيل القنصلى الامريكى في البصرة

كتب فيما يتعلق بوضع الشرطة :-

" الموقف بالنسبة للترك خطير بلا شك ، ولكنهم أظهروا دائما براعة
في الخروج من مشاكل مشابهة لحد أنى شك في كونهم سيخاطرون بنفقة

ارسال فرقة من الجند (فني ارض مستنقعات) في وقت غير ملائم من السنة
كهذا . ان فيضانات الربيع متوقعة الحدوث قريبا ، ويستطيع العرب
التشتت بمشاحيفهم مثل الضباب . . . اذا ما وجدوا ان القوة التي
أرسلت ضد هم قوية الى درجة تحول دون مهاجمتها بنجاح . اذا كان
الترك يعتزمون اخضاع المنتفق ، حقا ، فإن الوقت الوحيد خلال السنة
الذى يمكنهم العمل خلاله بنجاح هو الخريف حيث تقتصر العمليات على
النهر (الفرات والحي) والاراضي الجافة المحيطة . وليس في الربيع حين
يستفاد العرب من أميال من المستنقعات والاراضي المغمورة .

" لدى معلومات خاصة بأن الطاعون ظهر في بوشهر ، الخليج الفارسي ،
وسأهرق لك حالما يتأكد ذلك " .

(توقيع) صامويل دودز .

.....

ان خشية خطيرة محسوسة في الاوساط الرسمية في بغداد من امكانية
ازدياد الاضطرابات في جنوب ما بين النهرين تدريجيا حتى تأخذ شكل
مقاومة منظمة وعداويه تجاه السلطات التركية . الاضطرابات المجاورة في بلاد
الفرس ، والاشاعات المستمرة عن المشاكل التركية في الحدود الشمالية يبدو
أنها تؤثر على العرب في شرق بلاد العرب .

.....

نواب علي خان ، شيعي ، يعيش الآن في بغداد ، والذي كان فيما
مضي يقطن طهران ، وهو على معرفة شخصية مع القادة الدينيين الفرس
الذين جعلوا مراكزهم في المدينتين المقدستين في النجف وكربلاء ، اخبرني

هذا الأسبوع بأن فتوى أصدرت من رجال الدين في النجف تحت كل الفرس
المؤمنين لتسليح أنفسهم وطرد الروس من فارس، هذه الحرب، اذا أصبحت
مقدسة، سوف تجلب المغفرة بالطبع لكل من يؤمن بالقتال وستضمن انتقاله
السريع الى الجنة. نواب علي خان واحد من الامراء الهنود، المنحدرين
من سلالة ملك أوض الذي نظام البريطانيين الى هنا قبل سنين عديدة. انني
أنقل الاشاعة لما لها من قيمة،

لي الشرف أن اكون باسدي خادكم المطيع،

القنصل الأمريكي .

۱۰

AMERICAN CONSULATE
BAGDAD, TURKEY.

July 15, 1914.

Mr. No. 10,000 Henry, Morgenthau
American Ambassador Extraordinary,
and Agent, Consulate
Constantinople.

Sir:

In the Valley of Mesopotamia a violent political develop-
ment is taking place, ultimately to the dismissal of the Wali of that
province, Sheikh Hussein, who has been in office recently.

I had the honor to report on March 18, 1914, that a re-
conciliation had been arranged between the Turkish Government and its official representative
at Mesopotamia, the Wali, on one side, and Sayid Taleb Hakim, the
leader of the district on the other.

It is now known that the Wali of Mesopotamia has at a recent date
been dismissed, and the power of Sayid Taleb Hakim practically the
entire district has been placed under his control, and he has
in all his dealings with the Turkish Government. It seems
probable that this state of things was bound to be at last
for the most serious disturbances and trouble in
the most troubled and disturbed regions of the Ottoman
Empire.

It is known that the Wali of Mesopotamia has at a recent date
been dismissed, and the power of Sayid Taleb Hakim practically the
entire district has been placed under his control, and he has
in all his dealings with the Turkish Government. It seems
probable that this state of things was bound to be at last
for the most serious disturbances and trouble in
the most troubled and disturbed regions of the Ottoman
Empire.

The cause of the trouble, founded by this most im-
portant and serious development in the Wali was reached

... in the immediate neighbourhood
... staying with his family at
... by Sayyid Talib, his followers
... the latter being then captured under
... One of Sayyid Talib's chief objects in
... was to obtain the possession of some important
... existing at Suwayh since Khalid bin al-Walid's
... out against him, the work of the
... and Progress, then called to Suwayh in the
... Talib, belonged to the liberal or "Lahar"
... to the south before his "reconciliation" with
... and Vail.

... informed beforehand of Sayyid Talib's inten-
... according to prevent and to shock
... and his son, to lead the Government
... between Suwayh and Haqurah;
... to Haqurah town and a captain
... on that occasion by Sheikh Ezzal.

... were Turkish troops and
... stationed at Haqurah.
... to Suwayh to shell
... faithful
...

... only of his
... and
... about 3000
... to flight
... of the small town asked for
... at Suwayh and the
... there, the Wali and Sayyid
... at Suwayh to
... old
...

in the state of material situated in the same direction as
the state for Bazarah itself.

The state and tranquillity were established at Bazarah
and at the price of the local Turkish Government of
Bazarah the Vali himself, placing completely under British
control and orders.

The state of things which certainly had to have been
the state of things in the state for the interest of
the Government in the these provinces of Bazarah was
the state of things in the state of things, and the
the state of things of the various provinces was established at
the state of things and been the state of things of the Vali of that
the state of things to himself and the state of things and
the state of things of the Turkish Government, authorities towards
the state of things in the state, but it will be surely not
the state of things to check the overbearing power of the mighty Arab
the state of things after all the above reported strange events.

The state of things, Vali of the state of things, has
the state of things, the state of things, the state of things,
the state of things, the state of things.

The state of things, the state of things, the state of things,

Your obedient servant,

[Signature]

Vali Vice Consul in the state.

ملحق رقم (١٠)

القنصلية الامريكية

بغداد ، تركيا

١٥ يولييه ١٩١٤

هنري مور جنتاو المحترم

السفير الامريكي فوق العادة والمطلق الصلاحية

البقسطنطينية

سيدى ،

حدث مؤخرا فى ولاية البصرة تطور سياسى هام أدى الى طـرد
سليمان شفيق باشا والى تلك الولاية .

تشرفت فى ١٨ مارس ١٩١٤ بتقديم تقرير عن ترتيب توفيق وربما تفاهم
بين الحكومة التركية وممثلها الرسمى فى البصرة ، والى ، من جانب وسيد
السيد طالب النقيب ، الوجه القوي ، تماما والحاكم الحقيقى للولاية
من جانب آخر .

وبعد ذلك وحتى عهد قريب صاروا الى البصرة فى يدى السيد طالب
كلية ، (واصبح) فعليا خادما الأخير الاكثر طاعة المستعد لمساعدته
وحمايته فى كل أهدافه وخططه القانونية وغير القانونية . يبدو طبيعيا
أن حالة الأمور هذه كان من المحتم أن تكون فى النهاية سببا للأضطرابات
والمشاكل البالغة الخطورة فى تلك الانحاء الكثيرة المشاكل والأضطراب
من الامبراطورية العثمانية .

دفع السيد طالب الوالى لاتخاذ موقف عدائى ضد الشيخ عجمى ، زعيم
قبيلة المنتفق العربيه الكبيرة القوية ، والمنحدر هو نفسه من عائلة آل سعدون

العريقة النبيلة، العدو الوراثي لعائلة النقيب البصرية، والخصم الشخصي للسيد طالب على وجه الخصوص .

ان ذروة المشكلة الناتجة من هذا السلوك المتصف بقلّة السياسة والدبلوماسية لحد كبير من قبل الوالي ثم الوصول اليها حين هوجمت مدينة الزبير، الواقعة بجوار البصرة مباشرة حيث كان عجمي يقيم فيها مع مريه في ذلك الوقت، من قبل اتباع السيد طالب والقوات التركية، والأخيرة كانت آنئذ تحت تأثير طالب كلية . واحد من اكبر بواعث السيد طالب للاقدام على تلك الخطوة هو الحصول على ملكية بعض المراسلات المهمة الموجودة في الزبير منذ وزارة كامل باشا، كتبت ضده من قبل بعض اعضاء جمعية الاتحاد والترقي، الذين تفوا انذاك للزبير في الوقت الذي كان فيه السيد طالب منتحيا للحزب التحرري أو "الأحرار" أي في الفترة السابقة لـ "توافقة" مع الحكومة التركية والوالي .

كان عجمي قد أخبر سلفا بنوايا السيد طالب فأتخذ إجراءاته طبقا لذلك لمنع المدوان المرسوم وكبحه . هزم هو ورجاله جنود الحكومة ومرب السيد طالب بين الزبير والبصرة، جلب أربعة عشر جريحا الى مدينة البصرة واسر عدد معين في هذه الحادثة من قبل عجمي .

ومند أستلام تلك الانباء حرك جنود ترك أضافيون وسحابة من قارب مدفعية تركي كان قد أقيم في البصرة، وأمر قارب المدفعية نفسه بقصف مخيم عجمي في الزبير وتلك المدينة الصغيرة نفسها المخلصه له ولحزبه .

وضع السيد طالب نفسه ليس على رأس اتباعه العرب فقط ، ولكن على رأس الجنود الترك أنفسهم أيضا ، ودخل هو والوالي الزبير في مجموعة تقدر بحوالي ثلاثة آلاف جندي وسلاحين عرب على التوالي ، وأكره عجمي

على الفرار من الزبير . التمس سكان المدينة الصغيرة الرحمة . بعد استعادة النظام في الزبير واقامة الادارة العثمانية هناك ثانية ، عاد الوالى السيد طالب الى البصرة ، ولكنهما تركا خصمائه جندى في الزبير للدفاع عن المدينة ضد هجوم جديد متوقع من جانب عجمي . اقيم خصمائه مسلح من رجال عشائر السيد طالب حامية في بوابة مدخل البصرة الواقعة قبالة الزبير باعتبارهم دفاع آخر عن البصرة نفسها .

وهكذا اعيدت اقامة النظام والهدوء في البصرة والزبير ، ولكن بثمن هو وقوع حكومة البصرة التركية المحلية والوالى نفسه تحت سيطرة وأوامر السيد طالب كلية .

ان حالة الأمور هذه التى ثبت بالتأكيد ضررها الكبير وربما خطورتها فى النهاية على مصالح الحكومة العثمانية فى كل ولاية البصرة ، أعتبرف فى القسطنطينية انها كذلك بصورة صائبة ، وكانت النتيجة التالية للمشاكل والأضطرابات الخطيرة فى الزبير والبصرة هى طرد والى تلك الولاية . يبدو هذا الاجراء دالا بعضى الشئ على موقف اكثر فعالية من قبل السلطات الحكومية التركية تجاه السيد طالب القوى جدا ، ولكن ماسيكون الآن اكثر صعوبة بالتأكد هو كبح القوة المتفطرة لنبيل البصرة العربى الجبار بعد كل ماوصف اعلاه من حوادث غريبة .

أرسل من هنا الى البصرة نائب الوالى والقائد ، العقيد صبحى بك ، انتظارا لوصول خليفة سليمان شفيق باشا . لى الشرف أن اكون ياسيدى خادمكم المطيع ،

نائب القنصل الامريكى والقائم بعمله .

١	المقدمة : تعريف بمصادر البحث وأهم مراجعة
٣٢	تمهيد : سياسة الدولة العثمانية تجاه القبائل العراقية قبل فترة البحث
٨٩	الفصل الاول : الوضع القبلى فى لواء العمارة بين سنتى ١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٤ م
١٦٤	الفصل الثانى : قبائل المنتفق بين سنتى ١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٤ م
٢٣٣	الفصل الثالث : قبائل ولاية البصرة والنشاط السياسى ١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٤ م
٣٠٢	الفصل الرابع : صلات قبائل الولاية بالدول الاجنبية ١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٤ م
٣٥٧	الفصل الخامس : دور قبائل الولاية فى مقاومة الغزو البريطانى للعراق خلال الحرب العالمية الاولى
٤٢١	الفصل السادس : موقف قبائل ولاية البصرة من الادارة العسكرية البريطانية قبل اعلان الهدنة
٤٦٤	الخاتمة : ملخص لاهم نتائج البحث
٤٧٣	المصادر والمراجع